



مَطْبُوعَاتُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِدِمَشْقَ



كتاب

نُصْرَةُ الثَّائِرِ عَلَى الْمَثَلِ السَّائِرِ

تأليف

صَاحِبُ الدِّينِ خَلِيلُ بْنُ أَبِيكَ الصَّفْدِيِّ

(٦٩٦ - ٧٦٤ هـ)

تحقيق

مُحَمَّدُ عَلِيٌّ سَلْطَانِي

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

مقدمة

بقلم الدكتور رمضان عبد التواب

الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة عين شمس

ليس من شك في أن الغيرة على تراثنا العربي ، هي التي تدفع طائفة من شبابنا المثقف ، إلى اختيار نص من النصوص العربية القديمة ، التي كان لها أثر ظاهر في موكب الحضارة الإسلامية ، ومحاولة تحقيقه ، مهتدين في ذلك بما استقر عليه المهتمون بتحقيق التراث العربي ونشره ، من أصول وقواعد .

ولقد كان من رأيي دائما أن يبدأ الطالب حياة البحث العلمي ، لنيل درجة الماجستير في الآداب ، بتحقيق نص من النصوص القديمة ، ودراسته دراسة تبرز لنا أثره في معالم الحضارة الإسلامية ، في هذا الفرع أو ذاك ، من فروع المعرفة العربية ، فإن تحقيق نص من النصوص القديمة الأصيلة ، مما يجعل الطالب يتعرف المكتبة العربية تعرفا كبيرا ، بما يتطلبه تحقيق الكتاب الواحد من الرجوع إلى مصادر متعددة ومتنوعة في الأدب واللغة والشعر والنحو والتاريخ والسير والتراجم وغير ذلك .

هذا إلى أن فن تحقيق النصوص ، يكسب الباحث بعد فترة من عمله ، ملكة النقد للنص الذي أمامه ، فإن الباحث مطالب بتحقيق النص الذي يستنبط منه نتائج معينة ، قبل أن يقدم على استنباط هذه النتائج ، وليس من اللازم أن يكون ذلك النص مخطوطا ، فكثير من الكتب المطبوعة التي بين أيدينا ، لا تفتقر كثيرا عن المخطوطات ، إذ أن الذين تولوا طبعها ونشرها طائفة من الوراقين ، وبعض الأديباء الذين لا يدرون عن فن تحقيق النصوص شيئا ، ولذلك جاءت هذه المطبوعات ، في كثير من الأحيان ، مليئة بالتصحيف والتحريف ، نصوصها مضطربة مشوشة ، تبعد كثيرا عن الأصل الذي كتبه مؤلفوها .

ولقد ظنّ بعض أدعياء العلم ممن ليست لهم خبرة بأصول هذا الفن ، أن تحقيق النصوص ونشرها عمل هين سهل ، وما درى هؤلاء أن المحقق الأمين ، قد يقضي ليلة كاملة في الكشف عن صحة لفظة ، أو إقامة عبارة ، أو تخريج شاهد ، أو البحث عن علّم من الأعلام في كتب التراجم والطبقات •

وعلى الرغم من أن حقل تحقيق النصوص العربية ، ما يزال مليئاً بالأدعياء ، وممن اتخذوا بضاعة التحقيق تجارة ، فإن الأمل معقود بطائفة من الباحثين النابهين ، الذين عشقوا هذا الفن ، ووهبوا له حياتهم ، ورأوا في إحياء تراث العربية بعثاً لهمة العرب ، وتذكيراً لهم بأمجاد أسلافهم ، وماثر أجدادهم •

ومن هؤلاء الباحثين النابهين ، محقق هذا الكتاب ، أخي وصديقي وتلميذي النجيب السيد محمد علي سلطاني ، فهو من عشاق التراث العربي ، ولقد وضع يده على أثر من أنفس آثار عالم من كبار علماء العربية ، وهو هذا الكتاب « نصره الثائر على المثل السائر » لصلاح الدين خليل بن آيبك الصفدي ، وقد رأى المحقق في هذا الكتاب بغيته ، في تجلية فترة كان النقاد والباحثون ، يعدونها من عصور الانحطاط الأدبي في العربية ، فاستطاع بتحقيقه هذا الكتاب ودراسته له ، أن يبدد هذا الوهم الذي سيطر على العقول فترة من الزمن • ولقد وقف أمام نصه ، وقفة المتأنّي ، وسار في تحقيقه على المنهج العلمي لتحقيق النصوص ونشرها ، مراعيًا الدقة والأمانة العلمية ، مخرّجاً شواهد وأخباره المختلفة ، وقد رجع في كل هذا إلى طائفة أصيلة من المراجع العلمية القديمة •

والله سبحانه وتعالى أسأل أن ينفع به ، ويسدّد خطاه • ربّنا عليك توكلنا وإليك أنينا وإليك المصير •

بسم الله الرحمن الرحيم

« كتابنا هذا »

أما مُصنّف الكتاب ، خليل بن آيبك الصفدي ، فيوشك أن يكون معروفا لدى سواد المثقفين ، وذلك لما شاع من كتبه ، وظهر منها ، وتداولته الأيدي . وقد كانت من بين أوائل المصنفات التي عثي بها في عصرنا الحديث ؛ أذكر منها « الوافي بالوفيات » و « الغيث المسجم » . وما وقفتُ عنده من ترجمته في المقدمة غناء عن ترديده مرة أخرى .

وأما كتابه هذا « نصرة الثائر على المثل السائر » فهو حلقة لا تغفل ؛ وإن كان الظلّ الصفيق الذي ألقته عشرات الحقب على عصر المؤلف يحجبه عن العين ؛ ذلك لأن تناول الموضوع الذي يعالجه يقتضي البحث السديد أن يترتّب عنده ؛ بل يستلزم الاهتمام به والعكوف عليه ؛ وإلا فإن النقص الشديد يعتور ذلك البحث ، ويصيب موضوعه باضطراب يبيّن ، لا يزال به حتى يستدرّكه في تراث هذه الحقب المتكدسة التي غابت في ذلك الظلّ الصفيق .

وما زالت نقدرات أستاذنا الجليل الدكتور شكري فيصل ، حفظه الله تعالى ، لنماذج من أدب هذا العصر ، وهو يزيج عنها تلك الأحجية الغليظة حتى تتبدّى للعين في حليّتها ، التي راقت لأصحابها ، ويعرض لتلك الذخائر الذوقية والثقافية ، يحلّلها الى عناصرها الأولى ، فاذا هي تلك النماذج الحية النابضة بحياة زخّارة ، تترجم عن عصرها أجلى ترجمة — ما زالت تلك النقدرات تحملني على أن أقبل على هذا الفن ، أستمد من عزيمة أستاذي الجليل العون وأهتدي بهديه ، حتى ظفرت أخيرا بهذا الكتاب ، اتخذته موضوع رسالتي لدرجة الماجستير ، فأكبت عليه بتلك الروح التي عوّدناها أستاذنا الجليل .

غير أن الكتاب يمتاز من دون تلك الكثرة ، من مصنفات عصره ، بموضوعه الذي تناول بحث النقد بالنقد نفسه ، وفي ذلك ما فيه من دلالة على الحياة النابضة ،

التي نفتقدها في تيار هذا العصر السياسي ، على نحو ما يصوره اصطلاح « عصر الانحطاط » لتلك الأحقاب الطوال • والحيوية التي نغنيها هي أن يستثير النقد نقداً ، يردُّ عليه ، ويواجهه •

وإن زعم الزاعمون أنها حيوية المصنف فهي حجة ضعيفة ذلك لأن المصنف أحد أبناء عصره الذي يحيا معهم وبينهم • وليس من الضروري أن تكون حيوية هذا العصر على نحو ما نحب منه ، ولكن من الضروري أن تكون ترجمان العصر نفسه •

ولكن الصفدي في هذا الكتاب لم يقصّر عن شأو من تقدّمه من هؤلاء المعدودين في فن النقد ؛ لا في مادة بحثه ولا في أسلوبه ، فأما في مادة الموضوع فإن أكثر نماذجه التي اعتمدها في مناقشته واستشهاده إنما هي النماذج المحتذاة في تقويم الأئمة من النقاد ، فهي من شعر مثل البخري وأبي تمام والمتنبي ، ومن نثر الجاحظ وأضرابه • وأما في أسلوبه فيتبيّن في عبارته التي تخلّت عن نهج عصره في المماحكة اللفظية ، وعبودية الأداء السقيم ، ويتبيّن أيضاً في استلهام الذوق السليم ، الذي نمّته التجربة والاستعداد القويم ، ويتبين أيضاً في الجرأة على معايير زمانه من معارضة أئمة البيان في أيامه ، والاستشهاد بما لم يكن إلا مثالا ينظر إليه على أنه بعيد المرمى عسير البلوغ • ويتبين أيضاً في نهجه الذي تقتضيه نزاهة النقد ؛ سوى فضائل أخرى تستوقف القارئ هنا وهناك ، تحمله على أن يعاود النظر فيما استنقر عنده عن هذا العصر وما صدر عليه من أحكام شتى •

وأختم هذه الكلمة بأن أتوجه بالشكر العميق الذي لا تزال بواعثه تتكرر وتتجدد على الأيام إلى الأستاذ الفاضل الدكتور عبد القادر القط الذي بدأ رعايته لعملي هذا وأحاطه بفضلته إلى النهاية ، وكذلك إلى الدكتور رمضان عبد التواب الذي أكرمني بمتابعة الطريق بروح متوثبة للعلم ، حريصة على مشاركة طلابه كل المشاركة ، وأثنّي بالشكر الجليل لأعضاء لجنة المناقشة ، فقد انتفعت كثيرا من ملاحظاتهم القيمة •

ولا بد من ترديد عاطر الثناء والاعتراف بالجميل للأستاذ رئيس مجمع اللغة العربية المبجل الدكتور حسني سبّح ، الذي شرفني بموافقته على أن يكون كتابي هذا درج مطبوعات المجمع ، فله الشكر الجميل ،

والحمد لله تعالى الذي منه العون والسداد .

دمشق ٥ / من ذي الحجة / ١٣٩١

٣١ / من كانون الثاني / ١٩٧١

محمد علي سلطاني

« المؤلف »

صلاح الدين الصفدي

هو خليل بن الامير عز الدين آيبك بن عبد الله الألبكي الصفدي ، صلاح الدين أبو الصفاء^(١) . كان والده من أمراء المماليك ، وولد له خليل في صنف سنة ٦٩٦ هـ ، ونشأ نشأة عربية خالصة نظير غيره من أبناء المماليك ، وتمتع برغد العيش في ظل أبيه فوجدت مواهبه مجالها الفسيح لتتفتح وتعبّر عن ذاتها ، فبدأ ميله إلى بعض الفنون « وتعاين صناعة الرسم فمهر فيها ، ثم حب إليه الأدب فولع به ، وكتب الخطّ الجيد وشارك في الفنون^(٢) » .

« وذكر عن نفسه أن أباه لم يمكنه من الاشتغال حتى استوفى عشرين سنة ، فطلب بنفسه ، ونال الشعر الحسن ، ثم أكثر جدا من النظم والنثر والترسل والتواقيع^(٣) » .

وفد هياه ولوعه بالرسم وتعلّقه به ، لأن يكون خطاطا بارعا ، كما أطلق هذا الولوع خياله وأغناه ليجيد التعبير بالتصوير في الشعر والنثر ، وهو في الشعر وسيلته الأصيلة .

وهكذا بدت طريق الصفدي واضحة متميزة ، مما سيظهر أثره كذلك واضحا متميزا في تحصيله واهتمامه وتآليفه .

لم يجد الصفدي في علماء بلده ما يرضي مواهبه ويشبع نهمه ، « وكانت له همة عالية في التحصيل^(٤) » . فرحل إلى دمشق يقرأ على علمائها وكانوا من أجلّ الرجال .

(١) النجوم الزاهرة ١١/١٩

(٢) الدرر الكامنة ٢/٨٧ .

(٣) المصدر السابق ، والبدر الطالع ١/٢٤٣ .

(٤) طبقات الشافعية للسبكي ٦/٩٤ .

فأخذ الأدب عن شهاب الدين محمود (١) ولازمه، وعن ابن نباته الشاعر (٢) ، كما لازم فتح الدين بن سيد الناس (٣) وأخذ عنه المغازي والسير ، وأخذ النحو عن أبي حيان النحوي (٤) ، وأما عن القاضي بدر الدين بن جماعة (٥) فقد أخذ الفقه على المذهب الشافعي ، وأخذ عن الحافظ المزني (٦) ، وقرأ على الشيخ تقي الدين السبكي (٧) ، كما أخذ التاريخ عن أبي عبد الله الذهبي (٨) حتى برع في الأدب نظماً ونثراً وكتابةً وجمعاً . وقد أثر اهتمامه البالغ بالأدب وتحصيله وما يتصل به بسبب على تحصيله لبقية العلوم ، والتي لم تجد كذلك هوى من نفسه . فكأنما أدرك سوء تأثيرها في خيال الأديب وفي تعبيره الشعري ، « فقرأ يسيراً من الفقه والأصليين (٩) » وكذلك « قرأ بنفسه شيئاً من الحديث (١٠) » حتى قال فيه صديقه

- (١) شهاب الدين محمود بن سليمان متوفى بدمشق سنة ٧٢٥ هـ انظر الدرر الكامنة ٣٢٤/٤ .
- (٢) ابن نباته الشاعر محمد بن محمد متوفى بمصر سنة ٧٦٨ هـ انظر المصدر السابق ٣٣٩/٤ .
- (٣) فتح الدين بن سيد الناس اليعمرى محمد بن محمد متوفى بالقاهرة سنة ٧٣٤ هـ انظر الوافي بالوفيات ٢٨٩/١ .
- (٤) أبو حيان النحوي محمد بن يوسف الأندلسي أثير الدين متوفى بالقاهرة سنة ٧٤٥ هـ ، انظر شذرات الذهب ١٤٥/٦ .
- (٥) بدر الدين بن جماعة محمد بن إبراهيم متوفى بمصر سنة ٧٣٣ هـ انظر البداية والنهاية ١٦٣/١٤ .
- (٦) الحافظ المزي يوسف بن عبد الرحمن متوفى بدمشق سنة ٧٤٢ هـ انظر مفتاح السعادة ٢٢٤/٢ .
- (٧) تقي الدين السبكي علي بن عبد الكافي توفي بالقاهرة سنة ٧٥٦ هـ انظر طبقات الشافعية ١٤٦/٦ .
- (٨) أبو عبد الله شمس الدين الذهبي محمد بن أحمد توفى بدمشق سنة ٧٤٨ هـ ، (المصدر السابق ٢١٦/٥) .
- (٩) مفتاح السعادة ٢١٠/١ .
- (١٠) الدرر الكامنة ٨٧/٢ .

تاج الدين السبكي « ما صَنَّف كتاباً إلا وسألني فيه عما يحتاج اليه من فقه وحديث وأصول ونحو ^(١) » بينما يقول تاج الدين نفسه في مكان آخر • « وربما وقع لي شعر ركيك من نظم الصَّبَّيان فكتبه هو عني إذ ذاك وبه رغبت في الأدب ^(٢) » وقد أجمع شيوخه على تقديره والإعجاب به ، حتى إن بعضهم سمع عنه ، أمثال الذهبي وابن كثير والحسيني وغيرهم ^(٣) » •

وقد ذكره شيخه الذهبي في (المعجم المختص) فقال فيه : « الإمام العالم الأديب البليغ الأكمل شارك في الفضائل وساد في علم الرسائل وجمع وصنف ، سمع مني وسمعت منه وله تأليف ••• والله يمدّه بتوفيقه ^(٤) » •

كما اعترفوا بموهبته في الأدب والنقد منذ أن كان يقرأ عليهم • يقول الصفدي في معرض حديثه عن شيخه ابن سيد الناس « وكتبت له استدعاءً إجازته لي بما صورته بعد الحمدلة والصلاة ••• (فكان مما أجابه به الشيخ) : وأذنتُ لك في إصلاح ما تعثر عليه من الزلل والوهم ، والخلل الصادر عن غفلة اعترت النقل أو وهلة اعترضت الوهم ، فيما صدر عن قريحتي القريحة من النثر والنظم ، وفيما تراه من استبدال لفظ بغيره ، مما لعله أنجى من المرهوب أو أنجع في نيل المطلوب ، أو أجرى في سنن الفصاحة على الأسلوب ^(٥) » •

وقد شعر الصفدي في أخريات عمره بوجوب إتقان جوانب أخرى من العلوم التي لا تتم الثقافة إلا بها لا يكون المتعلم متعلماً بدونها « فسمع بالآخرة من جماعة ، وقرأ على الشيخ الإمام جميع (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) ••• ولما أخرجتُ مختصري في الأصلين المسمى « جمع الجوامع » كتبه بخطه وصار يحضر الحلقة

(١) طبقات الشافعية ٩٤/٦ .

(٢) طبقات الشافعية ٩٤/٦ .

(٣) الدرر الكامنة ٨٧/٢ .

(٤) شذارات الذهب ٢٠١/٦ .

(٥) الوافي ٢٨٩/١ .

وهو يقرأ عليّ ويلذ له التقرير وسمعه كله عليّ، وربما شارك في فهم البعض منه •
رحمه الله تعالى (١) » •

نشاطه الأدبي :

وكان من أنشط أدباء عصره ، كتب الكثير في التاريخ واللغة والأدب ، « وله
الأشعار الفائقة والفنون المتنوعة (٢) » • ومن قوله : « وكتبت أزيد من ستمائة مجلد
تصنيفا (٣) » « ولعل الذي كتبته في الإنشاء ضعفا ذلك (٤) » • كما أنه كثير الشعر
غزيره وهو مبثوث في ثنايا كتبه ، « وقد أودع منه في شرح لامية العجم وغيرها
ما يعرف به مقداره (٥) » • • « وديوان شعره مشهور بأيدي الناس وهو من
المكثرين (٦) » •

مؤلفاته :

رتبنا لما عرف به الصفدي من نشاط علمي وغزارة في الشعر فقد كثرت بالتالي
كتبه فعد « في باب التأليف من المكثرين المجوّدين (٧) » حتى قال ابن كثير إنه
« كتب ما يقارب مائتين من المجلدات (٨) » أما الزركلي فقد ذكر أنه « كثير
التصانيف الممتعة ، له زهاء مائتي مصنف (٩) » • ويتقدم ابن العماد الحنبلي ليقول :
« ووقفت على ترجمة كتبها الصفدي لنفسه نحو كراسين ، ذكر فيها أحواله ومشابخه
وأسماء مصنفاته • وهي نحو الخمسين مصنفا • منها ما أكمله ومنها ما لم يكمله (١٠) » •

- (١) طبقات الشافعية ٩٤/٦ •
- (٢) البداية والنهاية ٣٠٣/١٤
- (٣) مفتاح السعادة ٢١٠/١
- (٤) الدرر الكامنة ٨٧/٢ •
- (٥) البدر الطالع ٢٤٣/١ •
- (٦) النجوم الزاهرة ١٩/١١ •
- (٧) كنوز الاجداد ٣٨٠
- (٨) البداية والنهاية ٣٠٣/١٤ •
- (٩) الاعلام ٣٦٤/٢ •
- (١٠) شذرات الذهب ٢٠١/٦ •

هذا ما قيل ، أما ما وصل إلينا فلم يزد على خمسة وأربعين اعتمدت في معرفتها على كتاب بروكلمان في « تاريخ الأدب العربي » مضيفا إلى قائمته ما لم يصل إليه خبره مما ورد عند غيره .

وهاك ثبتا أبجديا بكتبه هذه :

(١) أعيان العصر وأعوان النصر ، جعله لتراجم مشاهير القرن الثامن الهجري من الرجال والنساء في ستة مجلدات . وقد أشار غالب من ترجم للصفدي إلى أنه أفرد هذا الكتاب من كتابه الوافي بالوفيات ^(١) ، ولا يزال الكتاب مخطوطا وقد ورد في كل من طبقات الشافعية ٩٦/٦ والدرر الكامنة ٨٧/٢ باسم « أعوان النصر في أعيان العصر » والنجوم الزاهرة ١٩/١١ والأعلام ٣٦٤/٢ والبدر الطالع ٢٤٣/١ وعند بروكلمان S II 23 GAL II 32 برلين ٩٨٦٤/٩٨٦٥ - القاهرة (ثاني) ٣٥/٥ وفي دار الكتب المصرية بالقاهرة تاريخ ١٠٩١ - ١٠٩٤ وأيا صوفيا ٣٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٢٩٧٠ وغير ذلك .

(٢) اختراع الخراع . وهو شرح مفصل لأشعار مع تعليقات في علوم اللغة والعروض ، ولم يرد إلا عند بروكلمان CAL - II 33, S II - 29 ليدن ٣٢١ وفي دار الكتب تيمورية ٢٠١ أدب .

(٣) الأرب من غيث الأدب ولم يرد إلا في فهرس الخزانة التيمورية ١٧٧/٣ دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٨ وقد عثرت في مكتبة معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة على نسخة مطبوعة (ب ١ - ١٩٦) بالمطبعة العثمانية سنة ١٨٩٧ ويغلب على الظن أنها مقتطفات من كتاب الصفدي . بينما أشار صاحب معجم المؤلفين ١١٤/٤ إلى أن كتاب الأرب من غيث الأدب هو نفسه « الغيث المسجم » ويؤكد هذا محتويات كتاب الأدب المشار إليه . كما أن في دار الكتب الظاهرية بدمشق نسخة خطية باسم « غيث الأدب المنسجم في شرح لامية العجم » (شعر ٢) وفي هدية العارفين ٣٥١/١ فهل هو المقصود في معجم المؤلفين ؟

(١) انظر البدر الطالع ٢٤٣/١ ، والدرر الكامنة ٨٧/٢ .

٤ (أَلْحَانُ السَّوَاجِعِ مِنَ الْمُبَادِي وَالْمَرَاجِعِ ، مجلدان ، وهو رسائله إلى بعض معاصريه . مخطوط وقد ورد في الدرر الكامنة ٨٧/٢ والبدر الطالع ٢٤٣/١ والأعلام ٣٦٤/٢ وعند بروكلمان GAL - II - 32, S - II - 28 باسم أَلْحَانِ السَّوَاجِعِ مِنَ النَّادِي وَالرَّاجِعِ . برلين ٨٦٣١ ، باريس ٢٠٦٧ والمتحف البريطاني ١٠١٦ وغير ذلك . وفي دار الكتب المصرية ٤٢٦ ، ٤٦١ ، ٦٨٦ ، ١٢٦٢ أدب .

٥ (تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب مخطوط ، وهو أرجوزة لكتاب ابن عساكر . وقد نشر صلاح الدين المنجد كتابا للصفدي باسم « أمراء دمشق في الإسلام » أرجوزة ، لعلها جزء من « تحفة ذوي الألباب » وأورده بروكلمان GAL - II - 32, S - II - 28 باريس ٥٨٢٧ وغيرها ومنه نسخة مصورة في دار الكتب المصرية ٢١٠٢ تاريخ .

٦ (التذكرة : وهي مطوّل في الأدب والشعر تقع في ثلاثين مجلدا ، مرتب حسب الموضوعات ويقسم إلى أبواب في أنواع الفضائل والردائل ، وفيه كثير من الفوائد التاريخية والاجتماعية وكثير أيضا من تراجم الشعراء والأدباء .

ومن المرجح أنه صنف التذكرة ليعود إليها عند الحاجة ، يقول صديقه تاج الدين السبكي « أعارني مرة من تذكّره مجلدا ، وكان يصنف كتابا في الوصف والتشبيه وينظر عليه التذكرة ، ويكتب على كل مجلد إذا نجز : نجز التشبيه منه (١) » . كما ورد في الأعلام ٣٦٤/٢ والكتاب مخطوط ذكره بروكلمان في GAL - II - 32 وقال : بعض اجزائها في جوتا ٢١٤٠ والمتحف البريطاني ٧٦٥ وغير ذلك وفي دار الكتب - تيمورية الجزء ٣٨ منها ٨٠٤ أدب . وتقول أدبية منها ١٠٣٢ أدب .

٧ (تصحيح التصحيف وتحريير التحريف وهو مخطوط وقد ورد في معجم المؤلفين ١١٤/٤ وفي هدية العارفين ٣٥١/١ وهناك نسخة منه في دار الكتب المصرية بالقاهرة المكتبة الزكية ٣٧ لغة (٢) .

٨ (تشنيف السمع بانسكاب الدّمع ، وورد كذلك باسم لذة السمع في صفات

(١) طبقات الشافعية ٩٥/٦ .

(٢) انظر « لحن العامة والتطور اللغوي » للدكتور رمضان عبد التواب ٢٦٨ - ٢٧٣ .

الدمع ، جمع فيه ما قاله الشعراء في الدمع ووصفه ، فبدأ بالبكاء منذ قول امرئ القيس فيه . حتى جرى كالأنهار وطمى كالبحور في عصره ، مع مقدمة حسنة في النقد . وهو مطبوع في القاهرة ١٣٣١ هـ .

(٩) تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون (الجدية) صدرها بترجمة مطولة لابن زيدون ومراسلاته ، مع انتقادات شعرية ونوادر تاريخية عن الملوك والقواد ، يليه الشرح . وهو مطبوع .

(١٠) توشيح الترشيح . وقد أورده ابن حجر في الدرر الكامنة ٨٧/٢ فحسب .

(١١) جلوة المذاكرة في خلوة المحاضرة وهو مخطوط . ورد في الدرر الكامنة ٨٧/٢ والأعلام ٣٦٤/٢ وفي دار الكتب - تيمورية ١٩٨ ، ١٦٨ أدب .

(١٢) جر الذيل في وصف الخيل وهو مخطوط ورد في الدرر الكامنة ٨٧/٢ والبدر الطالع ٢٤٣/١ .

(١٣) جنان الجناس . طبع في استانبول سنة ١٢٩٩ هـ ومنه نسخة موجزة بعنوان « نزهة الخلاص في علم الجناس » مخطوطة في برلين ٧٣٣٣ انظر بروكلمان GALS - II - 29

(١٤) الحسن الصريح في مائة مليح . مجموعة اشعار في الغلمان ، وهو مخطوط منه نسخة في دار الكتب الظاهرية رقم عام ٥٦٥٧ وأورده بروكلمان في GAL - II - 32 المتحف البريطاني ١١١٢ وأيا صوفيا ٣١٧٧ وفي دار الكتب - تيمورية ٢٣٦ أدب .

(١٥) حلي النواهد على ما في الصحاح من الشواهد ، وهو مخطوط ذكره البغدادى في هدية العارفين ٣٥١/١ .

(١٦) ديوان الفصحاء وترجمان البلغاء . وهو منتخبات من الشعر والنثر ، ألفه للسلطان الأشرف الأيوبي . وهو مخطوط ، ويشير بروكلمان إلى أنه بخط المؤلف في فيينا ٣٨٩ .

(١٧) الروض الناسم والثغر الباسم ، وهو مخطوط ورد في الدرر الكامنة ٨٧/٢ والأعلام ٣٦٤/٢ ويشير بروكلمان إلى أن منه نسخة في الأسكوريال ١٨٤٨ . انظر

(١٨) رصف الزلال في وصف الهلال وهو مطبوع وورد عند بروكلمان باسم كشف الزلال وعند زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية (رشف الزلال) والرشف والرصف أكثر قبولا . كما يشير بروكلمان CAL - II - 33 إلى أن منه قصيدة الحصكفي في معاني كلمة الهلال . برلين ٧٠٦٤ .

(١٩) وصف الرقيق في وصف الحريق . وهو مقامة لا يزال مخطوطا وقد أورده بروكلمان بعنوان « كشف الرقيق » وزيدان « رشف » وكلاهما أقرب إلى حسن الأداء من « كشف » في الأسكوريال ٥٦٤ انظر بروكلمان CAL - II - 33 .
(٢٠) رموز الشجرة النعمانية ، وهو مخطوط ورد في هدية العارفين ٣٥١/١ . وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق ورد باسم « شرح الشجرة النعمانية في الدولة العثمانية » رقم ٨٧٣١ و ٦٢٣٢ و ٧٣٣٠ .

(٢١) الشعور بالعمور ، كتاب في الأدب فيه تراجم العمور وأخبارهم وهو مخطوط ذكره بروكلمان في CAL - II - 32 برلين ٩٨٦٧ ومنه نسخة مصورة في دار الكتب المصرية (١٨٣٤ ، ١٢١٥ تاريخ) .

(٢٢) صرف العين عن صرف العين في وصف العين . وهو مخطوط ورد في طبقات الشافعية ٩٦/٦ وهدية العارفين ٣٥١/١ وقال بروكلمان إن بعض أوراقه بخط الصفدي انظر CAL - II - 33 في برلين ٣٨٠٦ .

(٢٣) طوق الحمامة ، مختصر شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون وقد أورده بروكلمان في كتابه

(٢٤) طرد السبع عن سرد السبع ، وقد ورد في هدية العارفين ٣٥١/١ وعند بروكلمان CAL - S - II - 29 في كوبروللي ١٣٣٧ .

(٢٥) العرف الندي في شرح قصيدة ابن الوردية وهو مخطوط ، في دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم عام ٥٨١٩ .

(٢٦) عبرة اللبيب بعثرة الكتيب وهو عند بروكلمان « عبرة اللبيب بمصرع الكتيب

أو (المقامة الآيسكية) في كتابه CAL - S - II - 29 الفاتح ٤٠٢٧ وفي دار الكتب المصرية
تيمورية (٤٨٤ و ١٢٧٠ أدب) •

٢٧ (الغيث المسجّم في شرح لامية العجم ، أثبت فيه تمكنه من علوم العربية ،
وقد أورد فيه شيئاً من المجون وفيه فوائد تاريخية هامة ، طبع في مجلدين •

٢٨ (غوامض الصحاح في اللغة •

٢٩ (فض الختام عن التورية والاستخدام ، مخطوط ورد في الدرر الكامنة
٨٧/٢ والبدر الطالع ٢٤٣/١ وعند بروكلمان في CAL-II-33,S-II29 في الأسكوريال
٢١٩ ، وكوبريللي ١٣٥١ وغير ذلك ومنه نسخة مصورة في معهد المخطوطات في الجامعة
العربية بلاغه ٤٨ وكذلك في دار الكتب المصرية - ٢٤٠ ، ٢٤١ والمكتبة الأزهرية
٢٦١ ، ٦٧٨٨ •

٣٠ (قهر الوجوه العابسة بذكر نسب الجراكسة • مطبوع •

٣١ (القصيدة اللامية عند بروكلمان CAL - S - II - 29 في برلين ٧٩٧٢ •

٣٢ (قصيدة تأثيه • ليزج ٤٧٥ في بروكلمان CAL - S - II - 29

٣٣ (قصيدة ، برلين ٧٨٦٠ CAL - II - 33

٣٤ (كشف الحال في وصف الخال • مجموعة شعرية ، وهو مخطوط ورد
في الدرر الكامنة ٨٧/٢ والبدر الطالع ٢٤٣/١ وعند بروكلمان CAL - II - 33 في
هافانا ٢٩٣ ومنه نسخة في دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم عام ٦٩٢٧ وفي دار الكتب
المصرية تيمورية ١٠٥٢ أدب •

٣٥ (كشف السر المبهّم في لزوم مالا يلزم ، وهو مخطوط منه نسخة في دار
الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٧١٥١ •

٣٦ (الكشف والتنبية على الوصف والتشبيه وهو مخطوط وورد بعنوان
التنبية على التشبيه في الدرر الكامنة ٨٧/٢ وبمعنوان الوصف والتشبيه في طبقات
الشافعية ٩٦/٦ •

- (٣٧) لوعة الشاكي ودمعة الباكي وهو مطبوع ، طبع حجر بمصر سنة ١٢٧٤ وفي استامبول سنة ١٣٠١ •
- (٣٨) منشآت الصفدي ، مجموعة مقالات ورسائل وتواقيع وتقارير رسمية • وهي عند بروكلمان CAL II 32, S II 28 في القاهرة (أول) ٤/٣٣٤ وموشح - جوتا ٢٦٦٣٣ - II - 33 CAL وفي دار الكتب المصرية تيمورية (١١٤ أدب) باسم قانون الترسل •
- (٣٩) المنتقى من المجازاة والمجازاة ، وهو مخطوط وورد في الدرر الكامنة ٨٧/٢ باسم المجازاة والمجازاة في ماجريات الشعراء، وهو عند بروكلمان CAL-S II - 29 في طوب قبو سراي ٢٦١٧ •
- (٤٠) المحاورة الصلاحية في الأحاجي الاصطلاحية • بروكلمان GAL - S II - 29 في الأسكوريال ٤٣٢ •
- (٤١) نكت الهيان في نكت العميان • تراجم فضلاء العميان وأخبارهم ، وهو منسق ويتحلى بمقدمة حسنة في موضوعه • مطبوع •
- (٤٢) نفوذ السهم فيما وقع فيه الجوهري من الوهم ، في اللغة وهو مخطوط وورد في هدية العارفين ١/٣٥١ •
- (٤٣) نجد الفلاح في مختصر الصحاح ، وهو مخطوط في اللغة أيضا ورد في هدية العارفين ١/٣٥١ •
- (٤٤) نصرة الثائر على المثل السائر • وقد ذكره بروكلمان في GAL - II - 33 في القاهرة (أول) ٩٩/٤ = (ثان) ١٣/٣ كما ذكره في CAL - II - 29 والنسخ في برلين ١٠٧٣ و ٣٣٩٥ وليدن ٣١٩ والقاهرة (ثان) ١٣/٣ وكوبريللي ١٤٠٥ وطوب قبو سراي ٢٤٣٩ وفيض الله ١٧٦٧ •
- (٤٥) الهول المعجب في القول الموجب • عند بروكلمان GAL - S II - 29 في القاهرة (ثان) ٢٢٨/٢ ودار الكتب المصرية مصورات ١٩٦٤ (٤٣٥ بلاغة) •

(٤٦) الوافي بالوفيات • ولعله أكبر المعاجم التاريخية المعروفة من نوعه « جمع فيه تراجم الأعيان ونجباء الزمان ممن وقع عليه اختياره • فلا يغادر أحداً من أعيان الصحابة والتابعين والملوك والأمراء والقضاة والعمال والقراء والمحدثين والفقهاء والمشايخ والصلحاء والأولياء ولنحاة والأدباء والشعراء والأطباء والحكماء وأصحاب النحل والبدع والآراء وأعيان كل فن ممن اشتهر أو أتقن إلا ذكره •

وذكر كل من فتح فتحاً يسره ، أو خيراً قرره ، أو جوداً أرسله ، أو رأياً أعمله أو حسنة أسداها ، أو سيئة أبداها ، أو بدعة سنّها وزخرفها ، أو كتاباً وضعه ، أو تأليفاً جمعه ، أو شعراً نظمه ، أو نثراً أحكمه • فازداد النفع به للمحدث والأديب (١) •

دخل الكتاب في ثلاثين مجلداً (٢) وفيه نحو أربعة عشر ألف ترجمة ، وساعده على الظفر بالمواد اللازمة له ، تنقله في ربوع مصر والشام ، وخزائن الكتب يومئذ موفرة ، والملوك وأهل الخير من العلماء والأعيان يمدون المدارس والجوامع وغيرها بالكتب ويوقفونها لوجه الله سعياً إلى الخير لهم وللناس — حتى استطاع أن يقدم لنا أعلام ثمانية قرون من رجال الإسلام • « ومقدمة هذا الكتاب العظيم من امتع ما كتب مؤرخ ، تدل على سعة اطلاعه ، وسمو أدبه ، وعلى تدقيقه واستقصاءاته (٣) » •

وقد طبعت هذه المقدمة في المجلة الآسيوية الفرنسية ١٩١١ — ١٩١٢ ونشرت في كتاب على حدة (٤) • وقد افتتحه فيمن اسمه محمد فبدأ بالرسول عليه الصلاة والسلام ، وثنى بمن اسمه محمد من الأعيان ثم عاد فساق التراجم على حروف المعجم بأسلوب مرسل رقيق ، ومن موجبات الأسف أن هذا الكتاب النفيس ، لا يوجد كاملاً في مكان واحد ، وربما يتيسر جمع نسخة كاملة من الأجزاء المتفرقة في المكاتب المختلفة •

- (١) انظر كشف الظنون ٢/١٠٠
- (٢) معظمها مخطوط وقد ذكرها بروكلمان في CAL II 32, S II 28
- (٣) كنوز الأجداد — محمد كرد علي ٢٨٠ وما بعدها •
- (٤) تاريخ الأدب العربي — زيدان ٣/١٧٤ •

هذا ما وصل إلينا من كتب الصفدي ، وهي ليست كل ما ألفه كما رأيت . وإن نظرة إلى هذه المؤلفات وموضوعاتها تدلنا بوضوح على مدى ولوع الصفدي بالأدب شعره ونثره شرحاً ونقداً ، إضافة إلى إتقانه للتراجم وفن كتابتها . من ذلك ما أورده في كتابه الوافي بعد أن أشار إلى أخذه ذلك عن قاضي القضاة تاج الدين السبكي . فقال : « يشترط في المؤرخ الصدق ، وإذ انقل يعتمد اللفظ دون المعنى ، وأن لا يكون ذلك الذي نقله أخذه في المذاكرة وكتبه بعد ذلك ، وأن يسمى المنقول عنه » . فهذه شروط أربعة فيما ينقله .

ويشترط فيه أيضاً لما يترجمه من عند نفسه ، ولما عساه يطول في التراجم من النقل ويقصر ، أن يكون عارفاً بحال صاحب الترجمة علماً وديناً وغيرهما من الصفات ، وهذا عزيز جداً وأن يكون حسن العبارة عارفاً بمدلولات الألفاظ ، وأن يكون حسن التصور حتى يتصور حال ترجمته جميع حال ذلك الشخص ، ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عليه ولا تنقص عنه . وأن لا يغلبه الهوى ، فيخيل إليه هواه الإطناب في مدح من يحبه ، والتقصير في غيره بل إما أن يكون مجرداً عن الهوى ، وهو عزيز ، وإما أن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه ، ويسلك طريق الإنصاف . فهذه أربعة شروط أخرى ، ولك أن تجعلها خمسة ، لأن حسن تصوره ، وعلمه قد لا يحصل معهما الاستحضار حين التصنيف ، فيجعل حضور التصور زائداً على حسن التصور والعلم . فهي تسعة شروط في المؤرخ ، وأصعبها الاطلاع على حال الشخص في العلم ، فإنه يحتاج إلى المشاركة في علمه ، والقرب منه ، حتى يعرف مرتبته ^(١) .

وهكذا فقد أحسن الصفدي صنعاً حين نأى بموهبته وذاكرته عن التعمق في أبحاث المنطق والعلوم العقلية ، فطلبها يسيراً واندفع مع ميله الأدبي ينهل ويعمل ، فلقد كان هذا الإحساس بتأثير هذه العلوم يعيش في نفسه حتى غدا ملاحظة تجد لها في كل يوم دليلاً إلى أن عبر عن هذه الفكرة فيما بعد في كتابه الغيث ^(٢) المسجّم حين قال : « وكل من عانى النظم وغلب عليه فن من الفنون مال به إلى ذلك الفن وغلبت

(١) الوافي بالوفيات ٤٦/١ .

(٢) الغيث المسجّم ١٢٤/١ .

عليه قواعده واستعمله في مقاصده الشعرية وتخيلات معانيه وظهر على ما يرويه اصطلاح ذلك الفن وأحكامه .

ألا ترى إلى أبي الفتح البستي ومقاطيعه المشهورة في الآداب والحكم كيف غلب عليها ألفاظ المنجمين « . » .

وانطلق الصفدي مع رأيه هذا يغذيه بالأدلة والشواهد وقد حفل بها شعر عصره حتى أقنع قارئه بأنه غير متجن ولا متمحل فيما ذهب إليه . وبذلك صان الصفدي ذوقه ومنح مؤلفاته أصالة ترقى بها عن أن تكون مجرد نسخ وتصنيف ، بل إن وجوده فيها واضح بارز يخضعها لذوقه ويسيرها بحسّه ويبدو وجوده وصائب نظراته بخاصة في مقدمات كتبه ، كما تتناثر في تضاعيفها .

كل هذا جعله مؤلفاً أصيلاً يأتي في طليعة من كتب في الأدب والنقد في عصره . لذلك لا نغلو ، فإذا عددناه مثلاً ممتازاً لما كان عليه فن الأدب في تلك الفترة من عمر الأدب العربي الوسيط كما تنسحب هذه القيمة لكتبه إلى ما ألفت في التراجم وخاصة في كتابه « الوافي بالوفيات » دعت العلامة كرينكو ليقول « إنا نجد في كتاب الوافي تراجم كثيرة ، نحاول عبثاً الظفر بمثلها في الكتب التي تماثل الوافي بموضوعها . والفهرس التام لأسماء الأشخاص الذين وردت تراجمهم في الأجزاء المعروفة من هذا الكتاب يتألف منها مجلد ضخمة ^(١) » .

إضافة إلى ما اتبعه الصفدي في ذكر الأسماء على ترتيب حروف الهجاء تسهيلاً للاهتمام إلى ترجمتها في خضم هذا الكتاب الكبير ، فإنه كان يذكر في آخر ترجمة كل اسم من الأعلام الذين اشتهروا بألقاب أو كنى ، فيشير إلى أماكن تراجمهم من الكتاب وبأي اسم ترجم لهم فيه . وقد اقتبس الزركلي هذه الطريقة حديثاً وسلكها في « أعلامه » .

أخلاقه :

لم يجمع المؤرخون على أمر إجماعهم على الإشادة بما تحلّى به الصفدي من خلق جميل وخصال حميدة فأحبه كل من عرفه .

(١) من كنوز الاجداد - كرد علي ص ٣٨٠ .

فقد وصفه ابن حجر بأنه «كان محبباً إلى الناس ، حسن المعاشرة ، جميل المودة» وأورد فيه قول الحسيني وهو أحد شيوخه بأنه «كان إليه المنتهى في مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ، وأنه ، « من بقايا الرؤساء الأخيار كما قال ابن سعد^(١) » ، حتى إن تاج الدين السبكي وهو يصغره بثلاثين سنة ، شعر بصداقة تربطه بالصفدي حين كان يتردد إلى والده تقي الدين ليأخذ عنه « ولم يزل مصاحباً لي إلى أن قضى نحبه » ودفعه حبه للصفدي إلى أن يقدم له المساعدة لدى الحكام حين أضحى قاضياً ليأخذ مكانه في مناصب الدولة . كما كان من حسن خلقه أنه كان عطر السمعة طيب الذكر في كل ماتولاه من مناصب رغم ما كان يصيب أمثاله من المصادرة والاثام .

قد لمسنا جانباً من حسن خلقه في تواضعه العلمي حين عاد إلى تحصیل ما فاته من الفقه والأصول بعد أن كبرت سنُّه وأضحى له المقام المبجل المرموق في مجتمعه فعاد ليقراً « على الشيخ الإمام جميع شفاء السقام في زيارة خير الأنام » وكان أكثر من هذا عودته ليحضر حلقة صديقه تاج الدين وقرأ عليه كتابه « جمع الجوامع » ويكتبه بخطه .

كما وصلت بينه وبين أصدقائه مكاتبات أدبية وودية يلفها الشوق والحنين كلما فرقت بينهم أسباب النوى . وقد ذكر تاج الدين في طبقاته طرفاً من هذه المكاتبات^(٢) .

وكم من مجلس علم وأدب ضمه وأصدقائه من القضاة والأدباء ، يتداولون مسائل علمية أو أدبية بروح الود والمحبة . وقد نقل إلينا ابن كثير جانباً من هذه المجالس سنة ٧٦٣ فقال دعيت إلى بستان الشيخ العلامة كمال الدين الشريشي شيخ الشافعية ، وحضر جماعة من الأعيان منهم الشيخ العلامة شمس الدين ابن الموصلي الشافعي « والشيخ الإمام العلامة صلاح الدين الصفدي وكيل بيت المال والشيخ... واحضروا نيفا وأربعين مجلداً من كتاب المنتهى في اللغة للتميمي البرمكي وقف الناصرية... »^(٣) .

(١) الدرر الكامنة ٢/ ٨٧ .

(٢) طبقات الشافعية ٦/ ٩٤ .

(٣) البداية والنهاية ١٤/ ٢٩٥ - ٢٩٦ سنة ٧٦٣ .

كما كان من دلائل حبه للناس وابتعاده عما يسيء إليهم أنه في كل ما ترجم وأرخ لم يستهدف لغضب المترجم له ولا أثار حفاظ الملوك والأمراء ، ولم يكن ذلك على حساب الحقيقة بل لعدم اعتناؤه كثيرا بتاريخ السياسة أو تدوين وقائع الملوك .

ويبدو أن ما حمدناه فيه من لين العريكة وإيثاره محبة الناس سيترك للمجتمع تأثيرا واضحا في أحكامه النقدية عند تصديه لذلك مما سيأتي في حينه إن شاء الله .

أعماله :

كان أول عمل تولاه الصفدي بعد أن كملت أدواته هو كتابة الدرج في ديوان الإنشاء في صفد . إذ أن ديوان الإنشاء كان يتألف من ناظر الديوان ويسمى كذلك كاتب السر ، وتحت كتاب الدست وعددهم أربعة ، ويسمون كذلك الموقعين لأنه يحق لأحدهم التوقيع على الكتب الواردة في غياب ناظر الديوان ، ويأتي بعد ذلك كتاب الدرج ويغلب أن يكونوا أربعة كذلك (١) .

ثم نقل إلى القاهرة للعمل نفسه كاتباً للدرج في ديوان الإنشاء هناك . ولكنه بطبيعة الحال وهو في حاضرة البلاد أسمى مكانة منه في أي جزء من أجزاء الدولة ، ويبدو أن المقام طال به في القاهرة الذي استمر في عمله حتى حوالي سنة ٧٦٠ وكان قد بلغ الصفدي الرابعة والستين من عمره .

وهنا يتقدم إليه صديقه الحميم تاج الدين السبكي وهو قاضي قضاة الشام ليحدثنا بقوله « وقد ساعدته آخر عمره ، فولى كتابة الدست بدمشق ، ثم ساعدته فولى كتابة السر (٢) بحلب يتولى بعدها أبو الصفا » كتابة السر أو ناظر ديوان الإنشاء بالرحبة » ثم يتقدم تاج الدين ليقول : « ثم ساعدته فحضر إلى دمشق على وكالة بيت المال وكتابة الدست » « وكان لايلي نظر بيت المال إلا من هو من ذوي العدالات المبرزة (٣) » .

(١) انظر البداية والنهاية ٢٧٥/١٤ .

(٢) هو صاحب ديوان الإنشاء ويسمى كذلك كاتب السر (خطط المقريري ٣/٣٦٧) .

(٣) خطط المقريري ٣/٣٦٥ .

وهكذا تسلّم الصفدي في نهاية عمره منصبين كبيرين من مناصب الدولة المدنية وكان ذلك قبل وفاته بعامين أي سنة ٧٦٢ (١) .

وثقل سمعه في آخر حياته « وكان قد تصدى للإفادة بالجامع ، وقد سمع منه من أشياخه الذهبي وابن كثير والحسيني وغيرهم (٢) » كما استمر قائما على عمله الرسمي في منصبه المذكورين إلى أن مات بالطاعون في دمشق ليلة عاشر شوال سنة ٧٦٤ هـ .



(١) البداية والنهاية ٢٧٥/١٤ .

(٢) الدرر الكامنة ٨٧/٢ .

خطوات التحقيق

أ — المخطوطة

- صاحبها ومكاته العلمية
- مكانة هذه المخطوطة بين مؤلفاته
- موضوعها
- منزلتها في عصرها
- أهميتها بين كتب النقد العربية

ب — نسخ المخطوطة

١ — النسخة الأم

- وصفها
- صحة نسبتها إلى الصفدي
- هل هي بخطه حقاً ؟
- تاريخ تأليفها
- هل هي نهائية أم كانت مسودة ؟
- صحة عنوانها •

٢ — النسخة المساعدة

— وصفها

— مزاياها

٣ — بقية النسخ

٤ — تحقيق النص

٥ — الصعوبات

ج — فهرس الكتاب

١ — المخطوطة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أتناول في بحثي هذا واحداً من كتب تراثنا في النقد الأدبي ، وسمي بـ « نصره »
 الثائر على المثل السائر» لمؤلفه صلاح الدين خليل بن آيبك الصفدي • أحد كبار أدباء
 القرن الثامن الهجري وكتابه المعروفين • وقد ترك لنا المئين^(١) من الكتب والمصنفات
 في الأدب والنقد والتراجم ، ومن منا لا يعرف فضله في سفره الجليل « الوافي
 بالوفيات » •

ولقد كان من أسباب اختياري لهذا الكتاب من مؤلفات الصفدي ، كونه يتفرد
 منها بالإبانة عن أصالة مؤلفه وإبداعه ، وهو ما تنوق للعثور عليه في تلك العصور •

وقد رمى الصفدي من تأليف « نصرته » إلى نقد ما أخذه على ابن الأثير في
 « المثل السائر » فكان كتابه — كما يشير اسمه — ردفاً لكتاب ألفه ابن أبي الحديد
 في نقد المثل السائر وتقضه جعله « الفلك الدائر على المثل السائر » • فقد أحدث
 هذا « المثل » في عصره جلبة كان فيها أشبه بحجر أُلقي في بركة راكدة ، نجم عنها
 عدد من المؤلفات، أعادت إلى الذاكرة ما أحدثه من قبل إبداع الطائيين ، وما أسفر
 عنه خلاف الأدباء حول المتنبي وشعره •

ولم نعرف من هذه الكتب التي ولدها المثل السائر سوى ما أخبرنا به صاحب
 « كشف الظنون » • فكانت كما تدل عنواناتها يستدعي بعضها الآخر ويدفعه إلى
 الظهور فجاءت على التوالي كما وردت في كشف الظنون :

١ — « الروض الزاهر في محاسن المثل السائر^(٢) » لبعضهم وهو — كما يقول
 عنوانه — معجب « بالمثل » منافع عنه ، مقرر بمحاسنه وفضله •

(١) البداية والنهاية ٣٠٣/١٤ •

(٢) كشف الظنون ٣٧٥/٢ •

٢ — « الفلك الدائر على المثل السائر »^(١) وهو كتاب ابن أبي الحديد المشار إليه قبلاً .

٣ — « نشر المثل السائر وطبي الفلك الدائر »^(٢) لأبي القاسم محمود بن الحسين الركن السنجاري^(٣) المتوفى عام ٦٤٠ هـ . وقد أشار الصفدي إلى هذا الكتاب في « نصرته الثائر »^(٤) . كما ترجم لصاحبه في سطور قليلة ، أفادت بأن أبا القاسم هذا قرأ على ضياء الدين ابن الأثير . وقد حان الوقت للرد عن شيخه ، وإعادة سهام « المواخذة » ثانية إلى فلكها الدائر . فقال عند سماعه « بفلك » ابن أبي الحديد :

لقد أتى بارداً ثقيلاً ولم يرث ذاك من بعيد
فهو كما قد علمت شيء أشهر ما كان في الحديد

٤ — « قطع الدابر عن الفلك الدائر »^(٥) لعبد العزيز بن عيسى .
٥ — « نزهة الناظر في المثل السائر »^(٦) لأبي العباس أحمد بن محمد الدنيسري المعروف بابن العطار الشاعر^(٧) المتوفى في القاهرة سنة ٧٩٤ هـ .
٦ — « نزهة الناظر من المثل السائر »^(٧) لنجم الدين ابن اللبودي^(٨) المتوفى

(١) كشف الظنون ٣٧٥/٢

(٢) المصدر السابق ٣٧٥/٢ ، ٦٠٠

(٣) ترجمته في هدية العارفين ٤٠٥/٢ ، ومعجم المؤلفين ١٥٩/١٢ وفيه وفاته سنة ٦٥٠ هـ .

(٤) ص ١/٤ .

(٥) كشف الظنون ٣٧٥/٢ - ٣٧٦ ولم أعثر على ترجمة لصاحبه .

(٦) المصدر السابق ٥٩٧/٢

(٧) المصدر السابق .

(٨) هو يحيى اللبودي الطبيب الأديب ، ولد بحلب ونشأ بدمشق ثم كان فيها ناظراً على الديوان - انظر عيون الانباء ١٨٥/٢ ، وكشف الظنون ٢٩٠ و ٣٨٢ و ٨٧٣ وغيرها ، وهدية العارفين ٥٢٤/٢ ، ومعجم المؤلفين ٢١١/١٣ وفيه وفاته بعد سنة ٦٦١

بدمشق سنة ٦٧٠ هـ . كما اختصره جماعة منهم ابن العسّال ^(١) ويزعم صاحب كشف الظنون ٣٧٥/٢ بأن أبا منصور موهوب بن أبي طاهر الجواليقي قد شرح المثل السائر ، وهذا توهم منه ، فأبو منصور من وفيات سنة ٥٤٠ وله شرح أدب الكاتب لابن قتيبة ^(٢) .

٧ — ثم يأتي كتابنا هذا « نصرة الثائر على المثل السائر ^(٣) » .

ولم أعر على أي من هذه الكتب فيما عدا كتابي الصفدي وابن أبي الحديد « كما أن الصفدي لم يتحدث عن غير « الفلك الدائر » وهذا لا يعني أنه لم يعلم بوجودها ، فلقد رأيناها يشير إلى أحدها . وسبب ذلك عنده ، هو وقوفها جميعا إلى جانب المثل السائر تقرظه وترفع لواءه ، فوجد ضالته في ابن أبي الحديد يدعم فلكه ويؤكد اتجاهه .

ويغلب أن يبقى كتاب الصفدي بعد هذا واحداً من أبرز ما ألف حول المثل السائر وذلك بما غلب عليه من الروح الفنية ، واعتماد النصوص الأدبية .

ولا غرابة ، وقد عرّف صاحبه بشعره ونثره ، يعينه في هذا ذوق نام لم يفسده ما كان يثقل المثقفين من أدباء عصره من علوم يتعين عليهم إتقانها والإحاطة بها ، وفيها المنطق والعلوم الشرعية وفروعها المتحددة . فلقد أتيح للصفدي أن يساير ميوله الفطرية وموهبته الأدبية منذ نعومة أظفاره « فتعاني صناعة الرسم فمهر فيها ، ثم حُبب إليه الأدب فولع به » ^(٤) كما كان في إشباع هواياته متفرغاً ، يعينه ما كان عليه أبوه من جاه وثراء . وقد « ذكر عن نفسه أن أباه لم يمكنه من الاشتغال حتى استوفى عشرين سنة ، وطلب بنفسه ، فأخذ عن الشهاب محمود ... » ^(٥) .

ويحتل كتاب الصفدي هذا مكانه بين قافلة كتب النقد التي تصلح مرآة لعصورها،

(١) عروس الأفراح ٣٠/١ .

(٢) انظر هدية العارفين ٤٨٣/٢ ، ومعجم المؤلفين ٥٣/١٣ ، وبغية الوعاة ٣٠٨/٢ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) الدرر الكامنة ٨٧/٢ .

(٥) البدر الطالع ٢٤٣/١ .

فيعطي صورة وافية عن الأدب وأصحابه ، أذواقهم ، طرائقهم ، مثلهم الأدبية ... وبالتالي صورة عن الحياة العامة على تعدد جوانبها . إذ من الثابت لدينا حتى الآن ، أن كتاب « المثل السائر » في أوائل القرن السابع هو آخر حلقات السلسلة في كتب النقد العربية قبل العصر الحديث ، يجفّ بعده مداد التأليف في هذا الميدان كما يبدو ، إلى أن يأتي الصفدي ، بكتابه « نصره الثائر » حوالي منتصف القرن الثامن فكان هذا الكتاب بروحه الثّقيفة ، ومنهجه السليم وما يبدو من ذوق صاحبه ، أكمل مصدر نستشف خلاله مناهج النقد ومجمل مسائله وأحواله في تلك العصور المعتمدة من تاريخ الأدب العربي .

ومما يجدر ذكره أن ماجاء به الصفدي هنا من نظرات في الأدب ونقده وتذوقه لم يزد عما سبقه إليه أسلافه في عصور الأدب الزاهرة ، إلا أن أهميته البالغة تبرز في أخذه بيد النقد الأدبي من وهدة البلاغة وقواعدها ومباحكاتها التي تردى إليها ، والسير به في الطريق الصحيح بين حدائق الأدب ورياضه الغضة .

وإذا عمدنا هنا إلى اقتضاب العبارة ، فسيكون للكلام عن النقد في كتاب الصفدي مجال واف بعدد إن شاء الله (١) .

(١) وهي الدراسة التي قمت بها للكتاب ، وعساى أنشرها عما قريب .

ب - نسخ المخطوطة

لقد اجتمع إلي من نسخ المخطوطة :

١ - النسخة الأم : وهي التي رمزت إليها بالحرف (م) ، وردت إلى من المكتبة التيمورية بالقاهرة - دار الكتب المصرية (بلاغة ٢٨٣) قوامها ١٣٨ لوحة وتضم الصفحة حوالي سبعة عشر سطراً ينتظم في كل منها اثنتا عشرة كلمة تقريباً . وقد كتبت بخط نسخي جميل ، وهي تامة الأوراق إلا من خروم أصابت أطراف عدد منها بفعل الرطوبة وتقادم العهد مما سبب كذلك ضياع الصفحة المؤتمنة على سطور المقدمة مما ستمدنا به النسخة المساعدة . وجاء على الصفحة الأولى عبارة تقول « هذه النسخة بخط المؤلف - رحمه الله تعالى » ورحت أجمع الأدلة لأتوثق من صحة هذه العبارة ، فأسلمني ذلك إلى تساؤل جديد حول نسبة الكتاب إلى الصفدي فصفحة الغلاف تصرح بنسبته إليه فهل كان له حقاً ؟ اعتقدت ذلك مستنداً إلى الأدلة الآتية :

١ - إن عنوان هذا الكتاب ورد في كتب من ترجم للصفدي منهم :

أ - ابن تغري بردي في الجزء الثاني من كتابه (المنهل الصافي^(١)) مخطوط بدار الكتب المصرية ، وقد نقلت لنا هذه الصفحات ترجمة طويلة للصفدي ورد فيها أسماء مؤلفاته وكان منها (نصره الثائر على المثل السائر) .

ب - كما أورده صاحب كشف الظنون (٣٧٥/٢) في معرض حديثه عن الكتب التي ألقت حول المثل السائر وكذلك فعل البغدادي في هدية العارفين (٣٥١/١) وكلهم ذكر أن للصفدي نسبة هذا الكتاب .

٢ - الإشارات العديدة المبثوثة في « نصره الثائر » التي يذكر الصفدي فيها بعض مؤلفاته الأخرى « كالوافي بالوفيات » على الصفحة ٥٢/ب و « التذكرة »

على الصفحة ١٣/ب و « جنان الجناس » على الصفحة ٣٩/ب و « فض الختام عن التورية والاستخدام » على الصفحة ١١٣/ب •

٣ — كما أشار الصفدي كذلك إلى « نصره الثائر ٠٠ » في كتابه « الغيث المسجم » (١٨٠/١) بقوله « ٠٠٠ » وقد عاب ضياء الدين بن الأثير هذا الفصل في « المثل السائر » وأجبت عنه في كتابي المسمى « بنصرة الثائر على المثل السائر » • ونعود ثانية وقد ثبت لدينا أن الكتاب للصفدي إلى العبارة القائلة بأن هذه النسخة بخط المؤلف ، لنؤكد صحتها بما يلي :

١ — تنفرد هذه النسخة دون أخواتها الموجودة لدي بما تحفل به من الحواشي المستدركة في معظم صفحاتها وكلها داخلة في صلب النص ومحالة عليه بعناية وبالرسم نفسه ، مما يثبت أنها بخطه وليس بالناسخ لها •

٢ — مطابقة النسخة مع خط المؤلف الصفدي في جزء من مخطوطة « الوافي » في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، والتي تبدو صورتها إلى جوار هذا الكلام ، وعليها تصريح المحقق العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي يؤكد فيه بأن هذا هو خط الصلاح الصفدي دون ريب ، وتبدو المطابقة تامة بين الخطين في كتابة الكلمات ورسم الحروف وأشكالها •

تاريخ التأليف : وبذا غدا من المستطاع تحديد تاريخ تأليف الكتاب على التقريب بعد أن عرفنا أن كتابه « الوافي » على سبيل المثال ظهر قبله إلى الوجود • فقد جاء على هامش الصفحة ج من جزء الوافي الأول قول المحقق : « ورأيت في آخر الجزء المذكور بخط قاضي القضاة تاج الدين السبكي ما صورته :

« قرأت من هذا المجلد ترجمة الإمام عماد الدين الكاتب رحمه الله بكمالها على مؤلفه سيدنا الشيخ الإمام البارع ٠٠٠ (إلى قوله) وصح في يوم الأحد ثامن عشر شعبان المكرم سنة ٧٤٨ » •

فإذا أخذنا بأن الصفدي عمد إلى تأليف كتابه النصرة بعد الوافي مباشرة ، فيكون تاريخ تأليف « نصرة الثائر » حوالي سنة ٧٥٠ هـ .

هل هي نهائية : وقد افترضت أن تكون هذه النسخة هي مسودة الكتاب انطلاقاً مما يأتي :

١ — ما قاله المؤلف صراحة في سطره الأولي من أن « هذه الكراريس مسودة هذا الكتاب ، لم أر أن أذهبها وأعدمها الوجود لانه قد ينتفع بها . » فهل كتبها ليذهبها لو لم يكن قد ثنى عليها بالتبليغ في نسخة جديدة لديه .

٢ — ما فاضت به الصفحات الغالبة من الحواشي مما يدل على أن اضافات كثيرة في نفس المؤلف كانت لا تزال في طريقها إلى النص .
ولكن كل استقصاء في هذا الأمر لم يسفر عن العثور على « طبعة أخرى » أحدث منها .

كما أننا لن نؤخذ بقول الصفدي الآنف الذكر متوسلين بما يأتي :

١ — جمال الخط ، وخلو الصفحات تماماً من أي شطب ، خصوصاً وهو يكتب بالجبر ولا بد فيه من الشطب أو الحك عند إجراء أي تغيير عليه أو تعديل فيه . مما يشعر بأنه كتبها عن مسودة سابقة .

٢ — وجود الحواشي نفسها ، فهي دليل عودة المؤلف إليها بعد الفراغ منها . وقد كشف عن هذا عند الحديث عن رسالة ابن زيادة البغدادي بقوله « . . . ولم يحضرني عند تعليق هذا الفصل كلام ابن زيادة ، ولعلي أظفر به فيما بعد فأثبته في الحاشية . . . »^(١) . وقد أثبته فيما بعد كما وعد .

وهكذا عاد الى كتابه ، فملأ الفراغات ، وأجاب عن التساؤلات^(٢) ، وفاض عنده القول فملأ الحواشي ، كما بقي في ثنايا الكتاب فراغات أخرى^(٣) تنتظر منه العودة إليها لو تيسر له ذلك . ولكنه لم يعد وبقيت النسخة التي بين أيدينا هي النسخة

(١) نصرة الثائر ١٣/ب .

(٢) نصرة الثائر ٤/ب وعلى هامشها قوله : (مطلب ولادة ابن أبي الحديد) .

(٣) نصرة الثائر ٨٩/ب وغيرها .

المنقحة والنهائية للكتاب . وبقيت كذلك هي النسخة الأم المعتمدة في اخراج نصه الأخير .

٣ - استكماله للمخطوطة كل شكلاتها ، من مقدمات وخواتيم وأدعية .. ثم قدمها الى المنتجعين في سطوره الأخيرة فقال : « اذا اتفق للكتاب أو الشاعر مراجعة المثل السائر والفلك الدائر وهذه الأوراق ، فلامرية في أن ذلك يفيد فوائد جمة^(١) » .

العنوان : أما صحة العنوان المذكور لنص الكتاب فيثبت لدينا من :

١ - أن الصفدي ينصر ابن أبي الحديد فعلا في تقديمه للمثل السائر ، وهو يصرح بذلك مشيراً إلى كتاب ابن أبي الحديد « الفلك الدائر على المثل السائر » ومعارضته لابن الأثير وأنه - أي الصفدي - سيتناول من المسائل ما غفل عنه ابن أبي الحديد أو مما لم يوفّ القول فيه مبينا ذلك بقوله :

« فلما وقفت على الفلك الدائر ، وجدته قد أغفل كثيرا ، وأخذ قليلا وترك أثيرا^(٢) » .

٣ - كما أن الصفدي ذكر هذا العنوان في عبارة صريحة في ثنايا الكتاب نفسه فقال :

« وقد جمعت ما عثرت عليه من هفوات ابن الأثير في هذه الأوراق .. وسميت ذلك نصرة الثائر على المثل السائر ..^(٣) » .

فليس من ريب بعد هذا كله في أن هذا النص من مؤلفات الصفدي ، هو صاحب العنوان المذكور وبعد أن رأينا وروده في كتب المؤرخين أمثال ابن تغري بردي وغيره .

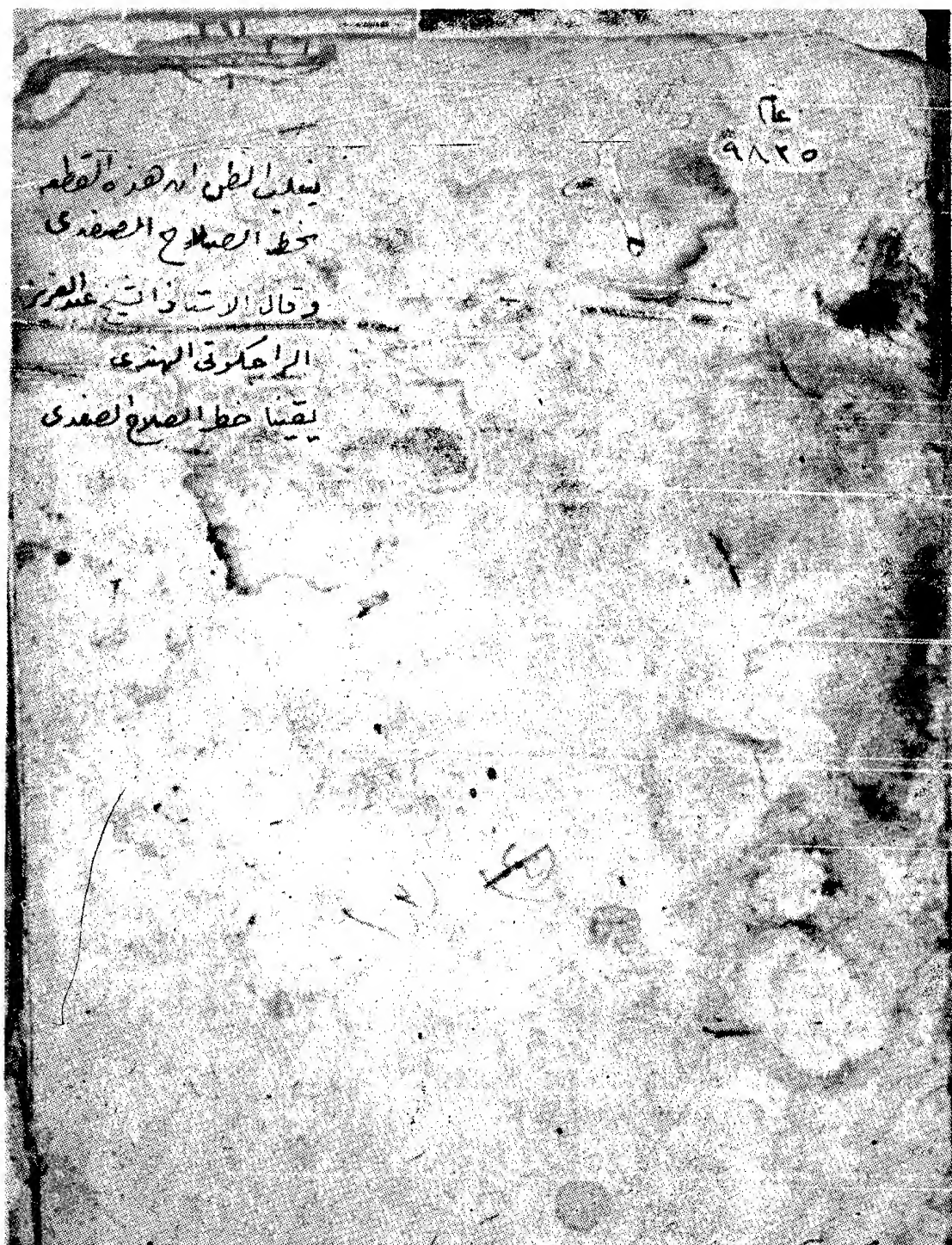
ملاحظات : وقبل أن أطوي صفحة الحديث عن نسخة المؤلف هذه : أرى الإشارة

(١) نصرة الثائر ١/١٣٩ .

(٢) نصرة الثائر ١/٣ .

(٣) نصرة الثائر ١/٦ .

١٠٠
 ١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠



اللوح الغلاف من « الوافي بالوفيات » عليه عبارة الأستاذ العلامة اليمني
تفيد بأن النسخة بخط الصفدي

وَلَعَدَّ تَقَسُّفَاتِ الْبِلَادِ وَمَا جِيءَ بِهِمْ يَلْفُ حُرُوفًا مَبْنُوعًا
 الْحَرَمُ ارْتَفَعَ وَأَعْلَى مِنَ الْحُرُوفِ
 وَتَشَرَّتْ أَرْضِيَّةُ الدَّحَى وَطَوَّيْنُهَا وَالْمَشْرِقُ مِنْ وَجْهِهَا وَذَيْلُهَا
 الرَّجِيفُ وَالزَّبِيلُ صُرْبَانِ بْنِ الشَّيْبِ
 تَنَامَتْ بِرُؤُوفِ سَحَابِهِ وَرَشَتْ غُرُوفَ ضَرْفِ الدَّمْرِ مِنْ شَوْطِهَا
 حُرُوفُ الْمَسَادِرِ قَبْلَ جِرْزِ دَرْدِهَا وَمَوَاقِعُ الدِّهَانِ قَبْلَ خُلُوفِهَا
 وَمِنْ الْحَرِيِّ فِي الْفَصْلِ بَلَّامُ بَعْلُ الْهَامِ شَيْ أَوْ لَهَا
 صَبَّ حَاطِبُ مِجَانِ طُولِ بْنِ سَكْرٍ بَالٍ وَمِنْ مَكُونِ الْبَلِّ
 وَبُرُوفِ مَجْنُونِهَا
 جَلَّتْ بَعَالُهَا أَعْيَاءُ الْبَلِّ وَكَانَ خَلْفُهَا مَكُونُهَا
 جَلَّتْ إِلَى فَضْلِ إِحْيَا وَفَارَتْ عَدْلَانِهَا بِمَوَاقِعِ الْفَصْلِ
 قَرِيبَ مَنَّةٍ أَوْ يَنْطَرُفِيهِ
 سَقَطَ النَّصْفُ وَلَمْ يَرُدَّ الشَّاطِلَةُ قَسَمًا وَلَدَهُ وَانْقَسَبَا بِالْيَدِ
 وَتَقَسَّمَتْ عِنْدَ الْوَدَّاعِ فَأَشْرَفَتْ أَسْرَافَةُ مِنْ عَارِضِ مَضْقُولِ
 يُقَالُ أَمَلَةُ نَفْسِ الْعَارِضِ إِلَى نَفْسِ عَرَّةٍ الْقَوْمُ فَالْجَوْدُ
 أَلْكَدُ نَوْمُ تَضَلُّ عَارِضِهَا بِفَرْجِهَا بِمَا شَاءَ سَقَطَ الشَّامُ
 قَبْلَ نَفْسِ بَرِّ الْأَسْنَانِ وَمَا بَعْدَ الشَّكَايَا وَالشَّكَايَا الشَّامُ
 الْعَارِضُ وَقَبْلَ الْعَارِضِ النَّابُ وَالضَّرْبُ إِلَى بَلِيَّةٍ وَقَبْلَ
 الْعَارِضِ مَا بَيْنَ الْبَقِيَّةِ إِلَى الضَّرْبِ نَابُ الْبَلِّ

الى عدد من الظواهر المتعلقة برسم الصفدي لبعض الحروف فيها مما كان يغلب بالتالي على كتابة ذلك العصر . من ذلك :

- قصر الممدود إذا ختم به العبارة كقوله (الخيلا ، البلغا ، لئسنا) .
- إغفال وضع نقطتي التاء المربوطة في نهاية السجعة ، دون أن يلتزم بذلك في النص كله كقوله (النادره .. البادره) .
- اطراد تسهيله للهمزة المتوسطة كقوله (الفلك الداير على المثل الساير) رغم إشارته الى أن الهمز أفصح ^(١) .
- وضعه ثلاث نقاط مثلثة تحت السين المهملة أحيانا ، فالتزم بذلك عند كتابته أمثال (الحسد ، الأسد ، البسط ، حسناته) وغادره في قوله : (بنفسه ، جنسه ، النفوس) وذلك دون قاعدة ثابتة .
- ثم كان في خاتمة هذه الملاحظات أن يعتمد الصفدي الى وضع ألف عمودية صغيرة مع ميل قليل الى الجهة اليمنى تحت الحرف المكسور دون اطراد لهذا في كل الحروف المكسورة . فكتب مثلا (وجر رداء الكبر والخيلاء مخيطا بإبر الحسد) فالتزم بذلك مع كاف الكبر وخاء مخيطا دون الحروف المكسورة الأخرى كهزمة (إبر) مثلا التي اكتفى معها بحركة الكسر المعروفة .

٢ - - النسخة المساعدة :

وصفها : هي نسخة المكتبة السليمانية (استانبول ١٤٠٥) ورمزت لها بالحرف (ب) وقد قام بنسخها عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي ، صاحب « معاهد التنصيص » وتم فراغه من نسخها سنة ٩٣٦ هـ ، وهي نسخة تامة ، وخطها كذلك نسخي متقن جميل .

وقد بوأناها مرتبة النسخة المساعدة المتممة للنسخة الأم اعتمادا الى مزاياها
الآتية :

١ - إنه نسخها بتكليف من أحد ملوك عصره • كما يصرح بذلك في سطور
دعاء الخاتمة بقوله : « •• وتعم بركتهما من رُقم هذا الكتاب بأمره
الشريف ••• ويبقى سعده كاسمه مسعود المطالع •• وولده المؤيد مهديا
رشيدا » مما يجعل النسخة أدعى الى الصحة والإتقان •

٢ - منزلة صاحبها العلمية المعروفة ، وممارسته للتأليف والكتابة ، مما يجعله
أقدر على احترام الكلمة ورعاية المعنى •

٣ - ما تميز به العباسي في نسخه من أمانة علمية محمودة ، يشير إليها قوله
على الصفحة الأخيرة :

« ولم آل جهدا في المقابلة ، الا ما زاغ عنه البصر والله أعلم » مما
يؤكد يقظته وحرصه على سلامة النص بحرفيته •

٤ - كونها أقرب النسخ الى عصر المؤلف وزمنه ، مما يتيح لها أن تنهل النص
من ينابيعه الأولى ، مما صرح به العباسي على صفحته الأخيرة أيضا بقوله :
« هذا آخر ما وجد بخط المصنّف رحمه الله تعالى » • ولا نرتاب في صحة
هذه العبارة استنادا الى ما أسلفنا من سطور •

٥ - وأخيرا فان هذه النسخة كاملة النص ، وفيها من النص الأصلي ما غفلت
عنه بقية النسخ التي سيرد حديثها مما جعلها بمزاياها هذه ، إضافة الى
إتقانها وجودة خطها ، نسخة موثوقة مساعدة للنسخة (م) •

٣ - بقية النسخ :

— النسخة الثالثة : نسخة (استانبول فيض الله ١٧٦٧) رمزت لها بالحرف
(ف) • وقد تم نسخها سنة ١٠١٥ هـ من قبل سلامة بن موسى البجري •
خطها عادي مقروء •

— النسخة الرابعة : نسخة (ليدن - هولندا ٣١٩) ورمزت لها بالحرف (ل) •
وقام بنسخها يوسف معتوق الخوجا تاج الدين البعلبكي سنة ١٠٣١ هـ
وخطها عادي مقروء •

— النسخة الخامسة : نسخة (برلين ١٠٧٣) ورمزت لها بالحرف (ن) • تم
نسخها سنة ١٠٩٣ هـ خطها رقعي مقروء ، ولم يصرح ناسخها باسمه ،
كما أنه لم يتورع عن التعليقات الجريئة على هوامش النسخة تصل
أحيانا حد الاقذاع والشتيم كقوله معلقا على بيت المعري :
ولو أن السحاب همى بعقل •••

« قبح الله المعري ، فهذه الأبيات من خبائثه المعروفة » وليس في
تعليقاته ما هو جدير بالاهتمام أو العناية الخاصة • وخطها كذلك
عادي مقروء •

— النسخة السادسة (دار الكتب المصرية ١٦٠ بلاغة) ورمزت لها بالحرف
(د) • قام بنسخها محمد الدهشوري ، وقد فرغ منها سنة ١١٣٢ هـ •
ويبدو من أخطائه الكثيرة في النسخ والتحوير والإغفال أنه ضعيف الثقافة ،
إضافة الى رداءة الخط •

— النسخة السابعة : نسخة (مكتبة البلدية بالاسكندرية) ورمزت لها بالحرف
(س) تم نسخها سنة ١٢٤٧ هـ بقلم عادي •

وهناك نسخة ثامنة في دار الكتب المصرية (٢٠٠ بلاغة) ضربت عنها
صفحا لنقصها الكبير ، واضطراب نسخها وضعف ناسخها في رداءة خطها •

٤ — تحقيق النص :

لقد كانت النسخة الأم هي المصدر الأساسي للنص ، ولا يبرز دور النسخة
المساعدة (ب) الا حين أصل مواضع الخروم ، محيطا ما أقله عنها بمعتزتين
لأتوثق من صحة ذلك عند المقابلة مع النسخ الأخرى فيما بعد •
وأجد من واجبي ابداء الملاحظات التالية :

١ - لقد كان النقص في النسخة (م) قليلا نسبيا ، ربما لا يزيد في عموم المخطوطة مجتمعا على الصفحتين •

٢ - لم يقع اختلاف يذكر بين النسخة (م) والنسخة (ب) في بقية النص الا ما ندر كأن يسهو العباسي عن نقل عبارة (رحمه الله تعالى) مثلا ، أو حين أضاف من عنده عبارة (أو كما قال ••) عند نسخه قول ابن عميرة الكاتب الاندلسي • وهي على أية حال دليل ورع وأمانة في النقل والإيراد •

٣ - إذا اختلفت الرواية في النسخة (ب) عنها في بقية النسخ ، كنت أثبت ما أرجحه ، واتفق أن الرجحان كان الى جانب العباسي دائما •

هـ — الصعوبات :

إذا جاز لي الحديث عما اعترضني من صعوبات في تحقيق هذه المخطوطة قلت : إن أبرزها ما تعلق بالأشعار وتخريجها ، فلقد بث الصفدي في ثنايا كتابه ما أناف على ألف شاهد شعري ، موزعة على مائة وسبعين شاعرا ، ينتسب الكثير منهم الى عصور متأخرة تثير أماننا صعوبة الحصول على دواوينهم مطبوعة أو مخطوطة • فهذه عصور لا تزال أغلب آثارها تغط تحت ركام السنين المتطاولة في غلالة الظلام ، بسبب ازوارار المحققين عن الالتفات اليها ، أو اعتبارها جديرة بجهودهم • لكنني لم آل جهدا في تفتيش بطون الأمهات من المجموعات الشعرية • من أمثال الخريدة والدمية أو وفيات الأعيان وفواتها وكثير من أمثالها ، حتى لم يستعص على الكشف منها الا المقل المغمور من أصحابها ، لأقدم بين يدي قراء الأدب كتاب الصفدي هذا في نصه الأخير ، آملا أن يكون في عملي ما يرضي الله والحقيقة • والله الموفق •

كتاب

نصرة الثائر على المثل السائر
صلاح الدين خليل بن آيبك الصفدي

٦٩٦ - ٧٦٤ هـ

مقدمة المؤلف

هذه الكرايس مسودة هذا الكتاب ، لم أر أن أذهبها وأعدمها الوجود لانه قد
ينتفع بها . فلا ينكر الواقف عليها حواشيتها المخرجة .
وما احلى قول القاضي الفاضل رحمه الله : والمسودات للاقوال كالأحشاء للاجنة،
والحجور للأطفال ، ان خرج منها ما لم تنفججه الأرحام لم يبلغ التمام وان فطم قبل
بلوغ أشد الفطام ، ربما كان عرضة للاستقام . وما جعلت الا ليستبد بها صاحبها ، لأنها
ثياب بذلة الخاطر ، تارة يخلع الثياب فيكون عريانا ، وتارة ياخذ معول قلمه فينقب
من كلام الناس جذرانا (١ / ب) .

بسم الله الرحمن الرحيم عفوكم اللهم

الحمد لله الذي فطر عقول البشر متغايرة ، وجعل النفوس برأيها على نقطة الرضى دائرة ، وزين لها أعمالها حتى توهمت أنها في الأمثال السائرة •

أحمدته على نعمه التي أوضحت ما أبهم وألبس ، وأبدت نار الهدى التي لم تكن بسوى أنامل الذوق تنقبس ، وراضت جواد الانتقاد الذي اذا أمّ غاية لم يشن عنانه ولم يجبس • وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يسجّع بها حمام اللسان من اليقين على أراكه ، وتنجي قائلها من الوقوع في حائل الشرك وأشراكه، وتكون له ذخيرة اذا عدم سكونه بعد حراكه • وأشهد أن محمداً سيدنا وعبدنا الذي عصمه الله من الخطأ في القول والعمل ، وحرس به سرح الفصاحة ولولاه لاختلط المرعى بالهمل ، وآتاه من جوامع الكلم ما لم تطمح إليه عين أمنية ولم تطمع فيه يد أمل ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هابتهم الأسود وخافتهم الأسود ، وتجانست أفعالهم فما منهم إلا من يجول ويجود ، ويسوس ويسود ، وتبرأت شيمهم من النقائص فلم يكن فيهم مختال ولا متكبر ولا حسود ، صلاة تتبسّم عن ثغرها شفة الفجر في لعس الظلام ، ويتلثم بنورها وجه البدر في عرس التمام •

وبعد :

فإن كتاب «المثل السائر» للصاحب ضياء الدين بن أثير الجزيرة ، عامله الله بلطفه، وسامحه بما هزت به نسيمات الخيلاء من غصن عطفه ، من الكتب التي خفقت له في الاشتهار عذبات أوراقه ، وسعى القلم في خدمته على رأسه اذا سعى الخادم على ساقه • واشتهر بين أهل الإنشاء اشتهار الليل بالكتمان والنهار بالإفشاء ، لا بل اشتهار بني عذرة في الحبّ بتحرّق الأحشاء (٢/أ) ، وأولع به أهل الأدب في الآفاق ولع الكريم بالإففاق ، لا بل ولع الرقباء بالعشاق •

إلاّ أن واضعه رحمه الله ، وإن جمع فيه بين العلم والعمل ، وسجع فيه بين الثقل والرمل ، وتوهم أن بدّر فضله قد تمّ وكمل ، وتخيل أن جيد الإنشاء بعده قد

عطل ، وفنه قد خمل ، قد أذهب حسناته النادرة ، بتوالي سيئاته البادرة ، وأضاع تلك الزهرات الفذة ، في قفار الدعاوى التي لا يجد فيها السالك لذة ، وطال على الناس بعد هلاله سواد ليله ، ورفضوا مواقع طلته لغناء سيله . ونعم فإنه :

ما الجزع أهل " أن تردّد نظرة " فيه وتثني نحوه الأعناق^(١)

لأنه أفنى ذلك البسط في الإعجاب بنفسه والإطراء ، وأطال في الغض من أبناء جنسه والازدراء ، وظن أن الله قد حرّم الفصاحة على من يأتي من بعده ، وأن الذين من قبله إمّا شيخ قد خرف في هرمه ، وإمّا طفل يعث في مهده . وجر رداء الكبر والخيلاء مخيطاً بإبر الحسد ، وبالغ في ذلك مبالغة أبي زيد الطائي^(٢) في وصف الأسد^(٣) . ووصف نفسه ولا وصف امرئ القيس^(٤) لأفراسه ، ومدحها ولا مدح أبي نواس^(٥) سلافة كاسه ، وكرر ذلك فغنى النفوس بذلك الغث ، وزاد حتى رثى القلق ثوب الصبر لمثارت^(٦) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احذروا ثلاثاً : الحرص فإنه أخرج آدم من الجنة ، والكبر فإنه حطّ إبليس عن مرتبته ، والحسد فإنه دعا ابن آدم الى قتل أخيه »^(٦) (٢ / ب) .

- (١) الفيث المسجّم ٢٢٧/٢ غير منسوب .
- (٢) هو المنذر بن حرملة ، شاعر معمر من طيء (ت حوالي ٦٢ هـ) انظر الشعر والشعراء ٣٠١/١ ، وإرشاد الأريب ١٠٧/٤ - ١١٥ ، وخزانة الأدب للبغدادى ١٥٥/٢ .
- (٣) انظر وصفه للأسد في شعراء النصرانية ص ٦٧ وما بعدها .
- (٤) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، الشاعر الجاهلي المعروف (ت ٨٠ ق هـ) انظر الشعر والشعراء ١٠٥/١ .
- (٥) هو الحسن بن هانئ بن عبد الاول ، الشاعر العباسي المشهور ، ولد في الأهواز واتصل بالخلفاء (ت ١٩٨ هـ) وفيات الأعيان ١٣٥/١ ، وانظر أوصافه في الخمرة في زهر الآداب ١٥٢/٢ وما بعدها .
- (٦) الجامع الصغير ١٠٥ وفيه « اياكم والكبر فان إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم ، واياكم والحرص فان آدم حمله الحرص على أن أكل من الشجرة ، واياكم والحسد فان ابني آدم انما قتل احدهما صاحبه حسداً فهو أصل كل خطيئة .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » ^(١) ويقال : إنه أول ذنب عَصِيَ الله به في السماء والأرض . وقال النبي صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله عز وجل : « الكبرياء ردائي فمن نازعني أدخلته النار » ^(٢) . وقال جعفر بن محمد ^(٣) : علم الله أن الذنب للمؤمن خير من العُجب ، ولولا ذلك ما ابتلي مؤمن بذنوب .

وقال بعض الحكماء : البليّة التي لا يتوَجَّر المرء عليها العُجب ، والنّعمة التي لا يتحسد عليها التواضع .

ومما قيل : لا شيء أكنمُ للمحاسن من التّيه والعُجب .

هذا إلى ما في الكتاب من فلكّات عديدة ، واختيارات غير موفقة ولا سديدة ، ونصر باطل ، وتحلية عاطل ، وترجيح ما ضعف ووهى ، وتوهين ما تحرّروا انتهى .

مساوٍ لو قسِمْن على الغواني لما أمهرنَ إلا بالطلاق ^(٤)

وكنت أقف على أطلالها عند المراجعة ناديا ، وأعثر في أذيالها حين المطالعة غالبا ، وأتأوّه لأفراد تلك اللآلئ في سلوك السَّبَج ^(٥) ، وأستطيل سواد لياليه والصبح من محاسنه ما أسفر ولا انبلج .

(١) انظر الجامع الصغير ١٤٠ وفيه « اياكم والحسد فان الحسد . . » عن سنن أبي داود . ورياض الصالحين ٥٦ وفيه « أو قال : العشب » .

(٢) مجمع الزوائد للهيتمي ٩٩/١ وفيه « ان الله عز وجل يقول : العز ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما عذبه » .

(٣) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الملقب بالصادق . أخذ عنه أبو حنيفة ومالك (ت بالمدينة ١٤٨ هـ) انظر وفيات الأعيان ١/١٠٥ ، وحلية الأولياء ٣/١٩٢ ، وصفة الصفوة ٢/٩٤ .

(٤) البيت لأبي تمام من أبيات يهجو فيها الأعمش في ديوانه دار المعارف ١٩٦٥ ص ٤٠٧ وفيه : لما جهزن ، وورد كذلك في رسالة ابن زيدون الهزلية .

(٥) السبج : خرز أسود . انظر لسان العرب مادة (سبج) .

وبلغني ما وضعه عزُّ الدين بن أبي الحديد ^(١) رحمه الله على الكتاب من المؤاخذة ، وأنه استصرختُ به تلك الظلماتُ عائذة • فلما وقفتُ على « الفلك الدائر » وجدته قد أغفل كثيرا ، وأخذ قليلا وترك كثيرا • فأحببتُ بعد ذلك أن ألتقط ما غادره ، وأتبع شاذَّه ونادره •

وعليَّ أن أقضي صلاتي بعدما فاتت إذا لم أقضِها في وقتها (أ/٣)

على أنني بعد ابن أبي الحديد كمن جاء بعد اجتفاف سيل ، وأصبح بعد قاطف النهار حاطب ليل • فإن هذا الرجل له تصانيف تدلُّ على تمكنه وإطلاعه ، وسداد مراميه عندمكِّدِّ باعه ، وريه من الفنون وقيامه بها وإضطراره • منها تعليقاتان على « المحصل والمحصل » ^(٢) للإمام فخر الدين ^(٣) وتعليقة ثالثة على « الأربعين » لفخر الدين ، ونظم « فصيح ثعلب » نظما جيدا في يوم وليلة، وهذا « الفلك الدائر » علقه في ثلاثة عشر يوما مع أشغال ديوانه •

وكتب إليه أخوه موفق الدين ابن أبي الحديد لما وضع « الفلك الدائر » :

المثلُ السائر يا سيدي صنفتُ فيه الفلكَ الدائر
لكنَّ هذا فلكٌ دائرٌ أصبحتُ فيه المثلَ السائرا ^(٤)

ووضع على « نهج البلاغة » شرحا في ستة عشر مجلدا ، وناهيك بمن يتصدَّى

(١) عبد الحميد هبة الله من أعيان المعتزلة ، خدم في ديوان الإنشاء ببغداد حتى توفي سنة ٦٥٦ هـ انظر فوات الوفيات ٥١٩/١ ، والبداية والنهاية ١٣/١٩٩ •

(٢) وهما كتابان « محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين » وهو مطبوع بمصر سنة ١٣٢٣ هـ و « المحصول في علم الأصول » مخطوط انظر مفتاح السعادة ٤٤٧/١ ، والأعلام ٢٣٠/٧ •

(٣) فخر الدين الرازي هو محمد بن عمر الإمام المفسر قرشي النسب ولد في الري أقبل الناس على كتبه في حياته (ت ٦٠٦ هـ) انظر طبقات الشافعية ٥/٣٣ ، ووفيات الأعيان ٤٧٤/١ ، ومفتاح السعادة ٤٤٥/١ - ٤٥١ •

(٤) في فوات الوفيات ٥١٩/١ ، وذيل مرآة الزمان ٦٥/١ •

« لنهج البلاغة » ويشرحه ، ويأتي على ما يتعلق به من كل علم : أصولاً وفقها وعربية وتاريخاً وأسماء رجال وغير ذلك . ومن وقف على هذا الشرح ، علم أنه قلّ من يدخل معه ذلك الصرح ، أو يسام معه في مثل هذا السرح ، وحسبك بمن واخذ الإمام فخر الدين وأورد عليه . ووجدت له أبياتاً أولها :

لمدين بها قد كنت ممن يحبه
وما بغيتي إلا رضاه وقربه
وأوبقه دون البرية ذنبه
أيحسّن أن ينسى هواه وحبه (٣/ب)
وتمويهه في الدين اذ جلّ خطبه
ألم تنصر التوحيد والعدل كتبه (١)

وحقك لو أدخلتني النار قلت لا
وأفنيته عمري في دقيق علومه
هبوني مسيئاً أو تنغ العلم جهله
أما يقتضي شرع التكرم عفوه
أما ردّ زيف ابن الخطيب وشكه
أما كان ينوي الحق فيما يقوله

فقلت أنا رادا عليه في وزنه ورويّه :

بقول اعتزال جل في الدين خطبه
وذاك اعتقاد سوف يثريك غبه
وقد أثبتتها عن إلهك كتبه
وذلك داء عزّ في الناس طبه
يكون بها ما لم يقدره ربّه
فأيكما داعي الضلال وحزبه ؟
وحامى عن الدين الحنيفي ذبّه
وفيه شناع مفرط إذ تسبّه
إذا طلعت في حندس الشك شبهه

علمنا بهذا القول أنك آخذ
فتزعم أن الله في الحشر ما يرى
وتنفي صفات الله وهي قديمة
وتعتقد القرآن خلقاً ومحدثاً
وتثبت للبعد الضعيف مشيئة
وأشياء من هذي الفضائح جمّة
ومن ذا الذي أضحى قريباً من الهدى
وما ضر فخر الدين قول " نظمتّه "
وقد كان ذا نورٍ يقود إلى الهدى

(١) فوات الوفيات ٥١٩/١ والأبيات فيه سبعة . جاء في ثالثها « هبوني مسيئاً أوضع العلم جهله » وفي الخامس « ادعز خطبه » والبيت السابع هو :
وغاية صدق الصب أن يعذب الأسى إذا كان من يهوى عليه يصبه

ولو كنتَ تعطي حقَ نفسك قدرَه لأخمدتَ جمرأً بالمُحالِ تشبُّهٌ
وما أنتَ من أقرانه يومَ معرَك ولا لك يومًا بالإمام تشبُّهٌ ^(١)
ونقلت من خط الحافظ اليعموري ^(٢) قال : أنشدني الإمام ركن الدين أبو القاسم ^(٣)
لنفسه في عز الدين بن أبي الحديد رُقد صَنَف « الفلك الدائر على المثل السائر » :
لقد أتى بارداً ثقيلاً ولم يرِ ثَ ذاك من بعيدِ
فهو كما قد علمتَ شيء أشهرُ ما كان في الحديدِ
وصنف كتاباً يرد فيه على ابن أبي الحديد وسماه : « نشر المثل السائر وطىّ الفلك
الدائر » ^(٤) قلت : هذا ركن الدين أبو القاسم ، هو محمود بن الحسين ابن الإمام
أرشد الدين الأصبهاني الأصل السنجاري المولد . كان حنفياً يعرف المذهب
والأصولين والخلاف والأدب ، قرأ على السيف ^(٥) الآمدي وعلى ضياء الدين ابن
الأثير ، وبطل خرقه الفقهاء وتزييّ بزيّ الأجناد ، وتوفي بدمشق في سادس شهر
رمضان سنة خمسین وستمائة ، ودفن بسفح قاسيون . ومولده في سنة اثنتين وتسعين
وخمسمائة . وقال في انتقاله إلى الجنديّة أبياتاً منها :

فانظر أخا العقل إلى حِرْفَةٍ منها هربنا للوغى الجحفلِ
لو لم تكن أنحصَ ما في الوری لم ترضَ عنها بالردى الاعجلِ ^(٤/أ)

- (١) فوات الوافيات ١/٥٢٠ . وجاءت رواية السابع منها « وجاء عن الدين الحنفي ذبه » .
- (٢) الحافظ اليعموري جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد أديب شاعر توفي
سنة ٦٧٣ هـ . انظر النجوم الزاهرة ٧/٢٤٧ ، والسلوك للمقرزي ١/٦١٩
ونور القبس المختصر من المقتبس لليغموري نفسه .
- (٣) ركن الدين أبو القاسم سبقت ترجمته .
- (٤) في (م) : نشر الفلك الدائر . . وهو سهو من الصفدي .
- (٥) في الأصل « سيف » وهو سبق قلم . انظر الإحكام في أصول الأحكام ، وتاريخ
الخلفاء للسيوطي ٧٠٨ ، والبداية والنهاية ١٣/٩٨ (ت بدمشق سنة ٦٣١ هـ) .

وكنْتُ أنا في وقت قد كتبت على «المحصل» للإمام فخر الدين الرازي أبياتاً يحسن
هنا ذكرها وهي :

علمُ الأصول بفخر الدين منتصرٌ به نصولُ بإعجاب وإعجاز
أضحَتْ به السُنَّةُ الغراءُ واضحةٌ قد استقامت لمختار ومجتاز
له مباحثٌ كم قد أحرقت شُبُهًا بشُبهٍا فمن الزاري على الرازي !

وأُنشدني من لفظه شيخنا الإمام الحافظ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف ^(١)
بالديار المصرية سنة ثمان وعشرين وسبعمائة قال : أنشدنا شيخنا النسابة حافظ
المشرق والمغرب شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن
الدمياطي ^(٢) يوم الأربعاء الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ثمانين وستمائة
بالقاهرة بقراءتي عليه قال : أنشدنا الشيخ العالم صاحب عز الدين أبو حامد
عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن حسين بن أبي الحديد المعتزلي ببغداد،
ومولده بالمدائن مستهل ذي الحجة ^(٣) سنة ست وثمانين وخمسائة لنفسه :

لولا ثلاثٌ لم أخفُ صرعتي ليست كما قال فتى العبدِ
أن أنصر التوحيدَ والعدلَ في كل مكان باذلاً جهدي
وأن أناجي اللهَ مستمتعا بخلوةٍ أحلى من الشَّهَدِ (٤/ب)
وأن آتية الدهرَ كَبِرا على كل لئيمٍ أصغر الخد
لذلك أهوى لافتاةٍ ولا خمرٍ ولا ذي مِيعَةٍ نهدِ ^(٤)

(١) هو أبو حيان النحوي الأندلسي الفرناطي ، من كبار العلماء بالعربية والتفسير
والحديث (ت بالقاهرة سنة ٧٤٥ هـ) . انظر الدرر الكامنة ٣٠٢/٤ ، وبغية
الوعاة ٢٨٠/١ وما بعدها ونكت الهميان ٢٨٠ .

(٢) حافظ للحديث من اكابر الشافعية (ت بالقاهرة ٧٠٥ هـ) انظر طبقات
الشافعية ١٠/٤ ، وفوات الوفيات ٣٧/٢ ، وشذرات الذهب ١٢/٦ .

(٣) « مطلب مولد ابن أبي الحديد سنة ٥٨٦ » عبارة للصفدي كانت على الهامش أعلاه .

(٤) في الغيث المسجم ٩١/٢ وفي فوات الوفيات ٥٢٠/١ . وقد ورد خامسها :

كذلك لا أهوى فتاة ولا خمرًا ولا ذا مِيعَةٍ نهد

قول ابن أبي الحديد هنا : لولا ثلاث . . البيت ، إشارة إلى قول طرفة^(١) بن العبد :

فلولا ثلاث " هنّ من لذّة الفتى
فمنهن سبقي العاذلات بشربة
وكري ، إذا نادى المضاف ، مجنبا
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
وجدك لم أحفل متى قام عوّدي
كميت متى ما تَعَلَّ بالماء تزيد
كسيد الغضا ، نبّهته ، المتورد
يهكنة تحت الخباء المعمد

ومن شعر ابن أبي الحديد قصيدة بائية من جملة مدائحه في علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

ألا إن نهجَ المجد أبيضٌ ملحوبٌ
هو العسل الماذي يشتاره امرؤ
ذُق الموتَ إن شئت العلاء طعم الردى
خُض الحُتف تأمن خطّة الخسف انما
ألم تخبر الأخبارَ عن فتح خيبر
وفوز علي بالعتلا فوزها به
حصون حصان الفرج حيث تبرجت
تناط عليها للنجوم قلائد
على أنه جمّ المسالك مرهوبٌ
بغاه وأطراف الرماح اليعاسيب
فيل الأمانى بالمنيّة مكسوب
يروح ضرام الخطب والخطب مشبوب
ففيها لذي اللب المثلب أعاجيب
فكل إلى كل مضاف ومنسوب (٥/أ)
وما كل مُتَطَرِ الجزارة مركوب
وتسفل عنها للغمام أهاضيب

(١) طرفة بن العبد الشاعر الجاهلي . قتل وهو ابن عشرين عاما على خلاف سنة ٦٠ ق هـ انظر الشعر والشعراء ١/١٨٥ ، ومعاهد التنصيب ١/٣٦٤ وخزانة البغدادي ١/٤١٤ - ٤١٧ . والأبيات من مغلته . ورد البيت الأول في ديوانه ص ٤٣ « ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى » وكذا في العقد الفريد ٣/٤٨٣ والمعلقات العشر ص ٨١ وفي المعلقات السبع . كما ورد في البيت الرابع قوله « تحت أطراف المعمد » في ديوانه وفي المعلقات السبع . وورد البيت الثاني في المعلقات السبع « فمنهن سبق العاذلات » .

(٢) هو أبو الحسن رابع الخلفاء الراشدين ، وابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره كان خطيبا عالما بالقضاء (ت ٤٠ هـ) جمعت خطبه وأقواله في « نهج البلاغة » انظر الإصابة ٤/٢٦٩ - ٢٧١ ، ومقاتل الطالبين ١٤ .

منها :

وأرعن موار العنان يمورها
فللخطب عنها والصروف صوارف
فلم يغن عنها جر مجر وتليب
كما كان عنها للنواب تنكيب
منها

نهار سيف في دجى ليل عثير
ينوح عليها نوح قارون يوشع
فأبيض وضاح وأسود غريب
ويثري عليها دمع يوسف يعقوب
بها من زماجير الرجال صواق
منها

يمج منونا سيفه وسنائه
ومن مدائحه في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قصيدة أولها :

عن ريقها يتحدث المسواك
ولطرفها خنت الجبان فان رنت
أرجا فهل شجر الأراك أراك
شرك القلوب ولم أخل من قبلها
باللحظ فهي الضيغم الفتاك
منها

يا وجهها المصقول ماء شبابه
أم هل أتك حديث وقفها ضحى
ما الحنف لولا طرفك الفتاك
وقلوبنا بشبا الفراق تشاك

- (١) القصائد السبع العلويات ص ٢ « قال يذكر فتح خيبر ، وهي تسعة وتسعون بيتا » وورد البيت الأول فيها :
« ألا ان نجد المجد أبيض ملحوب ولكننه جم المهالك مرهوب
وجاء في البيت الثاني : « يعاسيب » وفي الثامن : « يناط ... ويسفل » .
وجاء في البيت التاسع :
« وأرعن موار الم بمورها فلم يغن عنها جر مجر وتكتيب
وردد في العاشر : « كما كان عنها للنواكب تنكيب » .
وفي البيت الثاني عشر : « ينوح عليها نوح هارون يوشع » .

لا شيء أقطع من نوى الأحباب أو سيف الوصي كلاًهما سفاك^(١)
وهاتان القصيدتان طويلتان ، اختصرت منهما ما اختصرت ، واقتصرت على ما
اقتصرت ، طلبا للدلالة على فضله ، ومضاء سِنانه ونصله • ولكن أدّته مواده
الغزيرة إلى أن (٥/ب) اعتزل وتشيع ، وأهمل جانب السنة وضيع • وله نشر أجاد فيه بعض
جَوَدَه ، ولم يكن كنظمه الذي رفع هضبه ووطّد طَوْدَه • وقد ساق شيئا منه في
« الفلك الدائر »^(٢) ، ونثر ابن الأثير أقعد منه عند أولى البصائر ، ولو حذفه كان
خيرا من إثباته ، وأمنع له من عَجْم سهمه وغَمَز قناته •

فأي قوادم ينهض بها من جاء بعد هذا المتكلم ، وأي سيف يكفري فريه وهو
مثلم ، والمعتزلة فرسان المباحث • وممن توفرت لهم الهمم على الجدل وطاوعتها
الدواعي والبواعث • ولكن :

قد يدركُ المجدَ الفتى ولباسه خلق وجيب قميصه مرقوع^(٣)
وقد ترك الأول للآخر أكثر مما جاء به ، وتفاوتت الأذهان في انتقاد مها الحسن
وكواعبه ، وأعقب العقل سحابه لما انجلت انجلي بصوب سحابه •

(١) في فوات الوفيات ٥٢١/١ ، وورد في البيت الثاني :
ولطرفها خنث الجبان فإن رنت باللحظ فهو الضيفم الفتاك
وهذا تشويه للموقف الموصوف •
وجاء في البيت الخامس « أم هل أذاك حديث وقفنا ضحى » وفي السادس
« لا شيء أقطع من نوى الأحباب أو » - ووردت الأبيات في « القصائد السبع
العلويات » ص ٤٨ في وصف النبي صلى الله عليه وسلم • وقد جاء في البيت
الأول « فهل شجر الكباء أراك » •
وورد البيت الرابع :

يا وجهها المسفوك ماء شبابه ما الحثف لولا طرفك السفاك
وجاء في البيت الخامس « حديث وقفنا ضحى » وفي السادس « كلاهما فتاك »
انظر الفلك الدائر في المثل السائر ٩٧/٤ - ١٧٢ •

(٢) البيت لابن هرمة في طبقات ابن المعتز ٢١ وفيه « قد يدرك الشرف الفتى
وردائه » والعقد الفريد ١٩٩/٦ ، وهو غير منسوب في تمام المتون للصفدي
الورقة ٣ ، والفيث المسجم ٤٠٥/٢ طبعة الاسكندرية •

وما عَقِمَتْ أُمُّ الندى بعد حاتمٍ لها كلَّ يومٍ في البرية مولود^(١)

وقد جمعت ما عثرت عليه من هفوات ابن الأثير في هذه الأوراق ، وضربت عليها هذا الفسقاط ومددت هذه الأوراق ، وسردتها على الترتيب ، وسقتها على ذلك التبويب . وسميت ذلك « نصرة الثائر على المثل السائر » واخترت هذه التسمية له شارة وإشارة ، لأن الثائر لغة هو الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثاره . وإذا ناقشته في بحث أو ورده ، ونافسته في صالح أفسده ، لا أكاد أخلي ذلك الموطن من محاسن أرباب هذا الفن الذين عابهم ، وتردد الى مواقف ذمهم وانتابهم . خصوصاً القاضي^(٢) الفاضل رحمه الله تعالى . فإنه قد عارضه في بعض ما أنشاه ، وعاب عليه ما دبجه ووشّاه .

وقال السها الشمس أنت خفية وقال الدُّجى يا أصبح لَوْنُكَ حائل^(٣) (١/٦)

والسيف مشهور بغير حمائل ، والصبح مشهود بغير دلائل . وأين مقاصد الفاضل وبعد مرماه ، واختلاسه المعاني بلطف مَغْزاه وخفي مَسْراه . هيهات ، فإن بينهما من الفرق ، ما بين ذل القدم وعز الفرق . ولطف ذلك لا يخفى على ذوق الكاتب الماهر ، وحسن معانيه في الباطن أضعاف كلامه في الظاهر .

(١) البيت للغزي في مخطوطة ديوانه من قصيدة أولها :

وكيف يخاف الدهر من كان مملقاً وجود علاء الدولة القرم موجود
وورد غير منسوب في الفيث المسجم ٤٠٥/٢ طبعة الاسكندرية .

(٢) هو عبد الرحيم بن علي اللّخمي البيسانى . وزير من أئمة الكتاب في عصر صلاح الدين (ت بالقاهرة سنة ٥٩٦ هـ) انظر خريدة القصر قسم شعراء مصر ٣٥/١ ، والنجوم الزاهرة ١٥٦/٦ ، ووفيات الأعيان ٢٨٤/١ .

(٣) البيت للمعري في سقط الزند ١٥٩ من لاميته :

الا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف واقدام وحزم ونائل

ولله درث ابن سناء ^(١) الملك إذ يقول - على أن غالب ديوانه فيه - :

شهد الكاملون بالفضل للفا ضل أو كاد يشهد المولود
وعَدَ الدهرُ أن يجودَ على الخا قر ولكنْ بمثله لا يجود ^(٢)
وابن قلاقس ^(٣) إذ يقول أيضا فيه من جملة أبيات :

وأسكرنا ييانا دام حتى عجبنا كيف حذرنا المدا
معان يقعد الفصحاء عنها وتسمعها خواطرهم قياما
يتيمات تصدق في علاه مقالة من دعاه أبا اليتامى ^(٤)
وأما ابن الساعاتي ^(٥) فأكثر فيه المدح . من ذلك :

ما من يقيس إليه خلقا مثله إلا كمن قاس الورهاد إلى الذرى
فإذا تقدم في العلاء مفاخرا عرف السماك محله فتأخرا ^(٦)

(١) هبة الله بن جعفر . شاعر من النبلاء ، كتب في ديوان الإنشاء بمصر وتوفي فيها سنة ٦٠٨ هـ انظر وفيات الأعيان ١٨٨/٢ ، والخريدة - قسم شعراء مصر ٦٤/١ ، وشذرات الذهب ٣٥/٥ .

(٢) والبيتان في ديوانه ص ١٩١ من قصيدة قالها يمدح القاضي الفاضل ويهنئه بعيد النحر . مطلعها :

عادني من هوى الأحبة عيد فلباسي فيه غرام جديد

(٣) أبو الفتح نصر الله بن عبد الله اللخمي الإسكندري . صاحب الحافظ السلفي ومدحه بشعره (ت بعيداب سنة ٥٦٧ هـ) انظر إرشاد الأريب ٢١١/٧ والخريدة قسم شعراء مصر ١٤٥/١

(٤) والأبيات في ديوانه ص ٩٦ من قصيدة يمدح بها القاضي الفاضل مطلعها :

طرحنا فوق غاربها الزماما فأسلمها العرار الى الخزامى
وجاء في البيت الثاني « معان تجلس الفصحاء عنها » .

(٥) علي بن محمد بن رستم بن هردوز . شاعر مشهور ، خراساني الاصل . ولد بدمشق وتوفي بالقاهرة سنة ٦٠٤ هـ انظر وفيات الأعيان ٣٦٢/١ .

(٦) البيتان في ديوانه ٢٢٠/٢ من قصيدة يمدح بها القاضي الفاضل سنة ٥٨٢ هـ .

وقد تصدى الناس لابن الأثير كونه ناقض الفاضل ، ورثي من ألسنتهم وأقلامهم
بمشق سيوف المناظر ، ورشق سهام المناضل .

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راضي سنة من يسيرها ^(١)
وليس هذا موطن الثناء على القاضي الفاضل ، وسوف تقف عليه ، وتذلك
نفحات طيبه إذا انتهت إليه .
ومن هنا أجرد عن ساعد المؤاخذة ، وأبرى السهام التي أظنها في الغرض نافذة .
وعلى الله قصد السبيل ، هو حسبي ونعم الوكيل .

[الابتداء بالحمد لله]

قال ابن الأثير - سامحه الله تعالى - : « نسأل الله أن يبلغ بنا من الحمد ما
هو أهله » وأن يعلمنا من البيان ما تقصر عنه مزية النطق وفضله ، وحكمة الخطاب
وفصله » ^(٢) (٦ / ب) .

أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله
فهو أجذم » ^(٣) فلو قال : الحمد لله لكان أفضل . وربما عيب ذلك على الزمخشري ^(٤)

(١) البيت لخالد بن زهير الهذلي . ورد في شرح أشعار الهذليين ٢١٣/١ كما ورد
منسوبا في لسان العرب مادة (سير وسنن) وفي الشعر والشعراء ٦٣٧ ، ونوادر
المخطوطات ٢٧٢ ، والصحاح (سير) وجاء على هامش المخطوطتين بالأصل
« راضر سنة » .

(٢) المثل السائر ٣٥/١ « نسأل الله ربنا .. مزية الفضل وأصله .. » .

(٣) في الجامع الصغير ٩٤ عن سنن أبي داود ، وفي رياض الصالحين ٤٩٨ : « وكل
أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع » .

(٤) جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي . معتزلي من أئمة العلم باللفظة
والتفسير توفي بجرجانية سنة ٥٣٨ هـ . انظر وفيات الأعيان ٨١/٢ ، وإرشاد
الأريب ١٤٧/٧ ، ومفتاح السعادة ٤٣١/١ .

في أول « المفصل » كونه قال : الله أحمد . وعلى الحريري ^(١) كونه قال ^(٢) : اللهم إنا نحمدك . لأنهما ما افتتحا كلامهما بالحمد . والأولى الأخذ بما جاء عن الله تعالى ، فإنه لا مقام للعبد أشرف من الصلاة لأنها عبادة . حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » ^(٣) . والفتاحة التي هي أم الكتاب والعمدة في الصلاة ، إنما افتتحت بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين . وقد قال سهل بن هارون ^(٤) : حق على كل ذي مقالة أن يبدأ فيها بحمد الله قبل استفتاحها ، كما بدىء بالنعمة قبل استحقاقها . واستعمل ابن الأثير رحمه الله تعالى ذلك في توقيع كتبه فقال : كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم ^(٥) . وقد أورد ابن أبي الحديد على ابن الأثير فيما سأل في هذه السجعة ما فيه مقنن ، فليؤخذ ذلك من « الفلك الدائر » ^(٦) .

وأما السجعة الثانية ، فما أدري معنى قوله « تقصر عنه مزية النطق » ، فأى شيء يعلمه حتى تقصر عنه مزية النطق ؟ إن أراد بذلك لطف المعاني التي هي أرواح الألفاظ فمتى قصر النطق عن معنى لم تبرزه النفس كاملاً ؟ وإن أراد بذلك الأشياء التي تكون على تراكيب الألفاظ من الطلاوة والرواق فذلك غير البيان لأن البيان إيضاح المعاني وإبداؤها وإظهارها ، وذلك الذي أردته من الحسن واللفظ

- (١) الحريري هو القاسم بن علي بن محمد صاحب المقامات . له ديوان شعر (ت بالبصرة سنة ٥١٦ هـ) انظر وفيات الأعيان ٤١٩/١ ، وخزانة البغداد ١١٧/٣ ومعاهد التنصيص ٧٢/٣ . وعبارته في شرح الشريشي ١٠/١
- (٢) في أول مقاماته .
- (٣) في شرح مختصر الجامع الصغير ٨٧/١ . والرواية فيه « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثرُوا الدعاء » .
- (٤) سهل بن هارون بن رامنوي الدستيميساني . فارسي الأصل ، شديد العصبية على العرب ، تقدم عند الرشيد وتسلم خزانة الحكمة للمأمون (ت ٢١٥ هـ) انظر الفهرست ص ١٨٠ .
- (٥) المثل السائر ٢٩٥/١ .
- (٦) في المثل السائر ٣٥/٤ .

اللذين يكونان في بعض الكلام ، فذلك غير البيان • وهو كالملاحاة التي لا يعقل لها معنى ولا يُعَبَّرُ عنه • كما قيل :

شيء به فتن الورى غير الذي يدعى الجمال ولست أدري ما هو

ويقال : مع المحبوب شيء آخر غير حسنه هو الذي يشفع له الى القلوب • ألا ترى أن بعض الصور مفردات أعضائها نهاية في الحسن ، وليس لها ذلك المعنى الذي لغيرها • وكذا قيل في الترياق ، إنه بعد التركيب يفيض الله عليه خاصة لم تكن في قوة أجزائه حالة الأفراد • والهيئة الاجتماعية لها معنى غير الحالة التي تكون لأفرادها ولا شك أن لكلام الفصحاء في حالة التركيب خواص لا يمكن التعبير عن ذلك الحسن الموجودة فيها • ولهذا أفتى الفقهاء (٧/أ) فيمن بدل ترتيب الفاتحة، وقلب بعض الآيات إلى موضع بعض أنه لا تصح صلاته ، لأنه يبطل إعجاز القرآن العظيم ، وهو سياقته على هذا النمط الغريب ، وتأليفه على هذا النظم العجيب • وهنا بحث بين الأشعري والمعتزلي ، أضربت عنه طلبا للاختصار • فإن كان ابن الأثير سأل هذه الخاصة ، فهذه الخاصة لا يطلق عليها لفظ البيان • وإذا كان الأمر كذا ، فقد ثبت أن معنى هذه السجعة غير مفهوم • وقد ناقشه ابن أبي الحديد في قوله (النطق) وما الذي أراد به فليؤخذ من كتابه (١) •

قال : « وعلى آله وصحبه ، الذين منهم من سبق وبدر ، ومنهم من صابر وصبر ، ومنهم من آوى ونصر (٢) » • أقول : لو قال : ومنهم من هاجر ونصر لكان أحسن من وجهين : أحدهما أنه يحصل له الموازنة والترصيع بين هاجر وصابر ، وثانيهما أنه يتناول المهاجرين والأنصار من الصحابة رضوان الله عليهم ، فإنهم مقدّمون على الأنصار ، وعلى قوله لا ذكر للمهاجرين ، فإن من الأنصار من سبق غيره إلى الإيمان •

فإن قيل : قوله صابر وصبر المعنى واحد ، قلت : اتبع لفظ القرآن في قوله

(١) في المثل السائر ٣٦/٤ •

(٢) في المثل السائر ٣٥/١ •

تعالى : « اصبروا وصابروا » • فإن الصبر غير المصابرة ، لأن المصابرة مفاعلة ، وهي مقابلة الفعل من الآخر بمثله • وكأن ذلك زيادة على الصبر الذي يطيقه الإنسان •

[عجز الحريري عن إنشاء ما طلب منه في الديوان]

قال وقد ذكر الحريري صاحب المقامات رحمه الله تعالى ، وأنه صدر عنه مثل هذا الكتاب ، ولما استكتب في الديوان أفهم • وساق الحكاية المشهورة • ثم قال : « وهذا مما يُعجب منه ، وسئلت عن هذا فقلت : لا عجب ، لأن المقامات مدارها جميعها على حكاية تخرج إلى مخلص ، وأما المكاتبات فإنها بحر لا ساحل له ، لأن المعاني فيها تتجدد بتجدد حوادث الأيام ، وهي متجددة على عدد الأنفاس ، ألا ترى أنه إذا كتب^(١) الكاتب المفلق عن (٧/ب) دولة من الدول الواسعة التي يكون لسلطانها سيف مشهور وسعي مذكور ، ومكث على ذلك برهة يسيرة لا تبلغ عشر سنين ، فإنه يدون عنه من المكاتبات ما يزيد على عشرة أجزاء ، كل جزء منها أكبر من المقامات حجما ، ثم إذا غربت خلس منها النصف^(٢) » •

أقول : أما عجب الناس من واقعة الحريري فهي موضع العجب في بادئ الرأي • لأن من يصدر عنه مثل هذا الكتاب الذي لا نظير له في بابهِ ، وهو في الآداب :
شمسٌ ضحاها هلالٌ ليلتها دُرٌّ تقاصيرها زَبَرٌ جدُّها^(٣)

ثم يتوقف في كتاب يطلب منه فإن ذلك غريب • وأما إذا فكر الإنسان ، وعلم أن الإنشاء من باب الفتوح على الإنسان ، لم يكن ذلك بعجيب • لأن الله تعالى قد

(١) في : م ، ومتن ب « خطب » والتصحيح مستدرك في هامش (ب) •

(٢) المثل السائر ٤٢/١ والعبارة فيه « وسئلت عن ذلك .. تتجدد فيها .. أكبر من مقامات الحريري لأنه إذا كتب في كل يوم كتابا واحدا ، اجتمع من كتبه أكثر من هذه العدة المشار إليها ، وإذا نخلت وغربت واختير الأجود منها - أذ كلها جيدة - فيخلص منها النصف » •

(٣) في « الفيت المسجم » ١٤٥/٢ غير منسوب •

يفتح بذلك في وقت دون وقت • وقدعدّ الشيخ محيي الدين^(١) بن عربي النظم وحسن الكتابة من الفتوح ، وما يزال الناس كذلك تارة يفتح عليهم وتارة لم يفتح • والحريري في ذلك الوقت لم يفتح عليه •

على أن الحريري في وقت عمل المقامات كان في بيته مَخْلَى ونفسه ، يصوغ ويكسر ويهدم ويبنى فإذا نبأ به مقام تحوّل الى غيره ، وإذا تقاعس عليه معنى تركه وجذب ما هو أسلس قيادا منه • وقد ذكر أن مسودّات المقامات كانت حمل جمل • وذلك أمر غير جلوسه في الديوان وأول قدومه ، وهو بين جماعة من أرباب الفن ، ويقترح عليه معنى لا محيد له عنه ، ولا فسحة له في مضيقه ، ولا نجاة له من زلله ، ولم يكن قد استعدّ له ، لا جرم أنه أُنْفِحِم وتوقّف وتنفّ عثنونه •

وليس يُعَابُ المرءُ في جبن يومه إذا عُرِفَتْ منه الشجاعةُ بالأُمسِ^(٢)

ولعل ابن الأثير سامحه فيما أورده من كلامه في « المثل » و « الوشي المرقوم » و « المعاني المبتدعة » وغير ذلك من نسبة المقامات • فإنه حكى عن نفسه في « المثل السائر » أنه كان يتلو القرآن العظيم ، فإذا مرت به الآية الكريمة ولمح فيها معنى يناسب أن يكون في كذا ، (٨/أ) بنى عليه كتابا أو فصلا وأثبتته • أو كما قال • وغالب ما أُثْبِتَتْ إنما هو معارضات عارض بها كتب القاضي الفاضل وأبا إسحاق الصابي^(٣) وهذا من باب عمل المقامات وهو في بيته يطالع على ما يعمل ويَتَرَوَّى ويمحو ويثبت •

(١) محيي الدين بن عربي هو محمد بن علي أبو بكر الحاتمي الطائفي الأندلسي الفيلسوف المعروف . جال في البلاد واستقر في دمشق وتوفى فيها سنة ٦٣٨ هـ . انظر جامع كرامات الأولياء ١/١١٨ ، وشذرات الذهب ٥/١٩٠ ، وفوات الوفيات ٢/٤٧٨ .

(٢) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ق ٧/٢٥ ص ٥٢ .

(٣) أبو إسحاق الصابي هو إبراهيم بن هلال . مترسل بليغ شاعر . كان صلبا في دين الصابئة (ت قبل سنة ٣٨٠ هـ) انظر الفهرست ص ١٩٩ .

وتوهموا اللعبَ الوغى ، والطعنُ في الـ هيجاء غيرُ الطعن في الميدانِ (١)

وأما قوله : إن الكاتب يظهر عنه في المدة التي ذكرها عشرة أجزاء كل جزء أكبر حجماً من المقامات وإذا غرِبت وتفتحت كانت خمسا ، فهذا تعصب ودعوى لا يقوم عليها برهان ، أو جهل بلغ الغاية . وأي ترسل لكاتب تقدم عصره وإلى الآن يجمع له من ترسله مجلدة واحدة تكون كالمقامات يتداولها الناس ، ويتعاطون كؤوسها ، ويتمثلون بأبياتها وأسجاعها ، ويكررون عليها من أولها إلى آخرها ، ويبحثون عن عوراتها ، وينقبون عن مساوئها ، فلا يجدون فيها مغزاً ، ولا يقعون فيها على مطعن . بل تصنفو على السبك ، وتجود على الاستعمال .

ويزيدها مرَّ الليالي جِدةً وتقادمُ الأيام حُسنَ شبابٍ (٢)

على أن ابن الخشَّاب (٣) رد عليه أليفاً (٤) يسيرة وأجابه المسعودي (٥) عنها وابن الخشَّاب أصاب في القليل من القليل ، وتعت في كثير القليل . وكذلك ابن

(١) شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ٣٩١/٤ ، من قصيدة قالها يمدح سيف الدولة منصرفه من بلد الروم سنة ٣٤٥ هـ مطلعها :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

(٢) البيت لأبي تمام في ديوانه بشرح التبريزي - عبده عزام ١٩٦٤ ، ٩١/١ من قصيدة قالها يمدح مالك بن طوق التغلبي . كما ورد في « الفيث المسجم » ٤٧/١ غير منسوب ، وفي نهاية الأرب ١١٧/٨ وفيه (ويزيده) .

(٣) ابن الخشَّاب هو عبد الله بن أحمد ، كان عالماً بالعربية وعلوم الدين ، وقف كتبه على أهل العلم قبيل وفاته في بغداد سنة ٥٦٧ هـ من كتبه « نقد المقامات الحريية » انظر بغية الوعاة ٢٩/٢ ، وانباه الرواة ٩٩/٢ ، ووفيات الأعيان ٢٦٧/١ .

(٤) هو سهو من المؤلف والصواب (لفيظت) إذ نصغر المفرد ونجمعه على التأنيث .

(٥) المسعودي هو محمد بن عبد الرحمن الخراساني ، فقيه شافعي أديب ، كان معلم الملك الأفضل ابن صلاح الدين . له « شرح المقامات الحريية » توفي في دمشق سنة ٥٨٤ هـ انظر وفيات الأعيان ٥٢٠/١ ، وارشاد الأريب ٢٠/٧ .

برّي^(١) وضع عليها نكتايسيرة •

وناهيك بكتاب اشتهر ، وضرب به المثل ، وأصبح إحدى الأثافي في علم الأدب ، وأصبحت ألفاظه ومعانيه حجة ، وثقلت بها النسخ عدد حروفها •

وسار مسير الشمس في كل موضع هبّ هبوب الرياح في البر والبحر

وما رأيت ولا سمعت بمن أخذ جزءا من ترسل ، وقرأه على شيخ وحفظه وطلب به (٨/ب) الرواية وعلق عليه حواشي لغة وإعراب ومعان • وقد وضع الناس الشروح المبسطة على المقامات مثل المسعودي فإن له عليها شرحين ، والمطرز^(٢) وابن الأنباري^(٣) وأبي البقاء^(٤) وغيرهم ولقد رأيت بعضهم يزعم أنها رموز في الكيمياء ، ويحكي أن الفرنج يقرؤونها على ملوكهم بلسانهم ويصورونها ويتنادمون بحكاياتها •

وما ذاك إلا أن هذا الكتاب أحد مظاهره تلك الحكايات المضحكة ، والوقائع التي إذا شرع الإنسان في الوقوف عليها ، تطلعت نفسه إلى ما تنتهي إليه ، وتشوّفت نفسه إلى الوقوف على آخر تلك القصة • هذا إلى ما فيها من الحكم والأمثال التي تشاكل كتاب « كلية ودمنة » وإلى ما فيها من أنواع الأدب وفنونه المختلفة وأساليبه المتنوعة •

(١) ابن بري هو عبد الله بن بري من علماء العربية النابهيين من كتبه «الرد على ابن الخشاب» توفي بمصر سنة ٥٨٢ هـ انظر وفيات الأعيان ١/٢٦٨ ، وبغية الوعاة ٣٤/٢ ، وخزانة البغداد ٥٢٩/٢ •

(٢) هو ناصر بن عبد السيد بن علي بن المطرز المشهور بالمطرزي له شرح المقامات (ت ٦١٠ هـ) انظر بغية الوعاة ٣١١/٢ •

(٣) هو أبو البركات ابن الأنباري وله تفسير غريب المقامات الحريرية • انظر بغية الوعاة ٨٧/٢ •

(٤) أبو البقاء هو عبد الله بن الحسين العكبري البغداد ١ • عالم باللغة والأدب (ت ببغداد سنة ٦١٦ هـ) • انظر وفيات الأعيان ١/٢٦٦ ، وبغية الوعاة ٣٨/٢ ونكت الهيمن ١٧٨ •

حكى لي الشيخ فتح الدين محمد بن (١) سيّد الناس عن والده أبي عمرو عن أبيه أبي بكر قال : قلنا لابن عميرة (٢) كاتب الأندلس : لأي شيء مات صنع مثل المقامات ؟ فقال : أما الألفاظ فما أغلب عنها ، وأما تلك الأكاذيب التي تكذبها فما أحسن أن أضع مثلها •

وسمعت القاضي شهاب الدين (٣) محمودا رحمه الله تعالى حين قراءة هذا الكتاب عليه يحكي أن القاضي الفاضل رحمه الله تعالى أراد معارضتها ، وصنع ثلاث عشرة مقامة عارض كل فصل بمثله حتى جاء إلى قول الحريري في المقامة الرابعة عشرة : « اعلموا يا مآل الآمل وثمال الأرامل ، أنني من سرّوات القبائل ، وسرّيات العقائل • لم يزل أهلي وبعلي يحلون الصدر ، ويسرون القلب ، ويمطون الظهر ، ويولون اليد • فلما أردى الدهر الأعضاء ، وفجّع بالجوارح الأجساد ، وانقلب ظهرا لبطن ، نبا الناظر ، وجفا الحاجب وذهبت (٩/أ) العين وفقدت الراحة ، وصلد الزند ، ووهت اليّمين ، وبانت المرافق ، ولم يبق لنا ثنيّة ولا ناب • فمذاغبر العيش الأخضر ، وازورّ المحبوب الأصفر ، اسودّ يومي الأبيض ، وابتيضّ فودي الأسود ، حتى رثى لي العدو الأزرق ، فحبذا الموت الأحمر (٤) » •

(١) ابن سيد الناس هو محمد بن محمد بن محمد . مؤرخ عالم بالأدب (ت بالقاهرة سنة ٧٣٤ هـ) انظر فوات الوفيات ٣٤٤/٢ ، وطبقات الشافعية ٢٩/٦ ، والنجوم الزاهرة ٣٠٣/٩ .

(٢) ابن عميرة هو احمد بن عبد الله أبو المطرف المخزومي . ولد في جزيرة شقر وقيل ببلنسية بالأندلس واشتهر فيها بالكتابة والشعر (ت في تونس سنة ٦٥٨ هـ) انظر بغية الوعاة ٣١٩/١ ، والإحاطة في أخبار غرناطة ١٧٩/١ .

(٣) شهاب الدين بن سليمان بن فهد . أديب كبير استمر في دواوين الإنشاء نحو خمسين عاما (ت بدمشق سنة ٧٢٥ هـ) . انظر الدرر الكامنة ٣٢٤/٤ ، وفوات الوفيات ٥٦٤/٢ ، والدارس ٢٣٦/٢ .

(٤) هو سهو فالمقامة هي الثالثة عشرة (البغدادية) « شرح المقامات » ٤٠/٢ وما بعدها . وجاءت الرواية فيه « أني من .. ويمطون .. بالجوارح الأكباد .. ووهنت .. وضاع اليسار وبانت .. » .

فقال الفاضل : « من أين يأتي الإنسان بفصل يعارض هذا ؟ » ثم إنه قطع ما كان عمله من المقامات ولم يظهر • أو كما قال • وناهيك بمن يقول مثل القاضي الفاضل في حقّه مثل هذا ، ويعترف له بالعجز •

وأما أنا فكلما قرأت هذا الفصل وذكرته ، أجد له نشوة كنشوة الراح ، وبهجة ولا بهجة الساري بطلعة الصباح • وفي أي ترسل تجد نظير هذا الفصل الذي له هذه الخفة والطلاوة ، ولم تروّجه الأسجاع ؟ •

وقد ظلم المقامات مَنْ جعلها مِنْ باب التّرسل ، والترسل جزء منها • بل هي كتاب علم في بابه ، وبلاغة الرجل تتعلم من ذكره شيء في غالب مقاماته بالمدح والذم • وهذا هو البلاغة ، أن تصف الشيء ثم تدمه ، أو بدم ثم تمدحه ، كما فعل في مقامة^(١) الدينار ، والتي^(٢) فاضل فيها بين كتابة الإنشاء والحساب ، والتي^(٣) ذكر فيها البكر والشيب والزّواج والعزبة وغير ذلك •

وفصاحته تتعلم من أخذه الأمثال السائرة وضمها إلى سجعة أحسن منها • كقوله : « أعطيت القوس باريها وأنزلت الدار بانيها »^(٤) وقوله : « تخلصت قاية من قوب وبرىء براءة الذئب من دم ابن يعقوب »^(٥) • وقوله : « وهل ضاعت عُدّتنا عُدّة عرقوب أو بقيت حاجة في نفس يعقوب »^(٦) وقوله : « فلما دل شعاعه على شمسّه ، ونمّ عنوانه بسّر طرسه »^(٧) وقوله : « فبقيت أحيّر من صَبّ وأذهل من صَبّ »^(٨) وقوله : « أنحلّ من قَلَم وأفحلّ من جلم »^(٩) وقوله : « لو كان

(١) وهي المقامة الثالثة (الدينارية) « شرح المقامات للشريشي » ٦٥/١ •

(٢) وهي المقامة الثانية والعشرون (الفرائية) المصدر السابق ١٨٤/٢ •

(٣) وهي المقامة الثالثة والأربعون (البكرية) المصدر السابق ١١٨/٤ •

(٤) شرح المقامات « المقامة السادسة ١١٦/١ - ١١٧ والرواية » .. وأسكنت ..

(٥) « شرح المقامات » المقامة العاشرة ٢٠٤/١ .. « قايبة (أي انفصلت البيضة

من الفرخ . مثل يضرب للافتراق بعد الصحبة) .

(٦) « شرح المقامات » المقامة الرابعة عشرة ٥٦/٢ .. « أو هل بقيت .. » •

(٧) « شرح المقامات » المقامة الخامسة عشرة ٥٩/٢ •

(٨) « شرح المقامات » المقامة الخامسة عشرة ٦١/٢ - ٦٢ •

(٩) « شرح المقامات » المقامة السابعة عشرة ٩٢/٢ (أي : أيبس من مقص) •

في عصاي سير ولغيمي مطير ^(١) » وقوله : « طويته على غرّه ، وصنت شغاه عن
فِرَّه ^(٢) » وقوله : « إنكما فرقدا سماءٍ وكزندين في وعاء ^(٣) » وقوله « ليعلم أن
ريجه لاقت إعصارا وجَدَّوْله صادف تيارا ^(٤) » وقوله « مأرب لا حفاوة ومشرب
(٩/ب) لم يبق له عندي طلاوة ^(٥) » وقوله : « المكنة زورة طيف ، والفرصة مزنة
صيف ^(٦) » وقوله : « أبعد من ردٍّ أمس الدابر ، والميِّت الغابر ^(٧) » وقوله : « ما أطول
طيلك وأهول حيلك ^(٨) » وقوله : « وكان يوما أطول من ظل القناة ، وأحر من
دمع المِقلّة ^(٩) » وقوله : فأخذ يلدغ ويصّي ، ويتقح ولا يستحي ^(١٠) » وقوله :
« أين مدب صباك ، ومن أين مهبّ صباك ^(١١) » وقوله : « قد وجدت فاغتبط
واستكرمت فارتبط ^(١٢) » وقوله : « ما ذهب من مالك ما وعظك ، ولا أجرم إليك
من أيقظك ^(١٣) » وقوله « إنك حُمت على ركيّة بكية ، وتعرّضت لخلية خلية ^(١٤) »

- (١) « شرح المقامات » المقامة العشرون ١٦٢/٢ - ١٦٤ .
- (٢) « شرح المقامات » المقامة العشرون ١٦٥/٢ (أي سترت عليه طريقته الملتزمة من
الحيل ، وحفظت عيبه عن كشفه . والفِر : كسور الثوب بسبب الطي) .
- (٣) « شرح المقامات » المقامة الثالثة والعشرون ٢٤٠/٢ .
- (٤) شرح المقامات ، المقامة الثالثة والعشرون ٢٤٦/٢ .
- (٥) المصدر السابق المقامة الرابعة والعشرون ٢٣/٣ . والرواية فيه « .. لم يبق
له عندي حلاوة » .
- (٦) المصدر السابق المقامة الخامسة والعشرون ٣٢/٣ .
- (٧) المصدر السابق ٣٨/٣ .
- (٨) المصدر السابق ٤٧/٣ .
- (٩) شرح المقامات للشريشي ٦٤/٣ .
- (١٠) المصدر السابق ٧٠/٣ والرواية فيه « ويصي .. ولا يستحي » وهي الوجه .
- (١١) المصدر السابق ١٢١/٣ .
- (١٢) المصدر السابق ١٧٦/٣ المقامة الثالثة والثلاثون (التفليسية) .
- (١٣) المصدر السابق ١٩٣/٣ .
- (١٤) المصدر السابق المقامة الثالثة والثلاثون ١٧٦/٣ (أي : انك حللت على بئر
قليلة الماء ، وتعرضت لخلية فارغة) .

وقوله : « ما كل سَوْدَاء ، تَمْرَةٌ ، ولا أكل صَهْبَاء خَمْرَةٌ » ^(١) وقوله : « كَمَنْ يَبْغِي بَيْضُ الْأَنْوَقِ ، وَيَطْلُبُ الطَّيْرَانِ مِنَ الثَّقُوقِ » ^(٢) وقوله : « أَتَعْلَمُ أَمَكُ الْبَضَاعِ وَظَنُّكَ الْإِرْضَاعِ » ^(٣) وقوله : « فَلَمَّا رَأَيْنَا نَارَهُمُ الْحُبَابِ ، وَخُبْرَهُمْ كَسْرَابَ السَّبَّاسِبِ » ^(٤) وقوله : « إِنِّي لِأَطْوَعُ مِنْ حَذَائِكَ ، وَأَوْفَقُ مِنْ غَذَائِكَ » ^(٥) وفيها من هذا النوع كثير أَضْرَبْتُ عَنْهُ خَوْفَ الْإِطَالَةِ .

وما تنَاهَيْتُ فِي بَثِّي مُحَاسِنَهُ إِلَّا وَأَكْثَرْتُ مِمَّا قُلْتُ مَا أَدْعُ

[ثَقَافَةُ الْكَاتِبِ]

قال : فَإِذَا رَكِبَ اللَّهُ فِي الْإِنْسَانِ طَبْعًا قَابِلًا لِهَذَا ، فَيَفْتَقِرُ إِلَى ثَمَانِيَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْآلَاتِ ^(٦) ثُمَّ سَرَدَهَا .

أقول : أما الكاتب فيحتاج إلى حفظ الكتاب العزيز وإدمان تلاوته ، ليكون دائرًا على لسانه ، جاريًا على فكرته ، ممثلاً بين عيني ذاكرته لينفق مِنْ سَعْتِهِ ، وإلى معرفة اللغة والنحو وإدمان الإعراب ليلاً ونهاراً ، حتى يصير له ذلك ملكة جيدة ، والتصريف والمعاني والبيان والبديع والعروض والقافية والأحكام السلطانية — كما ذكر في كتابه — وشيء من التفسير ، وشيء من الأحاديث مثل كتاب «الشهاب» أو كتاب «النجم» للأقليشي ^(٧) ، والآثار المنقولة عن الصَّحَابَةِ رضوان الله

- (١) المصدر السابق المقامة السادسة والثلاثون ٢١٥/٣ .
- (٢) المصدر السابق المقامة السابعة والثلاثون ٢٢٧/٣ .
- (٣) المصدر السابق المقامة السابعة والثلاثون ٢٣٠/٣ .
- (٤) المصدر السابق المقامة التاسعة والثلاثون ٢٤/٤ (كناية عن البخل) .
- (٥) المصدر السابق المقامة الثالثة والأربعون ١٢٢/٤ .
- (٦) المثل السائر ٤٣/١ « .. الله تعالى .. لهذا الفن ، فإنه يفتقر حينئذ .. » .
- (٧) الأقليشي هو أحمد بن معد التجيبي أبو العباس . عالم بالحديث توفي بمصر سنة ٥٥٠ هـ . انظر نفح الطيب ٦٣٥/١ ، وانباء الرواة ١٣٦/١ . وكتابه «النجم» مطبوع بمصر سنة ١٣٠٢ هـ ويبدو مما جاء في مقدمته للمؤلف أن كتاب (الشهاب) ليس له ، بدليل قوله : « .. وسميته كتاب النجم من كلام سيد العرب والعجم .. وأسرد الحديث مستوعباً للفظ كما وقع في الأمهات . فإن واضع (الشهاب) رحمه الله — ربما أخذ من الحديث كلمة أو كلمات على ما بينته وفصلته في كتاب (ضياء الألباب) الموضوع في شرح الشهاب .. » .

عليهم (١٠/أ) وما دار بين الخلفاء الراشدين وعثمّالهم، وما دار بين علي ومعاوية^(١) رضي الله عنهما من المحاورات، وتواقيع الخلفاء والوزراء والكتاب، وأمثال العَرَب، وحفظ جانب جيد من شعر العرب والمخضرمين والمحدثين وفحول التأخرين، وحفظ جيد الحماسة ومختار المفضليات، وبعض قصائد «منتهى الطلب»^(٢) جمع ابن ميمون، وما أمكن من التاريخ وأسماء الرجال والحساب، ومراجعات أئمة كتب الأدب، مثل الأغاني والعقد والبيان والتبيين والذخيرة وزهر الآداب وأمالي القالي^(٣) والكامل للمبرد^(٤) وتذكرة ابن حمدون^(٥) وحفظ جانب جيد

(١) معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية في الشام (ت ٦٠ هـ) انظر الإصابة ١١٢/٦ تر ٨٠٦٣ .

(٢) «منتهى الطلب من أشعار العرب» لمحمد بن المبارك بين ميمون، من رجال القرن السادس .

(٣) أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم بن عيذون . تعلّم ببغداد ودخل قرطبة سنة ٣٢٨ هـ وبها توفي سنة ٣٥٦ هـ ، انظر وفيات الأعيان ٧٤/١ .

(٤) المبرد ، هو محمد بن يزيد الثمالي الأزدي أبو العباس . احد أئمة الأدب (ت ببغداد ٢٨٥ هـ) بغية الوعاة ٢٦٩/١ ، ووفيات الأعيان ٤٩٥/١ .

(٥) ابن حمدون هو محمد بن الحسن بهاء الدين البغدادي . صنف التذكرة في الأدب والتاريخ . توفي في حبس المستنجد بالله العباسي ٥٦٢ هـ . انظر فوات الوفيات ٣٧٧/٢ ، والنجوم الزاهرة ٣٧٤/٥ . والتذكرة مصنف يقع في خمسين بابا ، وقد طبعت مكتبة الخانجي بعض أبوابها سنة ١٣٤٥ - ١٩٢٧ . الصفحة (ز) من مقدمة الطبعة المذكورة . كما أن بعض أجزاءها في فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة تصنيف فؤاد سيد ٤٣٥/١ .

من المقامات والخطب النباتية^(١) ، وبعض شعر المتنبي^(٢) وأبي تمام^(٣) والبحري^(٤) وسقط الزند وغير ذلك . وقد اخترت أنا من شعر هؤلاء الشعراء الأربعة في مجلدة لطيفة^(٥) ، والوقوف على ترسل الكتاب ومراعاة ما قصدوه في كل فن : من التهناني والتعازي والفتوحات ووصايا تقاليدهم وتواقيعهم وأوامرهم ونواهيهم^(٦) فيها ، وافتتاحات أدعيتهم في كل ما يتشعب من طرق الكتابة وكيفية البداءات والمراجعات في الهدايا والشفاعات والأوصاف وكتب الإخوان وما يجري هذا المجرى . وهذا باب لا يخلق له مصراع ولا ينقصد على حصره إجماع .

وعلى الجملة ، فالكتاب يحتاج إلى كل شيء ، ولولا أنه لا يلزمه تحقيق كل فن لقلت إنه الذي يعرف الوجود على ماهو عليه . وهيهات .

نعم الناس متفاوتون في ذلك وهم على طبقات : فمنهم من تسنم الدرجات ، ومنهم من لا نهض من الدرجات ، وما بين ذلك . ولا بد من المشاركة مهما أمكن ، ولو أنه^(٧) معرفة لمصطلح لكل صاحب فن ، وإذا كمل موادّه أو قارب الإكمال ، فمعرفة مصطلح الديوان في المكاتبات من معرفة الألقاب والنوع وما يجري هذا المجرى . فإن هذا معرفته مع المباشرة في أقل من جمعة يتصوره ويديره ، وهو مما لم يتقرر قاعدته ، لأنه يختلف باختلاف كل زمان وأهله . وهذا لاعتبر به ، فإنه أسهل ما يعرفه .

(١) نسبة إلى ابن نباته الخطيب . وهو عبد الرحيم بن محمد صاحب الخطب المنبرية . اجتمع بالمتنبي في خدمة سيف الدولة (ت بحلب سنة ٣٧٤ هـ) انظر وفيات الأعيان ٢٧٣/١ والخطب مطبوعة بمصر للمرة الرابعة ١٣٧٠ - ١٩٥١ م .

(٢) المتنبي هو أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي الكندي أبو الطيب الشاعر (ت ٣٥٤ هـ) انظر وفيات الأعيان ٣٦/١ .

(٣) أبو تمام هو حبيب بن أوس الطائي الشاعر الأديب (ت بالموصل سنة ٢٣١ هـ) انظر وفيات الأعيان ١٢١/١ ، وأخبار أبي تمام للصولي .

(٤) البحري هو الوليد بن عبيد الطائي أبو عبادة الشاعر المعروف . اتصل بالخلفاء (ت بمنبج سنة ٢٨٤ هـ) . انظر وفيات الأعيان ١٧٥/٢ .

(٥) لعله (ديوان الفصحاء) من كتب الصفدي .

(٦) زيادة لازمة في ب .

(٧) أي حتى لو اقتصر اطلاع الأديب على مصطلحات العلم أو الفن .

[هل تضر مخالفة النحو في معنى]

قال وقد ذكر النحو : « إذا نظرنا إلى ضروبه وأقسامه ، وجدنا أكثرها غير محتاج إليه في (١٠/ب) إفهام المعاني • ألا ترى أنك لو أمرت رجلاً بالقيام فقلت : قوم بإثبات الواو ولم تجزم لما اختل من فهم ذلك شيء • وكذلك الشرط والفضلات كلها تجري هذا المجرى من الحال والتمييز والاستثناء ^(١) » وساق أشياء من هذه الأنواع •

أقول : ما يتورد مثل هذا إلا عوامّ الناس ومن لم يتلبس بالمعرفة ، ومن لم يرح رائحة العلم • ألم يعلم أنه إذا صدر عن مترسل كتاب لم يجزم أفعال أمره ولا شروطه وجوابها ، ولم يرفع فاعله وينصب فضلاته ، ولا راعى شيئاً من قواعد إعرابه التي هي ظاهرة ، ولا حافظ على شيء من الإعراب ألبتة ، كان ذلك ضحكة للمغفلين فضلاً عن العقلاء • وحينئذ فقد استوى العلماء والجهال •

وقد كتب عمر ^(٢) رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري ^(٣) : « أما بعدتفقوها في السنة وتعلموا العريية » وكان عبد الله ^(٤) بن عمر رضي الله عنهما يضرب ولده على اللحن •

- (١) المثل السائر ١/٤٤ « .. ضرورته وأقسامه المدونة .. لوقلت : إن تقوم أقوم ولم تجزم لكان المعنى مفهوماً .. كالحال .. » .
- (٢) عمر بن الخطاب بن نفيل أبو حفص ثاني الخلفاء الراشدين (ت سنة ٢٣ هـ) انظر الإصابة ت ٥٧٣٨ .
- (٣) أبو موسى الأشعري ، عبد الله بن قيس قحطاني من بني الأشعر ، صحابي من الشجعان الولاة (ت ٤٤ هـ) انظر الإصابة ت ٤٨٨٩ .
- (٤) عبد الله بن عمر بن الخطاب . صحابي هاجر مع أبيه وشهد فتح مكة . أفتى في الإسلام ٦٠ سنة (ت سنة ٧٣ هـ) انظر الإصابة ت ٤٨٢٥ .

وقال عبد الملك^(١) : « اللحن في الكلام أقبح من آثار الجذري في الوجه »^(٢) .
ورأى أبو الأسود^(٣) الدثولي أعداءاً للشجار مكتوب عليها « لأبو فلان » .
فقال : « سبحان الله يلحنون ويربحون »^(٤) . ويقال : من أحب أن يجد الكبير في نفسه فليتعلم العربية .

ألم يعلم أن بعضهم استدل على أن النحو فرض كفاية إن لم يقل إنه فرض عين ، وذهب بعضهم إلى أن الله تعالى لا يقبل الدعاء إذا لم يكن متعرباً . وقال الشيخ تقي الدين ابن الصلاح^(٥) : « أخشى على من تعاطى الحديث ولم يدر النحو ، أن يدخل في قوله صلى الله عليه وسلم : « من كذب علي متعمداً ، فليتبوأ مقعده من النار »^(٦) .

ثم إنه استثنى أشياء من ذلك لا تعرف إلا بالإعراب . فأقول :
إنه لا يتوصل إلى معرفة الغامض إلا بعد معرفة الواضح ، ومن لم يعرف البيّن لم يعرف العويص ، لينتقل في التفهم من الأدنى إلى الأعلى .
قال الخليل^(٧) بن أحمد رحمه الله : « لا يصل أحد من النحو إلى ما يحتاج

(١) عبد الملك بن مروان من أعظم خلفاء بني أمية ، واسع العلم ، توفي في دمشق سنة ٨٦ هـ انظر فوات الوفيات ٣١/٢ .

(٢) انظر العقد الفريد ٤٧٨/٢ ، والبيان والتبيين ٢١٦/٢ وينسب هذا القول إلى مسلمة بن عبد الملك في عيون الأخبار ١٥٨/٢ .

(٣) - أبو الأسود الدؤلي هو ظالم بن عمرو الكناني واضع علم النحو . له ديوان شعر (ت بالبصرة سنة ٦٩ هـ) انظر الاصابة تر ٤٣٢٢ ، وانباه الرواة ١٣/١ .

(٤) في عيون الأخبار ١٥٩/٢ « دخل أعرابي السوق فسمعهم يلحنون ، فقال : سبحان الله يلحنون ويربحون ، ونحن لانلحن ولا نربح » .

(٥) ابن الصلاح هو عثمان بن عبد الرحمن تقي الدين (ت ٦٤٣ هـ) انظر وفيات الأعيان ٣١٢/١ ، وطبقات الشافعية ١٣٧/٥ .

(٦) الحديث الشريف في « مختصر الجامع الصغير » ٣١٤/٢ .

(٧) الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي الأزدي ، واضع علم العروض (ت سنة ١٧٠ هـ) انظر وفيات الأعيان ١٧٢/١ ، وانباه الرواة ٣٤١/١ وقد وردت عبارة الخليل في « الوافي بالوفيات » ٦/١ .

إليه الا بتعلم ما لا يحتاج إليه ، فقال أبو عمر ^(١) : « إن كان لا يوصل إلى ما يحتاج إليه الا بما لا يحتاج إليه ، فقد صار ما لا يحتاج إليه محتاجا إليه » . وكل علم بهذه المثابة فيه الجكلي والغامض في الفقه ، فإن مسائله الغامضة في الحيض والتيمم والفرائض ، وما في الجبر والمقابلة ، ومسائل الدور في الطلاق وغير ذلك . وكما في المنطق فإن غوامضه في الأقيسة والمختلطات والمغالط وغير ذلك . وكما في علم الكلام من إثبات الجوهر الفرد ، وأن العرض لا يبقى زمانين ، وأن المعدوم ليس بشيء . وما يتوصل الإنسان الى معرفة هذه المسائل العويصة الا بعد مقدمات يفهمها من المسائل الواضحة ، وما رأيت من يورد مثل هذا غير العوام ، أو من يجهل هذا الفن .

[هل يقدح اللحن في حسن الكلام]

قال بعد أن ساق شيئا من نظم أبي نواس وأبي تمام (١١/أ) وأبي الطيب ولحنهم : « إن اللحن لم يكن قادحا في حسن الكلام » ^(٢) .

أقول : ما بقي بعد هذا إلا أن يقول : إن مراعاة الإعراب علة موجبة لقبح الكلام أترأه ما سمع بقولهم : النحو في الكلام كالملاح في الطعام . وقد ذهب بعضهم الى أن الإعراب انما سمي إعرابا لأن العرّب في قوله تعالى : « عرّبا أترابا » هنّ المتحبيات الى أزواجهن ، فكأن من أعرب كلامه تحبّب الى مخاطبه . أقول : معنى تحبّبه كونه ذكر أمارات تدل على معانيه . فانه اذا أراد التعجب قال : ما أحسن زيدا ، ولو ترك الإعراب وقال : ما أحسن زيد بسكون النون والدال ، لا لتبس الفهم على المخاطب وبقي في حيرة : هل هو مستفهم أو متعجب أو مخبر . فلما نصب النون والدال علم أنه يتعجب . واذا قال : ما أحسن زيد برفع النون وكسر الدال علم أنه يستفهم . واذا قال ما أحسن زيد بنصب النون ورفع الدال علم أنه مخبر بنفي الإحسان عنه . واذا أراح المتكلم من يخاطبه من الفكرة والحيرة بالإعراب ، فقد تحبّب إليه .

(١) هو أبو عمر الجرمي البصري . انظر طبقات اللغويين والنحويين ٥٩ و ٧٦ .

(٢) المثل السائر ٥٥/١ وفيه : « ولهذا لم يكن اللحن قادحا .. » .

وقد قال (.....) ^(١) « لا قدر لِحَآن ولو بلغ يا فوخه عنان السماء »
وأنا فما أنكر أن لطف التّركيب وسهولة الكلام أمر آخر وراء النحو . هذا معلوم
ولكن المشاحة في تعسفهِ وتعتسهِ .

[حول لون البقرة في الآية (صفراء فاقع لونها)]

قال : « وكان فاوضني بعض الفقهاء في قوله تعالى في سورة البقرة : « صفراء فاقع لونها » ^(٢) ، ان لون البقرة كان أسود » ^(٣) . وأخذ في الشّناع على ذلك والاستدلال على أن اللون أصفر .

أقول : من المعلوم أن الأرجح هو أن اللون كان أصفر ، لكونه مؤكداً بفاقع .
كما يؤكد أسود بحالك وحالك ، وأبيض يقيق ولهق ، وأحمر بقان (١١ / ب) وذريحي
وأخضر بناضر ومثدّ هام ، وأصفر بناصع وفاقع ووارس ، وأزرق بخطباني ،
وأرمك برذاني . ولكن اذا ورد التفسير وثبت النقل بشيء ، فما يمكن غير قبوله
والعمل به في موضعه من غير أن يتعدى به ذلك الموضع . هذا اذا خالف قاعدة ،
وإن أمكن ترجيحه رجّح ، كما رجح هذا بعضهم بقوله تعالى : « إنها ترمي بشررٍ
كالتّصّر كأنّه جمالات صفر » ^(٤) . أي جمال سود تضرب الى الصّفرة . قالوا :
والنار سوداء مظلمة .

[التّادب في الحديث عن العظماء]

قال عند ذكر وقائع العرب : « ومن ذلك أنّه ورد عن عمر بن الخطاب أنّه
استدعى أبا موسى الأشعري ومن يليه من العمال ، وكان منهم الربيع ^(٥) بن زياد

(١) بياض في الاصل بمقدار كلمتين .

(٢) سورة البقرة ٦٨/٢ .

(٣) المثل السائر ٦٠/١ « ... وقال ان لون البقرة ... » .

(٤) سورة المرسلات ٣٢/٧٧ ، ٣٣ .

(٥) الربيع بن زياد الحارثي من بني الريان . أمير فاتح أدرك عصر النبوة . توفي
في إمارته سنة ٥٣ هـ . الإصابة ٥٠٤/١ ، والكمال لابن الأثير ١٩٥/٣ .

الحارثي ، فمضى الى يرفاً ، مولى عمر ، وسأله عما يروج عنده وينفق عليه ، فأشار الى خشونة العيش . فمضى ولبس جبّة صوف وعمامة دكاء وخنقاً مطابقاً وحضر بين يديه في جملة العمال . فصوّب عمر نظره وصعدّه فلم يقع الا عليه ، فأدناه وسأله عن حاله ثم أوصى أبا موسى الأشعري به ^(١) » .

ثم قال ابن الأثير : « وقد استعملت أنا هذا في تقليد لبعض الملوك من ديوان الخلافة ، فقلت : واذا استعنت على عملك بأحد ، فاضرب عليه بالأرصاء ، ولا ترض بما عرفته من مبدأ حاله ، فإن الأحوال تنتقل تنقل الأجساد ، وإياك أن تخدع بصلاح الظاهر كما خدع عمر بن الخطاب بالرّبيع بن زياد » ^(٢) .

أقول : قوله كما خدع عمر ، في هذا القول إساءة أدب على عمر رضي الله عنه من نسبته الى أنه خدع ، وفي هذا شبهة لصاحب التقليد ، فانه يقول في نفسه : واذا كان مثل عمر خدع ، فما ظني بنفسي ، فيقع منه الإهمال . والادب في مثل هذا أحسن ، ودفع الانخداع عنه أليق . ألا ترى (١٢/أ) الى قوله تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام : « من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي » ^(٣) ، فنسب ما وقع بينهم الى الشيطان تأدبا مع إخوته عليهم السلام . واذا خدع مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع تحرزه وشدته في الدّين ، فما يظن بغيره .

وقال المغيرة ^(٤) بن شعبة : « ما رأيت أحداً أحزم من عمر . كان والله له فضل يمنعه أن يجزع ، وعقل يمنعه أن يخذع » .

(١) المثل السائر ٦٤/١ « .. عمر بن الخطاب رضي الله عنه .. يرفاً .. وعمامة وسماء .. » .

(٢) المثل السائر ٦٥/١ « .. وإذا استعنت بأحد على عملك .. تنتقل بنقل .. » .

(٣) سورة يوسف ٩٩/١٢ .

(٤) المغيرة بن شعبة الثقفي أسلم سنة ٥ هـ شهد الفتوح وكان من عمال عمر وعثمان . الإصابة تر ٨١٨١ ، وأسد الغابة ٤٠٦/٤ .

قال أبو بكر ^(١) الخرائطي : « رحم الله عمر ما كان أنظره بنور الله في ذات الله وأفرسه • كان والله كما قال الشاعر :

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ بِرَأْيِهِ كَأَنَّ لَهُ فِي الْيَوْمِ عَيْنًا إِلَى غَدٍ ^(٢)

وقد نقل عن أبي العباس أحمد بن عبد الله بن الحطيئة أنه كان يقول : « أُدرجت سعادة الإسلام في أكفان عمر بن الخطاب » •

وما أحسن قول الشاعر :

حُجِّجِي عَلَيْكَ إِذَا خَلُوتُ كَثِيرَةً وَإِذَا حَضَرْتَ فَإِنِّي مَخْصُومٌ

لا أستطيع أقول أنتَ ظلمتني الله يعلمُ أَتَنِي مَظْلُومٌ ^(٣)

فانظر الى أدب هذا الشاعر وتلطّفه مع محبوبه وإجلاله له •

وكان الأحسن أن لو قال : وإذا استعنت على عملك بأحد ، فلا تثقِ منه بلمع السّرّاب ، واكشف بيد إرصادك عن وجه سيرته حجاب النقاب ، وتيقّظ لأُموره فلا ترض بالظاهر العامر وتنسى الباطن الخراب ، وتخيل من مكروه ما تحيّل به الربيع بن زياد على عمر بن الخطاب • فإن نسبة الحيلة الى الربيع أحسن في الأدب من نسبة الخدع الى عمر رضي الله عنه •

[إنكار النقيب بالناصر على السلطان صلاح الدين]

قال : « وجدت لابن زيادة البغدادي كتابا كتبه الى الملك الناصر صلاح الدين ^(٤)

(١) هو محمد بن جعفر السامرائي • فاضل من حفاظ الحديث (ت سنة ٣٢٧ هـ)
انظر شذرات الذهب ٣٠٩/٢ ، وارشاد الأريب ٤٦٤/٦ •

(٢) ورد في الفخري لابن الطقطقي طبعة ١٩٢٣ ص ٦٥ وفيه :

عليم بأعقاب الامور كأنما يخاطبه من كل امر عواقبه

(٣) البيتان في الفيث المسجم ١٥٧/١ و ٩٤/٢ • وجاء في عجز الثاني (والله) بالواو •

(٤) صلاح الدين الأيوبي • يوسف بن أيوب بن شاذي • صاحب « حطين » (ت سنة ٥٨٩ هـ) انظر النجوم الزاهرة ٣/٦ - ٦٣ •

يشتمل على أمور أنكرت عليه من ديوان الخلافة • من ذلك أنه تلقب بالناصر وذلك لقب أمير المؤمنين » (١) •

ثم إن ابن الأثير استصلح الكتاب وقال : « لم أجد فيه مغزاً إلا في هذا الفصل الذي يتضمن حديث اللقب ، فإنه لم يأت فيه بكلام يناسب باقي الفصول المذكورة ، بل أتى بكلام فيه غثاثة كقوله : ما يستصلحه المولى على العبد حرام » (٢) وشيء من هذا النسق •

ثم إن ابن الأثير رحمه الله ذكر ما أنشأه في هذا المعنى لنفسه فقال : « قد علم أن للأنبياء والخلفاء خصائص يختصون بها على حكم الانفراد ، وليس لأحد من الناس أن يشاركهم فيها مشاركة الأنداد • وقد أجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في أشياء نص عليها بحكمه ، من جملتها أنه نهى غيره أن يجمع بين كنيته واسمه ، وهذا مسوغ لأمير المؤمنين أن يختص بأمر يكون به مشهوراً (١٢/ب) وعلى غيره محظوراً » (٣) •

وساق باقي السجع وليس فيه زبدة فأثبته • أقول :

قبل الخوض معه أقدم الفرق بين الاسم والكنية واللقب (٤) •

وذلك أن العلم الدال على شخص معيّن إن كان مصدرّاً بأب كأبي بكر وأبي حفص ، أو بأئم كأم كلثوم وأم البنين وأئم المؤمنين فهو الكنية • وإن أشعر برفع المسمى كماء السماء وذو رعين وذو النورين وذات النطاقين وذو الجناحين ، ويدخل في هذا ألقاب الخلفاء بني أمية وبني العباس ، كالهادي والمهدي والرشيدي والأمين

(١) المثل السائر ٦٧/١ . والنص فيه « وكذلك وجدت لابن زيادة البغدادي .. يوسف المقدم ذكره في سنة ثلاث وثمانين وخمسائة ، وضمنه فصولاً تشتمل .. فمن تلك الأمور التي أنكرت عليه أنه تلقب بالملك الناصر ، وذلك اللقب هو لأمير المؤمنين خاصة » .

(٢) المثل ٦٨/١ « ... فهو على عبده حرام » .

(٣) المثل السائر ٦٨/١ « .. وبين اسمه .. » .

(٤) كما عقد لذلك فصلاً في كتابه الوافي ٣٣/١ هـ - ريت .

والمأمون ، ويدخل فيه مصطلح الناس ، من شمس الدين وبدر الدين ونجم الدين وغير ذلك من ألقاب أهل الكتاب كشمس الدولة وتاج الملك . أو يشعر بضعة المسمى كفتحة وبطة والأقشير والأحوص فهذا هو اللقب . وإن كان للدلالة على ذات المسمى وتعيينه ، كزيد وعمرو وبكر وخالد فهذا هو الاسم .

وإذا تقرر هذا ، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي ^(١) » مراده لا يقال لأحد من أمته محمد أبو القاسم . أما الناصر والعاقد والقادر والمستنصر وما أشبه ذلك فليس ذلك بكنية ولا اسم على ما تقرر .

على أن الفقهاء اختلفوا في التكني بأبي القاسم على ثلاثة مذاهب :

فذهب الشافعي ^(٢) رحمه الله ومن وافقه الى أنه لا يحل لأحد أن يكتني به سواء كان اسمه محمداً أو غيره .

وذهب مالك ^(٣) رحمه الله الى أنه يجوز التكني به لمن اسمه محمد ولغيره . وذهب بعضهم الى أنه يجوز لمن لم يكن اسمه محمداً ولا يجوز لمن اسمه محمد .

قال الرافعي ^(٤) : يشبه هذا الثالث أن يكون أصح ، لأن الناس ما زالوا يكتنون به في جميع الأعصار ولا إنكار .

قال الشيخ محيي الدين النووي ^(٥) رحمه الله : « وهذا الذي قاله صاحب

(١) الحديث الشريف في « مجمع الزوائد للهيتمي » ٤٨/٨ .

(٢) الإمام الشافعي هو محمد بن إدريس بن العباس الهاشمي القرشي . أحد الأئمة الأربعة (ت بمصر سنة ٢٠٤ هـ) ، انظر طبقات الشافعية ١/١٨٥ .

(٣) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري ، أحد الأئمة الأربعة (ت بالمدينة سنة ١٧٩ هـ) انظر وفيات الأعيان ١/٤٣٩ .

(٤) الرافعي عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم . فقيه من كبار الشافعية (ت سنة ٦٢٣ هـ) انظر طبقات الشافعية ٥/١١٩ .

(٥) النووي يحيى بن شرف بن مري . علامة بالفقه والحديث (ت سنة ٦٧٦ هـ) . انظر طبقات الشافعية ٥/١٦٥ ، والنجوم الزاهرة ٧/٢٧٨ .

هذا المذهب ، فيه مخالفة لظاهر الحديث • وأما إطباق الناس على فعله مع أن في المكتنين به من الأئمة الأعلام وأهل الحكل والعقد والذين يتقندين بهم في الدين ، ففيه تقوية لمذهب مالك رحمه الله في جوازه مطلقا • ويكونون قد فهموا النهي مختصا بحياته صلى الله عليه وسلم ، لما هو مشهور من سبب النهي في اكتناء اليهود بأبي القاسم ومناداتهم يا أبا القاسم طلبا للايذاء • وهذا المعنى قد زال « انتهى •

قلت : وممن تكنى بأبي القاسم محمد بن الحنفية ^(١) • يقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه « سيولد لك بعدي غلام وقد نحلته اسمي وكنتي ولا يحلّ لأحد بعده » ^(٢) •

ومحمد بن أبي بكر ^(٣) ، ومحمد بن طلحة ^(٤) ، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ^(٥) ، ومحمد بن عبد الرحمن ^(٦) بن عوف ومحمد بن جعفر ^(٧) بن أبي طالب ،

- (١) ابن الحنفية محمد بن علي بن أبي طالب . زعم بعضهم أنه المهدي (ت بالمدينة سنة ٨١ هـ) ، انظر حلية الأولياء ١٧٤/٣ .
- (٢) الحديث الشريف . جاء في « جامع الأصول » ٢٨٠/١ « محمد بن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال : « قلت يا رسول الله ، أرايت أن ولد لي بعدك ولد ، أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك ؟ قال نعم » . أخرجه أبو داود رحمه الله .
- (٣) محمد بن أبي بكر الصديق ، نشأ في حجر علي بن أبي طالب . ثم ولاه مصر فقتل بعد خمسة أشهر سنة ٣٨ هـ انظر الكامل في التاريخ ١٧٧/٣ .
- (٤) محمد بن طلحة بن عبيد الله القرشي ، صحابي قتل يوم الجمل سنة ٣٦ هـ انظر الإصابة تر ٧٧٨٣ ، والوافي بالوفيات ١٧٤/٣ .
- (٥) محمد بن سعد بن أبي وقاص القرشي . قائد من أشراف الدولة في العصر المرواني خرج على عبد الملك فقتله الحجاج سنة ٨٣ هـ ، انظر الوافي بالوفيات ٨٨/٣ .
- (٦) محمد بن عبد الرحمن بن عوف أبوه أحد العشرة المبشرين ، وأحد الستة اصحاب الشورى انظر الإصابة تر ٥١٧١ .
- (٧) محمد بن جعفر بن أبي طالب . صحابي ولد بأرض الحبشة . قتل في صفين سنة ٣٧ هـ . انظر الإصابة ٧٧٦٦ ، ومقاتل الطالبين ١١ .

ومحمد بن حاطب ^(١) بن أبي بلتعة ، ومحمد بن الأشعث ^(٢) بن قيس .
وسمعت بخواص الأنبياء: أما النبي صلى الله عليه وسلم فخواصه معلومة شرعا .
منها : وجوب الضحى والضحية والوتر والتهجد والسَّوَّاء وتخير الزوجة في الإقامة
معه أو الفراق ، وتحريم الخط والشعر وإمساك الكارهة من الزوجات ، والفرار
من العدو في الحرب ، وأن لا يغمد السلاح بعد إشهاره حتى ينال به من العدو ،
وإباحة الوصال ، والخمس وصفي المغنم ، ودخول مكة حلالا ، وجعل تركته صدقة
غير موروثة ، والنكاح بلفظ الهبة من الزوجة بلا مهر وبلا ولي ولا شهود ، وفي
الإحرام والتزوج بأكثر من (١٣/١) أربع ، ومن أثرها حرّم على الزوج نكاحها ولزمه
طلاقها ، وحرمة زوجاته بعد وفاته على الأمة فلا يحل نكاحهن لأحد . وأما من
عداهم من سائر أمتهم فما لأحد منهم خاصة يمتاز بها من حيث الشرع .

فانظر الى ابن الأثير رحمه الله ، لم يطابق بين الإنكار والاستشهاد ، ولو أجاب
الملك الناصر عن ذلك وقال : إن الخادم ما جمع بين كنية أمير المؤمنين وبين اسمه
ولا انفردت بوحدة منهما ، فما وجه الإنكار علي ، لكان له أن يقول ذلك .

على أن الملك الناصر رحمه الله تعالى ما تسمى بهذا اللقب والناصر في بني العباس
خليفة ، وإنما العاضد ^(٣) من خلفاء الفاطميين بمصر لما استوزره في سنة أربع وستين
 وخمسائة لقبه بهذا اللقب وكان الخليفة ببغداد اذ ذاك المستضيء ^(٤) بالله .

(١) محمد بن حاطب بن أبي بلتعة اللخمي . والده صحابي بعثه الرسول عليه السلام

الى المقوقس صاحب الإسكندرية (ت سنة ٣٠ هـ) انظر الإصابة ٣٠٠/١ .

(٢) محمد بن الأشعث بن قيس الكندي . قائد من أصحاب مصعب بن الزبير
(ت سنة ٦٧ هـ) انظر الإصابة تر ٨٥٠٤ .

(٣) العاضد ، هو آخر الخلفاء الفاطميين ، إذ انتهى أمرهم على يد صلاح الدين
الأيوبي سنة ٥٦٧ هـ . انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي .

(٤) المستضيء بالله هو الحسن بن يوسف المستنجد بالله العباسي ، في أيامه زالت
الدولة الفاطمية (ت سنة ٥٧٥ هـ) انظر فوات الوفيات ٢٦٩/١ .

[رسالة ابن زيادة البغدادي]

وأما قول ابن زيادة : وكل ما يستصلحه المولى على العبد حرام ، فإنه مناسب ، ولعله أتى به في صورة أحسن من هذه ، وجاء في أثناء كلامه مطبوعاً ، ولم يذكر ابن الأثير ما أتى به ليُعلم حسنه من قبحه ، ولم يحضرنى عند تعليق هذا الفصل كلام ابن زيادة ، ولعلي أظفر به فيما بعد فأثبتته في الحاشية .

وقفت على كلام ابن زيادة فيما بعد ، فكان ما ختم به فصل الإنكار على اللقب : « ومن العجب أن أمير المؤمنين يخاطبه من سمة الملك بما لم يكن له ، ويزاحم هو فيما هو لغيره . ومن الحكم الرائقة في وجيز الكلام ، والذي يصلح للمولى على العبد حرام » انتهى .

قلت : وهذه السجعة بيت شعر من أبيات كتبها عمرو بن مسعدة ^(١) إلى المأمون ^(٢) مع فرس أهدها إليه وهو أدهم بغرّة :

يا إماما لا يداني	ه إذا عُد إمام
قد بعثنا بجواد	مثلته ليس يثام
وجهه صبح ولكن	سائر الجسم ظلام
والذي يصلح . . . البيت	(٣)

وقد أجاب القاضي الفاضل رحمه الله عن كتاب ابن زيادة جواباً مطولاً ، ولكنه حاسن فيه وما خاشن وكائر وما كاشر . ثم إن القاضي محيي الدين ^(٤) بن

(١) هو عمرو بن مسعدة بن سعد كاتب المأمون انظر معجم الشعراء للمرزباني ص ٣٣ .

(٢) المأمون . عبد الله بن هارون الرشيد العباسي . أتم ما بدأ به المنصور من ترجمة كتب العلم والفلسفة (ت سنة ٢١٨ هـ) ، انظر تاريخ بغداد ١٨٣/١٠

(٣) وردت الأبيات في معجم الشعراء ص ٣٣ ، ومعجم الأدباء ١٦/١٣٠ وهي عندهما سبعة .

(٤) محيي الدين بن عبد الظاهر ، هو عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان . قاض أدب مؤرخ وله شعر (ت بمصر سنة ٦٩٢ هـ) . انظر فوات الوفيات ٤٥١/١ - ٤٦٣ ،

عبد الظاهر رحمه الله تعالى ، أملى جواباً على الكتاب المذكور على لسان صلاح الدين طوّل فيه الى الغاية ، مع أنه نafs فيه وناقش ، وقاسر فيه وقاشر •

وللقاضي الفاضل رحمه الله عذر ظاهر في ذلك الوقت عن المداهنة ، لعظم منصب الخلافة ذلك الزمان • ولعمري إن هذا الكتاب ، فتّ في عضد الملك الناصر وغلّض منه ، وامتنع الناس الأعيان الذين لهم سورة في غير بلاده أن يقولوا إلا السلطان صلاح الدين دون الملك الناصر ، لإنكار الخليفة ذلك • ولعل هذا الأمر باق الى هذا الزمان ، فإنه لا يقال إلا السلطان صلاح الدين في الغالب •
وهذان الجوابان قد أثبتتهما في الجزء الثالث عشر من «التكرة» التي جمعتها (١٣/ب)

[انبلاغة وانبصاحة]

قال في الفصل الثامن في الفصاحة والنبلاغة عند ذكر النبلاغة ، بعد أن قرّر أن النبلاغة للمعاني والفصاحة للألفاظ : « النبلاغة شاملة للألفاظ والمعاني ، وهي أخص من الفصاحة ، كالإنسان من الحيوان • فكل إنسان حيوان وليس كل حيوان إنساناً • وكذلك يقال : كل كلام بليغ فصيح ، وليس كل كلام فصيح بليغاه ويفرق بينها وبين الفصاحة من وجه آخر غير الخاص والعام ، وهو أنها لا تكون إلا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب ، فإن اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم النبلاغة ، ويطلق عليها اسم الفصاحة ، إذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن • وأما النبلاغة فلا يوجد فيها لخلوها من لمعنى المفيد الذي ينتظم كلاماً ^(١) •

أقول : قد ادّعى أن هذا الفارق الثاني غير الأول ، وهو هو بعينه ومينه • فإنه أراد أولاً ، كل كلام فصيح يطلق عليه أنه بليغ ولا ينعكس • ومعنى هذا ، إذا قلنا : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل فإن هذا الكلام بليغ باعتبار أن معناه بلغ في صوغ تركيبه الى حدّ له توفية بتمام المراد • وفصيح باعتبار بيان مفرداته وحسنها وعذوبتها في السمع • وإذا فككنا هذا التركيب وأخذنا كل فرد من

(١) المثل السائر ١١٨/١ . وفيه « .. ويفرق بينهما .. وأما وصف النبلاغة فلا يوجد فيها ... » .

ألفاظه ، كان كلّ فرد فصيحاً ، ولا يكون بليغاً لعدم التركيب في المعنى . فكانت الفصاحة أعمّ من البلاغة لأنها وجدت في الأفراد والتركيب ، وكانت البلاغة أخص لكونها لا تتناول إلا المركب فقط . فحيث وجدت البلاغة مع عذوبة الألفاظ وجدت الفصاحة ولا ينعكس . فصحّ أنّ البلاغة كالإنسانية في خصوصها ، والفصاحة كالحيوانية في عمومها . وهذا المعنى موجود بعينه في الفارق الثاني الذي أبداه . فإنه قال : « إن البلاغة لا تكون إلا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب .. الى آخره » فتأمل كلامه يظهر لك ما قلته .

[تحديد معنى البلاغة والفصاحة]

والذي أقوله أنا : هو أنّ بين البلاغة والفصاحة ، عموماً من وجه وخصوصاً من وجه . بيان ذلك : أما عموم البلاغة ، فلأنها تتناول الكلام الفصيح أعني الحسن المبين ، وغير الفصيح أعني الغريب الوحشي . وعموم الفصاحة ، فلأنها تتناول الألفاظ العذبة الحسنة ، مفردة ومركبة . وأما خصوص البلاغة ، فلأنها لا تتناول إلا الألفاظ المركبة فقط ، وخصوص الفصاحة ، فلأنها لا تتناول إلا الألفاظ العذبة المستعملة فقط . فثبت أنّ بين البلاغة والفصاحة عموماً من وجه، وخصوصاً من وجه . ومثل هذا لا يتنبه له ابن الأثير .

[أقسام علم البيان]

قال في هذا الفصل : « وأما أقسام علم البيان من الفصاحة والبلاغة ، فليست كذلك لأنها استتبعت بالنظر وقضيّة العقل من غير واضع اللغة ، ولم يفتقر فيها الى التوقيف، بل أخذت ألفاظ ومعان على هيئة (١٤/أ) مخصوصة وحكم لها العقل بمزية الحسن لا يشاركها فيها غيرها . فإن كل عارف بأسرار الكلام من أي لغة كانت من اللغات ، يعلم أن إخراج المعاني في ألفاظ حسنة رائقة يلذها السمع ولا ينبو عنها

الطبع ، خير من إخراجها في ألفاظ قبيحة مستكرهة ينبو عنها السمع • ولو أراد واضع اللغة خلاف ذلك ما قلدناه » (١) •

أقول : قد ادّعى أن ذلك عقل صرف • فإن أراد بالبيان الذي اصطَلَح عليه أرباب البلاغة ، وهو أحد أقسام علم البلاغة الذي يطلق على معرفة الحقيقة والمجاز والتشبيه والاستعارة والكناية ، فإن من المجاز ما هو لغوي كالصلاة ، استعملها الشارع في هذه الهيئة المخصوصة المشتملة على القيام والقراءة والركوع والسجود والذكر والسلام والدعاء • وهي في أصل اللغة إنما تطلق على الدعاء الذي هو جزء هذه الهيئة فسمّاها باسم جزئها ، فقد توقفت معرفة هذا المجاز على حقيقته ، وتلك الحقيقة لا تعرف إلا بالنقل لا بالعقل ، والمتوقف على المتوقف على معرفة الشيء متوقف على ذلك الشيء •

[الاستعارة والكناية]

وأما الاستعارة ، فاختلف علماء البيان ، هل هي مجاز لغوي أو عقلي • فذهب الأكثرون إلى أنها مجاز لغوي خلافاً لصاحب « المفتاح » (٢) فإنه ذهب إلى أنها عقلية • ودليل الأكثرين أنك إذا قلت : عندي أسد شاكي السلاح ، وأنت تريد الرجل الشجاع ، كان لفظ الأسد عند التحقيق مستعملاً في غير ما وضع له ، لأنك تفهم أنه عنده رجل شبهه بالأسد • وإنما حذف أداة التشبيه مبالغة ، والألف والسين والبدال فههم معناها متوقف على النقل •

وأما الكتابة فمن أقسامها قسم يتوقف على النقل • كقول الشاعر (١٤/ب) :

أخو لخم أعارك منه ثوباً هنيئاً بالقميص المستجد
أراد أبوك أمك حين زُفّت فلم يوجد لأمك بنت سعد
وقد ألقى كساء أبي عبيد عليك فصرت أكسى أهل نجد

(١) المثل السائر ١/١٢٠ « وأما علم البيان .. فليس كذلك لأنه استنبط بالنظر ..

النوقيف منه .. بمزية من الحسن .. لما قلدناه » .

(٢) هو السكاكي . يوسف بن أبي بكر محمد . عالم بالعربية والأدب . من أبرز كتبه « مفتاح العلوم » توفي بخوارزم سنة ٦٢٦ هـ . انظر إرشاد الأريب ٧/٣٠٦ ومفتاح السعادة ١/١٦٣ .

أراني الله عينك في الجعبي وعينك عين بشار بن برد^(١)
 فإن الشاعر أراد بأخي لخم جذاما ، وبينت سعد عذرة ، وبأبي عبيد الأبرص^(٢) ،
 وبعين بشار^(٣) العمى .

وقول محمد بن عبدون^(٤) في خمر عادت خلا :
 ألا في سبيل اللهو كأسٌ مدامةٌ أتنا بطعم عهدٍ غير ثابت
 حكّت بنت بسطام بن قيس صبيحةً وراحت كجسم الشنفرى بعد ثابت
 أراد بنت بسطام صهباء ، وبجسم الشنفرى^(٥) قوله :

فاسقنيها ياسواد بن عمرو إن جسمي بعد خلي لخل^(٦)

- (١) وردت في الغيث المسجم غير منسوبة . وجاء في عجز الأخير (مثل بدل عين) .
 (٢) هو عبيد بن الأبرص الأزدي من مضر . عاصر أمرا القيس ، وفد على النعمان في يوم يؤسه فقتله نحو ٢٥ ق هـ . انظر الشعر والشعراء ٨٤ ، وخزانة البغدادى ٣٢٣/١ .
 (٣) بشار بن برد الشاعر المعروف . ولد أعمى ، اتهم بالزندقة فمات ضربا بالسياط سنة ١٦٧ هـ وقد جاوز التسعين . انظروفيات الأعيان ١٩/٣ .
 (٤) محمد بن عبدون الوراق السوسي انظر الوافي بالوفيات ٢٠٥/٣ . وبيته في الغيث المسجم ٢١٦/٢ . وورد صدر الثاني « أت بنت بسطام بن قيس عشية » .
 (٥) الشنفرى هو عمرو بن مالك الأزدي . شاعر جاهلي يمني ، صاحب لامية العرب ، من الخلفاء العدائين توفي نحو ٧٠ ق هـ . انظر الأغاني ١٣٤/٢١ - ١٤٣ ، وخزانة البغدادى ١٦ - ١٨ .
 (٦) بيت الشنفرى في « شرح الحماسة » للمرزوقي ٨٣٩/٢ منسوب لتأبط شرا من قصيدة مطلعها :

ان بالشعب الذي دون سلع لقتيلا دمه ما يطل

وفي « سمط اللالي » ص ٩١٩ جاء قوله : « اختلف في هذا الشعر ، فقل إنه =

وقول الآخر :

ويدعي الشرب في كأس وفي قدح وأم عنترة العبي تكفيه
أي تكفيه زبيبة لأنها [اسم] ^(١) أم عنترة العبي •

ولولا النقل لما علم من هذه الكنايات شيء ، وليس للعقل هنا مجال • فقد اتضح
أن بعض البيان ثقلي •

وإن أراد بالبيان علم المعاني الذي هو ما يعرف به تتبّع خواصّ تراكيب
الكلم ، من أحوال الإسناد الخبري ، وأحوال المسند إليه ، وأحوال المسند ،
والفصل والوصل ، والإيجاز والإطناب وأحوال الطلب ، فأكثر ذلك تتوقف معرفته
على النقل ، إذ المُسند والمسند إليه هما المبتدأ والخبر ، وأحوال كل منهما متنوعة ،
من تقديم وتأخير لكل منهما وتعريفهما وتنكيرهما ، وحذف هذا تارة وذلك أخرى ،
ومجيء المسند إليه تارة اسماً وتارة فعلاً إما ماضياً وإما مضارعاً • ولولا خوف الإطالة
لضربت أمثلة ذلك ، ولكنها معلومة من النحو • وجميع ذلك الأصل فيه ماورد
به النقل •

وهذا هو جلّ علم المعاني • فقد ثبت أن البيان ليس بعقلي كما ادعاه ابن

= لابن أخت تأبط شرا خفاف بن نفيله يرثي خاله وكانت هذيل قتلته ، وقيل
إنه للشنفرى ، وقيل إنه لخلف الأحمر وقد تسبب إلى تأبط شرا ... » .
أما « العقد الفريد » ٢٩٨/٣ فقد نسبها إلى ابن أخت تأبط شرا « يرثي خاله
تأبط شرا الفهمي وكانت هذيل قتلته » .
وفي « طبقات ابن المعتز » ص ١٤٧ ما يلي : « وقال دعبل : قال لي خلف الأحمر
وقد تجارينا في شعر تأبط شرا وذكرنا قوله : « إن بالشعب الذي دون سلع .. »
أنا والله قتلها ولم يقلها تأبط شرا .

وفي الفيت المسجم ٢١٦/٢ نسبة إلى الشنفرى . وجاءت رواية البيت :

فاسقنيها أبا سواد بن عمرو إن جسمي من بعد خالي لخل

وورد في خزانة ابن حجة ص ٤١ للشنفرى . وفي عجزه « بعد خالي » .

زيادة من (ب) وهي ساقطة في الأصل . (١)

الأثير ، بل بعضه عقلي وبعضه نقلي • على أنه قد أورد الناس على علم المعاني فقالوا : إن كان بديها لم يحتاج إلى تعلمه وتدوينه ، وذكره مستغنى عنه ، وإن كان كسبيا افتقر إلى علم آخر ، ودار أو تسلسل • وما أفضى إلى ذلك فهو باطل •

وأجيب بأنه ليس الكل بديها فيلزم (١٥/أ) ذلك • بل البعض بديهي يدرك بالذوق السليم والذهن المستقيم ، والبعض كسبي يؤخذ بالنقل •

ولما كان الناس على ثلاث طبقات : الأولى أصحاب الطبع السليم وهم العرب الخللص الذين يوردون الكلام بسجيته موارده ، فهؤلاء مستغنون عن تعلمه لأنه لهم جيلة وفطرة • والطبقة الثانية الجفافة أصحاب الفظاظ والطباع النافرة الذين لا شعور لهم بمعاني الكلام ، ولا استعداد لهم لتحصيل ذلك ، فهؤلاء أيضا مستغنون عن تعلمه ، فإنه لا فائدة لهم فيه • والطبقة الثالثة هم المتوسطون ، بين هؤلاء وبين هؤلاء ، قد يصيبون تارة في أفكارهم وقد يخطئون • فهؤلاء هم الذين وضعت لهم هذه الآلة • فإذا راعوا قوانينها المدونة ، وحدودها المقررة ، كانوا أبعد عن الخطأ • وحينئذ لا تستغني هذه الطبقة عن تعلم هذه الآلة •

[تعليقات النحاة]

قال في هذا الفصل أيضا : « والذي تكلفه النحاة من التعليقات واهٍ لا يثبت على محك النظر » (١) •

أقول : قد أجابه ابن أبي الحديد في « الفلك الدائر » (٢) عن ذلك • ولكن ما أنضج القول معه ، ويحتاج إلى بقية تذييل • وهو أن يقال له : ما كأنك نظرت في هذا

(١) المثل السائر ١٢٠/١ والعبارة فيه : « هذه الأدلة واهية لا تثبت على محك الجدل ... » •

(٢) في المثل السائر ٩٢/٤ •

العلم حق النظر ورأيت ما ذكره ابن السراج ^(١) والرثماني ^(٢) وأبو علي ^(٣) والسيّراني ^(٤) ومن بعدهم مثل : ابن جني ^(٥) وما أتى به في كتاب « الخصائص » و « سر الصناعة » وابن الأنباري ^(٦) في « أسرار العربية » وغير ذلك من حسن التعليل لأحكام النحو ، والمناسبات التي أبدوها وإن كان في البعض تسامح لما أنهم التزموا بتعليل كل ما ورد عن العرب . وكما التزم أبو علي في « الحجة » بتعليل القراءات السبع ، وابن جني في « المحتسب » في تعليل القراءات الشاذة وليس كل ذلك ما يطابق قواعد النحو في الظاهر أكثر من قراءة أبي عمرو ^(٧) رحمه الله تعالى ، لأنه كان أقعدهم بالنحو . ولهذا شتّع النحاة على ابن عامر ^(٨)

- (١) ابن السراج هو محمد بن السري بن سهل أبو بكر . أحد أئمة الأدب والعربية (ت ٣١٦ هـ) انظر طبقات النحويين واللغويين ص ١٢٢ ، ووفيات الأعيان ٣٠٥/١ .
- (٢) الرثماني هو علي بن عيسى أبو الحسن . باحث معتزلي مفسر من كبار النحاة (ت ٣٨٤ هـ) انظر بغية الوعاة ١٨٠/٢ ، ووفيات الأعيان ٣٣١/١ .
- (٣) أبو علي الفارسي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار . أحد الأئمة في علم العربية . أقام مدة عند سيف الدولة (ت ٣٧٧ هـ) . انظر انباه الرواة ٢٧٣/١ . وكتابه الحجة طبع الجزء الأول منه حتى الآن .
- (٤) السيّراني الحسن عبد الله أبو سعيد . نحوي معتزلي عالم بالأدب (ت ٣٦٨ هـ) انظر وفيات الأعيان ١٣٠/١ .
- (٥) عثمان بن جني الموصلي أبو الفتح . من أئمة الأدب والنحو (ت ٣٩٢ هـ) . انظر ارشاد الأديب ١٥/٥ - ٣٢ ، ويتيمة الدهر ٧٧/١ . وكتبه : الخصائص وسر صناعة الإعراب مطبوعان أما المحتسب فالمطبوع منه الجزء الأول والثاني حتى الآن .
- (٦) ابن الأنباري . عبد الرحمن بن محمد أبو البركات . من علماء اللغة والأدب (ت ٥٧٧ هـ) انظر بغية الوعاة ٨٦/٢ ، ووفيات الأعيان ٢٧٩/١ . وكتابه أسرار العربية مطبوع .
- (٧) أبو عمرو بن العلاء . زيان بن عمار من أئمة اللغة والأدب وأحد القراء السبعة (ت ١٥٤ هـ) انظر وفيات الأعيان ٣٨٦/١ .
- (٨) ابن عامر، عبد الله بن عامر أبو عمران الشامي ، أحد القراء السبعة (ت بدمشق ١١٨ هـ) انظر تهذيب التهذيب ٢٧٤/٥ ، وميزان الاعتدال ٥١/٢ .

رحمه الله في قراءته المشهورة قوله تعالى « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم » • بتغيير زين لما لم يسم فاعله ، ورفع قتل مفعول له ، ونصب الدال من أولادهم على أنه مفعول المصدر الذي هو قتل ، وجر شركائهم لأنه فاعل المصدر وجره على الإضافة ، ولا يضاف المصدر إلا إلى فاعله •

فقد فصل ابن عامر بين المصدر وفاعله المضاف إليه ، وهو غير ما قرره النحاة • وأفرطوا في الشنّاع عليه ، وهو جائز • وقد جاء عن العرب كثيرا في شعرهم ، واستشهد له الشيخ جمال الدين^(١) بن مالك رحمه الله في «شرح الكافية» (١٥/ب) بشواهد عديدة ومنع الخصم بأن هذا الباب جائز في ضرورة الشعر ، وليس في القرآن ضرورة • وانتصر الكواشي^(٢) لابن عامر في «تفسيره» وأيد هذه القراءة •

وهذا شأن الفقهاء ، أكثر تعليلاتهم لما ورد في أحكام الشرع الشريف في غاية الحسن والقوة ، وفي بعض ذلك تسامح • كمن أراد تعليل بعض مناسك الحج فإنه ليس بقوي قوة غيره • والغزالي^(٣) في «الإحياء» تكلم في هذا كلاما حسنا ، وكذلك شأن المتكلمين ، فإن بعض أدلتهم لا تبلغ القوة فيما أتوا به • من حدوث العالم والنفس وإثبات الوجدانية وعدم الجهة • فقد تجيء معهم مسائل قليلة أدلتها عليه لا تبلغ في القطع والجزم وإلزام الخصم مبلغ تلك • ولولا ذلك لما وقع في النحو خلاف بين البصريين والكوفيين ، ولا بين أصحاب المذاهب في الفروع ، كالأئمة الأربعة ومن عداهم من الفقهاء التابعين وأصحاب الظاهر رضي الله عنهم اجمعين ، ولا بين

(١) جمال الدين • محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبائي • أحد الأئمة في علوم العربية (ت بدمشق سنة ٦٧٢ هـ) من كتبه «الألفية» في النحو انظر الوافي بالوفيات ٣/٣٥٩ ، وبغية الوعاة ١/١٣٠ وكتابه شرح الكافية مطبوع •

(٢) الكواشي • أحمد بن يوسف بن الحسن أبو العباس الموصلي ، عالم بالتفسير من فقهاء الشافعية (ت سنة ٦٨٠ هـ) انظر النجوم الزاهرة ٧/٣٤٨ ، ونكت الهميان ١١٦ •

(٣) هو محمد بن محمد أبو حامد الطوسي • فيلسوف متصوف ، حجة الاسلام (ت ٥٠٥ هـ) انظر طبقات الشافعية ٤/١٠١ ، ووفيات الأعيان ١/٤٦٣ • وكتابه إحياء علوم الدين مطبوع •

المتكلمين في أصول الدين من الأشاعرة والمعتزلة والإمامية والخوارج والحشوية .
وكأنه نظر إلى قول ابن فارس (١) صاحب « المجمل » :

مرت بنا هيفاء مجدولة تركية تعزى لتركبي
ترنو بطرف فاتن فاطر أضعف من حجة نحوي (٢)

ألم يعلم أن الشعر والخطابة يروج فيهما أدنى شبهة ، وتضيء فيهما أقل لمعة .
وقول الشاعر هنا إنما هو بالنسبة إلى الأمور الضرورية ، كتنافي الضدين . وأن
الواحد نصف الاثنين ، وأن الجسم الواحد لا يشغل الحيزين معا في وقت واحد
وما أشبه ذلك ، على أن من الناس من أنكر هذه البديهيّات وطعن في صحتها واعترف
بالحسيّات . ومن الناس من أنكر الحسيّات وطعن فيها وجزم بالبديهيّات . ومن
الناس من طعن فيهما وأنكر الحسيّات والبديهيّات وهم السوفسطائية .

حكى أن صالح (٣) بن عبد القدوس مات له ولد فمضى إليه أبو الهذيل (٤)
ومعه النظام (٥) وهو غلام حدث ، فرأى من جزعه فقال له : لا أعلم لجزعك وجهاً

(١) أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي ، كان إماماً في علوم شتى وخصوصاً اللغة .
وله شعر (ت بالري ٣٩٠ هـ) .

(٢) وبيته في وفيات الأعيان ٢٥١/١ ، ومعجم الأدباء ٨٧/٤ ، والنجوم الزاهرة
٢١٣/٤ وبغية الوعاة ٣٥٢/١ ، وبتيمة الدهر ٤٠٦/٣ ، والبداية والنهاية
٣٣٥/١١ ، وشذرات الذهب ١٣٣/٣ .

(٣) صالح بن عبد القدوس بن عبد الله . شاعر حكيم كان متكلماً يعظ بالبصرة .
اتهم بالزندقة وقتل سنة ١٦٠ هـ ، انظر فوات الوفيات ٣٩١/١ ، ونكت
الهميان ١٧١ .

(٤) أبو الهذيل العلاف محمد بن الهذيل بن عبد الله ، من أئمة المعتزلة (ت ٢٣٥ هـ)
انظر وفيات الأعيان ٤٨٠/١ ، ونكت الهميان ٢٧٧ .

(٥) النظام هو إبراهيم بن سيار أبو إسحق البصري . من أئمة المعتزلة ، شاعر
أديب بليغ (ت ٢٣١ هـ) انظر خطط المقرئ ٣٤٦/١ ، والنجوم الزاهرة
٢٣٤/٢ .

إذ كان الناس عندك كالزروع ! فقال صالح : يا أبا الهذيل ، إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب « الشكوك » فقال وما هو ؟ قال : كتاب وضعته ، من قرأه شك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن ، وفيما لم يكن حتى يظن أنه قد كان . فقال له النظام : فشك أنت في ابنك أنه لم يمت وإن كان مات واعمل على أنه عاش إلى أن قرأ الكتاب وإن كان ما عاش إلى أن قرأه . فبُهِتَ صالح وحُصِرَ (١٦/أ) .

وإذا كان الأمر ووصل في المكابرة إلى هذا الحد ، فما ظنك بمن يعلل رفع الفاعل ونصب المفعول وعمل (لم) الجزم و (إن) جزم الشرط والجزاء وغير ذلك . وباب الجدل مفتوح لكل من أراد أن يمنع شيئاً . ولهذا يقال : إذا ناظرت المعتزلي في مسألة الرؤية الزم جانب المنع ، ومن أراد أن ينكر شيئاً أنكره وأتعب خصمه ، فلا يستطيع أن يقهره .

وليس يصح في الأفهام شيء " إذا احتاجَ النهارُ إلى دليل " (١)

نعم إذا لزم خصمك الحق وقصدَه ظفرت منه بالمراد ، وجذبتَه بعد العناد إلى الصواب سلس القياد وإذا كان مُتَعَنِّتًا أو جاهلاً أو جاحداً ، فإنما تضرب في حديد بارد (٢) وقد ضيعت نفحك في الرماد .

وما يقوم لأهلِ الحبِ بينة " على بياض صباحٍ أو سوادِ مدجا

ويا بن الأثير : إن كانت تعليقات النحاة واهية لم تثبت على محك النظر ، فماذا الذي يثبت على محك النظر من تعليقات أصحاب المعاني وهي ما هي ؟ أكثر ما يستندون إليه شبه خطائية لا يقطع بها . ولو عورضوا فيها وقفوا في الكثير منها .

وكان الشيخ تقي الدين (٣) بن دقيق العيد رحمه الله تعالى يقول : علم المعاني

(١) البيت للمتنبي في شرح ديوانه - للبرقوقي - ٢٦٦/٣ . وهو أحد أبيات قالها في مجلس سيف الدولة يردّ على بعض الحاضرين .

(٢) انظر مجمع الأمثال (طبعة ١٩٥٩) ١٢٥/١ حرف التاء - وكتاب الأمثال لزيد بن رفاعه ص ٥١ .

(٣) تقي الدين بن دقيق العيد . محمد بن علي بن وهب أبو الفتح . قاض من أكابر العلماء (ت سنة ٧٠٢ هـ) انظر الدرر الكامنة ٩١/٤ ، وفوات الوفيات ٤٨٤/٢ .

والبيان إلى الآن بعد ما أنفضجت الطبيعة • حكى لي ذلك عنه الشيخ فتح الدين ابن سيّد الناس بالديار المصرية في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، فإنه تلميذه الخاص به •

وما أشك أنّ الكثير من الحجج النحوية أقوى وأقطع وأقرب إلى الجزم من الكثير من حجج أرباب المعاني ، بل ما بينهما صيغة أفعل • فأت في ذلك بحجة قاطعة : أو فدّع الأشياء مستورةً وادخل بنا في النسب الواسع^(١)

[ما يشترك فيه الكاتب والشاعر]

قال في الفصل التاسع في أركان الكتابة : « إن الكاتب من أجاد المطلع والمقطع ، أو يكون مبنيًا على مقصد الكتاب » • ثم قال : « وهذا يشترك فيه الكاتب والشاعر »^(٢) •

أقول : هذا فيه تسامح ، فإن الشاعر في كل وقت ما يفتتح قصيدته بما يدل على مقصوده • فإن من مدح يطلب الإرفاد والإعانة بمال أو مركوب أو شفاة أو طلب ولاية ، ثم صدر تلك القصيدة بغزل يصف فيه محبوبه ، أو وصف هوى أو غربة أو شوق أو مسير ، كيف يتأتى له ذلك ؟ • نعم إذا كان مدحا مجردا بلا غزل لاق به ذلك ، وأكثر ما يكون المدح مجردا من الغزل إذا كان في واقعة تجددت للمدوح فيهنّته الشاعر إما بولاية منصب أو بظفره بعدو أو بمولود أو بسلامة من حادثة

(١) البيت من مقطوعة قدّم لها السيوطي في تاريخ الخلفاء بأنّ « العزيز بالله ابن المعز في أول ولايته ، صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هناك ورقة فيها هذه الأبيات :

اننا سمعنا نسبا منكرا	يتلى على المنبر في الجامع
ان كنت فيما تدعي صادقا	فاذكر أبا بعد الأب السابع
وان ترد تحقيق ما قلته	فانسب لنا نفسك كالطائع
أو فدع الانساب مستورة	وادخل بنا في النسب الواسع
فان انساب بني هاشم	يقصر عنها طمع الطامع

وكذا وردت الأبيات في « الغيث المسجّم ١٣٤/١ » عدا البيت الأخير •

(٢) المثل السائر ١٢١/١ « ... وهذا الركن يشترك فيه ... » •

أصابته أو هناء بعافية أو بتثيف أو غير ذلك (١٦/ب) من مجدّدات الوقائع • ولولا خوف الإطالة ذكرت الشواهد على ذلك •

وأما الكاتب فإنه إن كتب إلى من هو دونه أو مساويه أو أرفع منه ، بحيث أنه تمكن مخاطبته بالدعاء ، فيحتاج إلى أن يكون الدعاء مناسباً لما يتضمنه الكتاب من شوق أو وحشة أو هدية أو استهداء أو شفاعة أو سؤال أمر أو شكر أو هناء أو عزاء أو ما هو بحسب الحال • وهذا النوع إنما حافظ عليه المتأخرون من الكتاب خصوصاً في التقاليد والتواقيع فإنهم راعوا ذلك • ولولا خوف الإطالة لأوردت من ذلك جملة كافية •

على أن هذا لا يحتاج أهل هذا العصر إلى التنبيه عليه ، لأن هذا الأمر قد اشتهر بين كتّابه • • وقد بقي هو الغاية المطلوبة من الكاتب • حتى إنه يقال : افتتح تقليده أو توقيعيه أو كتابه بكيّت وكيّت • ويذكر اسم صاحب التقليد في أول السجعة ، أو يتّبعه على معنى ما اشتمل عليه الكتاب • فمنهم السابق ومنهم المتقصر • وقد يتفق في غالب الأوقات اسم المكتوب له والوظيفة ، فينبه الكاتب على المعنى • ألا ترى ما أحسن قول (.....) (١) وقد كتب تقليداً بولاية العهد للسلطان الملك الأشرف (٢) صلاح الدين فقال : « الحمد لله الذي جعل الملك الأشرف صلاح الدين » • فما استعار له شيئاً • واتفق لي مثل هذا في توقيع كتبه لقاضي القضاة الحنفية عماد الدين علي بتدريس المدرسة القايمزية (٣) فقلت : « الحمد لله الذي جعل عماد الدين علياً » فما استعرت له شيئاً • وهذا كثير الاتفاق •

(١) بياض في الأصل بمقدار أربع كلمات وجاء في البداية والنهاية ٣٣١/١٤ أن كاتب الأسرار في تلك الفترة هو محمد بن محيي الدين بن عبد الظاهر •

(٢) الملك الأشرف هو السلطان خليل بن قلاوون صلاح الدين تولى الملك سنة ٦٨٩ هـ واغتيل سنة ٦٩٣ هـ • تم على يديه تطهير البلاد من الصليبيين • انظر فوات الوفيات ٣٠٠/١ •

(٣) نسبة إلى بانيها أحد أمراء المماليك قايماز بن عبد الله الزيني (ت ٥٩٥ هـ) •

وقول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر وقد كتب تقليدا بولاية العهد للسلطان الملك الصالح علاء الدين علي عن والده السلطان الملك المنصور ققال : « الحمد لله الذي شرف سرير الملك بعليه ، وحاطه منه بوصيه ، وعضد منصوره بولاية عهد مهديّة » وقول القاضي علاء الدين^(١) بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى في تقليد كتبه لركن الدين^(٢) (١٧/أ) بيبرس المظفر ، عندما تملك عن مولانا أمير المؤمنين أبي الربيع سلیمان أدام الله أيامه فافتتحه بأن قال : « انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم » .

وكتب فخر الدين^(٣) بن لقمان عن الملك السعيد^(٤) بن الملك الظاهر^(٥) رحمهما الله تعالى تقليدا بوزارة برهان الدين السنجاري ، افتتحه بقوله تعالى : « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم »^(٦) . وفي هذه اللمعة كفاية . ولكن قد ظهر أولا أن الشاعر لا يلزمه ما يلزم الكاتب من مراعاة المطالع .

[كيف يستفيد الكاتب المنشئ من التراث الأدبي]

قال في الفصل العاشر في الطريق إلى تعلم الكتابة : « الثاني أن يمزج كتابة المتقدمين بما يستجده لنفسه من زيادة حسنة : إما في تحسين ألفاظ أو تحسين معان »

- (١) علاء الدين بن عبد الظاهر . علي بن محمد بن عبد الظاهر . فاضل من القضاة (ت ٧١٧ هـ) انظر شذرات الذهب ٤٦/٦ .
- (٢) بيبرس المظفر ركن الدين من سلاطين المماليك (ت ٧٠٩ هـ) انظر النجوم الزاهرة ٢٣٢/٨ - ٢٧٦ .
- (٣) فخر الدين بن لقمان هو إبراهيم بن لقمان بن أحمد . وزير من الكتاب ، وهو الذي حبس في داره لويس التاسع ملك فرنسا سنة ٦٤٨ هـ (ت ٦٩٣ هـ) انظر النجوم الزاهرة ٣٦٦/٦ ، والبداية والنهاية ٣٣٧/١٣ .
- (٤) الملك السعيد هو محمد بركة ابن الملك الظاهر بيبرس من ملوك دولة المماليك خلع ومات في الكرك سنة ٦٧٨ هـ ، انظر النجوم الزاهرة ٢٥٩/٧ .
- (٥) الملك الظاهر بيبرس صاحب الفتوحات والآثار توفي في دمشق سنة ٦٧٦ هـ ، انظر فوات الوفيات ١٥٩/١ ، والنجوم الزاهرة ٩٤/٧ .
- (٦) سورة النساء ١٧٤/٤ .

ثم قال : « إلا أنّ هذه الطريق مستوعرة جدا ، ولا يستطيعها إلا من رزقه الله لسانا هجّاماً وخاطراً رقيّاماً ، وقد سهلت لي صعباتها وذلّلت فجاجها ، وكنت أشح بإظهار ذلك لما عانيت في نيّله من العناء » (١) .

أقول : وقد سلك هو طريقاً والقاضي الفاضل طريقاً :

عاجوا إلى تلفي وعجنت إلى الرضى شتانَ بين طريقهم وطريقي

فإن القاضي رحمه الله ، أذهل لما أسهل ، وابن الأثير سامحه الله أحزن لما أحزن ، على أن ابن الأثير أكثر ما جاء به في طريقه : حلّ المنظوم ، وتضمن الأمثال . وليس هو بأبي هذه العذرة ، ولا ناظم تلك الشذرة . وأين كلامه من كلام الوزير أبي الوليد (٢) ابن زيدون : ومن وقف على ترسله ، علم حسن توصله إلى هذا الفن ولطف توسله . لا سيما رسالته التي كتبها على لسان ولادة (٣) بنت المستكفي إلى الوزير أبي عامر ابن عبدوس ، والرسالة التي كتبها إلى ابن جهور (٤) (١٧/ب) يستعطفه بها . فإنه أتى في هاتين الرسالتين بالغرائب والعجائب ، وضمنهما من الأمثال والوقائع وحل الأبيات ما زاد ، وضّوع ندّه في كل نادٍ ، لأنه حشّر فيهما فنادى ، ونظم لآلئ ذلك توأماً وفرادى فجاءت كل رسالة .

يحركُ أعطاف المعالي سماعُها وتبعثُ أطرابَ النّهي وتهيجُ

وهناك يتعلم قدر هذا الرجل في اطلاعه ، وبسط ظلّه وغاية ارتفاعه . حتى قيل :

(١) المثل السائر ١٢٦/١ « ... يستجيده .. أو في تحسين .. رزقه الله تعالى .. . وقد سهلت لك صعباتها وذلّلت فجاجها .. لما عانيت من نيّله .. » .

(٢) ابن زيدون هو أحمد بن عبد الله الوزير الكاتب الشاعر المعروف ، صاحب ولادة (ت ٤٦٣ هـ) . انظر وفيات الأعيان ٤٣/١ ، وقلائد العقيان ٧٠ . ورسالتاه المشهورتان مطبوعتان .

(٣) ولادة بنت المستكفي بالله الأموي ، الشاعرة الأندلسية المشهورة بأخبارها مع الوزير ابن زيدون (ت ٤٨٤ هـ) انظر نفح الطيب ٣٣٦/٥ .

(٤) ابن جهور بن محمد بن جهور أبو الحزم ، تولى أمر قرطبة سنة ٤٢٢ هـ عرف بحزمه (ت ٤٣٥ هـ) انظر مطعم الأنفس ص ١٦ .

إن نشره أشبه منه بالمنظوم .

وقد نشر ابن خلف ^(١) الحماسة وزاد عليها في مجلدة وسَمَّها بـ « المنشور البهائي » ^(٢) وادعى فيه أنه هو الذي ابتدع حل المنظوم ^(٣) ، كما أن الخليل بن أحمد اخترع العروض .

وأما ابن الأثير ، فإنه أكثر من الحَلِّ ، وأتى فيه بما حرم وما حل ، وزاد من رقه في بروده ، وبالع من نظمه في عقوده .

والخَدُّ بهجته بخالٍ واحد وتقلُّ فيه بكثرة الخيلانِ

وأتى فيه بالسمين والغث ، وما جاء فيه بجديد إلا وقرنه بالرث . وحلَّ المنظوم إنما هو نوع واحد ، وقسم لو فقد ما كان عليه واحد ، وما لم تكن فيه خفة تروجه ، وحلاوة تقرنه بالسمع وتزوجه ، لم يعلق بالسمع قرطه ، ولم يجاز بالقبول شرطه . وما أمثله إلا بعقد نثرت حباته ، وروض صوّحت زهراته . فأى حسن لقريض خانة وزنته ، وأى نضارة لروض جفاه مثرنه . اللهم الا أن يكون المنشئ سليم الفطرة ، قويمة الفكرة ، يستدرك على الناظم ما فاتته ، ويرهف صارمه ويتقف قناته ، إما باحتراز ما لم يحد عنه ، أو الإتيان بملائم لم يتمكن لضيق الوزن منه ، أو باختصار ما (١٨/أ) يقوم المعنى بدونه ، أو بزيادة زهر غصونه ، أو بجودة سبكه ، أو بإتقان حبكه . وهنا تظهر القدرة المتمكنة ، وتكون أدلة الفصاحة بيّنه .

فليس لوصل من يدعى فيأتي عذوبة وصل من يدعى فيأبى

وأما القاضي الفاضل رحمه الله ، فإنه سلك طريقا غريبة ، وأظهر فنونا عجيبة ،

(١) ابن خلف هو علي بن محمد بن خلف . من جلة الكتاب والرؤساء . نشر كتاب الحماسة لبهاء الدولة (ت ٤١٤ هـ) انظر فوات الوفيات ١٥٠/٢ .

(٢) مخطوط في كوبروللي (١٢٩٨) استانبول ، انظر بروكلمان GAL S II 910

(٣) لا صحة لادعاء ابن خلف لو ثبت عنه فللامدي صاحب الموازنة المتوفى بالبصرة سنة ٣٧٠ هـ كتاب بعنوان نشر المنظوم . انظر معجم الأدباء ٨٥/٨ ، وانباه الرواة ٢٨٥/١ .

زعم بعضهم أنه كان جلُّ اعتماده على حفظ كلام ابن أبي^(١) الشخباء ، وأنه كان يستحضر أكثر كلامه ، وبعضهم زعم أنه اعتمد على كلام ابن أبي الخصال^(٢) ، وبعضهم زعم انه اعتمد على كلام البديع^(٣) وهيهات ، ليس في كلام واحد منهم تلك النسوة ، ولا لم تكلم غيره تلك الخطوة في نيل الخطوة ، ولا لمرسل حسنه الذي شقَّ قلوب الرجال إن لم يقطع أيدي النسوة . بينما هو يخاطبك بالكلام ، إذا به قد عطاك كؤوس المدام ، وبينما هو يناوح مهبك ، إذا به قد سحر لثبك ، وبينما هو يتكلم مثل الناس على العادة ، إذا به قد سرد الكواكب الوقادة ، وبينما هو قد ألفتك ظهره ، إذا به قد أدار لك المحيا ، وبينما هو يسايرك في الثرى ، اذا به قد تبختر عند الثريا .

فإن كان من دُرٍّ فما الدُرُّ هكذا وإن كان سِحراً ان ذا لعجيبُ

وها أنا أورد هنا من كلامه نبذة تكون لباقيه عنوانا ، وفلذة تكون بينه وبين غيره ميزانا ، من ذلك كتاب كتبه في وصف كتاب كتبه موفق الدين خالد^(٤) بن مذهب الدين القيسراني بذهب وهو :

« وقف الخادم على ما دبجته أنامل الحضرة التي إذا صاب سحابها روض ساعته ، وإذا عدمت حقيقة السحر فهي التي نفثها بيانته في روع يراعته ، فانتقل من الاستحسان إلى التسبيح لأن حروفه شذور السُّبح ، وخلص التفضيل من

(١) ابن أبي الشخباء هو الحسن بن عبد الصمد العسقلاني . كان القاضي الفاضل يحفظ أكثر خطبه ورسائله . وله شعر (ت بالقاهرة سنة ٤٨٢ هـ) انظر الأعلام ٢١٠/٢ .

(٢) ابن أبي الخصال محمد بن مسعود الغافقي . أندلسي يلقب بذي الوزارتين (ت ٥٤٠ هـ) انظر قلائد العقيان ١٧٥ - ١٨١ ، وبغية الوعاة ٢٤٣/١ .

(٣) البديع هو طراد بن علي بن عبد العزيز أبو فراس . برع في النظم والنثر (ت بمصر ٥٢٤ هـ) انظر فوات الوفيات ٤١٣/١ ، وإرشاد الأديب ١٩/١٢ .

(٤) موفق الدين القيسراني هو خالد بن محمد بن نصر . وزير من أعيان الكتاب . وزير بدمشق لنور الدين (ت ٥٨٨ هـ) . انظر البداية والنهاية ٣١/١٤ .

الترجيح بأول ما صافح الطرف من الطرّف واللمح من الملتح • فتناول منها جنة قد زخرت بنار ، وليلة قد وشّحت بنهار ، وروضة قد سقيت بأنهار عتقار ، وغصون أقلام قد فتحت بنوار نضار ، وعارض ذهب قد أذيب (١٨/ب) يكاد سنابرقه يذهب بالأبصار • فتعالى من أَلان لداود عليه السلام الحديدولها الذهب ، وأيقظ به جدّ هذه الصناعة بعد أن نام بين الأنام فهبّ ، وأعلم الناس أن القلم في يد ابن البواب (١) للضرب لا للطرب ، وأن قيمة كل منها ومنه ما به في هذه الصناعة كتب ، وحلاّها بتمام الدور وأعطاء ما أعطى أباه هلالا من المحاق ، وأخّر زمانها وقدّم زمانه ورزقها السبق وحرمه اللحاق •

فمن ألفات ألقت الهمزات غصونها حنائم ، ومن لام ألفات بعدها يحسدها المحب على عناق قدودها النواعم ، ومن صادات تقعت غلل العيون الصّوادي والقلوب الحوائم ، ومن واوات ذكرت بما في جنة الأصداغ من العطفات ، ومن ميمات دنت الأفواه من ثغورها لتنال جنى الرّشقات ، ومن سينات كانتا التأشير في تلك الثغور ، ومن دالات دالات على الطاعة لكتابها بانحناء الظهور ، ومن جيمات كالمناسر تصيد القلوب التي تخفق لروعات الاستحسان كالطيور ، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلد الأعين ، وخالد فيها خالد ، وتحيته فيها المحامد ، ويده تضرب في ذهب ذائب والخلق تضرب في حديد بارد • فهي اليد التي تنظم تيجان الملوك بدرّها ، وتظهر آية الكرم على قراطيسها بما تظهره من تبرها • وما كنت قبل يدها أحسب أن سحابا تمطر نضارا ، ولا أن ماء يستمد نارا ، ولا أن أقلامها سيوف قد سفكت دم المال فأجرته أنهارا ، ولا قبل لحظها أن الشفق لا يشفق من طلوع الفجر ، ولا أن لون الوصل ينفض على لون الهجر ، ولا أن الليل يتشبث بعطف البرق فلا يريم ، ولا أن ذهب الأصيل يجري به سواد الليل البهيم ، ولا أن يدا كريمة تدّعي من آيات قلمها ومعجزات كرمها أن الجلمود بها يفارق الجمود ، وأن

(١) ابن البواب • هو علي بن هلال أبو الحسن • خطاط مشهور هذب طريقة ابن منقلة (ت ببغداد سنة ٤٢٣ هـ) انظر وفيات الأعيان ٣٤٥/١ ، ومفتاح السعادة . ٧٧/١

البراعة تسير فرقدتها على الظمأ فيشافه منهل النضارة المورد ، وما كانت خطوط الفضلاء إلا تجربة بين يدي تحريرها الآن ، ولا أقلامها إلا حطبا أوقدته على الذهب فذاب لها ولأن ، ولا يحسب الخط إلا يحسب بيدها فغيرت له أثواب الحداد (١٩/أ) وجلت عرائس حروفه مضمخة الأجساد بالجساد ، وأطلعت إنسان عين الإحسان بدليل كونه لم يلمح إلا في سواد ، وسجد له والسجود فرضه لأنه دون التيجان ، وقبله والتقبيل حقّه لأن الجنان يحاور منه حور الجنان ، وكيف لا يتفضّل جواهرها بأن يتفصّل ، وتقابل حروفها بأن تقبل ، وقد كتب الناس باليد وكتب بالعين ، وحصل الناس من هذه الصناعة بعد حرب حنين على خفي حنين ، وفازت بما أظهرت من نروتها للشظائر من النضار ، وصحت لها الكيمياء ، لأنه كتب بشطر دينار سطرا بألف دينار ، وأن له في نهارها بل في أنهارها سبحا طويلا ، وأنها على خفة وزنها وقلة أسطرها لتكلف من الشكر عبئا ثقيلا ، وكيف لا يخف ميزان الثناء على أنهار حجته بذائب ذهب ، وكيف يضل وفد الشكر وقد هدته بذوائب لهب ، وقد نشره وطواه حتى كاد أن يخلّفه ، وأسام فيه ناظر لا يسأله ، فكان آخر ما تأمله أول ما رمقه ، ومأسى لافتائه يعبد مذهبه على حرف أو على ورقة ، وورّكه إذ يتقسى ورده فازداد عطشا على كثرة العلى والنهل ، وأعشاه إذ أغشاه وكثرة النور تعشى ناظر المقل •

ومن ذلك ما وصف به الخيام من جملة كتاب وهو :

« أما الخيام فقد بكيت وصارت أمشاجا ، ورقّت فخالطت كأس الغمام مزاجا ، ولقيت معنا الشدة وكانت شدتنا أن رأينا بها انفراجا • ففيها من السماء رقا ، وكأنما أخذها في شقّ الثياب سماع ، وإذا هبت الرياح فهي بتقدمها وتأخرها في نزع حثيث ، ونزغ من الشيطان خبيث ، طلقتنا وهي بعد في جبالنا ، وطعنت وهي (١٩/ب) بعد في عقالنا ، إن أرسلت الريح آية ظلت أعناقها لها خاضعة ، وإن قعدنا فيها فعلى قارعة الطريق وهي قاعدة على طريق القارعة ، وإن وقعت ليلا فما لوقعها الخافضة رافعة • بها للدهر جراح الإبر لا تقطبها ، ومنها على الدهر أطلال تصدقها العين تارة وتكذبها ، وقد فرجت سماؤها وانشقّت ، وأذنت لربها وحقّت • لم يبق في

أديمها بشرة تعاتب ، ولا في صبرها مُسكة تجاذب • كأنها وأخواتها إذا هبّت
الرياح المجرمون رأوا العذاب ، وتقطعت بهم الأسباب ، بحيث ترى حماها نافضا ،
والعارض قد دخل عليها على الحقيقة عارضا ، فعمّدها الأغصان هزّها البارح ،
وشرائطها الشّرار أطارّه القادح ، وأما إذا نشأت السحاب فسَلّت سيوف برقها ،
وسلسلت سيول وودقِها ، فإنها أمام تلك السيوف جرحى ، ووراء تلك السيول
طرحى • تودّ ماود ابن نوح يوم لا عاصم ، وتراها كبَطّ الماء ونحن بين غريق
وعائم • نضربها في كل يوم فوق الحَد ، ونأخذها في المصيف بحرب حرّ وفي
الشتاء ببرد برد •

ومن ذلك كتاب أصدره من بعين^(١) ، وهو : « المستقر ببعين ، حيث أخرجت
السماء أثقالها وفتحت من عزاليها أقفالها ، وركضت خيل الرُّعود لابسة من الغيم
جلالها ، وثوب الليل بماء الغمام غسيل ، وشبح الظلام بسيف البرق قتيل ، وغراب
الأفق في الجو باز ، إلا أنّه في قوس قزح ناز ، وكأن عقارب الظلماء بالثلج أفاع ،
فليكن ليل قرينتها ليل السليم ، وكأن مواقع الرعد قاع حلي الغواني فهو لا (٢٠/أ) ينّام
ولا يئنّيم ، وكأنّ الصباح قد ذاب في الليل قطرا ، وكأنّ البرق لما ساوى الغمام
بين صدي الليل والنهار قد قال آتوني أفرغ عليه قطرا ، وقد ابتل جناح الليل
المُعْدِف فما يطير ، وأبطأ حمام الصبح خلاف ما نحاه في رسالة نوح فما يسير ،
والرياح وقد أعصفت فقصفت عيدان نجد ورثمها ، وخیولها قد ركضها السحاب
فكان البرق تحجيلها ورثمها •

فأما الخيام التي قد نضجت جلودها بإيقاد الشمس واسودّت ، ثم نضحت
بدموع الغمام فتراخت أجفانها بعدما اشتدت • فما هي إلاّ أعين سال منها بالدموع
كحلّها ، وخیول دهنهم حلّ عنها بالرياح من الأطناب شكلها ، ولا يزال الخصام
بينها وبين الأهوية إلى أن تشق الثياب من حربها كما شقّها السحاب من طربها ،

(١) قال ياقوت « بعين بوزن خمسين ، بليد بين حمص والساحل . هكذا تلفظ
به العامة وهو خطأ وإنما هو بارين . انظر معجم البلدان ٤٥٢/١ (بعث) .

ونحن ندأب في عقد ظنَّـبها ، لندخل في عقد حَسَبها • وهيهات سلبت في البيكار
أشباحتها ، وخرجت بالرياح أرواحها • فالشمس إن طلعت ألقى الشرق جامات تقرّ
على العيان ، لا دنائير أبي الطَّيب التي تفر من البنان • ومالذت بجانبها الرياح ،
وأبت على الأطناب من إرسالها في عنان الجماح ، إلا أشبهت قطاة غرَّها شرك وقد
علق الجناح ، وقذاة هزَّها درك وقد أبت البراح •

وقد زادت السيول إلى أن صارت هذه الخيام عليها فواقع ، وهمهم الرعد قاريا
فاستقلت قيامها بين ساجد وراكم • وأنا فيها كعثمان^(١) في داره ، والخطب قد
أخذ في حصاره • فلا يزال نبِّل الوبل مغرّقا ، ولا أزال على نفسي من السيّل
مُخندِقا • وقد رجعنا إلى النشأة (٢٠/ب) الأولى فعُدنا في هذا الماء علكقا • ولا كفران لله
فإني ملقى على طرق الطَّوارق ، ملقا ماشاب العيش من فراق يشوب بالشَّيب
المفارق • وما كنت أخشى أن ينقلني الدَّهر من درجة مَجانِه المقتطفة ، إلى مدرجة
مَجارِيهِ المُجْتَحَفه ، ولن يرى أعجب منِّي ممحلا وأنا أشكو العُدران الغادرَة ،
ومجدِّبا أتظلم من ظلمات الليالي الماطرة • وقبح الله بعيرين ، وإن استجَنَّ أسد
الإسلام منها بعيرين ، وأنا بريء منها بعدد رمل يَبْرين •

ومن ذلك : « وتلك الجهة وإن كانت غريبة ، فإن الغرب مستودع الأنوار ،
وكنز دينار الشَّمس ومصبُّ أنهار النهار » •

ومن ذلك : « وبالجملَة ، إن كانت البلاغة دينًا فقد ألحد من لا يوحده
وإن كانت سيفًا فقد تعرَّض للحدِّ من لا يثقلده ، وإن كانت فراشًا فقد نثي عن
ظهر البلاغة مالا يلدّه » •

ومن ذلك : « فلو ملكتم الدَّهر لامتطينتم ليلايه أداهم ، وتقلدتم أيامه
صوارم ، ووهبتهم شموسه وبدوره دنائير ودراهم ، وأيامكم أعراس وكأَنَّه

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاص • ثالث الخلفاء الراشدين (ت ٣٥ هـ) ، الكامل
حوادث سنة ٣٥ هـ وهو يشير هنا إلى حادث مقتله رضي الله عنه •

ما تمَّ على الأموال فيها ما تمَّ ، والجود في أيديكم خاتم ونفس حاتم ^(١) في نقش ذلك الخاتم » .

ومن ذلك : « فَرَوَّحَ اللهُ تلكَ الرُّوحَ ، وفتحَ لها أبوابَ الجنَّةِ فهي آخر ما كانت ترجوه مِنَ الفُتُوحِ » .

ومن ذلك في شكر صنيعه : « والله إن صنيعته كالشمس وضوحاً لا أجحدها ، ولو جاز أن تعبد الشمس في دين الله لكنت أعبدُها ، فإنها شمس ما أَلقت يدا في كافر ، ولا وضعت يداً إلا في شاكر » .

ومن ذلك : « ولو بلغ القول مني إلى السَّمْعِ لما بلغ إلى القلب ، ولو رأيت سيفه (٢١/أ) خَضِيماً من مقره في صدري لما استشعرت الحرب ، ولو صمم على الضَّرْبِ لحركته حتى يصير من الضَّرْبِ لامن الضَّرْبِ » .

ومن ذلك : « والقلوب طيبة ، والغيوث صَيِّبَةٌ ، وقد صار على عطف كل زرع منها جَبيرة تتبرج وعلى أذن كل قَرِطٍ منها لؤلؤة تترجرج » .

ومن ذلك : « فلا عدمت تلك الأنفاس من النفائس ، وتلك العقائل العرائس ، وتلك الجواهر التي تسرني أن تفضح عرضي ، وتلك السهام التي هي والله غرضي » .
ومن ذلك : « ووثقنا بنجح الطلب ، وأمسكنا بقرون حماة فحصلنا على حلب حلب » .

ومن ذلك في ذكر النيل « يتدافع تياره دافعا في صدر الجذب بيد الخصب ، وترضع أمهات خلقه حتى أبنائها بالعصف والأب » .

ومن ذلك : « والمهامه قد نشرت ماملأها من ملاء السراب وزخَر فيها ما ولد لغير رشده على فراش السحاب » .

(١) هو حاتم بن عبد الله الطائي القحطاني . أبو عدي . فارس شاعر جواد من أهل نجد (ت ٤٦ ق هـ) انظر الشعر والشعراء ٢٤١/١ ، وخزانة البغداد ١/٤٩٤

ومن ذلك : « وإن يصفح عنه الصفح الجميل المألوف من هذا البيت ، فبصفحهم أمضى الله حدّهم ، وبغفوههم أنجح الله جهدهم ، وباتباعهم لأبيهم رحمه الله عليه أعلى الله سبحانه جدّهم » •

ومن ذلك : « والله بيننا وبين البَيْن ، فما أكثر فضوله ودخوله بين المحبّين » •

ومن ذلك : « وقد وصل كتابه الكريم جوابا بل ثوبا عن كتابي العافي ، وأسفر بشر صفحة بره المخفي وكل بشر لا إخفاء معه فهو بشر الحافي » •

ومن ذلك : « والقصائد أنا مترقّب وصولها بأي خطّ اتفق ، فعريبتها لا تقولها عجمة النّاقل ، ونور حقّها يُعرف من ظلمة الباطل ، وما يضر محاسن سحّبان^(١) أن تجري على لسان باقل^(٢) » •

ومن ذلك : « سعداً لا يُصوّح منه مرّ به الأخضر ، أمناً لا يحزّنه الفزع الأكبر ، مطاعاً بنفاز تصرّيفه (٢١/ب) الأبيض والأسمر ، محبوب القلم حتى لو عاداه السيّف قليل له إن شئت هو الأبر » •

ومن ذلك : « ولا أعدمني تفضله الذي تفض له صحائف التودّ » ، وتفاض عليه طرائف الحمد ، وعهده الذي جمع إلى بقاء الآس نضارة الورد ، وإلى رواء الروض ريّ الورد » •

ومن ذلك : « وإلى أن تنجلي عنا هذه الغمره ، وإلى أن تجف مناديل العيون فإنها كانت بالدموع عصره » •

ومن ذلك : « وفدّاه بأوليائه وإخوانه ، ولا كرامة لأعدائه ولا نعمة لحسّده ، وأبقى على الدهر سؤدده الذي أجار بنيه من سوء دكره » •

(١) سحبان بن زفر الوائلي ، خطيب يضرب به المثل في البيان ، أسلم زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يلقه (ت ٥٤ هـ) . انظر خزانة البغدادي ٣٤٧/٤ .

(٢) باقل هو من بني قيس بن ثعلبة الإيادي ، جاهلي يضرب بعينه المثل . مجهول الولادة والوفاة . انظر الاشتقاق لابن دريد ٢٧٤ .

ومن ذلك : « ورد من سيدنا كتابان شرحا الصدر وسُرا السّر وسرّيا الهَم ، ولقياني بالفتح ولقيتهما بالضم » .

ومن ذلك : « ورد المثال الشريف من الديوان العزيز ، فأبى له الضلالَ نوره ، وأنا له الهدى والهدو ، إسفاره وسفوره ، وجلا وجله مكلأ أمكته جبوته وحيرته ، وما عدت أن غدت جنته وجريه جنته وحيرته ، وراض طرف طرفة في روض أُنْفٍ أنْف أن يعبر عنه إلا عيره ، وحلا عنه الآثام وأحله الدرجات العُلا فهو سوارته وسوره وسريته » .

ومن ذلك : « قسمَ فعل ، وأجزَلَ فأفضل ، وبلَغَ فلم يكن في بلاغ بلاغ ، وفتَحَ زهراً ما كان مثله مما يطول اليه باع باغ ، فليله هو من كتاب وليله قلمه ، فهذا أو رد ما ساغ ، وهذا قلّد ما صاغ » .

ومن ذلك : « فأما الكتاب الى غريم الجمال فالله يجمع المال على الجمال ويريه من اتفاق هاتين السّجعتين حتى يكون الجمال الجَمّ المال » .

ومن ذلك : « والفضل بيد الله يؤتيه أهله ، وقد زاده منه فلا عَدَمَ فضله ، فما يجاريه مثجار إلا حَمَقَ وكان في طريق السّيل بَقْلَه » .

ومن ذلك (٢٢/أ) « كل لفظة موصولة بآتة ، وفي كل قلب من حزنه نار وفي كل دار من فضله جنة » .

ومن ذلك : « فما وصلت الى مكان العافية منه ، الا وقد امتنعت واقتنعت وقلت بقية السلف الوضّاح ، وسحاب الفضل حوشي أن يَضْفَ حتى يكاد يرفعه من قام بالراح » .

ومن ذلك : « وأغناه بحراسة لفظه عن احتراسه ، وأغنى الملك عن إعمال سهمه بقرطاسه » .

ومن ذلك : « وأدام سيادته على أهله ، وأعاذه بخصب رَحْله من محلّ محلّه ، ولا عدمنّا من لفظه ما يشهد أنه الشّهد حقاً لا نَحْلَة نَحْلِه ولا نَحِيلَة نَحْلِه » .

ومن ذلك : « وأهلك كل عدوٍ له وأذلك ، وجعل الحياة قذى وأذى له ، ووقفتَ منهما على البلاغة المَسْرودة المَوْضونة ، والجواهر الثمينة المَكْنونة ، والثمرات التي اجتناها من شجرة البلاغة الطيبة » ، وَنِ النَّاسِ مَنْ يَجْتَنِي مِنَ الشَّجَرَةِ الْمَلْعُونَةِ » •

ومن ذلك : « هو ذلك الفرعُ الذي سقاه حتى التفَّ في ورقه ، وخطر في سُنْدِسِهِ وإِسْتَبْرَقِهِ ، وشافه منه بياضَ الفَجَرِ بعدما كان لا يَظْفَرُ بِأَزْرَقِهِ » •

ومن ذلك : « وبات الناسُ بالحِصْنِ مُطِيفِينَ والنَّيرانُ بهم مُطِيفَةٌ وعليهم مُشْتَمَلَةٌ ، وعذباتُ ألسنتِها على وجهه مُسْدَلَةٌ وَمِنْ خَلْفِهِ مُسْبَكَةٌ ، ولِفحاتُها جَهَنَّمِيَّةٌ وقودُها الناسُ والحجارةُ ، والبلاءُ يَنَادِي طَبِيبَةً إِيَّاكَ أعني واسمعي يا جارة (١) » •

ومن ذلك : « ولا زالت الملوكُ يبابه وقوفاً ، والأقدارُ له سيوفاً • والخلقُ له في دار الدنيا ضيوفاً ، ودَيْنُنُ دِينِ الْحَقِّ يَعْلَمُ النَّاسُ إِذَا جَرَّدَ لِقَاضِيهِ سَيُوفًا أَنْ سَيُوفَى » (٢٢/ب) •

أقول : كيف رأيت هذه الدُّررَ المتسقة والمحاسن المتفقة ؟ هل أتى غيره بهذا التَّمَطُّ ، أو ظفِرتَ بهذه النُّكْتِ في ذخائر الكتابِ قط :

هذا كلامٌ عن الأملاكِ محتجبٌ فلا تَذِلُّهُ بِإِكْثَارِ عَلَى السُّوقِ (٢)

(١) المثل شطر من بيتين لسهل بن مالك الفزاري هما :

يا اخت خير البدو والحضارة كيف ترين في فتى فزاره
أصبح يهوى حرة معطاره إياك أعني واسمعي يا جاره

انظر القصة في الفاخر ص ١٥٨ - ١٥٩ ، ومجمع الأمثال ١/٦٦ - ٦٧ •

(٢) البيت في « تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون » للصلاح الصفدي الورقة ٣ وقد نسبته للمعري . انظر البيت في تعريف القدماء بأبي العلاء السفر الأول ص ٢٤٤ وفيه « هذا قريض » .

وسوف يرد له في أثناء هذا الكتاب ما تدور عليه كؤوسه ، وتشرق شموسته •

[الصفدي ينتقد ابن الأثير في بعض من إنشائه]

وأما قول ابن الأثير رحمه الله في هذا الفصل الذي قدمته : « إلا مَنْ ملكه لسانا هجّامًا وخاطرا رقامًا » •

فأقول : ما أدري ما أقوله في هذا ، أي مناسبة بين هجّام ورقام : ثم إن استعارة الرّقم للخاطر بعيدة ، وإنما الرّقم لليد حقيقة وللقلم مجاز • وما معنى اللسان الهجّام ، ولو قال لسانا قوّالا ، وخاطرا جوالا ، أو لسانا حادّ الغرّب ، وجنّانا لا يَهَابُ الحرب ، أو لسانا نظّاما ، وبَنانا رقاما ، أو ما أشبه ذلك لكان أحسن • قال في هذا الفصل : « ومن وقف على ما ذكرته علم أنّي لم آت شيئا فَرِيّا ، وأن الله قد جعل تحت خاطري مِن بنات الأفكار سَرِيّا ^(١) » •

أقول إنه هنا في مقام تعظيم لما أتى به في فن الكتابة من حل المنظوم والآيات الكريمة ، فقلوله : شيئا فَرِيّا ينافي هذا المقام ، لأن الفَرِي العظيم أو الشيء المخلّص المصنوع ، فإذا قال : ما أتيت شيئا عظيما ، أو شيئا مختلفا مصنوعا ، لم يكن ذلك مناسبا •

وأما السَّرِي فإنه النّهر الصغير ، ومن ذهب الى أنه عيسى عليه السلام ، بمعنى أنه واحد مِن سراة الناس ، فانه غلط منه ^(٢) •

قال لبيد ^(٣) يصف حُمُر الوحش :

(١) المثل السائر ١/١٢٧ •

(٢) انظر تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) ٥/٢٧ - ٥٢٨ ، وتفسير الطبري ١٦/٦٩ ومجمع البيان في تفسير القرآن ١٦/٢٥ •

(٣) لبيد بن ربيعة أبو عقيل العامري • أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية ، ويُعدّ من الصحابة (ت ٤١ هـ) انظر الشعر والشعراء ١/٢٧٤ •

فَتَوَسَّطَا عَثْرَ السَّرِيِّ وَصَدَّعَا مسجورةً متجاوزاً قِلاَمُهَا (١)

فالسَّريّ : النهر الصغير • والمسجورة : صفة للعين المملوءة •

وما أحسن قول أبي المقدام الخزاعي من جملة قصيدته المشهورة في اللّغز :

وَسَرِيّاً رَأَيْتُهُ وَسَطَ قَوْمٍ ماكثاً ما يريدُ عنهم زوالاً

تَشْرَبُ الْخَمْرَ دُونَهُ وَسَقَوْهُ حين دارت رَحَاهُمْ أَبْوالاً

السَّريّ : هو النهر الصغير وعليه سياق الكلام • وسياق الآية الكريمة يدل على بطلان قول من قال هو كناية عن عيسى عليه السلام لأنه تعالى قال : « وكلي واشترَبِي » أي كلي من الرُطْب الجني ، واشربي من النهر • وإذا ثبت هذا فما أدري ما معنى قوله « تحت خواطري من بنات الأفكار سرياً » فإن أراد الذي ذهب إليه مَنْ زعم السري هو عيسى عليه السلام ، فكان ينبغي له أن يقول سريّات لأنه صفة لبنات ، وإن كان المراد النهر فلا معنى له •

ولو قال : علم أنني امتلأت من ذلك رِيّاً ، وأن الله قد جعل تحت فكري من هذا النوع سريّاً (٢) •

قال أيضاً بعد ذلك : « والذي يعلمها منهم يرضى بالحواشي والأطراف ، ويقنع من لآلئها بمعرفة ما في الأصداف (٣) » •

أقول : ما أدري معنى هذه القرينة الثانية ما هو ؟ فإنه ما في الأصداف إلا اللؤلؤ ولو قال : ويترك اللآلئ ويضم الأصداف ، لكان أحسن •

قال : « ولو استخرج منها ما استخرجت ، واستنتج منها ما استنتجت لهام بها في كلّ وادٍ ، وتزود إلى سلوك طريقها كل زاد (٤) » •

(١) بيته من معلقته . ومطلعها :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبّد غولها فرجامها

المعلقات العشر ص ١٠٠ •

(٢) أغفل الصفدي جواب لو سهوا . وهو هنا غير جائز •

(٣) المثل السائر ١/١٢٧ •

(٤) المثل السائر ١/١٢٧ « ... واستنتج ما استنتجت ... » •

أقول : هذه السجعة الأخيرة محلولة باردة لا معنى تحتها • ولو قال : لهام بها في كل واد ، وارتفع لها في مظهر الربا وانخفض في مضر الوهاد ، لكان أحسن •

[ادعاء ابن الأثير الإبداع في رسالة له في ذم الشيب]

قال في هذا الفصل : ^(١) « ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن ذم الشيب فقلت :

« والعيش كل العيش في سنّ الحداثة ، وما يأتي بعدها فلا يدعى إلا بسنّ الغثاة ، وليس بعد الأربعين من مصيف للذة ولا مربع ، وهي نهاية القوة الصالحة من الطبائع الأربع (٢٣/ب) فإذا تجاوزها المرء أشفت ثمار عمره على خرصها ، وصارت زيادته كزيادة التصغير تدل على نقصها ، ويصبح بعد ذلك وهو يدعى أبا بعد أن كان يدعى ابنا ، وتقمص من المشيب ثوبا لا يجتر ذيله خيلاء ولا يزهى به حسنا • وإن قيل ان أحسن الثياب شعارا البياض قيل : إلا هذا الثوب فإنه مستثنى ، ويكفيه من الفطاعة أنه ينظر الأحباب إليه نظر القال ، ولولا أن الخمود بعده لما استعير له لفظ الاشتعال • ومن الناس من يدلس لونه بصبغة الخضاب ، وليس ذلك إلا حدادا على فقد الشباب ، وهو في فعله هذا كاذب ولا يخفى أنس الصدق من وحشة الكذاب • وخداع النفس أن تسلو عن بئر المعطلة وقصره المشيد ، ويحسن لها الخروج في ثوب مرقع وهي تراه بعين الثوب الجديد « ثم قال » وبعض هذا مأخوذ من شعر ابن الرومي ^(٢) • وهو قوله :

رأيت خضاب المرء بعد مشييه حدادا على شرخ الشبيبة يلبس ^(٣)
غير أن في هذا الفصل معاني كثيرة لا توجد في كلام آخر ^(٤) •

(١) المثل السائر ١/١٣٩ •

(٢) ابن الرومي هو علي بن العباس بن جرجيس الشاعر البغدادي المعروف توفى مسموما سنة ٢٨٣ هـ - انظر معجم الشعراء ص ١٤٥ •

(٣) البيت في ديوان ابن الرومي ص ٣٩٧ من مقطوعة في الخضاب • وجاء في شطره الأول « عند مشييه » •

(٤) المثل السائر ١/١٣٩ وما بعدها • والنص فيه : « ... التي هي زيادة تدل على نقصها ، وأصبح بعد ذلك يدعى أبا .. وتقمص ثوبا من المشيب لا يجسر ثوبه ... شعار البياض .. أن ينظر .. نظر القتال .. أنس الصادق .. كثيرة لطيفة .. » •

أقول : قد ادعى انه ابتكر ما فيه هذا الفصل من المعاني ، وأنا أذكر أياتا تدل على أخذ كلامه منها .
قال أبو الطيب :

آلة العيشِ صحةٌ وشبابٌ فإذا وَلَّيَا عن المرء وَلَّى^(١)

وقال التَّهامي^(٢) أيضا :

وَطَرِي مِنَ الدُّنْيَا الشَّبَابُ وَرَوَّعَهُ
فَإِذَا انْقَضَى فَقَدْ انْقَضَتْ أَوْطَارِي^(٣)

وقال ابن أبي حصينة^(٤) :

كَأَنَّ الْفَتَى يَرْقَى مِنَ الْعَيْشِ سُلَّمًا إِلَى أَنْ يَجُوزَ الْأَرْبَعِينَ وَيَنْحَطُّ^(٥)

(١) البيت في شرح الديوان للبرقوقي ٣/٣١١ من قصيدة قالها يعزي سيف الدولة بأخته الصغرى سنة ٣٤٤ هـ .

(٢) التهامي هو علي بن محمد بن نهد . أبو الحسن ، شاعر مشهور من أهل تهامة (ت بمصر سنة ٤١٦ هـ) . انظر وفيات الأعيان ١/٣٥٧ .

(٣) وبيته في ديوانه ص ٣١ من قصيدة قالها يرثي ابنا له . مطلعها :

حُكْمُ الْمَنِيَةِ فِي الْبَرِيَةِ جَارٍ مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بَدَارٍ قَرَارٍ

(٤) ابن أبي حصينه السلمي الحسن بن عبد الله أبو الفتح . شاعر من الأمراء ، ولد ونشأ في معرة النعمان (ت ٤٥٧ هـ) . انظر فوات الوفيات ١/٢٣٩ ، وإرشاد الأريب ٤/٦٤ .

(٥) بيته في ديوانه ١/١٠ من قصيدة قالها يمدح صالح بن مرداس وأنشدها بالرافقة سنة ٤٣٣ هـ مطلعها :

لَا يَةَ حَالٍ حَكَمُوا فِيكَ فَاشْتَطُوا وَمَا ذَاكَ إِلَّا حِينَ عَمَمَكَ الْوَحْطُ

ورواية البيت فيه :

كَأَنَّ الْفَتَى يَرْقَى مِنَ الْعَمْرِ سُلَّمًا إِلَى أَنْ يَجُوزَ الْأَرْبَعِينَ فَيَنْحَطُّ

وقال سبط^(١) التعاويذي :

وعلو السن قد ك... س... ر بالشيب نشاطي
كيف سموه عوا وهو أخذ في انحطاط^(٢)

وقال أبو الطيب في معنى ان زيادة التصغير نقص :

وكان ابنا عدو كائراه له يائي حروف أنيسيان^(٣) (٢٤/أ)
وما أحسن قول ابن قلاقس :

في أمر توقيعي وأمر سيرة أعيت على الفطن الفصيح الألسن
حكمت زيادته عليه بنقصه كالضيف لما ازداد فون الضيفن^(٤)
وقال أبو الطيب :

متى لحظت بياض الشيب عيني فقد رأت انتقاصي في ازديادي^(٥)
وقال ابن صردر^(٦) :

(١) سبط ابن التعاويذي ، هو محمد بن عبيد الله أبو الفتح . شاعر من أهل بغداد (٥٨٣ هـ) انظر نكت الهميان ص ٢٥٩ ، والنجوم الزاهرة ١٠٥/٦ .

(٢) وبيته في ديوانه ص ٢٥٧ من مقطوعة مطلعها :

لوت الستون عودي وحنا الدهر شطاطي

وفي ربحانة الألبا ٣١٥/١ .

(٣) شرح الديوان ٥٠١/٤ من قصيدة قالها يمدح عضد الدولة وولديه ، ويذكر طريقه بشعب بوان . مطلعها :

مغاني الشعب طيبا في المغاني بمنزلة الريع من الزمان

(٤) لم أعثر على البيتين في ديوانه (طبعة الجوائب ، بعناية خليل مطران سنة ١٩٠٥) .

(٥) شرح الديوان ٩٠/٢ ، وجاء شطره الثاني « فقد وجدته منها في السواد » .

(٦) ابن صردر ، وهو علي بن الحسن بن علي البغدادي أبو منصور . شاعر من الكتاب (ت ٤٦٥ هـ) انظر وفيات الأعيان ٣٥٩/١ .

لم أبك أن حلَّ المشيب وإنما أبكي لأنَّ يتقارب الميعادُ
شعرُ الفتى أوراقه فإذا ذوى جفَّتْ على آثاره الأعوادُ (١)
وقال ابن عبد ربه (٢) :

وإذا دعَوْنَكَ عمَّهنَّ فإنه نسبٌ يزيدك عندهنَّ خبالاً (٣)
وقال أبو الطيب :

أبعدُ بعدتْ بياضاً لا بياضَ له لأنْتَ أسودُ في عيني من الظلمِ (٤)
وقال الغزي (٥) :

أوهنتْ زهرةَ الحياة وأذوتْ زهرةَ العيشِ زهرةٌ في القَذالِ
كادَ يخفى عليَّ قبل اشتعال الـ . . . رأس أن الخمود في الاشتعالِ (٦)

قال : « ومن هذا المعنى قولِي أيضاً : وهو أخذ المكارم من سمائها وأرضها ،
وقام بنقلها في الناس وفرضها ، وتحلّى بأسماء الشهور حتى أصبح بعضها حاسداً

(١) البيتان في ديوان ابن صردر ص ٣١٦ . ورد في البيت الأول قوله :

« ان رحل الشباب » وهو الأصوب .

(٢) ابن عبد ربه . أحمد بن محمد أبو عمر . صاحب العقد الفريد ، شاعر من
أهل قرطبه (ت ٣٢٨ هـ) انظر وفيات الأعيان ١/ ٢٢٩ ، واليتيمة ١/ ٣٦٠
و ٤١٢ .

(٣) وبيته في معجم الأدباء (الحاشية) ٢١٢/٤ . وعند ابن خلكان ٢٣٢/١ وهو
في العقد ٤٨٢/٥ غير منسوب والبيت في الحقيقة للأخطل في ديوانه ٤٣ . وقد
ورد بدون نسبة في اللسان (قطع) ١٠/ ١٥٠ ، والإقناع للصاحب بن عباد ٢٨ ،
والمعيار للشنتريني ٤٦ .

(٤) شرح الديوان للبرقوقي ١٩٤/٤ . من قصيدة قالها في صباه . مطلعها :

ضيف ألم برأسي غير محتشم والسيف أحسن فعلا منه في اللمم

(٥) الغزي هو إبراهيم بن عثمان بن محمد . أبو إسحاق ، شاعر مجيد من أهل
غزة (ت بخراسان سنة ٥٢٤ هـ) انظر وفيات الأعيان ١/ ١٢٠ .

(٦) وبيتاه في مخطوطة ديوانه . وجاء في البيت الأول قوله :

« أذهبت زهرة الحياة » .

بعضها . فالمحرّم للعائذ بحرمه ، وصفر للطامع في مسعاة قدمه ، وربيع لرائد نواله ،
ورجب لأقوال عذّاله . وهذا مأخوذ من قول الفرزدق ^(١) (٢٤/ب) .

يداك يد ربيع الناس فيها وفي الأخرى الشهور من الحرام ^(٢)
وقد قال الشعراء في ذلك كثيرا ، ولكني أنا تصرّفت تصرفا لم يتصرفه أحد
غيري ^(٣) .

أقول : أي تصرف ، وما نكّر شيئا إلا وتعرف . وقد استعمل الناس أسماء
الشهور فجاءوا بها عذبة حلوة متمكنة . كقول القائل ^(٤) في بخيل :
تحلّى بأسماء الشهور فكفّته
وقال الآخر فأحسن كل الإحسان .

وشادن مبتسم عن حبّب^٥ مورّد الخد مليح الشنب^٥
يلومني العاذل في جبه^٥ وما درى شعبان^٥ أني رجب^٥ .

كانت العرب تسمى شعبان العاذل ، قبل الإسلام ، ورجب الأصم .

وما أحسن قول القاضي الفاضل رحمه الله : « تولى الله تحقيق مقصده ،
وترويق مَوْرِدِه ، وتشبيد مباني أسعده ، وتخليد مغاني سؤدده ، حتى تنتظم مواهب

(١) الفرزدق هو همام بن غالب التميمي أبو فراس الشاعر المعروف ، عظيم الأثر
في اللغة (ت ١١٠ هـ) انظر طبقات الفحول لابن سلام ص ٧٥ ، والأغاني
٣٢٤/٩ .

(٢) والبيت في ديوانه ٢٩٤/٢ من قصيدة قالها يمدح هشام بن عبد الملك مطلعها :

الستم عائجين بنا لعنا نرى العرصات أو أثر الخيام

(٣) المثل السائر ١٤١/١ « .. أيضا قولي .. وتحلى ببعض .. في سعادة .. من
المحرم .. الا أني أنا تصرفت في هذا المعنى تصرفا لم يتصرف فيه .. » .

(٤) القائل هو الغزي . ورد في مخطوطة ديوانه من قصيدة . وجاء في الشطر الأول
منه « تسمى بأسماء الشهور » كما ورد في الخريدة قسم شعراء الشام ٦/١ ،
وكذلك في حاشية معجم الأدباء ١٠٣/٦ ، ٣٣٨/١ ، وفيها جميعا ورد غير
منسوب إلا في حاشية الخريدة .

(٥) البيتان في « الفيث المسجم » ٢١٥/٢ .

الله لديه مثني وفرادى ، ويلبس أمن رجب في شعبان وخصب ربيع في جمادى » •
 وقوله أيضا : « فهو الماء إلا أنه الزلال ، والسحر إلا أنه الحلال ، والورْد النضر
 إلا أنه بعيد العهد من الملال ، وأيام الوقوف عليه أيام أعياد بين طهارة رمضان
 وخصب شوال » • وقوله أيضا ويعود إلى ذكر كتابه : « فسجد لمجرا به وسلم ،
 وحسب سطورره مباسم تتبسم ، ووقف عليه وقوف المحب على الطلل يكلمه ولا
 يتكلم ، وهطل جفنه وقد كان جمادى بدمعه وقد كان على خدّه المحرم » •
 وقول ابن سناء الملك :

نشيطة حسن القد والخدر والحتلى فلم زعموا أن المليحة مكسال°
 أطل على نسكي بها جهل صبوتي فيا رمضان قد أظلك شوال° (١)
 (٢٥ / أ)

وأما استعمال أسماء الشهور موراة ، فمن أحسنها قول القاضي محيي الدين
 عبد الله بن عبد الظاهر :

إياكم ان تنكروا جعفراً ذاك الخيالي وأصحابه°
 فيل مصر كم له جعفر° مخيل يخرج في بابه°
 ما أصنع هذين البيتين وألطف هذا التخييل •
 وقول ابن قزل (٢) :

(١) ديوان ابن سناء الملك ص ٦٢٧ من قصيدة قالها يمدح الملك الكامل ابن الملك
 العادل . مطلعها :

على خاطري يا شغله منك أشغال وفي ناظري يا نوره منك تمثال
 وجاءت رواية البيت الثاني :

أطل على نسكي بها جهل صبوتي فيا رمضان قد أظلك شوال

(٢) ابن قزل هو علي بن عمر بن قزل سيف الدين ، شاعر من أمراء التركمان ، كان
 مشد الدواوين بدمشق (ت ٦٥٦ هـ) انظر فوات الوفيات ١٢٨ / ٢ .
 وشد الدواوين : أن يكون متوليها رفيقا للوزير متحدثا في استخلاص الاموال
 وما في معنى ذلك « انظر صبح الأعشى ٢٢ / ٤ » •

قد ضجرنا من ماء تل العجول
ومن المحنة التي نحن فيها
وكرهنا سماع قال وقيل
حر تموز آب في أيلول
وقول أسعد بن مماتي^(١) :

قد نفت السحر السحر
وبل كافور الندي
وأشبه الزهر الزهر
ثياب أوراق الشجر
والعندليب مذ رأي
محرّم الروض صفر
وقول السراج^(٢) الوراق من أبيات :

وأراد اطفاء السرا
وحوى بها طوبى فصا
ج بها فضاغت التهابه
ر حديثنا في الناس بابه
وقول ابن الساعاتي :

ليوسف يوسف "إن أزمّة" عرضت
كلّ الشهور ربيع من فواضله
يخشى فيترجى وفي أحكامه عمر
حيث الخزائن من أمواله صفر^(٣)

[مناقشة مثال لابن الأثير]

قال : « ومن ذلك ما ذكرته في استصلاح مودة » وساق الفصل وفي آخره :
« والصبر خير ما استعمل في جفاء الإخوان ، والماء إذا جرى في مكان ثم انحرف
عنه فلا بد وأن يعود إلى ذلك المكان »^(٤) .

أقول : ما أدري ما معنى هذا . فإن الماء إذا انحرف عن مكان ، إنما ينحرف

(١) أسعد بن مماتي هو أسعد بن مهذب بن مينا أبو المكارم . وزير أديب شاعر
كان ناظر الدواوين بمصر (ت سنة ٦٠٦ هـ) انظر الخريدة قسم شعراء مصر
١٠٠/١ ، ومعجم الأدباء ٢/٢٤٤ .

(٢) سراج الدين الوراق . عمر بن محمد أبو حفص . شاعر اشتغل بالكتابة ،
ديوانه كبير اختار منه الصفدي « لمع السراج » (ت سنة ٦٩٥ هـ) انظر فوات
الوفيات ٢/٢١٣ .

(٣) البيتان لا وجود لهما في ديوان ابن الساعاتي .

(٤) المثل السائر ١/١٤٨ « ... أن يعود ... » .

باستفحال الموضع الذي انحرف إليه (٢٥/ب) عن الموضع الذي انحرف عنه • إما بأخدود يحفر ، أو بتهدم من نفس الأرض • وحينئذ يرجع الماء القهقري وينعطف عن المرتفع ، وينحدر إلى المنخفض • هذا الذي يفهم من لفظة انحرف الماء • ومتى كان الأمر كذلك فلا يعود الماء إليه ، اللهم إلا أن يدعي أن مدد الماء يقوى دفعه فيزيد إلى أن يعلو المنخفض ، ولم يجد له حيزا يشغله غير ذلك الذي انحرف عنه • وهذا غير مفهوم من مجرد كلامه •

ولو قال : « فإن الغيث إن أقلع صوبه عن مكان ، فلا بد وأن يعود في وقت إلى ذلك المكان » • أو « فإن الماء إذا جفا موضع جريته في وقت ، فلا بد أن ينعطف على ذلك المكان » • أو « إذا قطعت سقياء عن مكان » أو ما ناسب ذلك ، غير لفظة « انحرف » •

وما أحلى قول القاضي الفاضل : « وقد يعود الماء إلى مشرعه ، والكوكب إلى مطلعته » •

وما أحسن قول القائل في معنى قول ابن الأثير :

سأصبرُ صبرَ الحرِّ من غير قدرةٍ على الصبرِ لكنَّ من طريقِ التَّجَمُّلِ
لعلك يوما أن تردَّكَ رحمةٌ عليَّ فتلقاني بوجهِ التَّفَضُّلِ

[مناقشة مثال آخر لابن الأثير]

قال : « ومن ذلك ما ذكرته في وصف الخمر وهو : الخمر لا تفي لذّة إسكارها بتنغيص خمارها ، فهي خرقاء البنان ، بذية اللسان ، وتأنيثها يدلّك أنّها من ناقصات العقول والأديان • وقد عُرِفَ منها سُنَّةُ الجَوْرِ في أحكامها ، ولولا ذلك لما استثارت من الرؤوس بجناية أقدامها • وهذا أحسن من قول الشاعر وأغرب وألطف ، لأنه قال :

ذكرتُ حقائقَها القديمةَ إذ غدتُ زمنًا تداسُ بأرجلِ العُصَّارِ
لأنتُ لهم حتى انتشَوْا وتمكنتُ منهم فصاحت فيهمُ بالشارِ^(١)

(١) المثل السائر ١٥٠/١ « .. إلا بتنغيص .. خرقاء البيان » وجاء في البيتين « وهنا تداس ، فتحكمت فيهم فنادت فيهم بالشار » •

أقول : أما إضافة البنان واللسان والعقل والدين إلى الخمر ، فإنه من الغريب وأغرب من ذلك أن جعل للرؤوس أقداما ، وأغرب من هذين كونه يدعي (٢٦/أ) أن كلامه ألطف وأحسن وأغرب من قول الشاعر ، والفرق مثل الصباح ظاهر • وكأنه أراد أن يدّ معاقرها خرقاء ، ولسانه بذية ، وعقله ودينه ناقضان ولو نسب ذلك [إلى] ^(١) النثمان في ذم الخمر لكان قادحا فيها • وإنما ^(٢) إضافة الجوارح والعقل والدين إليها فغير جائز إلا بتأويل بعيد إلى الغاية •

وما أحسن قول أبي تمام :

خرقاء يلعب بالعقول حبايبها كتلاعب الأفعال بالأسماء ^(٣)
وقول القائل :

وصف المدامة شاربوها أنها تحوي السرور وتطرد الهما
صدقوا هفت بعقولهم وبدينهم أرايت عادم دين مفتما
وقول ابن سناء الملك :

عروسكم يا أيها الشرّب طالق وإن فتنت من حسنها كل مجتلي
دفعت لها مالي وعقلي مُعجلا فقالت وجنات النعيم مؤجلي ^(٤)

(١) ساقطة في الأصل واستدركت من : « ب » .

(٢) في : م ، ب « وإنما » وفي هامش ب « لعله وأما » .

(٣) ديوان أبي تمام ٣٣/١ من قصيدة قالها يمدح محمد بن حسان الضبي ومطلعها :

قدك اتّيب أربيت في الفلّواء كم تعذلون وأنتم سجرائي
وجاء في عجزه « كتلاعب الأفعال » .

(٤) ديوان ابن سناء الملك ٥٧٧ . والبيتان فيه لا ثالث لهما . وجاء في صدر الثاني « دفعت لها عقلي ومالي » - أما في الخريدة ٩٦/١ فقد ورد في البيت الثاني : « دعت لها عقلي وديني مقدما » .

قيل : إن سليمان ^(١) بن عبد الملك ناول نصيبا ^(٢) قَدحا • فقال • يا أمير المؤمنين ، إنما وصلت إليك بعقلي فإن رأيت أن لا تفرّق بين عقلي وبينني فعلت ^(٣) [وقول] ^(٤) السّرّاج الوراق •

شؤم أم الخبائث الخمر شوم" جاوز الحد فاستمع ما يَعدُّ
فلها في الدنانِ حبس" وللرا ووق صكّب" وللمعاقرِ جلد
وأما قوله : « فاستثارت من الرؤوس بجناية أقدامها » • الضمير لا يخلو : إيمان
يعود إليها أو إلى الرؤوس وكلاهما غير جائز •
وما أحسن قول ابن زهر ^(٥) إلا شبيلي :

وموسّدين على الأكف خدودهم قد غالهم في الشكر ما قد غالني
ما زلت أسقيهم وأشرب فضلكم حتى سكرت ونالهم ما نالني
والكأس تعلم كيف تأخذ ثارها إني أملت إناها فأمالني ^(٦)
وقال أبو تمام من قصيدة :

إذا اليد نالتها بور تر توقّرت على ضغنها حتى استقادت من الرجل

- (١) سليمان بن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ، حاول فتح القسطنطينية (ت ٩٩ هـ) انظر الطبري ٢٧٢/٥ و ٣٠٤ .
- (٢) نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان ، شاعر مقدم في النسيب والمديح (ت ١٠٨ هـ) انظر الأغاني ١/٣٢٤ - ٣٢٧ .
- (٣) انظر تفصيل الخبر في العقد الفريد ٦/٣٣٩ .
- (٤) زيادة يقتضيها السياق .
- (٥) ابن زهر الإشبيلي . واسمه محمد بن عبد الملك بن زهر الإباضي أبو بكر أخذ الطب عن أبيه وعرف بالحفيد ابن زهر . ترك مؤلفات طبية وله شعر رقيق وموشحات (ت ٥٩٥ هـ) انظر المغرب ١/٢٦٦ .
- (٦) وأبياته في معجم الأدباء ١٨/٢٢٥ . وجاء البيت الثالث « والخمر تعلم حين تأخذ ثارها » .

وتَصْرَعُ ساقِها بِإِنصافٍ شَرِّبَها وصرعَهمُ بِالْجَوْرِ في صورة العدل^(١)
وأما قوله : « وتأنِشها يَدُكَ أَنها من ناقصات العقول والأديان » • ما أحسن
ما استعمل المتنبي هذا في وصف الدنيا فقال :

شِيمُ الغاياتِ فيها فما أدري لَذا أَتَتْ اسمَها الناسُ أم لا^(٢)
قال : « ومن ذلك ما ذكرته في الحث على الاعترا ب وهو : لولا التَّغْرِبُ ما ارتقت
بنات الأَصْدا ف إلى شرف الأعناق ، ولا ارتقى تراب الأحجار (٢٦ / ب) إلى نور
الأحدا ق » ثم قال : « وكذلك قولِي في هذا المعنى وهو : في الانتقال تنويه لخامل الأقدار
ولولا ذلك لم يُكسَّ الهلالُ حلة الإبدار ، والمندَلُ الرطب حطب في أوطانه ،
والمسك دمٌ في سُرُكِرِ غِزْلا نه ، ولولا فراق السَّهْمِ وَكَتَره لم يحظ بفضل الإصابة ،
ولولا فراق الوَشِيحِ مَنبِتَه لم يتحلَّ بعِزِّ البَنانِ ولا شرف الذُّؤَابَةِ •

وهذا الفصل فصل من القول في معناه ، ومما لم يتسن للخواطر ابتناء مبناه • فمنه
ما هو مأخوذ من الشعر ، ومنه ما سنح به الخاطر على غير مثال وهو يشهد
لنفسه^(٣) » •

(١) البيتان في ديوانه (د . عبد الحميد يونس ص ٣٥٨) .
وفيه البيت الثاني « فتصرعهم بالجور » . ووردا في « شرح المشكل من شعر أبي
تمام » الورقة ٦٦ .

وأما في « طبقات ابن المعتز » ص ١٦٤ فقد جاء قوله وابن أبي طاهر هو القائل :
إذا اليد نالتها بضغن توقرت على ضغنِها ثم استقادت من الرجل

وتابع قوله : « وقد روي هذا البيت في قصيدة لأبي تمام ، والبيت لابن أبي طاهر » .

(٢) شرح الديوان للبرقوقى ٣/٣١٣ من قصيدة قالها يعزّي سيف الدولة بأخته
الصغرى وأنشدها سنة ٣٤٤ مطلعها :

ان يكن صبرُ ذي الرزية فضلا تكن الأفضلُ الأعزُّ الأَجْلا

وجاء في روايته « فلا أدري .. » •

(٣) المثل السائر ١/١٥٧ « .. لما ارتقت ... الإبدار .. بعز اللسان .. مما لم
ينبش للخواطر .. » • وهذا في رواية المثل با دي الخطأ .

أقول : قوله ارتقت أولا ، وارتقى ثانيا فيه عي لتكراره • ولو قال في أحدهما ما اتصل أو ما سما أو غير ذلك لكان أحسن • وكذا ابتناء مبناه ، ومثل هذا يعاب في الكلام • وقد عيب على صاحب (١) بن عباد قوله :

أَشَبَّبُ لَكْنَ بِالْمَعَالِي أَشَبَّبُ وَأَنْسَبُ لَكْنَ بِالْمَفَاخِرِ أَنْسَبُ
وَبِي صَبُوةٌ لَكْنَ إِلَى حَضْرَةِ الْعَلَا وَبِي ظَمًا لَكْنَ مِنَ الْعِزِّ أَشْرَبُ (٢)

وسميت القصيدة التلاكنية لكثرة ترداد « لکن » فيها •

وكل هذه المعاني تداولها الشعراء وأكثرها منها • من ذلك قول ابن صرد دُر :
قَلْقَلْ رَكَابَكَ فِي الْفَلَا وَدَعِ الْغَوَانِي لِلْقُصُورِ
لَوْلَا التَّغْرُبُ مَا ارْتَقَى دُرُّ الْبُحُورِ إِلَى النُّحُورِ (٣)
وقول سبط التعاويذي :

قَالُوا انْتَرَحْ وَتَغْرَبْ تَكْتَسِبُ شَرْفًا فَالْدُرُّ مَاعَزَّ حَتَّى فَارَقَ الصَّدْفَا (٤)
وقول ابن قلاقس :

سَافِرٌ إِذَا حَاوَلْتَ قَدْرًا سَارَ الْهَلَالُ فَصَارَ بَدْرًا
وَالْمَاءُ يَكْسِبُ مَا جَرَى طَيِّبًا وَيَخْبُثُ مَا اسْتَقَرَّا
وَبَنْقَلَةُ الدَّرَرِ الْغَيْبُ سَةِ بَدَّلَتْ بِالْبَحْرِ نَحْرًا (٥)

وابن قلاقس وابن الأثير رحمهما الله تعالى من أهل عصر واحد • فإن ابن قلاقس

- (١) صاحب بن عباد هو إسماعيل بن عباد الطالقاني • وزير أديب واسع العلم (ت بالري ٣٨٥ هـ) • أنظر وفيات الأعيان ٢/٢١٦ •
- (٢) وبيتاه في ديوانه ١٩١ ، وفي الغيث المسجم ١١٥/١ •
- (٣) ديوان ابن صرد ص ٢١٠ •
- (٤) ديوان التعاويذي ص ٢٩٣ من قصيدة يمدح بها ابن رئيس الرؤساء سنة ٥٥٧ هـ مطلعها : لم يبق فيك لمشتاق إذا وقفا إلا اذكرك رسوم تبعث الأسفا
- (٥) في « الغيث المسجم » ٥٠/٢ •

توفي سنة سبع وستين (٢٧/أ) وخمسائة (١) • وابن الأثير توفي سنة سبع وثلاثين وستمائة ومولد ابن قلاقس سنة اثنتين وثلاثين وخمسائة ، ومولد ابن الأثير سنة ثمان وخمسين وخمسائة • فعمّر ابن الأثير أكثر •

وقول ابن الساعاتي وهو من أهل عصره :

وكنّ غانيا عن كل أرض بأختها وإن حلّ مغناها كواعب عين
فلولا فراق الدّرِ أصداف بحرِه لأنكره نحرٌ وصدّ جبين^(٢)
وقول القائل : (٣) •

الأسد لولا فراق الغاب ما افتَرست° والسهم لولا فراق القوس لم يثُصبِ
والتّبّر كالشرب ملقى في موطنه والعود في أرضه نوع من الحطب^(٤)
وقول أبي العلاء المعري :
والسمهرية ليس يشترّف قدرُها حتى يسافر لدنّها عن غابِه^(٥)
وقلت أنا من هذه المادة :

سافر تلو عزا فما مسك الوري إلا دما في شرّة الغزلان
والرمح لما فارق الوطن اغتدى بذؤابة خفقت وتاج سنان^(٦)

(١) في « م » : وستمائة والصواب من « ب » وانظر إرشاد الأديب ٢١١/٧ ، وابن خلكان ١٥٦/٢ والدليل على هذا أيضا قوله بعد ذلك : فعمّر ابن الأثير أكثر .

(٢) في الفيث المسجم ٦٨/٢ .

(٣) القائل هو الإمام الشافعي .

(٤) وبيتاه في ديوانه (سيد الأهل ١٩٦٦) ص ١٣ ووردا غير منسوبين في الفيث المسجم ٦٨/٢ .

(٥) البيت في تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٣٨ .

(٦) في الفيث المسجم ٦٩/٢ وفي عجز أولهما « إلا دم » . وهو الصواب لوجود « إلا » .

وقلت أيضا :

سافر تنل رتبَ الفاخر والعلا كالدّر سارَ فصارَ في التيجانِ
وكذا هلالُ الأفقِ لو ترك السرى ما فارقتُهُ معرةُ النقصانِ (٢٧/ب) (١)

قال : « ومن ذلك ما ذكرته في ذمّ الدنيا وهو : أنكاد الدنيا مشوبة بالأشياء التي جُبِلَت النفوسُ على حبّها ، وكل ما تستلذه الأبدان من مأكّلها فإنه يضرها من جهة طبها ، ولهذا تدمم من منفعة الهليلج ومضرة اللوزينج • وأعجب من ذلك أنه لا ينتفع الإنسان بشيء من لذتها إلا ضرته من جهة ثوابه ، فهو كالذي ينتفع باصطلاء النار وهي محرقة لأثوابه • وقد ضرب لذلك مثل من الأمثال ، وقيل إن كل ما ينفع الكبد مضر بالطحال (٢) » •

أقول : انظر إلى هذه الركة والعامية ، ألا تراه أشبه شيء بكلام العجائز قوابل النساء إذا أخذن يعظن ويضربن الأمثال ، أكذا توصف الدنيا في حالة الذم : أتراه ما سمع بشيء من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا قال له رجل : صِف لنا الدنيا فقال : « ما أصف من دارٍ أولها عناء ، وآخرها فناء ، حلالها حساب وحرامها عذاب ، من استغنى فيها فتن ومن افتقر حزن » (٣) ولا بشيء من بعض أقوال الحكماء فيها كقول بعضهم : « الدنيا أمل بين يديك ، وأجل مُطلّ عليك ، وشيطان فتان ، وأمانى جرّارة العنان ، تدعوك فتستجيب ، وترجوها فتخيب (٤) » •

أما سمع بزهديات أبي نواس التي منها :

وما الناسُ إلا هالكٌ وابن هالكٍ وذو نسبٍ في الهالكين عريقٌ —

(١) في الغيث المسجّم ٦٩/٢ .

(٢) المثل السائر ١٦٣/١ وفيه : « .. ولهذا يدمم من منفعة .. بشيء من لذاتها .. » .

(٣) انظر العقد الفريد ١٧٢/٣ .

(٤) المصدر السابق .

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق^(١)

حتى إن الرشيد - أو المأمون - قال : « لو وصفت الدنيا نفسها ، ما وصفت بأكد من قول أبي نواس^(٢) . أما سمع بشيء من أقوال أبي العتاهية^(٣) ، وصالح ابن عبد القدوس ومحمود الوراق^(٤) ، ومن (أ/٢٨) تعرض لدمها من الشعراء كالمتنبي وأبي تمام وغيرهما . . أما سمع بقول الزمخشري « تحلّين لهم ثم تمرّين ، وتحلّين لهم ثم تمرّين » . الأول من الحلاوة والمرارة ، والثاني من الحلول والمروءة . أما وقف على رسائل المعري في ذم الدنيا . أليس يقول في بعض رسائله : « فلو كانت الدنيا عروسا لطلقت ولكنها أم » أملت ، يحثبها ولدّها على العقوق ، وتصدّهم عن إدراك الحقوق ، مالنا ومالك أم دفرّ أما أما يقنعك هلاك الوفر : أعيتني بأثر ، فكيف بدّر دّر . ستوتني غانية ، فكيف بك عجزوا فانية ، وهيهات ما أصابك الهرم ولا البرم ، وإنما ذلك لأبنائك الذين شربوا من إنائك . . . » وهي طويلة أتى فيها على ذكر من دَرَج من أعيان الأمم . وهي من الرسائل الطنانات .

ويقول ابن الشبل^(٥) البغدادي .

إنما نحن بين ظفر ونابٍ من خطوب أسودهن ضراء
تتمنى وفي المني قصر العم ر فغدو كما نسر نساء
صحة المرء للسقام طريق وطريق الفناء هذا البقاء

(١) ديوان أبي نواس ٤٦٥ وفيه :

أرى كل حي هالكا وابن هالك وذا نسب في الهالكين عريق

(٢) القائل هو المأمون . انظر شذرات الذهب ١/٣٤٥ .

(٣) أبو العتاهية واسمه إسماعيل بن القاسم الشاعر المعروف ، مكث سريع الخاطر

(ت بغداد سنة ٢١١ هـ) انظر الشعر والشعراء ٧٩١/٢ ، والأغاني ١/٤ .

(٤) محمود بن حسن الوراق أكثر شعره في المواعظ والحكم (ت حوالي ٢٢٥ هـ) انظر حماسة ابن الشجري ١٤١ ، وفوات الوفيات ٥٦٢/٢ .

(٥) ابن الشبل البغدادي واسمه محمد بن الحسين . شاعر حكيم له ديوان

(ت ٤٧٣ هـ) انظر الواقي بالوفيات ١١/٣ ، وكشف الظنون ٧٦٦ .

بالذي نغتذي نموت ونحيا أقتل الدماء للنفوس الدواء
 ما لقينا من غدرٍ دنيا فلا كان نت ولا كان أخذها والعطاء
 صلفٌ تحتِ راعدٍ وسراب كَرَعَتْ منه مومِسٌ خرقاءُ
 راجعٌ جودها عليها فمهما يَهَبُ الصبحُ يستردُّ المساءُ
 وقليلًا ما تصحب المهجةُ الجسد همٌ ففيم الشقا وفيم العناء
 قبح الله لذةً لشقانا نالها الأمهاتُ والآباءُ
 نحن لولا الوجودُ لم نألم الفقر د فإيجادنا علينا بلاءُ (١)

دع كل ذا • أما وقف على الخطب الثابتية ورأى كلامه فيها ويحذو حذوه
 (٢٨/ب) ويتلو تلوه حتى يقول : الهليلج واللوزينج والكبد والطحال • والناس
 يذكرون مثل هذا ، ولكن يدرجونه في عبارة تكون مفحلة لها وقع في النفس •
 قال : « ومن ذلك ما ذكرته في الزهد وهو : الناس في الدنيا للساعة الراهنة ،
 كما أن النفوس ليست فيها بقاطنة » (٢) •
 أقول : ما أدري معنى التشبيه هنا ما هو •• ووجه العلاقة في ذلك • فإن قوله :
 كما ، الكاف للتشبيه ولا نسبة بين : انهم أبناء الساعة الراهنة ، وبين أنهم يزولون •
 ولو حذف لفظة « كما » لاستقام المعنى ، لأنه يعود : والنفوس فيها ليست بقاطنة •
 ألا ترى أن بعض الناس عاب على أبي الطيب قوله :
 لبَسَ الثلوجُ بها عليّ مسالكي فكأنها بياضها سوداءُ

(١) أبياته في الفيت المسج ٢٨/٢ ، وفي فوات الوفيات ٣٩٤/٢ ، وفي الوافي ١٢/٣ من قصيدة مطلعها :

غاية الحزن والسرور انقضاء ما لحى من بعد ميتٍ بقاءُ

وجاء في البيت الرابع « بالذي نغتذي » وفي السادس « كَرَعَتْ فيه » وفي السابع « تهب الصبح » .

(٢) المثل السائر ١٦٣/١ .. أبناء الساعة الراهنة ، وكما ... » .

وكذا الكريم إذا أقامَ ببلدةٍ سالَ التُّضارُ بها وقامَ الماءُ (١)

وقال : بأي شيء شبه إقامة الكريم وما تقدمه ما يناسب ذلك : والجواب عن ذلك : انه لما قال إن الثلوج سدت المسالك عليه فرجعت ببياضها سوداء • شبه ذلك بالحالة التي تكون للكريم أنه يسيل به جامد التُّضار ويجمد مائع الماء • فهذا الاتضاد كذاك • وهذا الموطن مما يسأل عنه من شعر المتنبي •

قال في آخر هذا الفصل : «وغاية مطلوب الإنسان أن يُمَدَّ له في عمره ، ويُمَلَى له في امتداد أثره • أما تعبيره فيعترضه المشيب الذي هو عدم في وجود ، وهو أخو الموت في كل شيء إلا في سكنى الثلجود ، والجوارح التي يدرك بها الشهوات ترى وكلُّ منها قد تحول ، وأصبح كالطُّلل الدَّارِس الذي ليس عنده من مَعْوَل • فلا ليلى بليلى ولا النوار ، ولا الأسماع الأسماع ولا الأبصار الأبصار (٢) » •

أقول : وهذا من ذلك النمط في الركة والسماجة ، خصوصا هذا الأخير : لا يخفى على (٢٩/أ) من كان عنده أدنى نباهة ويسير ذوق انحلال هذه الألفاظ وسقوطها • وكأنه أراد أن يحذو حذو أبي تمام حيث قال :

لا أَنتِ أَنْتِ وَلَا الدِّيَارُ دِيَارُ جَفَّ الهوى وتَقَضَّتِ الأوطارُ (٣)

ولكن أين الثرى من الثريا ، ويا بعد ما بين القفا والمحيا • ومن النصف الثاني تعلم فائدة التكرار في النصف الأول •

(١) شرح الديوان للبرقوقي ٢١/١ من قصيدة قالها يمدح هارون الأوراجي الكاتب مطلعها :

أَمِنْ أَزْدِيَارِكَ فِي الدَّجَى الرِّقْبَاءُ إِذْ حَيْثُ أَنْتِ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ

(٢) المثل السائر « ... مطلوب الإنسان منها .. في مدة عمره .. في امتداد كثره .. فالجوارح التي يدرك بها الشهوات ترى .. ولا النوار بالنوار .. ولا الأسماع أسماع ولا الأبصار أبصار » •

(٣) ديوان أبي تمام - عزام ١٦٦/٢ • والبيت مطلع قصيدة قالها يمدح أبا سعيد الثغري وجاء الشطر الثاني « خف الهوى وتولت الأوطار » •

ومن العجيب أنه قال في النوع الرابع في تأكيد الضميرين ، وقد أورد قول أبي الطيب :

قَبِيلٌ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ وَجَدُّكَ بَشَرٌ الْمَلِكُ الْهَمَامُ^(١)

« لم أورده اختياراً له ، وإنما مثلت به ليعلم تأكيد المنفصل بالمنفصل • وإلا فالبيت ليس بالمرضي لأن سبكه سبك عاري من الحسن^(٢) » •

أقول : فليت شعري - أي طلاوة على قوله هو : أما أبو تمام فإنه خاطب نفسه كالمنكر ما كان منه في شغفه بتلك الديار التي وقف عليها بعد سئلوه وتقضي أوطاره • وحق له أن يقول : لا أنت ذاك الذي كنت أولاً ، ولا هذه الديار تلك التي كانت أولاً • يعني كأن نفسه أصبحت غير تلك والديار بدلت بصفة أخرى •

وما أحسن قول الحظيري^(٣) الوراق :

تركتك فامضِ إلى مَنْ تحبُّ ففعلك برّد نارَ الجوى
وقبّحك الغدر في ناظريَّ وغودر عودُ الهوى قد ذوى
وصرتُ أراك بعينِ السئلوّ وكنت أراك بعينِ الهوى

ومن المعلوم أن العين ما تغيرت في ذاتها ، ولا كانت ثمّ عين وبدلت غيرها • إنما السئلوّ (٢٩/ب) أوجب أن يثريه بعين القبح ، والحب أوجب أن يريه بعين الحسن •

(١) شرح البرقوقى ٢٥٥/٤ من قصيدة يمدح بها المغيث العجلي : مطلعها :

فؤاد ما تسليه المدام وعمر مثل ما تهب اللثام

(٢) المثل السائر ١٩٨/٢ « وهذا البيت لم أمثل به اختياراً له واستجادة ... ليعلم مكان تأكيد .. ليس من المرضى .. » •

(٣) الحظيري الوراق ، واسمه سعد بن علي بن القاسم الأنصاري • أديب من أهل بغداد • له ديوان شعر (ت ٥٩٨ هـ) انظر وفيات الأعيان ١١٩/٦ •

ومن هذا قول (... (١) •

وعينُ الرضى عن كل عيبٍ كيلةٌ • كما أن عينَ السخَطِ تبدي المساويا
وهذا دائر على ألسنة الناس • يقولون في مَنْ يتغيَّر عليهم منه صفة من الصفات :
كأنه راح وجاء غيره • وهذا من أبي تمام في غاية الحسن في بابه •

وأما قول أبي الطيب ، فتحته من المعنى ما يكسوه حسنا فائقا ، لأن هذا من
أمدح ما يكون للقبيلة التي ذكرها ، لأنه قال : قبيلة أنت منهم ، وأنت أنت ، معناه :
فيا لها من قبيلة لأنك أنت منهم وأنت ذاك العظيم • فأخَّر المعطوف عليه عن المعطوف
كقوله :

... • عليك ورحمة الله السلام • (٢)

وقدره الشيخ تاج (٣) الدين الكندي تقديرا آخر ، وهذا أحسن مع الضرورة
التي فيه وكان ابن الأثير رحمه الله ، لح معنى الأبيات التي وردت لبعض شعراء
« الذخيرة » لابن بسام (٤) وهي :

(١) لم يرد بعده اسم القائل والبيت لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر في
عيون الأخبار ٧٦/٣ من قصيدة مطلعها :

رايتُ فضيلاً كان شيئاً ملفتاً فكشفتُه التمحيصُ حتى بدا ليا
والرواية عنده :

فعين الرضا عن كل عيب كيلة • ولكن عين السخَط تبدي المساويا
وورد كذلك في الكامل للمبرد ٢١٢/١ • وورد منسوباً إلى المتنبي في التمثيل
والمحاضرة للثعالبي ص ١٣٠ استناداً من المحقق إلى واحدة من نسخ المخطوطة
لديه • والصواب أنه لعبد الله بن معاوية كما تشير الأدلة •

(٢) عجز بيت للأحوص ، وصدره « الا يا نخلة من ذات عرق » انظر خزانة الأدب
للبيدادي ١٩٢/١ ، والخصائص ٣٨٦/٢ ، وشرح شواهد المغني ٢٦٣ ، وأمالى
الزجاجي ٨١ وأمالى ابن الشجري ١٨٠/١ •

(٣) تاج الدين الكندي واسمه زين بن الحسن بن زيد الحميري • أديب
من الكتاب الشعراء العلماء (ت بدمشق ٦١٣ هـ) وفيات الأعيان ٥٢/٦ •

(٤) ابن بسام • علي بن بسام الأندلسي • أبو الحسن • أديب من الكتاب الوزراء
(ت ٥٤٢ هـ) انظر الذخيرة مقدمة الجزء الأول ، والمغرب (دار المعارف) ١٧/١ •

أصبحت رمة تزايل عنها فصلها الجوهري والعرضي
وتلاشى كيانها الحيواني وأودى يائها المنطقي
وقوى عقله الثلاث تلاشت إن ذا كله لأمر خفي
والحواس الخمس التي كن فيه وإدراكهن فعل وحي
ذهبت تلكم الصفات جميعاً ومُحال أن يذهب الأزلي^(١)

فأراد أن يأتي بهذا المعنى فأفسده ، وهدم ما جاء به هذا الشاعر وشيده . وبعض
الناس يدعي أن هذه الأبيات للرئيس أبي^(٢) علي بن سينا ، وابن بسام أثبتها في
« الذخيرة » لبعض المغاربة . ولكن قصيدة الرئيس في النفس التي أولها :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تغزّر وتمنع
في غاية الحسن ، وما لأحد مثلها في بابها ، وشهرتها تمنع من سردها . وقد اعتنى
بها الفضلاء وخمّسوها وشرحوها .

وما أحسن قوله وقد ذكرها عند الموت :

وكانها برق تآلق بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع

[نماذج من إنشاء ابن الأثير والنقاش حولها]

قال : « ومن ذلك ما ذكرته في وصف كلام بالفصاحة ، وهو فصل من كتاب
فقلت :

« وله البيان الذي يفيض من نسق الفريد (٣٠/٤) ولا تخلق نضرة لباسه

(١) ليست موجودة فيما طبع من الكتاب حتى الآن .

(٢) ابن سينا هو الحسين بن عبد الله الفيلسوف صاحب التصانيف في الطب
والطبيعة والفلسفة . تقلد الوزارة في همدان وله شعر (ت ٤٢٨ هـ) انظر
وفيات الأعيان ٥/٥ والبيت مطلع قصيدته في النفس .

الجديد ، وهو فوق الكلام المتجيد ، ودون القرآن المجيد ^(١) » •

أقول : ما رأينا من مدح كلام ولا قرظه بمثل هذا • وفي أفانين المديح وضروب الثناء عن ذلك مندوحة ، ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم • ومع هذا فما سمعت أحدا مدح آخر فقال له : أنت دون النبي عليه السلام • لأن لفظة دون وأقل وتحت ما تستعمل في جانب الممدوح • وكلام الله تعالى قد تقرر وثبت أنه ليس في قدرة البشر أن يأتوا بسورة منه ، فكل كلام دونه •

فقوله : كلام دون القرآن المجيد لا معنى تحته لأنه من باب تحصيل الحاصل • ومثل هذا عند الشيخ جمال الدين بن مالك ومن تابعه ، لا يطلق عليه كلاما لأنه ما أفاد فائدة تامة لم تكن عند المخاطب كقولك : السماء فوق الأرض لأنه معلوم عند كل أحد • فإن قلت : أراد بذلك الأدب • قلت ما ضاق المجال عليه ، ولا حصره ضيق المقام إلى هذا حتى يحتاج أن يأتي بما يحترز فيه • وما أوقعه في ذلك إلا لفظة المجيد والمجيد وطلب الجنس •

قال : « وإذا اختصروا صفة قال : إنه يستميل سمع الطروب . » ويستخف وقار القلوب ويتمثل آيات بيضا من غير ضم إلى الجيوب ، ويثرى في الأرض غير لاغب إذا مس غيره فترة اللغوب ^(٢) » •

أقول : إذا كان يستميل سمع الطروب ، فما في هذا كبير مدح ، وذلك أن صيغة فعول مبالغة فيمن يطرب • ولا يقال طروب إلا لمن يميل لأدنى لذة ، ويتحرك لأقل نعمة • مثل : أكل وشروب لكثير الأكل والشرب لما يمر به • وإذا كان الذي يميل إلى الطرب ويتكرر ذلك منه ، يطرب لهذا الكلام فما في هذا مزية توجب مدحه ، ولهذا قيل : المستعد للشيء يكفيه أدنى سبب ، وإنما المدح أن يقال : يستميل من لا يرتاح للطرب • كما قال في الثانية : « ويستخف وقار القلوب » •

(١) المثل السائر ١٦٦/١ « ... الذي يغض منه .. ولا يخلق .. فوق كلام .. » .

(٢) المثل السائر ١٦٦/١ « .. ويستحق وقار القلوب .. آيات بيضاء .. وأن يرى في الأرض .. » ورواية المثل مرجوحة كما هو واضح .

فإن هذا هو المعهود في المدح • فإن قلت : هذا يرد على البحري في قوله : (٣٠/ب)
 مستميل "سمع الطروب المعنى عن أغاني معبد^(١) وعقيد^(٢)
 قلت : هذا مما يؤيد ما قلته ، لأنه قال : يستميل سمع الطروب المعنى عن سماع
 معبد وعقيد اللذين هما أصل الغناء • وإذا كان يلفت من هو بهذه الصفة عن
 لذته إلى سماعه ، كان ذلك مدحا فهو من باب يستخف الحليم ويثصبى الناسك •
 وما خلاص هذا للبحري إلا بقوله : عن أغاني معبد • ولو قال ابن الأثير : يستميل
 الطروب عن أغانيه بفصاحته ، لما أوردت عليه هذا الإيراد • وهذا الذي قلته هو
 المعهود في المدح •

ألا ترى قول النابغة^(٣) الدياني :

لو أنها عرضت لأشمط راهب
 لرنا لبهجتها وحسن حديثها
 عبَدَ الإلهَ ضرورة متعبد
 ولخاله رَشَدًا وإن لم ير شُد^(٤)
 وقول امرئ القيس :

إلى مثلها يرنو الحليم صَبَابَةً إِذَا مَا سَبَكَرَّتْ بَيْنَ دِرْعٍ وَمِجْنَوَلٍ^(٥)

- (١) معبد بن وهب أبو عباد المدني • نابغة الغناء العربي في العصر الأموي (ت ١٢٦ هـ)
 انظر الأغاني ٣٦/١ - ٥٩ •
- (٢) ديوان البحري (دار المعارف) ص ٦٣٧/١ من قصيدة يمدح بها محمد بن
 عبد الملك الزيات مطلعها :
 بعض هذا العتاب والتفئيد ليس ذم لوفاء بالمحمود
- (٣) النابغة الدياني واسمه زياد بن معاوية أبو أمامه • الشاعر المعروف كان الشعراء
 يحكمونه في سوق عكاظ (ت حوالى ١٨ ق هـ) انظر الأغاني ٣/١١ •
- (٤) وبيتاه في ديوانه ص ٥٤ •
- (٥) ديوان امرئ القيس ص ١٨ والبيت من معلقته ، ومطلعها :
 قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحو مل
 وكذا في المعلقة السبع ص ٢٦ ، والمعلقة العشر ص ٦٩ •

وما أحسن قول كشاجم^(١) في عَوَّادة ، من أبيات :

دارت° ملاويه فيه فاختلفت° مثل اختلاف اليدين شَبَّكتنا
لو حرَّكته وراء° منهزم° على بريدٍ لعاج° والتفتنا^(٢)
وقلت أنا :

جَسَّت° مثاني عودِها بأناملٍ عشت° بلُبة الخاشع المتورع
وشدَّت° فلو شاءت عذوبة° لفظها عَطَمَت° عِنانَ البارِق المتسرع
وعجبت° من ريح الصَّبَا إذ لم تقف° طربا ولكن° ما لها أذن° تعي

وأما قوله : « ويرى في الأرض غير لاغب » ، ما سمعت بمن مدح الكلام الفصيح
بمثل هذا ، والكلام لا يوصف بإعياء ولا لغوب . ولكن هذا من باب إضافة العقل
والدين والجوارح للخمر في الفصل الذي تقدم . أترأه ما علم أن اللغوب من صفات
الأجسام ولواحقها عند الحركة وإدمانها ، فإن الكلام لا يتعب وإنما التعب لجارحة
من تكلم به ، والكتاب لا يتعب وإنما يتعب الكاتب الذي خطّه .

وما أحسن قول القائل :

إذا أخذَ القِرطاس أو دَعَّ طِرْسَه خميْلَه زهر أو قِلادةَ جوهرٍ (٣١/أ)
حَمَى كلَّ فِكْرٍ عن عِرَائِرٍ رَوِيَه وحَطَّ عن الأقلامِ ثِقْلَ التفكيرِ

(١) كشاجم هو محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك أبو الفتح شاعر من كتاب
الإنشاء . وكان من شعراء سيف الدولة (ت ٣٦٠ هـ) انظر الديارات ١٦٧-١٧٠ ،
وشذرات الذهب ٣٧/٣ .

(٢) بيتاه في ديوانه ص ١٧ من قصيدة مطلعها :

جاءت بعودٍ كأنَّ نغمته صوتُ فتاةٍ تشكو فراقَ فتى
ورد في البيت الأول « .. فاختلفت مثل اختلاف الكفين .. » .

وفي البيت الثاني « على بريد العجلاء لالتفتا » .
وكذلك في الديارات للشابشتي ١٦٨ وجاء عنده في عجز الثاني « لعاج » كما
رواها الصفدي .

فإن كان ابن الأثير أراد الكاتب الذي صدر عنه هذا الكتاب الذي وصفه ، فليس في سياق الكلام ما يدل عليه .

وقد عاب الوحيد ^(١) على أبي الطيب قوله :

كلُّ السيفِ إذا طالَ الضِرابُ بها يَمَسُّها غيرَ سيفِ الدولةِ السَّامِ ^(٢)

وقال : « السَّام لا يلحق السيف إلا أن يكون جاء به استعارة في موضع كلال الحد »

قال : « ولما وقفت عليه قلت : سبحان مَنْ أعطى سيدنا فلم ييخل ، وخصه بنبوة البيان إلا أنه لم يَرْسَل ، ولولا أنَّ الوحي قد سُدَّ بابُه لقليل هذا كتاب مُنزَل ، ولقد خار الله لأولي الفصاحة إذ لم يحيوا إلى عصره ، ولم يثبَلوا بداء الحسد الذي يَصْلِيهم بتوقد جمره ، ولئن سلموا من ذلك فما سلِمَت أقوالهم من أقواله التي محَّتْها محو المِداد ، وقد كانت باقية من بعده فلما أتى صارت كما صاروا إلى الأُلحاد ^(٣) » .

أقول : في هذا من اساءة الأدب ما فيه ، وللإنسان عن مثل هذا المدح مندوحة تخرجه من هذه المضائق .

وقوله : « وخصه بنبوة البيان إلا أنه لم يرسل » مأخوذ من قول أبي العلاء المعري :

لولا انقطاعُ الوحي بعد محمدٍ قلنا محمدٌ من أييه بديلٌ

(١) الوحيد هو سعد بن محمد المعروف بالوحيد البغدادي ، أديب له « شرح ديوان المتنبي » (ت ٣٨٥ هـ) . انظر إرشاد الأديب ٢٣٣/٤ ، وبغية الوعاة ١/٥٨٠ .

(٢) شرح الديوان - البرقوقى . ١٦٧/٤ من قصيدة أنشدها سيف الدولة سنة ٣٤٥ وهي آخر ما أنشد بحلب . مطلعها :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك في إقدامك القسم

(٣) المثل السائر ١/١٦٦ « .. ولقد خاراه الله ... ولم يثبَلوا بداء الحسد ... وقد كانت باقية من بعدهم .. » .

هو مثله في الفضل إلا أنه لم يأتِه برسالة جبريل^(١)
وقد كَتَفَرَّ قائل مثل هذا •

قال : « وإنَّ لكلِّه طعما يُعرف مذاقه من بين الكلام ، وخفة الأرواح معلومة من بين ثقل الأجسام ، فلو لم يعرف بطعمه عرف بوسمه ، والصبح لا يتمارى في إسفاره ، ولا يفتقر إلى دليل على أنواره • وقد علم أن العرق يعرف بغصنه ، وأن القول يعرف بلحنه (٢) » •

أقول : قوله : « وإنَّ لكلِّه طعما يُعرف مذاقه من بين الكلام » ، ما أحسن ما أجاب به ابن عميرة^(٣) ابن^(٤) الأبار عن كتاب بعثه إليه ، فجاء من جملة الجواب :

« فمها أيها الموفي على علمه (٣١/ب) النافث بسحر قلمه ، أتظن منزلتك في البلاغة تخفى ومهنيعتها لا حب • ومنزعتها بالعقول لا عب • أتسفل وقد ترفعت ، أو تخفى وقد تلفعت • عرفناك يا سَوْدَدَه ، وشهرت حلة عطارده^(٥) بالملاحه والجوْدَه •

وقوله : « والصبح لا يتمارى في إسفاره ، السجعتين • مأخوذ من قول أبي الطيب :
وليس يصح في الأفهام شيء » إذا احتاج النهار إلى دليل^(٦)

(١) سقط الزند ص ١٤٢ من قصيدة قالها في رجل من العلويين . مطلعها :

ليت التحمل عن ذراك حلول والسير عن حلب اليك رحيل

(٢) المثل السائر ١٦٧/١ « وإن للكلمة طعما .. فلو لم نعرفه بطعمه عرفناه ... على اشراق أنواره » .

(٣) تقدمت ترجمته ص ٦٠ .

(٤) ابن الأبار هو محمد بن عبد الله القضاعي أبو عبد الله من أعيان المؤرخين وله شعر . قتل في تونس سنة ٦٥٨ هـ . انظر الوافي بالوفيات ٣/٣٥٥ .

(٥) عطارده بن حاجب بن زاررة خطيب من سراة بني تميم . قيل إنه وفد على كسرى في الجاهلية فسأه حلة ديباج (ت نحو ٢٠ هـ) انظر الإصابة تر ٥٥٦٨ .

(٦) شرح البرقوقي ٣/٢٦٦ .

ومن قول الغزي :

فلا تَبْنِجْ برهانا على مَكْرَمَاتِهِ طِلَابُكَ برهانا على الصبحِ باردٍ^(١)
 وقوله : « وقد علم أن العرق يعرف بغصنه » مأخوذ من قول أبي الطيب :
 أفعاله نسب لو لم يقل معها جَدِّي الخَصِيبُ عرفنا العرق بالغصن^(٢)
 على أن المتنبي أخذه من البحري حيث يقول :
 لستُ أعتدُّ للفتى نسباً ما لم يكنْ في فعَالِهِ نَسَبُهُ^(٣)
 ومن قول ابن الرومي :

كدأبِ عليٍّ في المواطنِ جَدِّهِ أبي حسنٍ والغصنُ من حيث يخرجُ^(٤)
 وقد نقلت أنا هذا المعنى إلى الغزل ، فقلت في مليح رأيتَه في طاقة :
 رأيتُ في طاقةٍ كالبدرِ وجهَ فتى فقلتُ مِنْ تحتِ هذا البانةِ النَّضْرَهُ^٥
 قالوا حكمتَ وما أبصرتَ قَامَتَهُ فقلتُ : إني عرفتُ الغصنَ بالشَّمره

- (١) مخطوطة ديوان الغزي الورقة ١١٣ من قصيدة مطلعها :
 لعل خيالا من أميمة عائدُ فيظفر بالعنقاء في النوم صائدُ
- (٢) شرح البرقوقى ٤/٤٤٠ من قصيدة يمدح بها الخطيب الخصيبي وهو يتقلد القضاء بأنطاكية . مطلعها .
- (٣) ديوان البحري (دار المعارف) ١/٢٧٩ من قصيدة قالها يمدح أبا العباس ابن بسطام . مطلعها :
 أفاضلُ الناسِ أغراضُ لذا الزمنِ يخلو من الهم أخلاهم من الفِطْنِ
 من قائلٍ للزمانِ ما أَرَبَهُ في خُلُقٍ منه قد خلا عَجَبُهُ
 ورواية الديوان للبيت :
- (٤) ديوان ابن الرومي ص ٢٢٦ . من قصيدة قالها يرثي أبا الحسين يحيى بن عمر بن حسين بن زيد بن علي . وبها عرف تشيعه . مطلعها :
 أمامك فانظر أي نهجيك تنهجُ طريقان شتى مستقيمٌ وأعوجُ
 وجاء في الشطر الأول : « في المواطن قبله » .

قال : « ونفائس هذه العقود لا تبرزها إلا أنفاسه ، فدررها (٣٢/أ) لفظه ، وسلوكها قرطاسه » ثم قال « ومن هذا الباب قولي أيضا وهو ألفاظ كحَقَّق البنود وزار الأسود ، ومعان تدل بإرهاقها أنها هي السيوف وأن قلوبنا نمتها هي العمود ، فيخالها المتأمل حومة طعان أو حلبة رهان » (١) .

أقول : ما طبق في هذا الفصل على الفصل ، فإنه شبهها بخفق البنود وزار الأسود . فأني مدخل في هذين لحلبة الرهان فيما بعد ولم يتقدم للخيال ذكر . والتناسب أن يقول : حومة طعان ، وغيل ليوث ، وجلاد فرسان . ومثل هذه الأوصاف لا تكون في شيء من الكلام ، إلا أن يوصف بذلك كلام فيه تهديد وتقريع أو إرهاب عدو أو ما جرى مجراه .

ألا ترى ما أحسن قول البحري :

عِتابٌ بأطرافِ القوافي كأنه عتابٌ بأطرافِ القنا المتكسر (٢)

ولا بأس بإيراد شيء من كلام القاضي الفاضل رحمه الله في وصف المراسلات الواردة ، لتعلم أيها الواقف على هذه الأوراق كيف يكون التقريظ .

فمن ذلك قوله : « وصلني كتابه فوصلني منه ما وصلني ، وعرفت من بلاغته ما جهلني ، وشربت من بحر كلامه ما شربني وأكلني ، وعلوت به قدرا على أنه عن صهوة الكلام استنزلي . فإنها بدائع ، ماسرة البلاغة قبلها بدائع ، ووقائع خاطر صفت صفاتها فهي التي رقتة وروقتة الوقائع ، وغرائب سهلت وجزلت فتارة أقول جرأة نبع وتارة أقول جرية نابع . قد ضمنت الدر إلا أنه كما قال أبو الطيب كلم ، وأحيى حي الشوق إلا أنه كما قال أبو تمام لو مات من شغله بالبين ما علم . ففديت يدها وقد مدت ظلا من الخط كاد (٣٢/ب) يتقصر ظلا من الحظ ، والله قلمها الذي طال وأناف فما كأنه تحيفه القط قط » .

(١) المثل السائر ١٦٧/١ « .. لا يبرزها إلا أنفاسه .. أو زار الأسود .. » .

(٢) ديوان البحري (دار المعارف) ٢/٨٩٠ من قصيدة له يمدح إبراهيم بن الحسن ابن سهل لما رد عليه غلامه نسيم . مطلعها :

فداؤك نفسي دون رهطي ومعشري ومبداي من علو الشام ومحضري وفيه « طعان بأطراف القنا .. » .

وقوله : « وما أحسبُ الأقلامَ جعلت ساجدة إلا لأن طِرسه مِحْراب ، ولا أنها سميت خرساً إلا قبل أن ينفث سيدنا في روعها رائح هذا الصواب ، ولا أنها اضطجعت في دويها إلا لبيعها ما ينفخ فيها من رُوحه في مرقدِها ، ولا سنوَدت رؤوسها إلا لأنها أعلام عباسية تناولتها الحضرة بيدها ، لا جرم أنها تحمي الحمى ، وتسفك دما وتحقن دما وتنشج بهايده عانا ، ويرسلها فيعلم الفرسان أن في الكتاب فرسانا ، ويقوم الخطباء بما كتبت فتعلم الألسنة أن في الأيدي كما في الأفواه لسانا ، ولقد عجبت من هذه الأقلام تُحزُّ ألسنتها قِطْعاً فتتطق فصيحته ، وتجده أنوفها برّياً فتخرج صحيحة ، وتجلّى مليحه • وما هي إلا آية في يد سيدنا البيضاء مَوْسَوِيَّه ، وما مادتها في الفصاحة إلا عكّوية ولولا الغلو لقال علّويه » •

وقوله : « ولو ادّعى سحرُ البيان أنه يقضي أيسر حقوقه ، ويشمر ما يجب من شكر فروعه وعروقه ، لكنت أفضحُ باطلَ سحره ، وأذيقه وبال أمره ، وأصلب الخواطر السحارة على جذوع الأقلام ، وأعقد ألسنتها كما تعقد السحرة الألسن عن الكلام » •

وقوله : « كتاب كريمي من حيث نسبته إليه ، كليمي من حيث نسبته إلى اليد لبيضاء من يديه ، مسيحي من حيث أنه أحبي موات الأنس ، محمدي من حيث كاد يكون بما نقشه في رُوعي روح القدس ، فلا عدمت مخاطبته التي تخلع على الأيام يوم العيد ، وعلى الليالي ليلة العرس • فأبقاه الله لسان العربي فلولا كان مَزُويا (٣٣/أ) لا مرويا ، مَدْحُورا لا مَدْخُورا ، ولولا له لحالت أحرفه عن حالاتها ، وأبت الفصاحة أن تكون قوائم الأحرف من آلاتها • فكانت تقعد ألفتها القائمة ، وتموتُ بأوه النائمة ، ويزيد حَسَنِي ظُهر داله حتى يلحق بالرّغام خدها ويغضُّ ، وحتى تكدّر دَأسنان سِنه فلا يبقى لها ناجذٌ عليه تَعَضُّ » •

وقوله : « وقف عليه والشكر عن المنعم به غير واقف بل وقف ، واستمطر منه صوب الغمام فما انقطع له ولا كفٌ وكَفٌ ، ورأى بنيان تبيانٍ لو رأته المتجارون لأتي بنيانهم من القواعد فخرٌ عليهم السَّقَف ، فله هو من بليغ إن قال فالقول عنده

أكثر يوم البين من ماء الطرف ، وإن رام القولَ غيرَه فهو أقلّ عنده يوم الحسين^(١)
من ماء الطّف » •

وقوله في جواب كتاب للشيخ تاج الدين الكندي : « وظننته وحقق الله فيه
الظنّ وقد ارتقى الأسباب وأخذ اللفظَ من القطر والقرطاسَ من السحاب ، وآمنت
بصحة رقيّه ، وتبينت التقاطه للنجوم حين أوردتها في بارع اللفظ ونقيّه ،
وقلت للجماعة : كلام التاج تاج الكلام ، والمملك في كِنْدَة وكانت أقلامها سيوفا
وسيوفها الآن أقلام » •

وقوله : « فوقفت منه على ظرف الظرف ، وتحفة الطرف ، وكدت أعبدته منه على
حرف ، وكل حرف ذلك الحرف • ولولا إشفاعي أن يظن الدهر لمكانه من قلبي ،
وخوفي أن أعرفه بحسنه منه فأغريه منها برفع أوزار حربي ، لقلت قولاً يغض الأولين
والآخرين من هذه الصناعة ، وأنفذت فيهم سهاماً لا تحمي شاعراً منها صخرة وجه
ولا كاتباً درع درّاعة • وما هي إلا آيات (٣٣/ب) كل واحدة أكبر من أختها ، وفكر
مرزوقة في أيام الجمعة كلها إذا أتت الفكرَ أرزاقها يوم سبّتها » •

وقوله : « كتب كريمة كادت ألفاظها تتبسّم ، ومعانيها تتكلّم ، وكادت حروفها
تكون أناسيَّ لعين المسار ، وكادت سطورها تجلي عرائس وعليها من الشكل حلّيّ »
ومن النقط تثار » •

وقوله : « كتاب سني المعاني سيني القوافي ، وحق سينه أن يخلص لها الإقبال ،
والسين تصحب الفعل فتخلصه للاستقبال ، وهذا أفق لامطار فيه إلا للعقاب وابنه ،
وبحر لا سبّح فيه إلا لمن يخرج الدثر من فيه ويُدخل البحرَ في رِدْنه ، وما
عنيت ها هنا بالبحر إلا يده الكريمة فأما البحر فلم أعنه » •

وقوله : « كتّب المجلس روح الله قلبه ، وأتاح قلبه ، ولا برحت أقلامه سلاحَ
أوليائه على الزّمن إذا خافوا حربه ، تؤنس راجيها ، وتؤيس متجاريها ، ويخصبها

(١) هو الحسين بن علي بن أبي طالب . وفي الحماسة ٥٦١/١ أن الطّف موضع قرب
الفرات به قتل الحسين بعد أن منع عنه الماء . انظر مقاتل الطالبين ٥٤ و ٦٧ .

السمع ، ويتظاهر بها النفع ، لولا أنها تغير علينا شيئا فتخلق فيها الحسد ، وتشد أيدينا إذا تعاطينا المجارة بحبل من مسد » ♦

وقوله : « وسيدنا ما بعد يانه بيان » وبين فكيه سيف وبين فكي كل إنسان لسان ، فقولوا يا أقلامه فقد خرس في العمود المناصل ، وتبختري يا تغلب ابنة وائل فقد أعطي من البلغاء التقدم وهم صارغون ، وأفلح المعترف بفضلته وقد علم أنه لا يفلح الكافرون » ♦

وقوله : « ووقف على الميمية فأطاف به منها الطوفان ، وحياة منها الرّوح والريحان » وهي مما أملاه ملك إن كان يملئ الأشعار شيطان ، وعجبت لأطراد تلك القوافي ، ورأيت الشعراء (٣٤/أ) أتت بما ألفت في ضيق الأودية وخطره وقلمه أتيا بما ألقيا في الفيافي ، وكل بيت منها بديوان ، كما أن قائلها إنسان يُفدّى بألف إنسان ، كما أن قلمه قصير فما جدع أنفه إلا ليأخذ ثأر القلم من السنان » ♦

قلت : وعلى ذكر الفيافي في قول القاضي الفاضل ، وما ركه في هذه السجعة من الجنس المليح ، فكنت كتبت إلى شيخنا الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس أبياتا ، وأجابني عنها بنظم ونثر ♦ من جملة النثر : « بل ذلك السحر الحلال الشافي ، بل تلك القوى في القوافي ، بل تلك المقاصد التي أقصدت المنى في المنافي » ♦

فكتبت الجواب إليه ومنه : « وعكف منه على كعبة البلاغة » فيا حسن مانشر في استلامي وطوى في طوافي ، وأراد طائر القلب أن ينهض بالجواب فذهبت القوى من القوادم ، وظهر الخوى في الخوافي » ♦ رَجَعَ إلى كلام الفاضل ♦

وقوله : « ولكن اعتزل الناس السّسماء الأعزل ، وارتفع أهل الدّرج العليا وانخفض أهل الدّرك الأسفل ، وضع الناس السهام وأصبت أنت بواحدتها المقتل ، فأنت الرامي وغيرك الرائم ، وأنت الحامي وغيرك الحائم ، وحرّوك الأزهار وكتبك الكمام ، وقلمك الساقبي وخواطرك الغبائم ، وبقوّك يثضن ويثغالي ، وإذا قلت يا خيل الأقلام اركبي ملات الأرض تصهالا وصيالا ، ونفرت إليك المعاني خفافا

وثقالا ، وأذنت° فيها بالحج فأتت ضمائر على كل ضامر ورجالا ، وأنت الحاضر والغيب الحضور ، وأنت الحاضر والغيب الحضور ، وأنت السيد وغيرك الحضور ، والأسماع إلى ما تقول في دمشق صور ، ولو قدحت الماء لاستطار شرارا ، ولو أجرت° ورد الخد لكنت له من بنفسج العذار جارا » •

وقوله : « فليله هو من كتاب كأنه سورة » وكل آية فيه سجدة ، وقابله بالخشوع كأنما قلم الكتاب القضيب° وطرسه البردة » •

وقوله : « وما هذه الكتب إلا كنائب ، وما هذه الأحرف إلا قواضب ، ولا الأسطر بها إلا مراكب ، ولا النفس منها إلا عجاج يسفر عن الصباح إسفار الغياهب » •

وقوله : « وكأنما ذخيرة قلمها للمملكة يحوك وشيها ، وصائغا يخلق حليها ، وكأنما هو أمير والكلام رعيته فهو يصرف أمرها ونهيها » ، وكأنما أودع الله سبحانه خاطرها سحابا وكتابها روضا جعل القلم دولابها والدواة نهيبها » •

وقوله : « وارتحت لما امتحت على بُعد أرضي من غمامه ، واويت القبل الدوي من آلامه بلمامه ، وأعاد عليّ زمن رامة كما هو بأرامه ، وطلع علي مطالع الأهلة واه الأهلة ؟ هل هي إلا قتامة أقلامه » (٣٤/ب) •

وليكن هنا آخر ما أورده للقاضي الفاضل من هذا النوع ، وإن كان ذلك قطرة من حوض ، وزهرة من روض •

[مثال نسبة اللفظ للمعنى]

قال في فصل بعدما تقدم : « وقد نيظ بسيدنا قلما الخط اللذان ينسب أحدهما إلى المداد ، وينسب الآخر إلى الصّعاد » (١) •

أقول: أما نسبة القلم إلى المداد فجائز ، وأما نسبة الآخر إلى الصّعاد فما أدري ما هو • فإن الصّعاد هي الرماح التي تنبت مستقيمة فلا تحتاج إلى تثقيف •

فنسبة الرماح إلى الصّعاد ، أو الصّعاد إلى الرماح من باب نسبة الشيء إلى

نفسه ، وهو غير جائز • وما تنسب الرماح إلا إلى الأعلام أو الأسنة أو الطعن ، كما تنسب الأقلام إلى المداد والكتابة •

قال : « ومن ذلك ما ذكرته في وصف القلم فقلت : « وقد أوحى الله إلى قلمه ما أوحى إلى النحل ، غير أنها تأوي إلى المكان الوعر وهو يأوي إلى المكان السهل ، ومن شأنه أن يجتني من ثمرات ذات أرواح لا ذات أكمام ، ويخرج من نفثاته شراب مختلف طعمه فيه شفاء للأفهام » (١) •

أقول : قوله ثمرات ذات أرواح لا ذات أكمام غير مناسب ، إذ المناسبة تقتضي أن يقول : ذات أرواح لا ذات أجسام ، أو ذات طيالس لا ذات أكمام ، ليناسب بين الروح والجسم والطيلسان والكم • ثم نسبة الروح إلى الثمرة أمر خارج عن العادة ، ولم يسمع بشر له روح وثمر ما له رُوح • وإذا قصِدَت المبالغة في وصف الثمرة قيل إنها ماء تجمد أو هواء تجسد •

وما أحسن قول أبي الطيب (١/٣٥) •

لها ثمرٌ يَشِيرُ إِلَيْكَ مِنْهُ بِأَشْرَبَةٍ وَقَفْنِ بِلَا أَوَانِي (٢)

[اللفظ والتركيب]

قال في القسم الأول من المقالة الأولى : « وكذلك ورد قوله تعالى : « إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ، ولي نعجة واحدة » (٣) • فلفظة «لي» مثل لفظة «تؤدي» وقد جاءت في الآية مندرجة متعلقة بما بعدها ، وإذا جاءت منقطعة لا تجيء لاثقة ، كقول أبي الطيب :

(١) المثل السائر ١٨٤/١ « ... في فصل من كتاب يتضمن وصف القلم .. الله

تعالى إلى قلمه ما أوحاه .. وهو يأوي إلى البیان السهل ... » •

(٢) شرح الديوان للبرقوقي ٤/٤٩٠ من قصيدة مدح بها عضد الدولة ولديسه ، ويذكر طريقه في شعب بوان • مطلعها :

مغانى الشعب طيبا في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

وفي رواية الديوان « تشير إليك » •

(٣) سورة ص ٢٢/٣٨ •

تسمي الأمانى صرعى دون مطلبه فما يقول لشيءٍ ليت ذلك لي (١)
أقول : أي شيء أنكره من هذه اللفظة : وليس الذي ذكره غير دعوى مجردة ،
وهذه لفظة « لي » قد وقعت متمكنة ، والقافية إذا جاءت متمكنة فإنها من حسن
التركيب وعذوبة الانسجام • أما لفظة « تؤذي » في قوله : « تلذ له المرأة وهي
تؤدي » فإنها جاءت ركيكة بخلاف « لي » في البيت المذكور • ولاتعاب هذه في هذا
البيت ، إلا أن تعاب لفظة « بي » في قوله :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأثني وبياض الصبح يغري بي (٢)
وما رأيت من عاب هذا البيت ولا هذه القافية ، وإنما هو معدود في المحاسن
التي انفرد بها أبو الطيب ، لما فيه من مقابلة خمسة بخمسة • ولم يتفق هذا العدد لغيره •
وكذا لفظة « تؤذي » التي عابها ، لو وقعت قافية متمكنة لم تعب •
وما أحسن قول الشيخ مجد الدين (٣) بن الظهير الإربلي :

قلبي وطرفي ذائسيل دما وذا دون الوري أنت العليم بقرحه
وهما بجبك شاهدان وإنما تعديل كل منهما في جرحه

(١) المثل ٢١٦/١ والنص فيه « وكذلك ورد في القرآن الكريم .. فلفظة « لي » أيضا
مثل لفظة يؤذي (وفي صدر البيت) دون مبلغه ... » وبيت المتنبي في شرح
البرقوقي ٢٥٥/٣ من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويعتذر إليه سنة ٣٤١
مطلعها :

أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل دعا فلباه قبل الركب والإبل
وجاء في صدره « دون مبلغه » .

(٢) في شرح الديوان للبرقوقي ١٨٨/١ من قصيدة يمدح بها كافورا سنة ٣٤٦
مطلعها :

من الجاذر في زري الأعراب حمر الحلى والمطايا والجلابيب

(٣) مجد الدين بن الظهير الإربلي واسمه محمد بن أحمد ، شاعر أديب من فقهاء
الحنفية ، له ديوان شعر (ت بدمشق سنة ٦٧٧ هـ) أو سنة ٦٩٧ عند صاحب
الفوات ٣٥٦/٢ .

والقلب منزلك القديم فإن تجد فيه سواك من الأنام فتَحِّه (١)
انظر إلى هذه القافية الثالثة ما أحلاها وأمكنها لا يقوم غيرها مقامها ، ولو
وقعت في غير القافية لما كان لها هذه الحلاوة والتمكن . وكذا لفظة « لي » في قول
أبي الطيب .

ومن هذا التمكن في القافية ، قول ابن أبي هلال القيرواني من أبيات :
يَهْدِي إِلَى الْعَلْيَا فَمَا مِنْ سَالِكٍ طَرَّقَ الْعَلَا إِلَّا وَكَانَ دَلِيلُهُ
فَضَلَ الْوَرَى فِي الْفَضْلِ حَتَّى إِنَّهُ لَوْ قِيلَ مَنْ فَذَّ الْأَنَامَ ؟ لَقِيلَ : هُوَ
وما أحسن ما استعمل القاضي الفاضل رحمه الله تعالى لفظة « لي » في القافية
حيث قال :

ومدحت أهل البيت منكم بالذي شهد الرجال بأن ذاك البيت لي (٢)
(٣٥/ب)

[هل سورة النجم مسجوعة على حرف الياء ؟]

قال في هذا القسم وقد استطرد الكلام الى قوله تعالى : « تلك إذن قِسْمَةٌ
ضِيْزِي » (٣) إن سورة النجم مسجوعة على حرف الياء » (٤) .

أقول : ليس الاعتبار في رؤوس القرائن والقوافي بصورة الخط ، إنما العبرة
باللفظ . والسورة مسجوعة على حرف الألف المقصورة . ولكنه غرة رسم رؤوس
الآي بالياء نظراً إلى أصل الكلمة . ولا قائل بأن صغرى وكبرى وضيْزِي

- (١) وأبياته في فوات الوفيات ٣٥٨/٢ هي الأبيات الأخيرة من قصيدة له . وجاء في البيت الأول « بين الوري » . كما وردت في الفيث المسجم ٢٤٥/١ ، وفي خزائن ابن حجة ص ٢١٣ .
- (٢) ديوان الفاضل ص ٢٨١ من قصيدة مطلعها :
نادى الرجال ونادى سيفه في كربهم ياذا الفقار ويا علي
- (٣) سورة النجم ٢٢/٥٣ .
- (٤) المثل السائر ٢٣٠/١ والعبارة فيه « فجاءت اللفظة على الحرف المسجوع الذي جاءت السورة جميعها عليه » .

ومأوى ومُنْتَهَى ، وما أشبه ذلك ، إذا وقع في رؤوس الآي ، أو في قافية البيت على حرف الياء ، بل كل ذلك من باب الألف المقصورة في مثل « حبلِي ودنيا » ، وإنما كتب ذلك بالياء نظراً إلى أصل الكلمة لكونها من ذوات الياء . فإنك تقول : المأوى من أويت ، والمنتهى من انتهيت ، وهوى من هويت ، وغوى من غويت .

وإذا كان الأصل في الكلمة « الواو » كتب ذلك بالألف . مثل دنيا لأنه من دنوت ، ورجا من رجوت في أحد القولين . وزعم بعضهم أن ذلك لكرهية الجمع بين المثليين . وما أظن بابن الأثير رحمه الله أنه جهل هذا . ولكنها غفلة ليس إلا .

[مناسبة اللفظ للمعنى ونماذج من خطب ابن نباته]

قال أيضاً في هذا القسم وقد أورد قول الفرزدق :

ولولاحياء زدت رأسك شجةً إذا سبّرت ظلت جوانبها تغلي
شربت شربة شمطاء من ير ما بها تشبه ولويين الخماسي والطفل (١)

« إن شربت شربة من الألفاظ التي يسوغ استعمالها في الشعر ، وهي هاهنا غير مستكرهة ، إلا أنها لو وردت في كلام منشور من كتاب أو خطبة ، لعب ذلك على مستعمله » (٢) .

أقول : قبل هذا بأسطر قليلة أورد قول تأبط (٣) شراً :

(١) ديوان الفرزدق ١٥٣/٢ من قصيدة قالها بعد أن جاءته نساء بني مجاشع وأبلغته فحش جرير بهن . مطلعها :
الاستهزأت مني هنيئة أن رأيت أسيراً يداني خطوه حلق الحجل
وورد في صدر الأول « زدت رأسك هزمة » .

(٢) المثل السائر ٣٧/١ « فقول شربة من الألفاظ الغريبة . لعيب على مستعملها » .

(٣) تأبط شراً واسمه ثابت بن جابر الفهمي من مضر ، شاعر عدا من فتاك العرب قتل نحو ٨٠ ق هـ . انظر خزنة البغدادي ٦٦/١ . وبيته في شرح الحماسة للمرزوقي ٨٣٣/٢ .

يَظَلُّ بِمَوْمَةٍ وَيُتَمَسِّي بِغَيْرِهَا جَحِيشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورَ الْمَسَالِكِ^(١)
وقال : « لفظة جحيش من الألفاظ المنكرة القبيحة »^(٢) .

فيقال له : « سبحانه الله ما بالعهد من قدم ، تناقض قولك في صفحة واحدة ، وأنا أرى أن « جَحِيشًا » أخف (٣٦/أ) على السمع من « شَرَبْثَةٌ » ولو وردت هذه « شربثة » في النيل كدَّرَته ، وأحالت فرائه العذب إلى الملح الأجاج وغيرته ، ولو كانت خلافاً في وجنة الشمس هجَّنتها ، وألغت محاسنها التي أنارت الأيام وزينتها .

قال : « وقد ورد في خطب الشيخ الخطيب ابن نباتة ، كقوله في خطبة يذكر فيها أهوال القيامة فقال : « اقمطرَ وبالثها واشمخرَ نكالها ، فما طابت ولا سانت »^(٣) .

أقول : إن الخطيب رحمه الله من البلغاء الفصحاء الذين يوردون الكلام موارده ، ويعطون كل مقام ما يستحقه ، لأن ذكر النار والقيامة أمر مهول ويحتاج إلى ألفاظ مفخمة تهول السمع وتسيل الدمع وتقشعر لها الجلود وتنفطر لها الكبود . ولا يليق بأوصاف النار غير هذه الألفاظ مثل : اقمطر واشمخر واسبطر وازبأر واكفهر واقتشعر واينذر واطلخم وادلهم ، واقتحم واحتدم .

[الموضوعات والألفاظ]

كما أن أوصاف الجنة لها ألفاظ تخصها عذبة سهلة لذيدة إلى السمع . مثل :
لان نسيمها ، ودام نعيمها ، ورف ظلها ، وراق زلالها ، وعذب تسنيمها .
ألا ترى أن المديح له ألفاظ تخصه ، والهجاء له ألفاظ تخصه . فيذكر الرأس والفرق في المديح ، والدماغ والقذال في الهجاء .

(١) البيت من قصيدة له في شرح الحماسة للخطيب التبريزي ٩٣/١ وفيه « ظهور المهالك » .

(٢) المثل السائر ٢٣٥/١ .

(٣) المثل السائر ٢٣٨/١ وفيه « وقد وردت ... » .

ووصف أبي زبيد الطائي للأسد بحضرة الصّحابة بمجلس عثمان رضي الله عنه مما يؤيد هذا الكلام . من جملة ذلك أنه قال :

« لِبَلَاغِمِهِ غَطِيطٌ ، وَلِصَدْرِهِ نَحِيطٌ ، وَلِطَرْفِهِ وَمِيزٌ ، وَلِأَرْسَاغِهِ تَقِيضٌ ،
كَأَنَّمَا يَخْبِطُ هَشِيمًا أَوْ يَطَأُ صَرِيمًا . وَإِذَا هَامَةً كَالْمِجَنِّ وَخَدٌ كَالْمِيسِنِّ ،
وَعَيْنَانِ سَجَرَاوَانِ كَأَنَّهُمَا سِرَاجَانِ يَقِيدَانِ ، وَقَصْرَةٌ رَيْلُهُ وَلِهَزِمَةٌ رَهْلَةٌ ،
وَكَتْدٌ مُغْبِطٌ وَزَوْرٌ مُرْطٌ ، وَعُضْدٌ مَقْتُولٌ وَسَاعِدٌ مَجْدُولٌ (٣٦ / ب)
وَكَفٌّ شَتْنَةُ الْبِرَائِنِ إِلَى مَخَالِبِ كَالْمَحَاجِنِ . فَضَرْبُ يَدِهِ فَأَرْهَجٌ وَكَثْرُ
فَأَفْرَاجٍ عَنْ أُنْيَابِ كَالْمَعَاوِلِ مَصْقُولَةٍ غَيْرِ مَقْفُولَةٍ ، وَفَمٌّ أَشْدَقُ كَالْفَارِ الْأَخْرَقِ ،
ثُمَّ تَمَطَّى فَأَشْرَعَ بِيَدَيْهِ ، ثُمَّ حَفَزَ وَرَكِيهِ بِرِجْلَيْهِ ، حَتَّى صَارَ طَوْلُهُ مِثْلِيهِ ثُمَّ
أَقْعَى فَاقْشَعَرَ ، ثُمَّ مَثَلَ فَكَفَّهُ ، ثُمَّ تَجَهَّمَ فَازْبَارَ . فَلَا وَذُو بَيْتِهِ فِي السَّمَاءِ
مَا اتَّقِيْنَاهُ إِلَّا بِأَوَّلِ أَخٍ لَنَا مِنْ فَرَازَةٍ ، ضَخَمَ الْجُزَارَةَ ، فَوْقَصَهُ ثُمَّ أَقْعَصَهُ ، ثُمَّ
نَفَضَهُ نَفْضَةً فَقَضَضَ مَتْنَهُ وَبَقَرَ بَطْنَهُ وَجَعَلَ يَكْنُغُ فِي دَمِهِ . فَذَمَرَتْ أَصْحَابِي
فَبَعْدَ لَاؤِيٍّ مَا اسْتَقْدَمُوا فَهَجَّهَجْنَا بِهِ فَكَّرَ مَقْشَعِرًا بِزُبْرَةٍ كَأَنَّمَا كَشِينَهُمْ
حَوْلِيٍّ ، فَاخْتَلَجَ مِنْ دُونِنَا رَجُلًا أَعْجَرَ ذَا حَوَايَا ، فَنَفَضَهُ نَفْضَةً تَزَايَلَتْ لَهَا
مَفَاصِلُهُ ، ثُمَّ نَهَمَ فَفَرَّقَرَ ، ثُمَّ زَفَرَ فَبَرَبَرَ ، ثُمَّ زَارَ فَجَرَجَرَ ، ثُمَّ لَحَظَ . فَوَاللَّهِ لَخِلَتْ
الْبَرْقُ يَنْتَظِيرُ مِنْ تَحْتِ جُفُونِهِ عَنْ شِمَالِهِ وَيَمِينِهِ . فَأَمْرٌ عِشْتِ الْإَيْدِي ، وَاصْطَكَّتِ
الْأَرْجُلُ ، وَأَطَّتِ الْأَضْلَاعُ ، وَارْتَجَّتِ الْأَسْمَاعُ ، وَلَحِقَتْ الْمَتُونُ ، وَشَخَّصَتْ
الْعَيُونُ وَسَاءَتْ الظُّنُونُ ، وَاخْزَأَلَتْ الْمَتُونُ . ثُمَّ تَبَهَّنَسَ وَحَلَّقَ ، ثُمَّ حَدَّقَ
وَحَمَلَقَ ، فَإِذَا لَهُ عَيْنَانِ سَجَرَاوَانِ مِثْلَ وَهَجِ الشَّرَرِ ، كَأَنَّمَا نَثَقِرَا بِالْمُنَاقِيرِ عَنْ
عَرْضِ حَجَرٍ . لَوْنُهُ وَرْدٌ ، وَزَيْرُهُ رَعْدٌ ، وَجَبْهَتُهُ عَظِيمَةٌ ، وَهَامَتُهُ شَتِيمَةٌ .
إِنْ اسْتَقْبَلْتَهُ قَلْتَ أَدْرَاعَ ، وَإِنْ اسْتَدْبَرْتَهُ قَلْتَ أَقْدَعَ . وَإِذَا اللَّيْلُ اعْرَتَكَ كَسَّ
تَبَغَّى وَتَحَسَّسَ . هَوْلُهُ شَدِيدٌ وَشَرُّهُ عَنِيدٌ وَخَيْرُهُ بَعِيدٌ ، مَتَى قَاسَمَ ظَلَمَ ،
وَمَتَى بَارَزَ حَطَمَ ، وَمَتَى نَالَ غَشَمَ . ثُمَّ أَنْشَدَ :

عبوسٌ شَمُوسٌ مَطْرَحُخِمٌ مُكَابِرٌ جَرِيٌّ عَلَى الْأَعْدَاءِ لِلْقَرْنِ قَاهِرٌ

برائته شثن وعيناه في الدجى كجمر غضاً في وجهه الشر طائر
يُدِلُّ بأنيابٍ حِدادٍ كأنها إذا قَلَّصَ الأُشْدَاقَ عنها خناجر^(١) (٣٧/أ)
قال الراوي : فحبَّقَ أحدُ الحاضرين ، فقال له عثمان رضي الله عنه : « مه
رضَّ الله فاكْ فلقد رعبَتَ المسلمين^(١) » .

فانظر إلى هذه الألفاظ ومواقعها في النفس ، كأنها أسود تلتهم أو أساود
تلتقم ، هل يحسن شيء منها أن يكون في وصف ظبي أو طاووس ؟ كلا . وقد
عجبت منه كونه خفيّ مثل هذا عليه .

[مناسبة اللفظ للسجع]

قال في النوع الأول في السجع : « ومن ذلك ما كتبه في جواب كتاب يتضمن
إباقَ غلام . فقلت : وأما الإشارة الكريمة في أمر الغلام الآبق عن الخدمة ، فقد
يَفِرُّ المَهرَ من عَليقِهِ ، ويَطيِرُ الفَراشَ إلى حَريقِهِ »^(٢) .

أقول : أما الفَراشَ فما يحسن أن يقال فيه : قد يَطيِرُ إلى حَريقِهِ . فإن « قد »
هنا للتقليل . مثل قد يكبو الجواد . وكما قال : « وقد يفر المَهرُ من عَليقِهِ » .
أما الفَراشَ فما رأى النار إلا وألقى نفسه فيها . هذا هو الغالب ، ولا كذلك المَهرُ ،
فإن الغالب في أمره أنه إذا رأى العَليقَ أقبل إليه ، وفي النادر يَفِرُّ منه . وقال
أبو العلاء المعري في وصف أسد :

بدا فدعا الفَراشَ بناظريه كما تدعوهُ موقِدَتا ظلام^(٣)

(١) في طبقات فحول الشعراء ص ٥٠٨ (ورد النص مع اختلاف طفيف) والأغاني
١٢٩/١٢ - ١٣١ ، وفي شعراء النصرانية ص ٦٧ وما بعدها .

(٢) المثل ٢٨١/١ والنص فيه « ومنه ما كتبه .. إباق غلام ، وهو أول كتاب ورد
من المکتوب عنه إلى المکتوب إليه فقلت ... » .

(٣) سقط الزند ص ٤١ من قصيدة قالها يرثي والدته ، وكانت توفيت قبل قدومه
من العراق بمدة يسيرة . مطلعها :

سِجَمَتْ نَعِيَّتُهَا صَمًّا صَمًّا وإن قال العواذل لا هَمَّام

[مناقشة حول معنى أخطأ فيه ابن الأثير في إنشائه]

وأما عطف الإثبات على النفي فلا يجوز في مثل هذا • والأحسن أن يقول :
قد يفِر المهر من عليقه ، وينأى المرء عن شقيقه •

قال عند ذكر التقليد الذي أورده في معارضة الصّابي في نقابة الأشراف :

« أما بعد ، فإن كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم ^(١) ، وكل كتاب لا يرقم باسمه فليس بمعلم ، وعلى هذا فإن حمده ينزل من الكلام منزلة الأعضاء من الجسم (٣٧/ب) واسمه يتنزل من الكتاب منزلة الرقوم من الثياب • وقد جمعنا في كتابنا هذا بين التسمية والتحميد ، وجعلنا أحدهما مفتاحاً للتيسر والآخر سبباً للمزيد ، ثم ردفناهما بالصلاة على سيدنا محمد الذي أيده الله بالقرآن المجيد ، وجعل شهادته قبل كل شهيد وعلى آله وصحبه الذين هتدوا إلى الطيب من القول ، وهتدوا إلى صراط حميد » ^(٢) •

[عودة إلى الابتداء بالحمد]

أقول : ادعى أنه حمد الله تعالى وذكر اسمه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وصلى على آله ، ولم يصدر منه تحميد ولا ذكر اسم الله تعالى ، إلا إن كان في أول التقليد بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا صلاة ، لأنك إذا قلت حمد الله واجب ، وذكر اسمه مستحب ، والصلاة على رسوله وعلى آله وصحبه متعين ، لم تكن أتيت بحمد ولا بذكر اسم ولا بصلاة • وإنما أخبرت عن الحمد بالوجوب ، وعن الذكر بالاستحباب ، وعن الصلاة بالتعيين • ومثل هذا إذا قلت : سبحان الله عدد

(١) إذن فابن الأثير يردد هذا الحديث ، كما لم يفعل الابتداء بالحمد ، لكنه حمد الله بأسلوب لم يعجب الصفدي . انظر الصفحة ١٤١ من هذا الكتاب .

(٢) المثل السائر ٢٩٥/١ « فإن حمده يتنزل .. وجعلنا إحداهما .. وهتدوا إلى صراط الحميد » .

ريش الأطيّار ، والحمد لله عدد موج البحار ، لم تكن أتيت بتسبيح وتحميد يوازي
 ذينك العددين ويساويهما . وكان معنى هذا من قولك : ان الله يستحق من المحامد
 والتسبيح عدد ذلك .

ومثل هذه الأشياء يتعين أن يتحقّق منها ، وإلا كان للطعن فيه مجال .

[أقسام التصريح]

قال وقد ذكر التصريح وقسمه إلى سبعة أقسام : جعل الأول ما كان كل مصراع
 مستقلا بنفسه ، ومثله بقول امرئ القيس :

أفأطم مهلاً بعض هذا التّدلّل^(١) (البيت) .

وجعل المرتبة الثانية أن يكون المصراع الأول مستقلا بنفسه غير محتاج إلى
 الذي يليه . فإذا جاء الذي يليه كان مرتبطا به (٣٨/أ) ، ومثله بقول امرئ القيس :
 قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل^(٢) (البيت) .

وجعل المرتبة الثالثة أن يكون الشاعر مخيرا في وضع كل مصراع موضع أخيه .
 ومثله بقول ابن حجاج^(٣) البغدادي .
 من شروط الصّبح في المهرّجان خِفة الشّرب مع خلّو المكان^(٤)
 « فإن هذا البيت يجعل مصراعه الأول ثانيا ، ومصراعه الثاني أولا » . وهذه
 كالمرتبة الثانية في الجودة »^(٥) .

(١) ديوان امرئ القيس ص ١٢ البيت من معلقته ، وشطره الثاني :
 وان كنت قد ازمنت صرّمي فأجملي

(٢) المصدر السابق . والبيت مطلع معلقته . وشطره الثاني :
 بسقط اللّوى بين الدخول فحومل

(٣) ابن الحجاج البغدادي ، هو الحسين بن محمد بن الحجاج . الكاتب الشاعر
 المشهور فريد في نظم القباح وخِفة الروح . تولى حَسبة بغداد مدة (ت ٣٩١هـ)
 انظر وفيات الأعيان ٣٢/٥ .

(٤) ورد بيته مطلعا لقصيدة له في يتيمة الدهر ٥٧/٣ وفي عجزه « خفة الشغل » .

(٥) المثل السائر ٣٣٨/١ عبر الصفدي عن المعنى بلفظه هو .

أقول : هذه المرتبة الثالثة أحق بأن تكون أولى من الأولى التي ذكرها هو ، لأن مثل هذا النوع أعزّ من الأول ، وفيه دلالة على تمكن الناظم وجودة طبعه .
وقد جاء منه للغزّي :

لولا تذكر ما تقدم عهدُهُ ما راجع القلب المدكّه وجندُهُ
وكذا قوله أيضا :

ذهب الصبّا فتنبّي أو فاسفري لاحظّ فيك لذي قذالٍ مسفّر^(١)
ولابن قلاقس الاسكندري :

الحيا من غيوثك البارقات والجنا من أصولك الباسقات^(٢)
وكذا قوله أيضا :

عَدِدْ ودع ذكر التصابي عَدِدْ يا غافلا عما يراه في الغد^(٣)
ولابن السّاعاتي :

ما كنت بالباكي ولا المتباكي لولا وقائع طرفك الفتاك^(٤)
(٣٨/ب)
وكذا قوله أيضا :

بالله يا رسل الرياح كيف السيل إلى جناح^(٥)

- (١) مخطوطة الديوان المصورة . والبيت فيها مطلع القصيدة .
- (٢) ديوان ابن قلاقس من قصيدة قالها يمدح القاضي ابن خليف ويهنئه بمولود والبيت فيه مطلع القصيدة .
- (٣) لم أعر عليه في ديوانه للسبب الذي ذكره ناسخ الديوان من أنه نفى من الديوان ما لم يعجبه ، والذي سماه « الساقط » .
- (٤) ديوان ابن الساعاتي ١٦٥/١ والبيت مطلع القصيدة .
- (٥) ديوان ابن الساعاتي ١٥٧/١ والبيت كذلك مطلع القصيدة .

ألا ترى أن كل بيت من هذه الأبيات فيه ما في الذي جعله أولاً وزيادة ، فهو أولى بالتقديم ، ويشترط فيه أن يكون كل مصراع منه مستقلاً بنفسه ، غير محتاج إلى غيره مع إمكان جعل الصدر عجزاً والعجز صدرًا .

وقد واخذه ^(١) ابن أبي الحديد في تقسيم التصريح في كتابه ولم يتنبه لهذا ^(٢) .
[كلامه على التجنيس]

قال في التجنيس : « القسم الثاني من المشبه بالتجنيس أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن ، مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير » ^(٣) .

ثم مثله بقوله تعالى : « وجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ إلى ربها ناظرةٌ » ^(٤) . ومثّل بقوله تعالى « وهم ينهَوْنَ عنه وَيَنأوْنُ عنه » ^(٥) ثم قال : وعلى نحو من هذا ورد قوله صلى الله عليه وسلم : « الخَيْلُ معقود بنواصيها الخير » ^(٦) وقول أبي تمام :

يَمْتَدُونَ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبٍ ^(٧)
وقول البحتري :

(١) هو مثل آخيته وواخيته انظر المزهري للسيوطي ١/٦٦٢ وفي لسان العرب (أخذ) ٣/٥ ، وفي التنزيل العزيز (ولو يَتَّخِذِ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا) والعامة تقول واخذه .

(٢) انظر (الفلك الدائر) في المثل السائر ٤/١٨١ .

(٣) المثل السائر ١/٣٥٠ .

(٤) سورة القيامة ٧٥/٢٢ .

(٥) سورة الأنعام ٦/٢٦ .

(٦) مجمع الزوائد للهيثمي ٥/٢٥٨ . وجاءت رواية الحديث : « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » .

(٧) ديوان أبي تمام - عزام ١/٢١٣ من قصيدة قالها يمدح أبا دلف العجلي مطلعها :

على مثلها من أربع وملاعب أزيلت مصونات الدموع السواكب

من كل ساجي الطَّرَفِ أَغِيدَ أَجِيدٍ ومهفهِفِ الكَشْحَيْنِ أَحْوَى أَحْوَرِ^(١)
ثم قال : وكذلك قوله :

شواجرُ أَرْمَاحٍ تَقَطَّعُ بينها شواجرُ أَرْحَامٍ مَلُومٍ قَطُوعُهَا^(٢)
أقول : قد صدر التقسيم بأن تكون الأنفاظ متساوية الوزن مختلفة التركيب بحرف واحد ، وما صدق معه من الأمثلة التي ذكرها إلا قوله تعالى (٣٩/أ) : « وهم يَنْهَوْنَ عَنْهُ » (الآية) وقوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة » (الآية) والحديث الذي ذكره . وأما عواص وعواصم ، وقواض وقواضب ، فإن إحدى اللفظتين زادت على الأخرى بحرف ولم تخالف ، وكذا أرحام وأرماح ، إحدى اللفظتين خالفت الأخرى بحرفين في الترتيب . ففات ما شرطه ، ولا دخول لهذا فيما ذكره .
وقد أورد عليه ابن أبي الحديد في التجنيس أشياء وما تنبه لهذا^(٣) . وقد خبَّط ابن الأثير في التجنيس تخطيطا كثيرا وما أحسن في ترتيبه .
وقد وضعت أنا في ذلك كتابا وسميته « جنان الجناس » قسمت فيه الجناس إلى ما أمكن تقسيمه ، فجاء ما يقارب الستين قسما . فمن أراد تحرير التجنيس في أقسامه فليقف عليه هناك .

[التجنيس المعكوس]

قال : « القسم الرابع من المشبه بالتجنيس ويسمى المعكوس » ثم أورد « عادات السادات سادات العادات ، وشييم الأحرار أحرار الشيم »^(٤) وما شابه ذلك وساق أشياء كثيرة له ولغيره .

- (١) ديوان البحري (دار المعارف) ١٠٣٩/٢ من قصيدة قالها يمدح المتوكل مطلعها :
- (٢) ديوان البحري (دار المعارف) ١٢٩٩/٢ من قصيدة قالها يمدح المتوكل ويذكر صلح بني تغلب . مطلعها :
- (٣) منى النفس في أسماء لو تستطيعها بها وجدها من غادة ولوعها وجاء في صدر البيت « تقطع بينهم » .
- (٤) انظر المثل السائر ١٨٨/٤ .
- (٤) المثل السائر ٣٥٦/١ .

أقول : ما لهذا النوع دخول في باب التجنيس ، وإنما هو من باب رد الأعجاز على الصدور^(١) ، وهو باب مستقل بذاته . ومن أحسن ما جاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم « جار الدار أحق بدار الجار »^(٢) .
وقول الأرجاني^(٣) .

شِبْتُ أَنَا وَالتَّحَى حَبِيبِي حَتَّى بَرَعِي سَلَوْتُ عَنْهُ
أَبْيَضُ ذَاكَ السَّوَادُ مِنِّي وَأَسْوَدُ ذَاكَ الْبَيَاضُ مِنْهُ^(٤)
وقول عفيف الدين^(٥) التلمساني وفيه زيادة صنعة :

يَا أَبَايَ مَعَاظُ وَأَعِين يَصُولُ مِنْهَا رَامِحٌ وَنَابِلٌ
فَهَذِهِ ذَوَابِلُ نَوَاضِرٍ وَهَذِهِ نَوَاضِرُ ذَوَابِلِ^(٦) (٣٩/ب)
ألا ترى أن الذوابل والنواضر في الأول ، غير الذوابل والنواضر في الثاني . ولو عد ابن الأثير مثل هذا في باب التجنيس لكان ذلك قولاً صحيحاً . فإن الألفاظ اتفقت والمعاني اختلفت .

ومما قلته أنا في ذلك :

أَضَاعَ نَسْكَيَ عِذَارُ مِسْكَ فَكَيْفَ تَرَكِي لِحَاطَ تَرَكِي
تَنَكَّى سَهَامُ الْجَفُونَ مِنْهُ وَمَقَلَّتِي لَا تَزَالُ تَبْكِي

- (١) انظر الصناعتين ٣٨٥ .
- (٢) الجامع الصغير ٢٤٥/١ .
- (٣) الأرجاني هو أحمد بن محمد بن الحسين أبو بكر الشاعر ، كان قاضياً . توفي بتستر سنة ٥٤٤ هـ . انظر وفيات الأعيان ١٥/٢ .
- (٤) وبيته في الغيث المسجم ١٧٣/١ .
- (٥) عفيف الدين التلمساني واسمه سليمان بن علي الشاعر . كان يتصوف (ت ٦٩٠ هـ) وابنه الشاب الظريف الشاعر ، انظر فوات الوفيات ٣٦٣/١ ، والنجوم الزاهرة ٢٩/٨ .
- (٦) بيته في الغيث المسجم ١٢٤/١ .

قضى على أدمعي بسفح يقضي بها في دمي بسفك
وشك قلبي برمح قد قد فؤادي بغير شك (١)

فالشك والقدر في الأول ، غير الشك والقدر في الثاني .
ومما نظمته في غير هذا النمط :

قد فاق غصن النقا حبيبي وأخجل البدر في التمام
ذاك قوام بلا محيًا وذا محيًا بلا قوام (٢)

يقال : إنه رفعت إلى القاضي الفاضل قصة باسم مؤذنين يستخدمان ، أحدهما
اسمه مرتضى والآخر زيادة ، فكتب عليها : أما زيادة فمرتضى ، وأما مرتضى فزيادة .
فاستخدم زيادة ، وصرف مرتضى . وهذا في غاية الحسن .

[التّجنيس المجتب]

قال في « القسم الخامس المشبه بالتجنيس ويسمى المجتب » . ثم إنه أخذ
في الاستشهاد على ذلك بقول القائل (٣) .

أبا العباس لا تحسب باني لشبي من حلى الأشعار عار
فلي طبع كسكسالمعين زلال من ذرى الأحجار جار
إذا ما أكتبت الأدوار زتدا فلي زتد على الأدوار وار (٤)

ثم قال : « وهذا القسم فيه عندي نظر ، لأنه يلزم مالا يلزم أولى منه

- (١) الفيت المسجم ١٢٤/١ وفيه بيتان الأول والرابع .
وجاء في صدر الأول « مسكى » ومطلع الرابع « قد شك قلبي .. » .
- (٢) الفيت المسجم ١٢٤/١ .
- (٣) القائل هو أبو الفتح البستي واسمه علي بن محمد . من كتاب الدولة السامانية
في خراسان (ت سنة ٤٠٠ هـ) وفيات الأعيان ١/٣٥٦ ، واليتيمة ٤/٢٠٤ ،
وخزانة ابن حجة ص ٣٥ .
- (٤) الأبيات في ديوانه ص ٣٨ . وجاء في عجز الأول (بسنتي من حلى الأشعار ..) .

بالتجنيس^(١) » • وأخذ يعلّل ذلك بأشياء تعسّف فيها •

أقول : الصحيح أنّ هذا من أقسام التجنيس ، وهو النوع الذي يسمونه بالمزدوج • ولزوم مالا يلزم باب معقود بذاته (٤٠/أ) لا مدخل له في هذا ، ولا لهذا فيه مدخل • فإنّ اللزوم عبارة عن أن يأتي الشاعر أو الكاتب في القافية قبل الروي بحرف أو أكثر ، يلتزم بورود ذلك في كل قافية • كما ورد في قول المعري :

لا تطلبنَّ بآلةٍ لكِ رتبةٌ قلمُ البليغِ بغيرِ حظٍ مِغزلُ
سكّن السما كان السماءَ كلاهما هذا له رمحٌ وهذا أعزلُ^(٢)

فإنّ المعري التزم بالزاي قبل الروي وهو اللام • ولو قال مع ذلك : معول وأول وأفضل لصحّت القافية ولكن ورود الزاي لزوم مالا يلزم ، وكما تقول : الحمام والغمام والتمام والكمّام • أو : البدور والصدور أو الشذور والندور •

فإنّ الميم والذال والذال لزوم مالا يلزم • ويجوز أن تقول مع الحمام ، السلام ومع البدور القبور ومع الشذور ، الحرور •

وعلى هذا الشرط بنى المعري لزومياته من أولها الى آخرها • وأما الذي أورده ابن الأثير ، فلم يكن كذلك ، لأنه قبل الألف الأولى عين ، والثانية جيم ، والثالثة واو • ففات اللزوم •

ومما اتفق لي من نمط أبي الفتح البُستي :

(١) المثل السائر ١/٣٦٠ « ... عندي فيه نظر ... » •

(٢) في الفيث المسجم ٧٢/٢ ، وفي وفيات الأعيان ١/٢٤١ • ورد في عجز الأول « بغير جد مغزل » • وفي خزائن ابن حجة ص ٤٣٥ وفي صدر الأول « لك رفعة » ورواية الصفدي أصوب • ورد في حاشية الصفحة ١٨٤ من كتاب « تعريف القدماء بأبي العلاء السفر الأول » أن هذين البيتين غير مذكورين في آثار أبي العلاء المطبوعة والمخطوطة •

تذكرتُ عيشاً مَرَّ حُلُوءاً بكمْ فهل°
وما انصرفَتْ آمالُ نفسي لغيرِكم°
سأصبرُ كرها في الهوى غيرَ طائعٍ
ولقت أيضاً :

بنفسي مَن° إذا ادَّكرَ اكتئابي
يبيتُ وللتقى حَرَسَ عليه
ولي قلب° إذا ادَّكرَ الزمانَ الك
وأني لا أرى الأوزارَ زارا
ولي فإذا رأى الأسحارَ حارا
لذي نلنا به الأوطارا طارا
(٤٠/ب)

وقلت أيضاً :

إن° أنتَ أصبحتَ ربَّ أمرٍ
وإن° تبادت° بك الأمانى
فلا تَعْرِه° لباسَ باسٍ
لا تَعْرِها من قياسٍ ياسٍ

[لزوم ملا يلزم]

قال في النوع الرابع في لزوم ما لا يلزم « ومن ذلك ما ذكرته في جملة كتاب يتضمن ذم جبان فقلت : إذا نزل به خطب ملكه الفرق ، وإذا ضل في أمر لم يؤمن إلا إذا أدركه الفرق » (١) .

أقول : في السجعة الثانية عدم مطابقة ، وما يقابل الضلال إلا بالهدى ، ولا الإيمان إلا بالكفر . فيقال في ذلك : فإذا كفر نعمة لم يؤمن ، وإذا ضل في أمر لم يهتد . وهذا من العيوب المعدودة .

وقد عيب على أبي الطيب قوله :

نظرتُ إلى الذين أرى ملوكاً كأنك مستقيمٌ في مُحالٍ (٢)

(١) المثل السائر ١/٣٦٥ « فمن ذلك .. في جملة كتاب في فصل يتضمن .. » .

(٢) شرح البرقوقي ٣/١٨٥ من قصيدة قالها يرثي والده سيف الدولة سنة ٣٣٧هـ مطلعها :

نَعِدُ المَشْرِفِيَّةَ والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال
وجاء في الشطر الأول « رأيتك في الدين ... » .

وكان ذلك بحضرة سيف الدولة • فليل له : إنما يقابل المستقيم بالمعوج ،
والصناعة تقتضي أن تقول : كأنك مستقيم في اعوجاج • فقال له سيف الدولة : لو
أن القافية جيمية كيف كنت تصنع في البيت الثاني ؟

فقال أبو الطيب من غير روية : كنت أقول :

فإن تَفَقَّرَ الأنَامَ وَأنتَ منهمُ فإنَّ البَيْنُضَ بعضُ دمِ الدجاجِ ^(١)
فاستحسن ذلك من سرعة بديته •

على أن المتنبي وقع له هذا كثيرا في شعره • من ذلك قوله :

ولكل عَيْنٍ قُرَّةٌ في قُرْبِهِ حتى كأنَّ مَغْيَبَهُ الأَقْدَاءُ ^(٢)
القرة إنما ضدها الإسخان ، والقذى ضده الجلاء • وقوله :

ولم يعظمُ لنقصٍ كان فيه ولم يَزَلِ الأميرَ ولن يَزَالَا ^(٣)
العِظَمُ ضده الحقارة ، والنقص ضده التمام أو الكمال (٤١/أ)
وقوله :

وأنه المشيرُ عليكِ في بِضَلَةٍ فالحرُّ ممتَحَنٌ بأولادِ الزنا ^(٤)
الحر ضده اللثيم •

وإن أمكن التأويل لأبي الطيب في هذه وأمثالها ، لكن الأحسن أن تكون كما
ذكرته • وهذا النوع كثير في شعره •

(١) ورد البيت في القصة كاملة برواية الواحدي في شرح الديوان للبرقوقي ١٨٥/٣ .

(٢) شرح البرقوقي ٢٢/١ من قصيدة مدح بها أبا علي هارون الأوراجي الكاتب
مطلعها :

(٣) أمّن ازديارك في الدجى الرقباء إذ حيث أنت من الظلام ضياء
شرح البرقوقي ٤٢٦/٣ من قصيدة مدح بها بدر الدين بن عمار مطلعها :
بقائي شاءَ ليس هم ارتحالا وحسن الصبر زموالا الجمالا

(٤) شرح البرقوقي ٤٢٧/٤ . من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار ويعتذر إليه مطلعها:
الحبُّ ما منع الكلامَ الألسنا والدُّ شكوى عاشق ما أعلنّا

[مناقشة حول معنى أخطأ ابن الأثير فيه في إنشائه]

وأما كون ابن الأثير رحمه الله تعالى يأتي بسجعتين لزومهما من أخف ما يكون ويعدهما من اللزوم ويستشهد بهما في كتابه من كلامه فإن هذا من العجيب . ولو كان الكتاب كله من أوله إلى آخره بلزوم الرأ قبل القاف ، لما كان كبير أمر .

ألم ير كتاب اللزوميات لأبي العلاء ، وهو مجلد كبير نظم على حروف المعجم . ألم ير المقامات التسمية وهي خمسون مقامة أنشأها السرقسطي ^(١) ملزومة من أولها إلى آخرها وقد جمع الشيخ شرف الدين عبد العزيز شيخ الشيوخ من شعره جزءاً جيداً من باب اللزوم ، أتى فيه بأبحر العروض وضروبها ، والشعر في غاية الحسن ولطف التركيب وجودة المعاني ورقة الألفاظ .

من ذلك قوله :

مُتِمِّمٌ "ودَّ في عينيه لو خَبَأَكَ"	ماذا يَضِيرُكَ لو عَرَفْتَهُ نَبَأَكَ
إِنْ أَثَرْتُ مَقْلَتِي فِي وَجْنَتِكَ فَقَدْ	نَكَاتَ قَلْبِي بِهَا أَضْعَافَ مَا نَكَاتَكَ
أَدْمَيْتُ خَدَيْكَ أَذْ أَدْمَيْتُ لِي كَبْدِي	أَنْصِفْ وَقُلْ لِي تَرَى بِالْشَرِّ مَنْ بَدَأَكَ

منها .

قد قلتُ للسَّجْفِ لِمَا أَنْ حُجِبَتْ بِهِ	يَا سَجْفُ لَيْتَكَ قَدْ أَخْفَيْتَ لِي رَشَأَكَ
وَيَا مُتَمَنِّمَ خَطِي عَارِضِيهِ لَقَدْ	قَرَأَكَ مَهْجَتَهُ الْعَانِي وَمَا قَرَأَكَ
وَأَنْتَ يَا مَنْ يَسَامِينِي إِلَى شَرِّ فِي	لَقَدْ وَسِعْتَ إِذَا أَضْعَافَ مَا مَلَكَ
هَذَا وَسَرَحُكَ يَرَعَى فِي حِمَى كَلَايَ	فَلَا رَعَى سَرَحَكَ الْبَارِي وَلَا كَلَأَكَ
قُلْ مَا بَدَأَكَ مِنْ لَوْمٍ لَذِي كَرَمٍ	فَلَوْ نَبَحْتَ طِوَالَ الدَّهْرِ مَا خَسَأَكَ

(٤١/ب) .

(١) السرقطي واسمه محمد بن يوسف الأندلسي المعروف بابن الاشتركوني ، وزير من الكتاب وله شعر . عارض الحريري فأنشأ « المقامات اللزومية » (ت بقرطبة ٥٣٨ هـ) انظر الصلة لابن بشكوال ٥٥٦ ، وبغية الوعاة ٢٧٩/١ .

انظر إلى لطف هذا النظم وانسجامه ، وإلى هذه القوافي وتمكنها في أماكنها وما أحلاها في مواطنها ، وإذا أفردتها من تركيبها لم يكن لها هذا الحسن . وما أقوى تركيبها في بنائها نفسها ، وليست على أفرادها بعذبة في السمع . وهنا يبين قدر الناظم . وما أحلى قوله : فلا رعى سرحك الباري ولا كلاك .

ثم إن ابن الأثير رحمه الله ساق بعد تيسنك السجعتين شيئاً آخر من كلامه سجتين سجتين أيضاً مثل : بابه واغابه ، وعرضا وأرضا ، وأنزلته وحولته ، واطرافها واطرافها ، وسكناه ويمناه ، وليس ذلك من النادر الحسن . كما جاء في كلام القاضي الفاضل رحمه الله تعالى في قوله :

« والإناعام الذي هو الحقيقة وما سواه مجاز ، والفضل والفصل اللذين وردا بالإسهاب والإيجاز ، والجميل المخلد الذكر فإنه تنجيز وعد الخلود وإن جاز فيه إنجاز » .

وفي قوله : « وعرفت الإناعام بالخلع ، ومن تكفل في مواقف المناظرة بطي لسانها تكفلت له المملكة بأن يزهي بطيلسانها ، وأحلتها من سواد الخلع في خلعة إنسانها » .

وفي قوله في وصف ليل : « في ليل كموج البحر ، له أنجم كجبب النهر ، وقد حشر الهموم وحشدها (٤٢/أ) وهدى ضوالها وأنشدها . فأقول لما تمطى بصلبه : قطع الله صلبك ، ومتى أرى عمود الصبح وقد عجل الله عليه صلبك » .

وفي قوله : « واطلعت شرف الأربعين وما تركت شرف العشرين ، وقلت للنفس : أنساني نيسان ما تشرين لتشرين » .

وفي قوله : « وأوحشني قوله : إني بعثت بالكتاب مرتادا ومستأذنا ، وكيف ترى في معشر طلبته بالحقوق لأستاذنا ، ووجدت ريح كتبه وروح قربه فرجعنا إلى العادة وعادت أيامنا ، وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا ، وعاولدنا المنى وما كانت تخطر وإن خطرت فإنها كلا منى » .

كذا يكون اللزوم حسنا ، وكذا تكون الفصحاء ثسنا ، لا ما أورده ابن الأثير من الحشَف ، وساقه من العَثَّ الذي مجَّه السَّمْعُ وما ارتشَف .
وقد اتفق لي في اللزوم أبيات ثنى ، لا بأس بإثبات شيء منها هنا .
قلت :

أدعوك يا موجدَ الأشياءِ من عَدَمٍ وصانعَ العالمِ العُلنويِّ والأرضي
إِنْ كُنْتَ تعرَّضُ يومَ الحشرِ لي عملاً فلا تَقْدِرْ له طولا على عَرْضي
وقلت أيضا :

يا ساحباً ذيلَ الصِّبَا في الهوى أبليتَه في الغيِّ وهو القشيبُ
فاغسلْ بدمعِ العينِ ثوبَ التقى ونقَّه من قبلِ عصرِ المشيب^(١)
وقلت أيضا :

وجدتُ في عِشْرَةِ صُحْبِي أذى لما لَزِمْتُ البيتَ في الوقتِ زالُ
يا عجباً من أشعريَّ غداً يَحْمَدُ رأيَ الناسِ في الاعتزالِ^(٢)
وقلت أيضا :

إِنْ اللطافةَ لم تَزَلْ عندَ الأكابرِ فاشيةُ
أرأيتَ عَمْرَكَ في الورى طَرَقاً رقيقَ الحاشيةِ^(٣)
وقلت أيضا :

لا تَرْعَ للملاقِ عهداً ولا تصنعِ لما نَمَّقَهُ واختلقُ
فأنتَ تدري ما جنته يدالر رامى على الطيرِ برعني الملكُ

(١) خزانة ابن حجة ص ٣٠٩ .

(٢) الفيث المسجم ٩٧/١ .

(٣) خزانة ابن حجة ص ٣٠٧ وجاء في عجزِ الأول « بين الأكابر » .

وقلت أيضا :

أتانى وقد أودى السهادُ بناظري
فقلت له : يا طيبَ الأصلِ هكذا
يُمزقُ جُنْحُ الليلِ بارقُ فيه
أخذتَ الكرى مني وعيني فيه (١)

وقلت أيضا :

إن عيني مذهبٌ غابَ شخصك عنها
بدموعٍ كأنهنَّ الغواصي
يأمرُ السُّهْدُ في كراها وينهى
لا تسَلْ ما جرى على الخد منها (٢)

وقلت أيضا :

فدّيتُ حبيباً ضَرَجَ الحسنُ وجهه
إذا عاينَ الروضُ المديحُ خدّه
فصبَّ على خديه ذَوْبَ عقيقِ
يقول لنا هذا أخي وشقيقي (٣)

وقلت أيضا :

أنفقتُ كنزَ مدائحي في ثغره
وطلبتُ منه جزاءَ ذلك قبلةً
وجمعتُ فيه لكلٍ معنى شاردٍ
فأبى وراح تغزلي في الباردِ (٤)

وقلت أيضا : (١/٤٣)

وقفَ القضيْبُ لِقَدِهِ لما مشى
رشاً كساهُ الحسنُ منه حلةً
وجرتُ دموعُ العينِ في تحصيله
جاءتُ بجملتها على تفصيله

وقلت أيضا :

قالوا وقد مادّتْ بغصنِ النقا
فقلت منهموم الهوى لم يكن
أسرفتُ في الحب بلا فائده
يشبع إن لذت له المائدة (٤)

(١) خزانة ابن حجة ص ٣٠٦ وجاء في صدر الثاني « فناديته يا طيب الأصل .. » .

(٢) المصدر السابق ١٨ وهما عنده غير منسوبين .

(٣) خزانة ابن حجة ص ٢٩٥ .

(٤) خزانة ابن حجة ص ٣٠٥ .

وقلت أيضا :

لما تناءيتُ عنكم° ما زال عني عنائي
ولو قفلتُ اليكم° فتحتُ بابَ الهناء

وقلت أيضا :

كن كيف شئتُ فإنَّ قد ركَ قد غلا عندي وعزًا
مات السئوُ تعيشُ أن تَ أما رأيتَ الصبرَ عزِّي (١)

وقلت أيضا :

له في خده آياتُ حسنٍ وليسَ لعقدها في الحَبْرِ فسخُ
وريحانُ العِذارِ له حواشٍ على نار لها بالروح تسخو

وقلت أيضا :

يا عجا من معشر سكرهم° أثبتهم° في عالمِ المخورِ
وكلُّ كأسٍ شمسُه أشرفت° ويومهم° عارٍ من الصخورِ

وقلت أيضا :

رشا° سارَ بقلبي وأنا أشكرُ سيره°
فسبى صبريَ لما لم يجد° للقلبِ غيره°

أقول : انني ما أثبت هذه الأبيات لما فيها من اللزوم ولا بدَّ فإن ذلك إنما جاء فيها ضمنا وتبعاً ، وإنما (٤٣/ب) أثبتها لما فيها من التورية . وذلك ظاهر لمن تأمل مواضعها .

وكتبت بقدم ركاب مولانا السلطان - خلد الله ملكه - من الحجاز الشريف سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة لمولانا ملك الأمراء بالشام المحروس أعز الله أنصاره :

« ضاعف الله نعمة الجنب العالي وسره بما عطر الوجود من أنباء سلطانه ، وأبهجه بعود مليكه بعد بلوغ أوطاره إلى أوطانه ، وملأ سمعه بما ملأ قلب الإسلام فرحا حتى فاض قلبيته مسرة بغير أشطانه •

صدرت هذه المكاتبة إلى الجنب العالي تطوى على سلام يتعوذ البدر بكماله من نقصانه ، وتنشر عن ثناء رقص الحمام بأسجاءه أعطاف أغصانه ، وتوضح لعلمه الكريم أنه سطرناها بعد ورود ركابنا الشريف إلى مستقر ملكه بقلعة الجبل التي حللنا مغناها ، وضوأننا بنير وجهنا الشريف أفتحها وقد كانت كالألغاز المبهمة فلما حللناها ظهر معناها ، ووردناها وهي أشد شوقا إلينا من الرياض الذاوية إلى الغمام ، وأعظم كلفا من المشوق بنسمات الحمى وسجعات الحمام ، وأكثر تطلعا من الساري في الظلام إلى طلعة البدر التمام ، فزينا سماءها ، وجلينا ظلماءها وبللنا غلة أشواقها ، وفككنا يد الوحشة التي أخذت بأطواقها • هذا والظفر نزيل جناب جنائبنا ، والنصر خادم ركاب ركائبنا ، والسعود سائرة بين أيدينا ، والوجود ، بالتأييد من سائر الجهات ينادينا ، والبروق قد بعثت في الآفاق ملطفات البشائر مخلقة ، والأولياء قد حفت بركابنا فما قصّرت عنها سوابق نعمنا لما رأيناها مُحكّلة •

وقد قضينا بحمد الله ومنّه (٤٤/أ) مناسك الحج ، ورفعنا صوتنا بالنداء وأكفنا بالندى فرأى الناس كيف يكون العج ، والغيث كيف يكون الشج ، ونفحنا من سُرانا بنار البرق وفحمة الدجى في حرم ، وعطفنا من مكة — شرفها الله — إلى المدينة — أعزها الله — فما سرنا من حرم إلا إلى حرم • فلنا بفضل الله تعالى ما أمّيناه (١) وأملناه ، وأدينا الأمانة للشوق في التّعلي بالحجرة الشريفة كما حملناه ، وشافهنا ذلك المقام الشريف بالسلام عند الوصول إلى السّول ، وخلقنا به فما كان بيننا وبين الرسول رسول ، فالجنب العالي يأخذ حظه من هذه البشرى التي انتهج بها الإسلام ، وترنّحت لها أعطاف المناير وعكدت هباتها أنامل الأعلام ، ونطقت بمحامدها حتى أفواه المحابر بالسنة الأعلام • ولا يكلف الرعايا في هذه البشرى شيئا لتكون القرية

(١) أسلوب عامي من أثر العصر يعني به ما قصدنا إليه (أمناه) •

بريئة من الشوائب ، خلية من المعائب ، فإن الصواعق تكدر جود السحاب ، والملل
ينغص وصل الحباب •

والله يبقى الجنب لهناء نسمعه نغماته المطربة ، وثناء تترنج له أعطاف الطروس
وتترنم له ألسنة الأقلام في أيدي الكتبة المعربة « بمنه وكرمه » •

وغالب ما أنشئه أنا إنما آتي به ملزوما ، وخطبة هذا الكتاب ملزومة (٤٤/ب) •

قال في اللزوم أيضا : وقد ورد للعرب شيء من ذلك ، فمما جاء منه قول بعضهم
في أبيات الحماسة :

إن التي زعمت ° فؤادك ملها خلقت ° هوالك كما خلقت ° هوى لها (١)
وساق الأبيات المشهورة (٢) •

أقول : ليس من اللزوم هذا في شيء ، وإنما القافية اللام والهاء صلة • ألا ترى
أنه لو قال في بعض قوافيها : أقرها أو أصمها لما جاز ذلك • وهذا النوع كثير في شعر
العرب وليس هو من اللزوم كقول كثير (٣) عزّة :

خليلي ° هذا ربع ° عزّة ° فاعقلا قلو صيكنما ثم انزلا حيث ° حلت ° (٤)
وهي قصيدة طويلة ، القافية فيها اللام ، وأبيات الحماسة التي لعمر بن (٥) معد
يكرّب :

(١) البيت لعروة بن أذينة . شرح الحماسة ١٢٣٥/٣ . وهو مطلع أبيات ذكرها
المرزوقي - وورد في الفهث المسجم ٨١/١ غير منسوب - وفي سمط اللالي
ص ٤٠٩ قال بعد أن ذكر البيت : « اختلف في نسبة هذا الشعر فقل إنه
لعروة ابن أذينة ، وقيل إنه لبشار » .

(٢) المثل السائر ٣٧٠/١ « ... من ذلك إلا أنه قليل ... » .

(٣) كثير بن عبد الرحمن الخزاعي أبو صخر . شاعر متيم مشهور (ت بالمدينة
سنة ١٠٥ هـ) انظر الأغاني ٢٥/٨ .

(٤) والبيت في ديوانه ٣٦/١ مطلع لقصيدة له في عزّة . وجاء في عجزه قوله « ثم
ابكيا حيث حلت » .

(٥) عمرو بن معد يكرب أبو ثور ، فارس اليمن . أخبار شجاعته كثيرة له شعر
(ت ٢١ هـ) الإصابة تر ٥٩٧٢ ، والشعر والشرعاء ٣٧٢/١ .

ولما رأيتُ الخيلَ زُورا كأنَّها جداولُ زرعٍ أُرسلتُ فاسبَطَرْتُ^(١)

(الآيات) •

القافية فيها الراء • على أن ابن الأثير جعلها من باب اللزوم ، وهذا أقرب إلى اللزوم من الأول • ولو أورد هذه وادعى أنها من اللزوم لكان له بعض شبهة • فإن أبا تمام وغيره يرون أن القافية هنا التاء • ونظم أبو تمام قصيدة تائية على هذا • وهي :

تسائلُها أيَّ المواطنِ حَلَّتِ وأيَّ ديارٍ أوطِنَتْها وأَيَّتِ^(٢)

وكذلك تائية شرف الدين^(٣) بن الفارض « نظم السلوك » ، والأخرى القصيرة ، والمحققون لا يثجيزون ذلك ويعيونه • وآيات سلمى^(٤) بن ربيعة شاعر الحماسة :

حَلَّتْ تَمَاضِرُ غَرَبَةٍ فَاحْتَلَّتِ فَلَجَأَ وَأَهْلَكَ بِالِدَوَى فَاحْتَلَّتِ^(٥)

آيات طويلة لم يجعل رويها غير اللام •

وكذلك قول سليمان^(٦) بن قنة العدوي (٤٥/أ) من شعراء الحماسة :

(١) والبيت في شرح الحماسة للمرزوقي ص ١٥٧ مطلع القصيدة . وجاء في عجزه « خليت فاسبطرت » - وفي الأصمعيات ص ١٢٢ جاءت « ولما رأيت الخيل رهوا » .

(٢) ديوان أبي تمام - عزام ٣٠٤/١ من قصيدة يمدح بها القاضي حبش بن المعافي . والبيت مطلعها .

(٣) شرف الدين ابن الفارض واسمه عمر بن علي أبو حفص . أشعر المتصوفين (ت بمصر ٣٢ هـ) ، ميزان الاعتدال ٢/٢٦٦ ، ووفيات الأعيان ١/٣٨٣ .

(٤) سلمى بن ربيعة الضبي . شاعر جاهلي ورد اسمه في الحماسة ١/٣٠٣ سلمى انظر سمط اللالي ص ٢٦٧ وخزانة البغدادي ٣/٤٠٨ .

(٥) البيت في الحماسة ١/٣٠٣ لسلمى بن ربيعة ، وفي الأصمعيات ص ١٦١ ورد مطلعها لقصيدة قال إنها لعلباء بن أرقم .

(٦) في الحماسة بتحقيق الخفاجي ١/٥٦١ هو سليمان بن قنة العدوي شاعر إسلامي شيعي من بني عدي . وجاء في عجز البيت : « فلم أرها أمثالها » . وفي الحاشية نسب ياقوت هذه الآيات إلى أبي كدهبل الجمحي يرثي بها الحسين بن علي ومن قتل معه بالطَّاف .

مررتُ على أبياتِ آلِ محمدٍ فلم أرها كعهدِها يومَ حُلَّتِ
وفي الحماسة من هذا النوع كثير • أما أبيات الحماسة :

وحربٍ يضجُّ القومُ من نَفْيَانِهَا ضجيجَ الجِمالِ الجِلَّةِ الدِّبِرَاتِ^(١)

فإنها من باب اللزوم ، أما التي أوردها ابن الأثير فلا •
قال : « وقد ذكر بعضهم في هذا النوع ماورد في أبيات الحماسة • وهو :
وفَيْشَةُ لَيْسَتْ كَهَذِي الْفَيْشِ^(٢) »

ثم ساق الأبيات وقال : « وليس هذا من باب اللزوم »^(٣) • وأخذ يستدل
على صحة دعواه ، إما بما مغلط فيه^(٤) ، وإما بما خفي الصواب فيه عليه • وأقول :
إن هذه الأبيات من باب اللزوم ، بدليل أنه لو قال فيها « حَوْش » لجاز •
وأما استدلاله بعرش وطيش فلا يسلم له • والواو والياء تقعان ردفاً قبل الرَّوْيِ
كما تقول : قصور وقصير ، وكسور وكسير • وهو أشهر وأظهر من أن يستشهد
له بشيء •

قال في اللزوم أيضا : « واعلم أنه إذا صغرت الكلمة الأخيرة من الشعر ، أو من
فواصل الكلام المنشور ، فإن ذلك ملحق باللزوم »^(٥) ثم أورد قول الشاعر :

(١) في شرح الحماسة للمرزوقي ص ٧٤٨ . البيت لامرأة من بني عامر . وقال
أبو ريش هي من بني قشير .

(٢) شرح الحماسة للمرزوقي ص ١٨٥ . لم يذكر اسم القائل . والبيت الذي
يليه « قد ملئت من خرقٍ وطيشٍ » .

(٣) المثل السائر ١/٣٧٢ . والعبارة هناك : « وقد ذكر بعضهم من .. وهذا
ليس من باب اللزوم » .

(٤) في لسان العرب (غلط) ٩/٢٣٨ . تقول غالط مغالطة والمغلطة ما يغالط به من
المسائل . وقد تجوز الصفدي فصاغ من هذا المصدر الفعل مغلط ولا وجود له .

(٥) المثل السائر ١/٣٧٥ .

عزّ على ليلَى بذِي سُدَيْرِ سوءٌ مبيتِي ليلةَ الغَمِيرِ

وساقها إلى آخرها •

أقول : ليس ذلك من اللزوم ، فإن طمرا وظهرا وصدرا ، وسَحَرًا ومطرا وقمرا ، إذا كان جميع ألفاظها مكبرا فلا لزوم فيها • نعم لو كانت القوافي التي ذكرها ، قميرا وغميرا وعميرا وجميرا وسميرا ونميرا ، لعدّ ذلك من اللزوم لوجود الميم • فإن الناظم لا يتكلف لمثل ما أورده ولا يلزم نفسه (٥٤/ب) شيئا ، بل كل قافية رائية أو غير بائية يجوز تصغيرها • ومن عجائب هذا الرجل رحمه الله أنه يعد مثل هذا لزوما ثم إنه يقول بعد سطرين : « وربما وقع بعض الجهال في هذا الموضع فأدخل فيه ما ليس منه • كقوله تعالى : « ان المتقين في جنّات ونعيم • فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم » (١) • وهذا لا يدخل في باب اللزوم ، لأن الأصل فيه ، نعم وجحيم • والياء هي من حروف المد واللين » •

أقول : من المطبوع قول القائل :

لو أرادَ اللهُ خيراً وصلاًحاً لمُحِبِّهِ
نَقَلْتُ رِقَّةً خَدِينِ هِ إِلَى قِسْوَةٍ قَلْبِهِ

وكذا هذا الرجل ، لو وفقه الله في هذا المقام ، كان كلامه هنا قد نقله إلى ما ذكره من التصغير ، وقال : إن الياء هنا للتصغير فلا عبرة بها لأن الأصل : سدر وغمير في سدير وغمير • على أنني أضعت هذين البيتين اللذين أوردتهما هنا متمثلا ، فإنهما أشرف من كذا • وما يقال هنا إلا : فديتك لا تزني ولا تتصدقني •

وأما الآيات الكريمة التي أوردها فإنها من باب الزوم • فإنه يجوز في السجع أن يقال : سموم وحميم فيجمع بين الواو والياء كما تقدم • وأما جحيم ونعيم وحميم فإنه من باب الزوم وقد خبط في هذا الباب كما خبط في التجنيس • على أن لزوم ما لا يلزم والتجنيس من واضح البديع ومن اشتغل بذلك تنبه لهما في المبادئ لوضوحهما •

وعجبت لابن أبي الحديد كونه ما تنبه لهذه الأشياء •

[لفظه خود متى تكون حسنة أو قبيحة]

قال في النوع السادس في اختلاف صيغ الألفاظ واتفقوا ، بعدما ذكر لفظ « خود » وأنها : « في الاسم الذي هو خَوْدُ حسنة رائقة ، وإذا جاءت على صيغة الفعل لم تكن رائقة » (١) •

ثم أورد قول أبي تمام (٤٦/أ) •

وإلى بني عبد الكريم تواهقت رتكَ النعام رأى الطريق فخَوْدَا (٢)
وبيت الحماسة :

أقولُ لنفسي حينَ خَوْدَ رَأثها رويدك لما تشفقي حينَ مُشفق (٣)
ثم إنه حكم للأولى بالثقل والسَّماجة ، وللثانية بالخفة والحسن (٤) • واحتج

(١) المثل السائر ٣٨١/١ «فهي على صيغة الاسم حسنة رائقة ... لم تكن حسنة»

(٢) ديوان أبي تمام - عزام ١٠١/٢ البيت من قصيدة قالها يمدح بها عبد الكريم الطائي الحمصي . مطلعها :

يا دارُ دارٍ عليك إرهامُ الردى واهتزَّ روضك في الثرى فترادا
وجاء في عجز البيت « رأى الظلام فخودا » .

(٣) شرح الحماسة للمرزوقي ٣٦٥/١ . البيت لمعل بن جوشن . وجاء في عجزه « مكانك لما تشفقي ... » .

(٤) المثل السائر ٣٨٢/١ « ... فإنها وردت في بيت أبي تمام قبيحة سمجة ، كما وردت هاهنا بين بين .. » .

لهذه بأنها « وردت هنا على حكم المجاز ، وهناك على حكم الحقيقة » .

أقول : ما أكثر تحكم هذا الرجل ودعاويه بلا مستند . وإن كان ، فهو أوهن من بيت أسس على شفا جرثوم هار . وذلك أنه من أول الكتاب إلى آخره ، يستدل على أن عذوبة اللفظة وحسنها أمر يرجع إلى تركيب أحرفها ولذة موقعها في السمع ، وأن ذلك أمر يشهد له الحسن .

فيقال له : إذا كان الأمر كذلك ، فلا اعتبار هنا بالمعنى ، ولو أن المعنى يؤثر في اللفظ عذوبة كانت « هير كولة » للمرأة المترجمة الأطراف والأرداف عذبة ، ولو أثر المعنى في اللفظ ركة ، كانت لفظه « سكير وحيف » ثقيلة في السمع . ولما لم تكن العذوبة والثقالة يتعلقان بالمعنى علمنا أن المعنى لا عبرة به في الفصاحة . فحينئذ قوله : إن خود في الأول ثقيل لكونه حقيقة وفي الثاني حسن لكونه مجازا ، دعوى مجردة ، لأن الخاء والواو المشددة والبدال لم يتغير لها صيغة ولا بناء في الموضوعين . والمجاز والحقيقة أمران معنويان لا علاقة لهما باللفظ .

ويقال له : أنت قلت : « إن الذي تكلفه النحاة من التعديلات واه لا يثبت على محك النظر » ، أفهذا التعليل الذي أوردته قوي ثابت على محك النظر ، ليس فيه مغمز ولا قدح .

أهذا طعن من يشفي غليلا وإقدام امرئ عاب الرجال !

[هل كلمة الإمامة بالكسر فصيحة]

قال أيضا في هذا الفصل ، وقد ذكر الإمامة بكسر الهمزة : « ورأيت صاحب كتاب « الفصيح ^(١) » وقد ذكرها فيما اختاره من الألفاظ الفصيحة . وياليت شعري ما الذي رآه من فصاحتها ^(٢) » .

(١) هو أبو العباس ثعلب أحمد بن يحيى النحوي ، وقد تقدمت ترجمته .

(٢) المثل السائر ١/ ٣٨٩ .

ثم زاد في الحطّ عليه (٤٦/ب) وأكثر من ذلك .

أقول : إن أبا العباس ثعلبا - رحمه الله - ما ذكر ذلك إلا التزاما بورودها لأجل الباب الذي عقده لذلك . فقال : باب المكسور أوله ، والمضموم باختلاف المعنى^(١) فاضطر لذكرها وذكر أمثالها في هذا الباب : من الخطبة والصيف والرحلة والعشر . التزاما بورود ما جاء في ذلك . وقد يكون المكسور أعذب ، وقد يكون المضموم أعذب وأئمة اللغة إذا قالوا « فصيح » ما يريدون به العذوبة والحسن ولا بدّ ، وإنما يريدون به كثرة الاستعمال ، والعذوبة قد تجيء بعد ذلك ضمنا وتبعاً .

ولهذا تسعهم يقولون اللغة الفصحى في « زُبُق ، وزُرْب الثوب » الهمز دون التسهيل ، وإن كان التسهيل أخف وأعذب من الهمز فالأفصح الهمز .

وكذا قولهم « السَّمْع بتحريك الميم أفصح من السكون ، والحس يشهد بأن التسكين أخف وأحسن . فكل عذب فصيح ولا ينعكس .

قال في ذلك أيضا : « وكذلك (فَعَل) بفتح الفاء وضمّ العين فليس له إلا اسم واحد أيضا وهو (فَعِيل) ، ولا يقع فيه اختلاف إلا ما شذّ . لكن (فَعِل) بفتح الفاء وكسر العين يقع في اسم فاعله الاختلاف استحسانا واستقباحا لأنّ له ثلاثة أوزان نحو فاعِل وفَعِل وفَعْلان ، تقول منه : حَمِد فهو حامِد وحَمْدان »^(٢) .

أقول : إن (فَعْلان) بضم العين ، ليس فاعله مقصورا على (فَعِيل) بل قد يأتي على (فَعَال) . نحو جَبَن فهو جَبَان ، وحصّنت المرأة فهي حَصَان .

وقد يأتي على (فَعَل) بتحريك العين ، نحو بَطَل فهو بَطَل وحَسَن فهو حَسَن . وقد يجيء على (فَعَال) بضم الفاء نحو فرّت الماء فهو فَرَات ، وضخّم الشيء فهو مُضْخَم ، وشجّع فهو شَجَاع . وقد يجيء على (فَعُول) نحو حصّرت الناقة فهي حَصُور ، وعزّت فهي عَزُوز . وقد يجيء على (فاعِل) نحو حمّض اللبن فهو حامِض . وقد يجيء على (فَعْل) نحو غمّر الرجل - إذا لم

(١) انظر فصيح ثعلب ص ٦٥ .

(٢) المثل السائر ٣٩٣/١ « . . . تقول : منه حمِد . . . » .

يَجْرِبُ الأمور - فهو غَمَر ، وصلَّب الشيء فهو صَلَّب ، وقد يجيء على (فعل) نحو ندَّسَ الرجل فهو نَدَسَ ويَقْطُظ فهو يَقِظ • وقد يجيء على (فعل) بسكون العين كقولك : ضَخَمَ فهو ضَخَمَ ، وسَهَّلَ فهو سَهَّلَ (٤٧/أ)، وصَعِبَ فهو صَعِبَ ، وشَهَّمَ فهو شَهَّمَ •

أما إذا كان من أفعال السَّجَايا كظَرَفَ وشَرَفَ وعَظَّمَ وكَبَّرَ ، فإنَّ اسم فاعله على وزن (فعل) تقول في ذلك : ظَرِيفَ وشَرِيفَ وعَظِيمَ وكَبِيرَ •

وأما (فعل) بكسر العين ، فإنه أطلق العبارة وادَّعى أنَّ فاعله يجيء على ثلاثة أوزان (فاعل وفعل وفعلان) والقاعدة في ذلك أنَّ الفعل لا يخلو من ثلاث صيغ :

فَعَلَ بفتح العين كضَرَبَ وفَعَلَ بكسر العين كعَلِمَ وفَعَلَ بضمِّ العين كظَرَفَ • أما الأول ، فاسم فاعله مطرد القياس على (فاعل) كضرب فهو ضارب ، وذهب فهو ذاهب ، وغلب فهو غالب ، ونقص فهو ناقص ، وكمل فهو كامل •

وأما الثاني وهو (فعل) بكسر العين فاسم فاعله على (فاعل) مسموع ، لا يتعدى بذلك النقل ، وليس للقياس في ذلك مدخل • كقولك : أَمِنَ فهو آمِنَ ، وسلم فهو سالم ، وسخط فهو ساخط ورضي فهو راض •

فأما اطراد اسم فاعل (فعل) على (فعل) ، فهو إذا كان لازما غير متعد ، وهو فعل العرض الذي هو غير مستقر ، كقولك : فرَحَ فهو فرَحَ ، وغرِثَ فهو غرِثَ ، وبَطِنَ فهو بَطِنَ ، وأَشِرَ فهو أَشِرَ ، فهذا مطرد •

وإذا كان متعديا كما ذكره ابن الأثير في (حميد) فلا يطرد فاعله على (فعل) أما (حميد) فما سمعته قط • وأظنُّ ابن خالويه ^(١) في كتاب « ليس » قال : ليس في الأسماء ما بني على ثلاثة أسماء مثل : رحم فهو راحم ورحيم ورحمان ، إلا سلم فهو سالم وسليم وسلمان ، وندِمَ فهو نادم ونديم وندمان • وقيل : إنه ادعى مثل هذا في مجلس سيف الدولة بن حمدان ، وذكرته هذه القاعدة وابن خالويه حاضر •

(١) ابن خالويه . هو الحسين بن أحمد أبو عبد الله النحوي اللغوي . أصله من همدان انظر وفيات الأعيان ٦٣/٥ ، وبغية الوعاة ٥٢٩/١ •

فقال : قد بقيت واحدة من نسب الأمير وهي « حمد » فهو حامد وحميد وحمدان .
وهذه من محاسن ابن خالويه^(١) . ولو كان في فاعلها حميد لذكر في ذلك الوقت .
فإن كان (فعل) من أفعال الألوان والخلق ، فاسم فاعله على (أفعل) نحو
عور فهو أعور وحول فهو أحول ، وجهر فهو أجهر ، وكدر فهو أكدر . وكذا
خضر وسود وصفير ، كلما كان من الألوان فاسم فاعله (أفعل) .
وأما اذا كان (فعل) للامتداء وحرارة البطن فهو (فعلان) بسكون العين
مثل : شبع فهو شبعان ، وعطش فهو عطشان ، وصدر فهو صديان ، وروي
فهو ريان وسكر فهو سكران . وأما الثالث فهو (فعّل) بضم العين . فقد تقدم
الكلام على اسم فاعله .

فهذه القاعدة في أبنية أسماء الفاعلين من الصيغ الثلاثة ، لا ما ادّعاه وأطلقه .

[حول المعازلة اللفظية]

قال في المعازلة اللفظية : ومن ذلك قول بعضهم : (٤٧/ب) .

وفبر حرب في مكان قفر وليس قُرب قُبر حرب قُبر^(٢)

فهذه القافات والراءات كأنها سلسلة في تتابعها ، ولاخفاء بما في ذلك من الثقل .

وهكذا ورد قول الحريري في مقاماته فقال :

(٢) لا وجود لهذا في المطبوع من كتاب « ليس » .

(٢) جاء في « معاهد التنصيص ٣٤/١ قول العباسي : « لا يعرف قائله » . ويقال :
إنه من شعر الجن قالوه في حرب بن أمية بن عبد شمس » . وجاء في شطره
الأول ، بمكان قفر ، وكذا في البيان والتبيين ٦٥/١ .

وازورَ مَنْ كان له زائراً وعافَ عافي العُرفِ عِرفانَهٗ (١) (٢)

أقول : أما البيت الذي ذكره أولاً فهو معذور فيه ، وكل أرباب المعاني والبيان ذكروه ونصّوا عليه ولم يقرنوه بقول الحريري . وهذا من تعسّفه وتعنته . فإن البيت الذي للحريري ما فيه غير كثرة الجناس ، وهذه صناعة فكيف يعدها عيباً . وإن كان كذلك فكل جناس تردد في بيت أو فقرة يكون معازلة على رأيه وليس كذلك . ولو لمح السر في ثقل ذلك البيت ، لما قرنه بقول الحريري . وسبب الثقل في ذلك البيت ، ما هو تكرار الحروف ولا بدّ فإن ذلك جزء علة ، وإنما هو تقديم الحروف بعضاً على بعض ، مع التكرار في قوله : قرب قبر . حتى إن هذا البيت اشتهر بأنّ الأذكياء يُمْتَحَنون بإنشاده ثلاث مرات متواليات على نفس واحد ، فما يكاد يسلم أحد من التخبيط فيه .

والسبب في ذلك تقديم بعض الحروف على بعض وتأخيرها . وليس هذا مخصوصاً بهذا البيت ، بل بكل ما ترددت حروفه متقدمة ومتأخرة .

وهذا ابن سناء الملك من أرق المتأخرين شعراً وألطفهم قد جاء له مثل هذا في قوله :

وَصَفْتِكَ وَاللَّاحِي يَعَانِدُ بِالْعَذْلِ فَكُنْتُ أَبَا ذَرٍّ وَكَانَ أَبَا جَهْلٍ
لَهُ شَاهِدَا زُورٍ مِنَ النِّهْنِي وَالنَّهْيِ عَلَيْكَ وَمِنْ عَيْنِكَ لِي شَاهِدَا عَدْلِ
حَبِيبَةُ هَذَا الْقَلْبِ مِنْ قَبْلِ خَلْقِهِ يَجِبُكَ قَلْبِي قَبْلَ خَلْقِكَ بَلْ قَلْبِي (٣)
(٤٨/أ)

(١) في « معاهد التنصيص » ٣٧/١ ورد البيت غير منسوب .
وورد في شرح المقامات للشريشي في المقامة الثالثة والثلاثين ١٧٣/٣ . من مقطوعة مطلعها :

اشكو الى الله سبحانه تقلّب الدهر وعدوانه
المثل ٤٠١/١ والعبارة فيه « فمن ذلك .. كأنها في تتبعها سلسلة .. وكذا ورد قول الحريري ... » .

(٢) ديوان ابن سناء الملك ص ٥٥٩ . من قصيدة قالها يمدح السلطان صلاح الدين الأيوبي ويذكر فتحه نابلس . وجاء في صدر البيت الأول « يعاند في العذل » وفي عجز الثالث « قبل خلقك من قبلي » .

انظر البيتين المتقدمين ما أرفقهما وما أثقل هذا الثالث ، وما سببه غير تقديم الحروف تارة ، وتأخيرها تارة في (قبلي وقلبي ، وقلب وقبل) • وأما بيت الحريري فما فيه غير تردد حروف جناسه ، والتقديم والتأخير معدومان فيه • ألا ترى أن العين قبل الفاء في المرتين والعين قبل الراء والراء قبل الفاء في المرتين وهذا ظاهر •

وهذا شرف الدين ابن الفارض — رحمه الله — في تأنيته يأتي بالجناس في البيت كثيرا مرّداً كقوله :

أيا زاجرا حنّ الأوارك تارك الـ موارك من أكوارها كالأريكة (١)

وليس فيه من التعاقل والثقل على اللسان ما في قوله :

ولا حلّم لي في حمل ما فيك نالني يؤدي لحمدني أو لمدح مودتي
وعاد دعاوي القيل والقال وانج من عوادي دعاوي صدقها قصد سمعة
وكلّفقتها لا بل كفلفت قيامها بتكليفها حتى كفلت بكلفتني (٢)

وما السبب في ذلك غير تقديم الحروف في هذا تارة ، وتأخيرها تارة ، وسردها على الترتيب في الأول من غير تقديم وتأخير فاعرف ذلك •

وأنا ما أنكر أن كثرة التجنيس المتردد في البيت أو الفقرة لا يخلو من ثقل ما ، وإنما شاححته في كونه جعل قول الحريري من باب البيت الذي كأنه رقى العقرب ، أو بعض العزائم الروحانية • وقد أكثر الناس من الاستشهاد به وصار في قلق الألفاظ

(١) ديوان ابن الفارض ص ٣٤ والبيت ليس من قصيدته « نظم السلوك » بل من أخرى تتفق معها بالوزن والقافية مطلعها :

نعم بالصبا قلبي صبا لاحتبي فيا حبذا ذاك الشذا حين هبت

(٢) ديوان ابن الفارض • والأبيات من قصيدته المسماة « بنظم السلوك » مطلعها :
سقتني حميا الحب راحة مقلتي وكأسي محيا من عن الحسن جلّت
والأبيات غير متجاوزة ورواية الثاني :

وعاد دواعي القيل والقال واتج من عوادي دعاوي صدقها قصد سمعة
وجاء في البيت الثالث « حتى كفلفت بكلفتني » .

مثلاً • وتغيير الألفاظ معلوم وقد ذكره الناس • من ذلك أن عيسى بن عمر النحوي^(١) أو أبا علقمة^(٢) النحوي سقط عن حماره وأغمي عليه ، فلما أفاق ورأى اجتماع الناس عليه ، قال : « ما لكم تَكْأَكْأُكُمْ عليَّ تَكْأَكْأُكُمْ عليَّ ذي جنة ، افرقعوا عني يرحمكم الله » فقال بعضهم : دعوه فإن عفريته يتكلم بالهندية •

ومن ذلك خبر أمّ الهيثم مع المرأة التي شكت اليها ألماً في ظهرها ، فسألتها عن السبب فقالت : كنت وحسبى بدكة ، فحضرت مأدبةً ، فأكلت حينزبةً من فِراس هَلَّعة فاعترتني زُلَّةٌ • فقالت لها أم الهيثم : إنك لذات خَزَعِلات^(٣) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أبغضكم إلي الثرثارون المتفهبون المتشدقون »^(٤) •

هذه الألفاظ كلها يتراد بها المتنتظعون في الكلام • فالثرثار من قولهم عين ثرثرة إذا كثرت ماؤها ، والمتفهب من تفهيق الغدير إذا امتلأ ، والمتشديق الذي يفتح شقيقه •

[من انواع المعاطلة]

قال في المعاطلة : « القسم الخامس من المعاطلة أن ترد صفات متعددة على نحو واحد •

- (١) عيسى بن عمر النحوي أبو عمر ، من أئمة اللغة والنحو (ت بالبصرة سنة ١٤٩هـ) انظر بغية الوعاة ٢/٢٣٧ •
- (٢) أبو علقمة النحوي النميري ، عارف باللغة وكان يتقعر في كلامه ويعتمد الحوشي والغريب ، بغية الوعاة ٢/١٣٩ ، وانباه الرواة ٢/٤٦٢ وقد أورد الجاحظ هذه الواقعة في أبي علقمة هذا ، انظر المحاسن والأضداد ١١ •
- (٣) تروى القصة عن أم الهيثم نفسها مع بعض اختلاف في العبارة في نواذر القالي ١١١ ، والمزهر ١/٥٣٩ واللسان (زلخ) •
- (٤) رياض الصالحين ٢٨١ و ٦١٧ وفيه « إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقاً • وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفهبون » ، وانظر النهاية في غريب الحديث ٣/٤٨٢ •

كقول أبي تمام (٤٨/ب) وأنشد له أبياتا منها :

تَامِكِهِ نَهْدِهِ مَدْخَلِهِ مَلُومِهِ مُحْزَنُكَلِّهِ أَجْدُهُ^(١)

ثم قال : « وهذا البيت من المعازلة التي قلنع الأضراس دونها » (٢) .

أقول : ليس ثقل البيت من تعدد الصفات ، وإنما هو من قوله تامكه ومحزنكله ، وليس في تعدد الصفات نفسها ثقل ولا معازلة إذا وردت بألفاظ عذبة ، كما تقول إذا وصفت قواما : قويمة ، أهيفه ، ناعمه ، لدنه ، ريتانه . فإن حذفت الهاء زاد حسنا . ومثل ذلك قول القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان (٣) .

قسماً بوجهك وهو بدر طالع
وبقامة لك كالقضيب ركبت في
وبليل طرتك التي كالغنيهب
أخطارها في الحب أصعب مركب
عذب النعير اللؤلؤي الأشنب^(٤)

ومما قلته في هذا النوع :

قسماً بناضر قدك اللدن القوي
وبجفني الدامي القريح الهامع ال
مالي على ذل الجفا صبر ولا
م الأهيف المتعطف الريان
هامي المثلث الهاطل الهتان
جكد يساعدني على الهجران

(١) ديوان أبي تمام - عزام ٤٣٧/١ من قصيدة قالها يمدح خالد بن يزيد الشيباني مطلعها :

ما لكثيب الحمى الى عقده ما بال جرعائه الى جرده

(٢) المثل السائر ٤٠٧/١ . . « التي قلع الأضراس دون إيرادها » .

(٣) شمس الدين أحمد بن خلكان قاضي القضاة ، عالم بالأدب والشعر والأخبار (ت بدمشق ٦٨١ هـ) انظر النجوم الزاهرة ٣٥٣/٧ .

(٤) أبياته في فوات الوفيات ١٠١/١ من قصيدة مطلعها :

يا سادتي إني قنعت وحقيكم في حبكم منكم بأيسر مطلب

وجاء في البيت الثاني :

وبقامة لك كالقضيب ركبت من أخطارها في الحب أعظم مركب

والحسن يحكم بيننا وبين من يدعي أن هذا من باب المعازلة اللفظية • وأما
بيت أبي تمام فإنه من قصيدة جاء فيها مثله بيتان وهما :

مَارِنِهِ لَدُنْهِ مَثَقِّفِهِ عَرَّاصِهِ فِي الْأَكْفِ مَسْحَحِهِ مَطَّرَدِهِ °
ثم قال :

مُسِفِّهِ ثَرَّمِ مَسْحَحِهِ وَابِلِهِ مُسْتَهْلِّهِ بَرَدِهِ ° (١)
قال وقد أورد قول أبي الطيب :

فَلَا يَثْبَرَمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ وَلَا يَحْلُلُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ يَثْبَرَمُ ° (٢)

[ردّ التعصب]

« وبلغني عن أبي العلاء أنه كان يتعصب لأبي الطيب ، حتى إنه كان يسميه
الشاعر ويسمي غيره من الشعراء باسمه » •

وزاد ابن الأثير في ذم المعري وقال : « إن الله قد جمع له (٤٩/أ) بين العمى في
البصر والبصيرة (٣) » •

أقول : إن المعري معذور في تفضيل المتنبّي على غيره ، وليس هو ببدع في
ترجيحه على غيره من الشعراء فأكثر الناس على هذا المذهب • وما المعري ولا غيره
ممن رجحه يعتقد أنه معصوم لا يقع في الخطأ • وإنما الرجل إذا أجاد لم يلحقه أحد ،
وما له عندي نظير غير القاضي الفاضل رحمه الله تعالى ، فإن الفاضل هكذا ينحط في
بعض الأوقات الى الحضيض ، ثم يشب وثبة تكون الثريا لها ثرى ، ويدع من اتبع
أثره وفقا خطاه وقد رجع القهقري • كقوله : « وخواطري كليلة ، وتصرفاتي قليلة ،

(١) ديوان أبي تمام - عزام ١/٤٣٥ من قصيدته التي يمدح بها خالد بن يزيد
الشبباني .

(٢) شرح البرقوقى ٤/٢٦٤ من قصيدة يمدح بها عمر بن سليمان الشرايبي وهو
يومئذ يتولى الفداء بين العرب والروم . مطلعها :
نرى عِظَمًا بِالْبَيْنِ وَالصَّدِّ اعْظَمُ وَتَتَّهِمُ الْوَاشِينَ وَالْدمْعُ مِنْهُمْ
وجاءت قافية البيت « مبرم » •

(٣) المثل ١/١١١ والعبارة فيه « وبلغني عن أبي العلاء بن سليمان المعري ...
وكان أبو العلاء أعمى العين خلقة وأعماه عصبية فاجتمع له العمى من جهتين » •

وحميتي كما يعرفها ، والخلنطة تخليط ، فإن سمع سيدنا بابن شفة عني فهو لقيط » (٤٩/ب) •

وكذلك أبو الطيب ، بينا تراه على عادة الشعراء من متوسط وردي ، حتى يأتي بجيد ترك الناس ينفضون غبار سبّقه من هوايديهم ، وجلس على أسيرة الأتق مطمئنا والشعراء يهيمون في واديهم • كما قال :

فذي الدار أخذع من مومسٍ ومكر من كفة الحابل
ثم أردفه بقوله :

تفاني الرجال على حبها وما يحصلون على طائل^(١)
وكما قال يرثي والده سيف الدولة :

أتتهن المصيبة غافلات ودمع الحزن في دمع الدلال
ثم قال :

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال
وكما قال منها :

رأيتك في الذين أرى ملوكاً كأنك مستقيم في محال
ثم أردفه بقوله :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال^(٢)

(٣) شرح البرقوقي ١٩٩/٣ من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر استنقاذه أبا وائل من أسر الخارجي سنة ٣٣٧ مطلعها :

الأم طواعية العاذل ولا رأي في الحب للعاقل
وروايته للبيت :

(٢) شرح الديوان للبرقوقي ١٨٢/٣ - الأبيات الأربعة من قصيدة يرثي فيها والده سيف الدولة سنة ٣٣٧ مطلعها :

نعد المشرقية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال

وكما قال في رثاء ابن سيف الدولة :

بنا منك فوق الرمل مابك في الرمل
فهذا الذي يضمني كذاك الذي يبنلي
ثم أردفه :

كأنك أبصرت الذي بي وخفته
إذا مت فاخترت الحمام على الثكل^(١)
وكما قال :

ليت المدائح تستوفي مناقبه
فما كليب وأهل الأعصر الأول
ثم أردفه بقوله :

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به
في طلعة الشمس ما يغنيك عن زجل^(٢)
وكما قال :

نلومك يا علي لغير ذنب
لأنك قد زريت على العباد
ثم يقول بعد ذا :

كأن الهام في الهيجا عيون
وقد صغت الأسنة من هموم
وقد طبعت سيفك من رقاد
فما يخطرن إلا في فؤاد^(٣)
وهذان البيتان وإن عُدَّتْ سرقاتهما فما فيها ماله هذه الديباجة ولا فيه هذه
الطلاوة (١/٥٠) .

- (١) شرح الديوان للبرقوقي ٢٠٩/٣ البيتان من قصيدة قالها يرثي أبا الهيجاء عبد الله ابن سيف الدولة وقد توفي سنة ٣٣٨ وجاء في البيت الأول « وهذا الذي يضمني » . كما جاء في عجز الثاني « إذا عشت فاخترت . . » .
- (٢) شرح الديوان للبرقوقي ٢٥٤/٣ . البيتان من قصيدة قالها يمدح سيف الدولة ويعتذر إليه سنة ٣٤١ مطلعها :
- أجاب دمي وما الداعي سوى طلل
دعا فلناه قبل الركب والإبل
- (٣) شرح الديوان للبرقوقي ٩٣/٢ الأبيات الثلاثة من قصيدة قالها يمدح علي ابن إبراهيم التنوخي . مطلعها :
- أحادي أم سندس في أحاد
لنيلتنا المنوطة بالتناد

وكما قال :

وشبّه الشيءَ منجذبٌ إليه
وأشبهُنا بدنينا الطَّعامُ
ثم يردفه بقوله :

ولو لم يعملْ إلا ذو محلٍّ
تعالى الجيشُ وانحطَّ القتامُ^(١)
وكما قال :

أذمُّ إلى هذا الزمانِ أهيلَه
فأعلمُهُمَ فدمٌ وأحزَمُهُمَ وغدٌ
ثم يردفهما^(٢) بقوله :

ومنْ نكدرِ الدنيا على الحرِّ أن يركى
عدوٌّ له ما من صدائقه بدء^(٣)
قيل إنه لما ادعى النبوة قيل له : ما معجزك ؟ فقال : قولي ومن نكد الدنيا ..
البيت وكما قال :

ستبكي شجنوها فرسي ومهري
صفائحُ دمعها ماءُ الجسمِ
ثم يقول بعد هذا :

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً
وآفته من الفهمِ السقيمِ^(٤)

(١) شرح الديوان للبرقوقي ٢٤٦/٤ البيتان من قصيدة قالها يمدح المفيث بن العجلي . مطلعها :

فوادٌ ما تسليه المنامُ
وعُمرٌ مثلُ ما تهبُّ اللِّثامُ
(٢) هكذا في الأصل .

(٣) شرح الديوان للبرقوقي ١٠٩/٢ . البيتان من قصيدة قالها يمدح محمد بن سيار بن مكرم التيمي . مطلعها :

أقلُّ فعالي بله أكثرُه مجدٌ
وذا الجدُّ فيه نلتُ أم لم أتلُ جدٌ

(٤) شرح الديوان للبرقوقي ٣١١/٤ البيتان من قصيدة قالها وقد كبست انطاكية فقتل مهره الطخورور وأمه مطلعها :

إذا غامرتَ في شرفِ مَرومٍ
فلا تقنَعِ بما دونَ النجومِ

وكما قال :

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا وَعَنَاهُمْ مَنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا
ثم يقول :

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدْ فَمِنْ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا^(١)
وكما قال :

نِتَاجُ رَأْيِكَ فِي وَقْتٍ عَلَى عَجَلٍ كَلْفِظِ حَرْفٍ وَعَاةٍ سَامِعٍ فَهَمُ
ثم يقول :

صَدَمَتْهُمْ بِخَمِيسِ أَنْتَ غَرَّتَهُ وَسَمَّهَرِيَّتَهُ فِي وَجْهِهِ غَمَمُ
فَكَانَ أَثْبَتَ مَا فِيهِ جِسْمُهُمْ يَسْقُطُنَ حَوْلَكَ وَالْأَرْوَاحُ تَنْهَزُمُ^(٢)
وكما قال :

وَإِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ مَا كُلُّ مَا شِئَ بِالرَّجْلِ شِمَالُ
ثم يقول :

ذَكَرْتُ الْفَتَى عَمْرُةَ الثَّانِي وَحَاجَتَهُ مَا قَاتَهُ ، وَفُضُولُ الْعِيشِ أَشْغَالُ^(٣)

(١) شرح الديوان للبرقوقي ٤/٤٦٦ . البيتان من قصيدة قالها بمصر ولم ينشدها كافورا . مطلعها أولهما .

(٢) شرح الديوان للبرقوقي ٤/١٧٩ . من قصيدة أنشدها سيف الدولة سنة ٣٤٥ هـ معرّضا بالطريق الرومي وهي آخر ما أنشده في حلب مطلعها :

عَقَبِي الْيَمِينِ عَلَى عَقَبِي الْوَغَى نَدْمُ مَاذَا يَزِيدُكَ مِنْ إِقْدَامِكَ الْقَسَمُ
وجاء فيه الثالث « فكَانَ أَثْبَتَ مَا فِيهِمْ جِسْمُهُمْ » .

(٣) المصدر السابق ٣/٥٠٦ . من قصيدة قالها يمدح أبا شجاع فاتكاً في مصر . مطلعها :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تَهْدِيهَا وَلَا مَالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

وهذا البيت فيه ثلاثة أمثال •

وكما قال :

عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدْ وَحْدٌ وَيَنْبُو نَبْوَةُ الْقَصِيمِ الْكَهَامِ

ثم يقول :

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ (٥٠/ب) (١)

وكما قال :

ذَرِينِي أَكُلْ مَا لَا يَنَالُ مِنَ الْعَلَا فَصَعْبُ الْعَلَا فِي الصَّعْبِ وَالسَّهْلُ فِي السَّهْلِ

ثم يقول :

تَثْرِيدِينَ لِقِيَانِ الْمَعَالِي رَخِيصَةً وَلَا بَدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ (٢)

وكما قال :

أَبَا شَجَاعٍ بِفَارِسٍ عَضْدُ الدِّ وَلَةَ فَتَاخُسْرُوْ شَهْنَشَاهَا

أَسَامِيًّا لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً وَإِنَّمَا لَذَّةٌ ذَكَرْنَاهَا (٣)

(١) شرح الديوان للبرقوقي ٣٤٨/٤ البيتان من قصيدة قالها يذكر حمى أصابته في مصر سنة ٣٤٨ مطلعها :

مَتْلُومُكُمَّا يَجِلُّ عَنِ الْمَلَامِ وَوَقَعَ فَعَالِيهِ فَوْقَ الْكَلَامِ

(٢) المصدر السابق ٥/٤ من قصيدة قالها يمدح أبا الفوارس دليمر بن لشكروزي سنة ٣٥٣ مطلعها :

كَدَعَاكَ كُلُّ يَدْعِي صِحَّةَ الْعَقْلِ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَكْذِبُ بِمَا فِيهِ مِنْ جَهْلِ

(٣) شرح الديوان للبرقوقي ٥١٩/٤ . من قصيدة قالها يمدح عضد الدولة فناخسرو سنة ٣٥٤ مطلعها :

أَوْهَ بِدِيلٍ مِنْ قَوْلَتِي وَاهَا لِمَنْ نَأَتْ وَالْبَدِيلُ ذَكَرَاهَا

فهذا يسير من كثير ، وقليل من غزير • ولكنّ هذا القدر كاف في الدلالة على ماله من الجيد ، فانظر إلى انحطاطه وارتفاعه • ولكن أين ارتفاعه • وهذان الرجلان قد سار ذكرهما وثبت أمرهما وأسكرت الألباب خمرهما •

وفي تعبٍ من يحسد الشمس ضوءها • ويزعمُ أن يأتي لها بضربٍ ^(١)
فالقاضي الفاضل - رحمه الله - انفرد بالترسل ، وانفرد المتنبي بالشعر مع مالهما من الانحطاط ، ولكنّ انحطاط المتنبي أوضع وأشنع •

ولو أن الناس إذا رأوا جوادا بخل في وقت ، أو شجاعاً فرّ في وقت ، أو صانعاً ماهراً قصر في وقت ، يرمونهم بالغيب ويطعنون عليهم ولا يعدون لهم إحساناً ، لما كان في الوجود جواد ولا شجاع ولا صانع ماهر ولا خطيب بليغ ولا شاعر متّجيد • وإنما العبرة بالأغلب والأكثر ، والقليل مغفوع عنه ، لأنّ العصمة لا تشتتّرط إلا للمرسلين صلوات الله عليهم وسلامه •

وللمعري بيتان يفضل فيهما أبا الطيب على أبي تمام وهما :

ما حبيبٌ إلا أديبٌ ولكنّ ما أراه يقاربُ المتنبي
ذا المعاني الغرائب اللائي أسهرنْ جفوني ^(٢) دهرًا وتيّمّن قلبي (٥١/أ)
ولما فرغ أبو العلاء من تصنيف كتاب « اللامع العزيزي » ^(٣) في شرح ديوان أبي الطيب وقرئ عليه ، أخذ الجماعة في وصفه • فقال : كأنما نظر المتنبي إليّ بلحظ الغيب إذ يقول :

(١) في ربحانة الألبا ٣٤٤/١ غير منسوب والبيت للمتنبي من قصيدة في تعزية سيف الدولة بموت عبد له سنة ٣٤٠ . انظر شرح الديوان للبرقوق في ٦١/١ وفيه « الشمس نورها ... ويجهد أن يأتي لها .. » .

(٢) هكذا في الأصل ، والصواب (جفني) ليستقيم الوزن . ولم أعثر عليهما في شعر أبي العلاء .

(٣) ويقال له كذلك (الثابتي العزيزي) . انظر الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره ٧٨٩/٢ .

أنا الذي نَظَرَ الأعمى إلى أدبي وأسمعتَ كلماتي مَنْ بِهِ صَمَمٌ^(١)
 وقيل : إن المعري كان إذا خلا ممن لا يثق إليه قال : ناولوني معجز أحمد^(٢) ،
 يعني ديوان أبي الطيب وإذا كان في غير الخلوة يقول : الشاعر •

وهذا شبيه بما يحكى عن أفلاطون^(٣) من أنه كان إذا جلس للناس ، واستدعي منه الكلام قال : اصبروا حتى يحضر الناس ، أو ربما قال : حتى يحضر العقل • يريد أرسطو^(٤) • وكان يسمى ديوان أبي تمام (ذكرى حبيب)^(٥) ويسمي ديوان البحتري (عبث الوليد^(٦)) • وهذا يحتمل المدح والذم • أما المدح فلأن عبث الوليد حلو على القلوب • وأما الذم فلأن العبث من حيث هو مذموم عند العقلاء •

ويسمي ديوان ابن هانئ^(٧) المغربي (رحى تطحن قرونا) ولعمرى إن أبا العلاء

- (١) شرح الديوان للبرقوقي ١٠٨/٤ من قصيدة قالها يعاتبه سيف الدولة . مطلعها :
 وأحرَّ قلباه مِمَّنْ قلبه شَبِيمٌ وَمَنْ بجسمي وحالي عنده سَقَمٌ
 وانظر كلام أبي العلاء في « تعريف القدماء » ١٨٣ .
- (٢) هو مختصر جرّده المعري من ديوان المتنبي . وهذا يدل على أن للمعري كتابين في شعر المتنبي . انظر الجامع في أخبار أبي العلاء ٧٨٩/٢ .
- (٣) أفلاطون بن أرسطون أحد أساطين الحكمة . شريف النسب من بيت علم ، توفي في السنة التي ولد فيها الإسكندر ، تاريخ الحكماء ١٧ .
- (٤) أرسطو طاليس ، تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر المقدوني ، وبآدابه عمل في حكمه ، اعتنى المأمون بترجمة كتبه إلى العربية ، تاريخ الحكماء ٣٧ .
- (٥) ذكرى حبيب كتاب للمعري في شعر أبي تمام ، لم يفسر فيه شعره ولا اختصر ديوانه وإنما اقتصر على ذكر الأبيات المشككة ، والكتاب أكثر من جزء - انظر الجامع في أخبار أبي العلاء ٧٢٥/٢ .
- (٦) عبث الوليد ، كتاب للمعري في شعر البحتري ، وسبب وضعه أن أحد الرؤساء كلف المعري بتصويب نسخة من شعر البحتري كانت لديه ، فتعرض المعري للغلط الذي وقع من الناسخ ، وكذلك للغلط الواقع من البحتري نفسه . انظر الجامع ٧٧٧/٢ وتعريف القدماء ١٨٣ والكتاب مطبوع بدمشق سنة ١٣٥٥ هـ .
- (٧) هو محمد بن هانئ الأندلسي أبو القاسم الشاعر المعروف ، اتصل بالتمغزي الفاطمي ، قتل في برقة سنة ٣٦٢ هـ ، انظر نفح الطيب ١٨٣/٥ .

المعري ما أنصف ابن هانيء في هذه التسمية • أليس [هو] ^(١) الذي يقول في القصيدة الرائية :

وَجَنَيْتُمْ ثَمَرَ الْوَقَائِعِ يَانَعَا بِالنَّصْرِ مِنْ وَرَقِ الْحَدِيدِ الْأَخْضَرِ
ومنها

لَا يَأْكُلُ السَّرْحَانُ شِلْوُ طَعِينِهِمْ مِمَّا عَلَيْهِ مِنَ الْقَنَا الْمُتَكْسِرِ ^(٢)

وبعض الناس يغلط ^(٣) في هذا البيت ويقول : هو بالذم أشبه منه بالمدح ، لأنه وصفهم بأنهم لكثرة ما يجتمعون على الواحد من أعدائهم ، يكسرون القنا في الطعان عليه حتى يقتلوه . فيجتمع عليه من الرماح المكسرة ما يمنع السرحان من أكله (٥١/ب) وليس الأمر كذلك ، لأن الطعين المراد به أنه من الممدوحين أنفسهم ، والمعنى : أنه إذا مات منهم طعين لا يموت إلا بعد أن يجتمع عليه من الأعداء خلق كثير • فالطعين من الممدوحين لا من عدوهم وهذا في غاية المدح •

أليس له تلك القصيدة الفائية ، وما فيها من تشبيه الكواكب حتى انتهى إلى ذكر السهى فقال :

كَأَنَّ سَهَاها عَاشِقٌ بَيْنَ عَوْدٍ فَأَوْنَةً يَدُو وَأَوْنَةً يَخْفَى ^(٤)
وهي مشهورة وكلها جيد •

أليس له القصيدة الدالية التي أولها :

إِمْسَحُوا عَنْ نَازِرِي كَحْلَ السُّهَادِ وَانْفُضُوا عَنْ مَضْجَعِي شَوْلَ الْقَتَادِ
أَوْ خُذُوا مِنِّي مَا أَبْقَيْتُمْ لَا أُحِبُّ الْجِسْمَ مَسْلُوبَ الْفُؤَادِ

(١) زيادة تقتضيها صحة العبارة •

(٢) ديوان ابن هانيء ٢٢٣ من قصيدة قالها يمدح جعفر بن علي مطلعها :

فَتَقَتَّ لَكُمْ رِيحُ الْجَلَادِ بَعْنَبَرٍ وَأَمْدَكُمْ فَلَقَّ الصَّبَاحُ الْمُسْنِفِرَ

(٣) صوغ عامي لا صحة له ، عنى به تجاهل الصواب ، انظر ص ١٦٠ •

(٤) ديوان ابن هانيء ص ٢٤٠ من قصيدة قالها يمدح جعفر بن علي •

ومنها في وصف الدروع :

كلُّ رَقْرَاقٍ الحواشي فوقه
فَعَلَى الأجسادِ وَقَدْ من سَنَا
أليس له الفأية الأخرى التي يقول فيها :
ولقد هزّزْتُ غصونها بِشارِها
فَرَدَدْتُها من راحتيه مَرَّةً
ما كان أَفْتَكَنِي لو اختَرَطْتُ يدي
أليس له القصيدة الكافية التي أولها :
فَتَكَاتُ طرفكِ أُم سيوف أبيك
أَجِلَادُ مَرَهَفَةٍ وقتكِ مَحَاجِرُ
منها :

مَنَعوكِ من سِنَةِ الكرى وَرَوَا فلو
ودَعَوكِ نَشَوِي ماسقَوكِ مَدَامَةً
لما تَمَايَلَ عِظْفُكِ اتَّهَموكِ (١/٥٢) (٣)
وله أشياء مليحة .

- (١) الأبيات في تبين المعاني في شرح ديوان ابن هانيء ص ٢٦٥ و ٢٦٩ .
- (٢) ديوانه ص ٨٨ من قصيدة قالها يمدح الخليفة المعزّ لدين الله . مطلعها :
قد سار بي هذا الزمانُ فَأَوْجَفَا وَمَحَا مَشْيِي من شبابي أَحْرَفَا
وجاء في مطلع الأول « فلقد » وفي صدر الثاني « من راحتيه مزة » .
- (٣) ديوان ابن هانيء ص ٢٦٤ . من قصيدة قالها يمدح يحيى بن علي الأندلسي .
مطلعها البيت « فتكات طرفك أُم سيوف أبيك . . . » وجاء في عجزه « وكؤوس
خمر » .

وأما تخلصاته فمن أحسن ما يكون ولكن المعري تحامل عليه • وأما أبو الطيب فمن سعادته أنه شرح ديوانه ما يقارب الأربعين فاضلا • منهم الواحدي^(١) وحسبك ومنهم الإمام فخر الدين ، وللشيخ تاج الدين الكندي رحمه الله حواش على ديوانه أحسن من حواشي الأصداغ في هوامش الوجنات ، تشتمل على فوائد جمة وقواعد مهمة ، من غريب لغة واعراب ومعنى ليس لها نظير • وقد سردت من شرح ديوانه في ترجمته في كتاب « الوافي بالوفيات » •
وقال الوزير^(٢) المغربي في كتاب « أدب الخواص » وقد قال : المتنبي ، وإخواننا المغاربة يقولون المتنبي •

قلت أنا : وهذا تحريف حسن من المغاربة ، وما يليق أن يطلق عليه المتنبي • وكان الشيخ تاج الدين يروي لأبي الطيب بيتين يتصل سندهما به وليس في ديوانه وهما :

أبعين مفتقر اليك نظرتني فأهنتني وقد فتني من حالق
لست الملوّم أنا الملوّم لأتني أنزلت آمالي بغير الخالق^(٣)

- (١) الواحدي هو علي بن أحمد أبو الحسن • مفسر عالم بالأدب (ت ٤٦٨ هـ) •
انظر وفيات الأعيان ٣٣٣/١ ، وانباه الرواة ٢٢٣/٢ •
- (٢) الوزير المغربي ، واسمه الحسين بن علي أبو القاسم • وزر ببغداد للبويعيين مدة وهو من العلماء الأدباء وله شعر (ت ٤١٨ هـ) انظر وفيات الأعيان ١٥٥/١ ، وشذرات الذهب ٢١٠/٣ •
- (٣) جاء في وفيات الأعيان ٢٥٧/١ في ترجمة المتنبي قوله : « كان الشيخ تاج الدين الكندي يروي له بيتين لا يوجدان في ديوانه ، وكانت روايته لهما بالإسناد الصحيح المتصل به ، فأجبت ذكرهما لغرابتهما وهما . . » وأورد البيتين • وكذلك في معاهد التنصيص ٣١/١ إذ قدم العباسي للبيتين بعبارة قريبة من عبارة ابن خلكان ، كما أوردهما الصفدي للمتنبي في الفيت المسجم ٢١/١ وفيه « وأهنتني » • وقد انفرد كتاب مقاتل الطالبين بنسبتهما إلى أبي الفرج الأصفهاني « هجا بهما الوزير المهلب سرآ » ، فلما سمع الوزير بذلك قال أهجني جهرا . . انظر المقدمة صفحة ب • وأنا أرجح نسبتهما إلى أبي الفرج لبعدهما في المعنى والأسلوب عن سمات المتنبي وشعره ، وليس لأبي الفرج إلا أمثال هذا النظم المهلهل فهو ليس بالشاعر • ورواية البيتين عند الأصفهاني قريبة من رواية الصفدي • وعثرت عليهما منسوبين إلى أبي الفرج أيضا في معجم الأدباء ١٥٤/٥ •

وعلى الجملة فقد رزق أبو الطيب من السعادة في شعره ما لم يرزقه غيره .
وممن عابه وحط [عليه] ^(١) صاحب بن عباد في كرايس لطيفة ^(٢) ، ومنهم ابن
وكيع ^(٣) في « المنصف » ^(٤) وقال ابن شرف ^(٥) القيرواني في « أبكار الأفكار »
وهو أجور من سدوم ^(٦) . والوحيد المغربي حط عليه وعلى ابن جنّي حطاً بالغاً
ومنهم الحاتمي ^(٧) في رُسَيْلَةٍ لطيفة، ورسالة أخرى أملاها الحاتمي في معايبه ، وهي
مجلدة لطيفة ، وله « الموازنة بينه وبين أبي تمام » وللجرجاني ^(٨) رحمه الله كتاب
« الوساطة بين المتنبي وخصومه » ، ما خلا فيها من التمالي ^(٩) عليه ، ومنهم الناصح
ابن الدهان ^(١٠) في رسالة سماها « الرسالة السعيدية في المآخذ الكندية » ^(١١) .

- (١) زيادة تقتضيها العبارة .
- (٢) باسم « الكشف عن مساوئ شعر المتنبي » نشرها الشيخ محمد حسن آل ياسين بغداد ١٩٦٥ .
- (٣) ابن وكيع هو الحسن بن علي الضبي التنيسي . شاعر مجيد (ت بمصر ٣٩٣ هـ)
انظر وفيات الأعيان ١/ ١٣٧ ، واليتمية ١/ ٢٨١ .
- (٤) ورد عند بروكلمان باسم « المنصف للسارق والمسروق منه » وهو مخطوط
موجود في برلين (٧٥٧٧) انظر GAL - I - 88
- (٥) ابن شرف القيرواني هو محمد بن سعيد ، شاعر وكاتب مترسل (ت باشبيلية
٤٦٠ هـ) انظر الذخيرة المجلد الأول من القسم الرابع ١٣٣ - ١٨٥ ، والوافي
٩٧/٣ وإرشاد الأريب ٩٦/٧ .
- (٦) المثل « أجور من قاضي سدوم » في الميداني ١/ ١٢٨ ، والعسكري ١/ ٣٣٣ ،
واللسان (سدم) وريحانة الألبا ٢/ ٢٨٤ . وسدوم إحدى مدائن قوم لوط عليه
السلام . وأراد الصفدي بهذا المثل « منصف » ابن وكيع المذكور .
- (٧) الحاتمي هو محمد بن الحسن أبو علي . أديب نقاد من أهل بغداد (ت ٣٨٨ هـ)
تاريخ بغداد ٢/ ٢١٤ ، وإرشاد الأديب ١/ ٥٠١ .
- (٨) الجرجاني هو القاضي علي بن عبد العزيز صاحب (الوساطة) من العلماء
بالأدب وله ديوان شعر (ت ٣٩٢ هـ) انظر إرشاد الأريب ٥/ ٢٤٩ ، واليتمية
٢٣٨/٣ .
- (٩) صوابها التمالؤ بمعنى التحامل .
- (١٠) الناصح ابن الدهان واسمه سعيد بن المبارك ، عالم باللغة والأدب ، له ديوان
شعر (ت بالموصل سنة ٥٦٩ هـ) انظر وفيات الأعيان ١/ ٢٠٩ ، ونكت
الهيتمان ١٥٨ .
- (١١) وقد كتب ابن الأثير استدراكاً على هذه الرسالة سماه « الاستدراك في الأخذ
على المتنبي » في كوبرولي ١٢٠٤ استانبول .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كان الإنسان كالقذح ، لقال الناس ولولا » • وما لمن يعيب جیده جواب إلا ما قاله هو في وصف قصيدته :

بذي الغباوة من انشادها صممٌ كما تضر رباحُ الورد بالجعل^(١)

[حول وصل همزة القطع وقطع همزة الوصل]

قال في المعاملة اللفظية أيضا : « ومن هذا القسم وصل همزة القطع وهو محسوب من جائزات الشعر التي لا تجوز في الكلام المنشور ، وكذلك قطع همزة الوصل » (٢) •

ثم أورد قول أبي تمام :

فأصبح يلقاني الزمان من آجله بإعظام مولود ورأفة والد (٥٢/ب) (٣)

أقول : أما قطع همزة الوصل فإنه معذور فيها إذا عدها عيبا ، وهي عندي كمد^(٤) المقصور في القبح • ووصل همزة القطع أراها كمد^(٤) المقصور وهي أحسن • وذلك أنك تنقل الأثقل إلى الأخف فيهما بخلاف ذينك فإنك تنقل الأخف إلى الأثقل •

وأما جعله قول أبي تمام « من آجله » مما لا يجوز إلا في الشعر فقط ، فليس الأمر كذلك ، وهذا من باب النقل ، وقراء التجويد يعرفون ذلك ولا يسمونه وصل الهمز ، بل نقل الحركة من المتحرك إلى الساكن كقوله تعالى « ولو أنهم صبروا^(٥) »

(١) شرح الديوان للبرقوقي ٢٠٦/٣ من قصيدة قالها سيف الدولة وقد سار إلى الموصل لنصرة أخيه سنة ٣٣٧ هـ مطلعها :

أعلى الممالك ما يبنى على الأسفل والطعن عند محبين كالقيل

وجاء في صدر البيت « بذي الغباوة من انشادها ضرر » •

(٢) المثل ٤١٣/١ •

(٣) ديوان أبي تمام - عزام ٦٨/٢ من قصيدة يمدح ابن شبانة . مطلعها :

قفوا جددوا من عهدكم بالمعاهد وإن هي لم تسمع لنشدان ناشد

(٤) أراد كقصر الممدود فسها عن ذلك •

(٥) سورة الحجرات ٥/٤٩ •

فإنَّ واو لو ساكنه ، فإذا أرادوا التثقل ثقلوا حركة الهمزة التي تليها إليها • قالوا : « ولو أنهم » وهذا مشهور ظاهر لا ينكر •

وقرأوا قوله تعالى : « من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل ^(١) » بنقل حركة الهمزة إلى النون في « من » وهذا مثل قول أبي تمام •

وإذا كانت هذه القاعدة مطردة في القرآن جميعه من أوله إلى آخره ، كيف يمنعه ويجعله من ضرورات الشعر والمعاظلة في الألفاظ •

نعم يقبح في مثل قول المتنبي :

يوسِّطُهُ المفاوِزَ كلَّ يومٍ طلابُ الطالبين لا الإِنتظارُ ^(٢)

وقوله أيضا : « وشدة الظن لا الاستدلال » فإنه وإن كان على القاعدة فإنه مستثقل كما تراه •

[الصناعة المعنوية]

قال في المقالة الثانية في الصناعة المعنوية وقد ذكر حكم اليونان وعلومهم « إن أبا نواس ومسلم ^(٣) بن الوليد وأبا تمام والبحري وأبا الطيب وغيرهم كعبد الحميد ^(٤) وابن العميد ^(٥) والصابي لم يتعلموا من كتب اليونان شيئا وجاءوا

(١) سورة المائدة ٣٢/٥ •

(٢) شرح الديوان للبرقوقي ٢٥٧/٢ من قصيدة قالها لما أوقع سيف الدولة بالقبائل مطلعها :

طوال قنا تطاعنها قصار وقطرك في ندي ووفي بحار

(٣) مسلم بن الوليد الأنصاري بالولاء المعروف بصريع الغواني الشاعر ، صاحب مذهب البديع في الشعر (ت ٢٠٨ هـ) انظر الشعر والشعراء ٨٣٢/٢ ، والنجوم الزاهرة ١٨٦/٢ •

(٤) عبد الحميد بن يحيى المعروف بالكاتب ، عالم بالادب من أئمة الكتاب (قتل بمصر سنة ١٣٢ هـ) انظر الوزراء والكتاب ٧٢ - ٨٣ ، ووفيات الأعيان ٣٠٧/١ •

(٥) ابن العميد ، هو محمد بن الحسين العميد أبو الفضل ، وزير من أئمة الكتاب وله شعر (ت بهمذان ٣٦٠ هـ) انظر ريتمية الدهر ٢/٣ ، ومعاهد التنصيص ١١٥/٢ •

بما جاؤوا به^(١) » ثم إنه مثل بنفسه وانه لم يراع ذلك وجاء بما جاء به ، وادعى هنا ما ادعاه لنفسه .

أقول : انني ما المشاحة هنا إلا في حكمه^(٢) أن هؤلاء ما اشتغلوا بشيء من ذلك . فأقول له : من أين عملت هذا حتى تحكم به ؟ أما دعواك لنفسك فما أعارضك فيها ، لأن الناس (٥٣/أ) أخبر بنفوسهم ، وأما أبو نواس فقد قيل : انه كان يشتغل بالفقه حتى قيل فيه : أبو نواس فقيه غلب عليه الشعر ، والشافعي شاعر غلب عليه الفقه . ومع ذلك فلم يظهر عنه فقه ، كما لم يظهر عنه اشتغال بعلوم اليونان . وعدم الدليل لا يدل على عدم المدلول .

على أنه كان في زمن الرشيد والأمين^(٣) والمأمون ، وهذه العلوم اشتهرت في أيامهم ، خصوصا في زمن المأمون ، فإنه رتب الذهب لمن يحل كتب اليونان من اليونانية إلى العربية مثل حنين^(٤) بن إسحق ، وابن بختيشوع^(٥) وغيرهما .
ألا ترى أبا نواس قال :

فقل لمن يدعي في العلم فلسفةً حَفِظْتَ شَيْئاً وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ^(٦)
فإن قلت : هذا مما يدل على رفضه لهذه العلوم وتركه إياها ، قلت إنما قال

(١) المثل السائر ٤/٢ .

(٢) أي ما كنت لأعترض قوله لو لم يطلق حكمه بأن هؤلاء لم يتصلوا بالثقافة اليونانية ، وتركيب العبارة خاطيء بوجود انني .

(٣) الأمين هو محمد بن هارون الرشيد ، الخليفة العباسي قتل في حصار بغداد سنة ١٩٨ هـ بعد خمس سنوات من خلافته انظر تاريخ بغداد ٣/٣٣٦ ، ومروج الذهب ٢٣٢/٢ - ٢٤٧ .

(٤) حنين ابن اسحاق العبادي ، طبيب مؤرخ مترجم متمكن من عدة لغات (ت. ٢٦٠ هـ) انظر تاريخ الحكماء ص ١٧١ ، وابن خلكان ١/١٦٧ .

(٥) ابن بختيشوع واسمه بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع ، طبيب مقرب لدى الخلفاء وبخاصة المتوكل (ت ٢٥٦ هـ) انظر عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٢٠١ وما بعدها .

(٦) البيت في ديوانه ص ٧ من قصيدة مطلعها :
دع عنك لومي فإنَّ اللومَ إغراءٌ ودأوني بالتي كانت هي الداءُ

هذا في سياق أبيات يغري فيها بالسكر ودفع الخمار بالخمر والإدمان لذلك ،
والانهماك في اللذات ومواصلة الشراب ومجالس الأنس ، حتى انتهى إلى قوله هذا
البيت ردّاً على القائلين بالحكمة ، وأن الأخذ من الشراب كثيراً محرم عقلاً ، وأن
الاكثار من ذلك مضر من حيث الطب • فأخذ يسفه الحكيم في رأيه ويقول : حفظت
شيئاً من الحكمة ، وغابت عنك أشياء في إدمان الشراب من اللذات والابتهاج
على عادة الشعراء في الإغراء •

ثم إنه قال فيها :

لا تحظر العفوان^(١) كنت امرءاً حرجاً فإن حظركه^٢ بالدين ازراء^(٣)

وهذا على عادة الشعراء في مجونهم ، وإنما أبو نواس أكثر من الشعر فدون
عنه ، ولم يضع هو تلك العلوم شيئاً ، لاجرم أنه لم يظهر عنه شيء •

وقول أبي نواس :

إباح العراقي^٤ النبيذ وشربه^٥ وقال : حرامان^٦ المدامة^٧ والسكر^٨

وقال الحجازي^٩ : الشرابان واحد^{١٠} فحلت^{١١} لنا من بين قوليهما الخمر^{١٢}

سأخذ^{١٣} من قوليهما طرفيهما^{١٤} وأشربها^{١٥} لافارق^{١٦} الوازر^{١٧} الوزر^(٢)

فمن أنعم النظر في هذه الأبيات ، علم أن أبا نواس كان منطقياً ، فإن استنتاجه
حلّ الخمر من مقدمتي كلام الفقيه العراقي والحجازي يدل على ذلك • وهذا
على عادة مجاز الشعر وإلا^(٥٣/ب) فالصحيح حرمة الخمر •

[هل صح اطلاع بعض الشعراء والكتاب على حكم اليونان وعلومهم]

وأما أبو الطيب فقد قال : أنا وأبو تمام حكيما وإنا الشاعر البحري ،

(١) ديوان أبي نواس ص ٨ من القصيدة الأنفة الذكر . ورد في عجز البيت
(في الدين) •

(٢) لم أعثر على هذه الأبيات في ديوان أبي نواس •

وكلام هذين الشاعرين يدل على أنهما ما عريا عن شيء من علوم الفلسفة • خصوصا المتنبي و « الحاتمية » تدل على أنه كان ينظر في كلام القوم • ألا ترى قوله يمدح ابن العميد :

من مبلغ الأعراب أني بعدها جالست رسطاليس والإسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه متبديا متملكا متحضرا (١)

وهذا بعيد أن يصدر ممن لم ينظر في كتب القوم •
وقال المعري وقد أورد لأبي الطيب قوله :

إلف هذا الهواء أوقع في الأذنين أن الحمام مر المذاق
والأسى قبل فترقة الروح عجز والأسى لا يكون بعد الفراق (٢)
« هذان البيتان يفضلان كتابا من كتب اليونان ، لتناهيهما في الصدق وحسن النظر ، ولو لم يكن له سواهما ، لكفاه ذلك شرفا » •

وأما ابن العميد فقد قال ابن خلكان رحمه الله تعالى في ترجمته : « وكان متوسعا في علوم الفلسفة والنجوم » •
قلت : والبيتان الرائيان المذكوران لأبي الطيب في مدحه يؤيدان ما قاله ابن خلكان •

(١) شرح البرقوقى ٣٣١/٢ من قصيدة قالها يمدح أبا الفضل محمد بن العميد .
مطلعها :

بادر هواء صبرت أم لم تصبرا وبكائك إن لم يجر دمعك أو جرى
وجاء في عجز الاول « شاهدت رسطاليس .. » وفي عجز الثالث « متملكا متبديا متحضرا » •

(٢) شرح الديوان للبرقوقى ١٣١/٣ من قصيدة يمدح بها أبا العشائر الحمداني العدوي مطلعها :

اتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خيلة في المآقي

وأقول : أليس هو بصاحب الصّاحب بن عبّاد ، وقد كان من رجال المعتبرة ، وله في أصولهم مصنف • ومن المستحيل أن معتزليا لا ينظر في كتب الفلسفة •
وأما ابن أبي الحديد ، فقد أجابه عن دعواه أن الإنسان لا يحتاج إلى المنطق ولا إلى هذه العلوم ، في « الفلك الدائر » ^(١) • والصحيح أنه من جهل شيئا عاده ^(٢) •

[شاهد الحال ودوره في استخراج المعاني]

قال في هذا : « ومما يعين على استخراج المعاني شاهد الحال » ^(٣) •
أقول : ما أنكر أن مشاهدة الحال في الخارج تعين على تصور المعاني ، إلا أن استنباط المعاني لا يفتقر فيه إلى المشاهدة ، وقد جاء في الوجود جماعة من العميان الذين لم يشاهدوا الصور في الخارج ، وأتوا بالتشبيهات البديعة ، مثل بشار بن برد حيث قال (١/٥٤) •

كأن مثارَ النَّقْعِ فوقَ رؤوسنا وأسيافنا ليل تهوى كواكبُه ^(٤)
ومثل أبي العلاء المعري حيث يقول :

(١) في المثل السائر ٤٠/٤ •

(٢) قصد الصفدي بعبارته هذه ابن أبي الحديد نفسه ، لما بدا في ردّه على ابن الأثير في هذه النقطة من اضطراب وجهل بمفهوم الشعر • أما الدّكر زغلول سلام فقد جعل ابن الأثير هو المقصود بهذه العبارة ، ونهم منها ان الصفدي يتهم ابن الأثير بآته معاد للفلسفة اليونانية واقحامها على الأدب .. انظر كتابه تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري ٣٣٠ - ٣٣١ •

(٣) المثل السائر ٨/٢ قال ابن الأثير بعد أن أورد أبياتا لأبي تمام : « وهذا مما يعين على استخراج المعاني فيه شاهد الحال » •

(٤) في وفيات الأعيان ١٩/٣ من قصيدة مدح بها ابن هبيرة • مطلعها :
جفا وده فازور أو مل صاحبه وأزري به إلا يزال يعاتبه

ولاح هلال" مثلَ نونٍ أجادها بذوبِ النُّضارِ الكاتبُ ابنُ هلالٍ (١)
وحيث يقول :

ليتي هذه عروس" من الزَّند جِ عليها قلائد" من جُمانِ
وسهيل" كوجنة الحبِّ في اللو نِ وقلبِ المُحبِّ في الخَفَقانِ
ثم شاب الدُّجى وخاف من الهج ر فغطى المشيبَ بالزغفرانِ (٢)
وله أشياء كثيرة من التشبيه الغريب •

ومثل أبي البقاء العكبري حيث يقول :

وغدير رقت حواشيه حتى بانَ في قعره الذي كان ساخا
وكان الطيورَ إذ وردته من صفا مائه تزق فراخا
وما أحلى قولَ أبي طاهر (٣) حيدر في مثل هذا :

وضاحية وردت بها غديراً يقدرُ من صفاءِ الماءِ أرضا
كانَ الوحشَ حيثُ تغب فيه يقبلُ بعضها للشوق بعضا

(١) سقط الزند ٢٤٧ من قصيدة مطلعها :

طربنَ لضوءِ البسارقِ المتعالي ببغدادَ وهناً ما لهنَّ ومالي
وجاء في عجز البيت «بجاري النصار» وفي معجم الأدباء ١٥/١٢٨ «بماء النصار» .

(٢) سقط الزند ص ٩٤ من قصيدة مطلعها :

عللاني فإنَّ بيضَ الأماني فنيتَ والظلامَ ليسَ بفاني

(٣) أبو طاهر محمد بن حيدر . الشاعر توفي سنة ٥١٧ هـ . انظر فوات الوفيات
٣٩٨/٢ .

ومثل جماعة تقدموا من الأضرّاء كأبي العيّن (١) وابن سيده (٢) صاحب المَحْكَم ، والشاطبي (٣) رحمه الله ، وغير هؤلاء ممن أتى بالفرائب ، ولم يستعينوا بحاسة البصر .

فإن قلت : إن هؤلاء إن كانوا ما رأوا ولا شاهدوا ، فقد سمعوا ما قاله غيرهم ، وشبهوا كما شبه غيرهم . قلت : ما نازعتك في ذلك ، وإنما أردت أن التشبيه لا يفتقر إلى (٥٤/ب) الصورة الخارجة . فإن الناظم قد يتصور المعنى في ذهنه من غير أن يشاهده في الخارج ، ويولد المعنى من معنى آخر . كقول ابن المعتز (٤) .

وأرى الثريّا في السماء كأنها قدمٌ تبدّتْ من ثيابِ حدادٍ (٥)
فانه ولد هذا المعنى من قول الآخر :

كَانَ كَوْوَسَ الشَّرْبِ وَاللَّيْلِ مُظْلَمٌ
وَجُوهٌ عَذَارَى فِي مَلْحَفٍ سَوْدٍ
وكما قال ابن الذروي (٦) وقد ذكر أهل الثوبة في مدح صلاح الدين :

(١) أبو العيّن واسمه محمد بن القاسم ، شاعر مترسل من الظرفاء ، كف بصره بعد الأربعين (ت بالبصرة ٢٨٣ هـ) . انظر الديارات ص ٥٢ - ٦٠ ، ونكت الهميان ص ٢٦٥ .

(٢) ابن سيده ، علي بن إسماعيل أبو الحسن . أندلسي ، امام في اللغة وآدابها ، نظم الشعر مدة ، كان ضريرا وكذلك أبوه ورد اسمه في معجم الأدباء ٢٣١/١٢ على بن أحمد على خلاف (ت في دانية ٤٥٨ هـ) وانظر نكت الهميان ٢٠٤ .

(٣) الشاطبي واسمه القاسم بن فيره الرعيني ، أبو محمد إمام القراء ، له قصيدة في القراءات تعرف بالشاطبية (ت بمصر سنة ٥٩٠ هـ) انظر نكت الهميان ص ٢٢٨ .

(٤) ابن المعتز هو عبد الله بن محمد المتوكل أبو العباس ، خليفة يوم وليلة . شاعر مولع بالأدب (قتل سنة ٢٩٦ هـ) انظر الاغاني ٣٧٤/١٠ ، وأشعار أولاد الخلفاء ١٠٧ - ٢٩٦ .

(٥) والبيت في ديوانه ص ١٧٧ من مقطوعة مطلعها :
قَمِ يَا نَدِيمِي نَصْطَبُحْ بِسَوَادٍ
قد كاد يبدو الصبحُ أو هو بادٍ
وورد في عجز البيت « في ثياب حداد » .

(٦) ابن الذروي واسمه علي بن يحيى الشاعر - كان قاضيا وجيها معاصرا للعماد الأصفهاني . انظر الخريدة شعراء مصر ١٨٧/١ ، وفوات الوفيات ١٨٨/٢ .

سود" وتحمرُّ الظبي حولها كأعين الرُّمْدِ بدتْ للأساه°
 أو لا فسر" تتحيها القنا مثل دنانٍ بزلت للستاه°
 فإنه ولد هذا المعنى الأول من قول الأَرَجاني :

وكانَّ كلَّ شقيقةٍ حمرةٍ كحلتْ محاجرُها بأحمرَ قانٍ
 عينٌ لإنسانٍ وقد رمِدَتْ فما يبدو لرامقها سوى الإنسانِ (١)
 وولد المعنى الثاني من قول أبي العلاء المعري في تشبيه البرق :

إذا ما احتاج أحمرٌ مستطيراً حببتَ الليلَ زنجياً جريحاً (٢)
 ولعمرى لقد تصرف في هذا التشبيه الثاني تصرفاً حسناً •
 وكما ولدت أنا من قول الحصري (٣) :

الناس كالأرض ومنهم هم من خشنِ اللس ومن لينِ
 مرّو" تشكى الرجلُ منه الأذى وإثمدُ" يجعلُ في الأعيُنِ
 فنقلته إلى معنى المتنبي المشهور وقلت :

مولى تفرعَ من كرامٍ وجهُهُم° وبَنانُهُم° للمُجتلي والمُجتني

(١) ديوان الأَرَجاني ص ٤١٣ من قصيدة مدح بها الصدر السعيد محمد بن زيد مطلعها :

أهواكم وخيالكم يهواني فلقد شجاه فراقكم وشجاني
 وجاءت روايته للبيتين :

وكانَّ كلَّ شقيقةٍ مكحولةٍ شرقتْ محاجرُها بأحمرَ قانٍ
 عينٌ لإنسانٍ وقد ملئتْ دماً منه فما يبدو سوى الإنسانِ
 سقط الزند ص ٤٧ من قصيدة مطلعها :

الاح وقد رأى برقاً مليحاً سرى فأتى الحمى نضواً طليحاً

(٣) الحصري واسمه علي بن عبد الغني أبو الحسن • شاعر ضريب ، مدح المعتمد ابن عباد (ت بطنجة ٤٨٨ هـ) انظر نكت الهميان ٢١٣ ، والذخيرة المجلد الأول من القسم الرابع ١٩٢ - ٢٠٥ •

سادوا الأنامَ عِلاَّ وهمٌ من جنسهم^١ ومن الحجارةِ إئِمدٌ في الأعيُنِ^(١)
وولدت أيضا من قول بعض العرب :

كَأَنَّ هِلَالَه مِرَاةٌ قَيْنِ لَهَا شَطْرٌ يَلُوحُ مِنَ الْغِلَافِ
(١/٥٥)

فقلت في العِذار :

قلتُ إِذْ قِيلَ لِي تَسْلَى فِهَذَا صَدغَتْ قَدْ دَجَا وَكَانَ يَنْيرُ
هِيَ مِرَاةٌ خَدِهِ غَابَ مِنْهَا فِي غِلَافِ الْعِذَارِ شَيْءٌ يَسِيرُ^(٢)

أو يعكس المعنى إلى ضده وهو في التشبيه كثير ، لأن التشبيه واقع بين طرفين ،
شبيه ومشبه به • فإذا شبهت النجوم بالشرار جاز أن تشبه الشرار بالنجوم ، وإذا
شبهت البرق بالسيف ، جاز أن تشبه السيف بالبرق ، وإذا شبهت الهلال بالقلامة ،
جاز أن تشبه القلامة بالهلال •

قال ابن المعتز :

ولاحَ ضوءُ هلالٍ كَادَ يَفْضَحُنَا مِثْلَ الْقَلَامَةِ إِذْ قَدَّتْ مِنَ الظَّفَرِ^(١)

وعكس ذلك سعد الدين^(٤) ابن عربي - فقال في مליح قلّم أظافره :

أَبْعَدَتْ ظَفْرَكَ وَهُوَ بَعْضُكَ فَالَّذِي يَكْهَاكَ أَجْدَرُ بِالْبِعَادِ الْأَطْوَلِ

(١) الغيث المسجم ٢/٢٠٩ . وبدأ ثانيهما ب (فاقوا الانام)

(٢) الغيث المسجم ١/١٨٣ .

(٣) ديوان ابن المعتز ص ٢٤٧ من مقطوعة مطلعها :

سقى المطيرة ذات الظل والشجر وديرَ عبدونَ هطالَ من المطرِ
وجاء في عجز البيت « قد قدت من الظفر » وكذا في حماسة ابن الشجري ص ٢٥٨
وفي شرح نهج البلاغة ٥/٤٥ كانت الرواية .

(٤) ولأحَ ضوءُ هلالٍ كَادَ يَفْضَحُنَا مِثْلَ الْقَلَامَةِ قَدْ قَصَّتْ مِنَ الظَّفَرِ
سعد الدين ابن عربي ، هو محمد بن محمد وهو ابن الشيخ محيي الدين بن
عربي ، شاعر له ديوان (ت بدمشق ٦٥٦ هـ) انظر الوافي بالوفيات ١/١٨٦
وفيه نماذج من شعره .

فأجابني : أنظني قلمتها عن حاجة ، لا بل لمعنى عن لي
 لأريك يا من بالهلال يقيسني أن الهلال قلامة من أنملي
 وما أحسن قول الحسن بن إبراهيم النظري في المقص والأنامل والقلامات
 والأظفار :

ما عامل يحكي إذا استعملته وأعانه خمس بهن يدور
 صقراً يصيد أهلة يلعن من أعلى بدور تحتهن بثور
 وعكست أنا قول بعضهم في الورد :
 كأن احمرار الورد والطل فوقه خدود توالى فوقها الدمع بالوكف

فقلت من أبيات :

أقسمت ما سجت ورق الحمام في روض على مثل عطفها ولا صدحت
 وكلمنا اعتدلت بالميل قامتها رأيتها فوق حسن الغصن قد رجحت
 وما اكتسى خدوها من لؤلؤ عرقا لكنها وردة بالطل قدر رشحت

وعكست أيضا التشبيه الوارد في قوله تعالى « وهي تجري بهم في موج
 كالجبال »^(١) فقلت (٥٥/ب) :

قد ركبنا على البريد لمصر بحر رمل عجاجه عجاج
 فعكسنا التشبيه لما جرينا في جبال كأنها أمواج

ومثل هذا يسمى غلبة الفرع على الأصل ، كما إذا شبت العرجون بالهلال ،
 والغصن بالقد ، والرجس بالعيون ، والليل بالشعر والصبح بالثغر • وهو مشهور •

[فضل المتنبي في لاميته في خيمة سيف الدولة]

قال بعدما أورد أبيات المتنبي في الخيمة التي أولها :

أينفع في الخيمة العُذْلُ (١)

وقد ساق منها خمسة عشر بيتا : « وهذه الأبيات قد اشتملت على معان عديدة ، وكفى بالمتنبي فضلا أن يأتي بمثلها (٢) » .

أقول : أين هذا الكلام في حق المتنبي من الكلام عند إيراد قوله :

فلا تبرمُ الأقدارُ ما هو حال ... (البيت)

والإزراء والطعن على المعري لتفضيله إياه .

[هل أبدع أبو نواس في أبياته : تدار علينا الراح في عسجدية]

قال بعدما أورد أبيات أبي نواس :

تدارُ علينا الراحُ في عسجديةٍ ... (الأبيات الثلاثة) (٣) .

« وقد أكثر العلماء من وصف هذه الأبيات وهذا المعنى ، وقولهم فيه إنه معنى

(١) شرح البرقوقي ٢٣٦/٣ من قصيدة قالها يمدح سيف الدولة ويذكر خيمته التي رمتها الريح بميا فارقين مطلعها :

أيقدحُ في الخيمة العُذْلُ وتشملُ من دهرها يشملُ

(٢) المثل السائر ١٢/٢ « هذه الأبيات قد اشتملت على معان بديعة .. » .

(٣) ديوان أبي نواس ص ٣٦١ من قصيدة مطلعها :

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا بها أثر منهم جديد ودارس

والأبيات الثلاثة هي :

تدارُ علينا الراحُ في عسجديةٍ حبتها بألوان التصاوير فارسُ

قرارتها كسرى وفي جنباتها مها تدرىها بالقسي الفوارسُ

فللخمر مازرت عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلانسُ

مبتدع . ويحكى عن الجاحظ ^(١) أنه قال : « ما زال الشعراء يتناقلون المعاني قديما وحديثا إلا هذا المعنى ، فإن أبا نواس انفرد بإبداعه » .

وما أعلم أنا ما أقول لهؤلاء سوى أن أقول : قد تجاوزتم حد الإكثار ، ومن الأمثال السائرة : بدون هذا يباع الحمار . وفصاحة هذا الشعر عندي هي الموصوفة لا هذا المعنى . فإنه لا كبير كلفة فيه . لأن أبا نواس رأى كأسا من الذهب ذات تصاوير فحكاها في شعره .

والذي عندي في هذا ، أنه من المعاني المشاهدة ، فإن هذه الخمر لم تحمل إلا ماء يسيرا ، وكانت تستغرق صور هذا الكأس إلى مكان جيوبها ، وكان الماء فيها قليلا بقدر القلائس التي على رؤوسها وهذا حكاية حال مشاهدة بالبصر ^(٢) .

أقول : كفى بهذا الرجل — رحمه الله — أن يقول مثل هذا ، وما أعرف كتابا من أمهات كتب الأدب مثل « الروضة » للمبرد و « الذخيرة » لابن بسّام و « زهر الآداب » للخصري ^(٣) إلا وقد تضمن ذكر هذه (٥٦/أ) الأبيات والثناء عليها . وحسبك بكلام يثني عليه أبو عثمان عمرو الجاحظ ، وهو من أحذق أئمة الأدب ، وأعرفهم بما يقول ، وأبصرهم بمدارك العقول ، وقوله في مثل هذا حجة ، وما قرره في الأبيات هو المحجة .

وما أحسن قول القاضي النافضل : « وأما الجاحظ — رحمه الله — فما منا معاصر الكتاب إلا من دخل من كتبه الحارة ، وشن الغارة ، وخرج وعلى الكتف منها كاره » .

(١) الجاحظ هو عمرو بن بحر أبو عثمان أديب العربية المعروف (ت بالبصرة ٢٥٥ هـ) انظر إرشاد الأريب ٥٦/٦ — ٨٠ .

(٢) المثل السائر ١٣/٢ « وقد أكثر العلماء من وصف هذا المعنى .. يتناقلون ولا أعلم أنا ما أقول لهما ولا بي سوى أن أقول ، قد تجاوز بهم حد الإكثار .. » المعنى .. ولا أعلم أنا ما أقول لهما ولا بي سوى أن أقول ، قد تجاوز بهم حد الإكثار .. » .

(٣) الخصري أبو إسحق هو إبراهيم بن علي ، أديب نقاد من أهل القيروان له شعر (ت ٤٥٣ هـ) انظر إرشاد الأريب ٣٥٨/٢ .

وقد أولع الفاضل — رحمه الله — بذكره في ترسله ، وذكر تصانيفه • ولو لم يكن له في كتب الأدب إلا كتاب « البيان والتبيين » لكفاه ذلك فخرا • ويقال : مما فضل الله به أمة محمد صلى الله عليه وسلم على غيرها من الأمم ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسياسته ، والحسن ^(١) البصري بعلمه ، والجاحظ ببيانه •

ويحكى عنه أنه قال : دخلت ديوان المكاتبات ببغداد ، فرأيت قوما قد صقلوا ثيابهم ، وصفوا عمائمهم ، ووشوا طرزهم • ثم اختبرتهم ، فوجدتهم كما قال الله تعالى : « فأما الزَّبدُ فيذهب جفاء ^(٢) » ظواهر نظيفة ، وبواطن سخيفة « فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون ^(٣) » ومن أجوبته ما يحكى عنه أنه اجتمع بالجماز ^(٤) في مجلس بالبصرة • فقال له الجماز : كم نارا في اللغة ؟ فقال : نار الحرب ، ونار الشجر ، ونار الجباحب ، ونار المعدة ، والنار المعروفة • فقال له : تركت أبلغ النيران • قال : وما هي • قال : نار حِرٍّ أمك التي كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها • فقال الجاحظ : أما نار أمي فقد قضيت أن لها خزانا ، الشأن في حِرٍّ أمك التي يقال لها : هل امتلأت ؟ وتقول : هل من مزيد • والجاحظ أشهر من أن يذكر بمحاسن (٥٦/ب) وأنا أحكي ما قاله الجاحظ • فإن ابن الأثير — رحمه الله — رَوَّجَ المقال • والذي نقله أئمة الأدب عنه أنه قال : « وجدنا المعاني تقلب ، ويؤخذ بعضها من بعض ، إلا قول عنترة في الذباب : ^(٥) »

وخلا الذباب بها فليس ببارح
غردا كفعل الشارب المترنم

(١) الحسن بن يسار البصري أبو سعيد • شب في كنف علي بن أبي طالب كان إمام أهل البصرة (ت ١١٠ هـ) انظر حلية الأولياء ١٣١/٢ ، وميزان الاعتدال ٢٥٤/١ •

(٢) سورة الرعد ١٧/١٣ •

(٣) سورة البقرة ٧٩/٢ •

(٤) الجماز واسمه محمد بن عمرو أبو عبد الله ، حسن النادرة خبيث اللسان وهو ابن أخت سلم الخاسر • انظر معجم الأدباء ٨٢/١٦ ، ووفيات الأعيان ٦٨/٦ •

(٥) في البيان والتبيين (هارون) ٣٢٦/٣ « قالوا لم يدع الأول للآخر معنى شريفا ولا لفظا بهيا إلا أخذه البيت عنترة » وذكر البيتين ولم يذكر أبيات أبي نواس •

هزجا يحكُّ ذراعَه بذراعِهِ قدحَ المُكَبِّ على الزَّنادِ الأُجْدَمِ^(١)
وقول أبي نواس في تصاوير الكأس :

تدارُ علينا الراحُ في عسجديةٍ ... (وأنشد الأبيات) انتهى •

قال ابن بسّام في « الذخيرة » وقد ذكر أن أبا نواس ولّد هذا المعنى من قول امرئ القيس :

فلما استنطابوا صَبَّ في الصحنِ نصفه وشجّتْ بماءٍ غيرِ طرُقٍ ولا كدرٍ^(٢)

« فجعل الشراب والماء نصفين لقوة الشراب ، فتسلق عليه أبو نواس وأخفاه بما شغل به الكلام من ذكره الصور المنقوشة ، إلا أنها سرقة مليحة •

وكرر أبو نواس هذا المعنى عجباً به في مواضع • كقوله :

بنينا على كسرى سماءَ مُدَمَّةٍ مَكَلَّلَةً حافاتِها بنجوم

فلو رُدَّ في كسرى بن ساسان روحه إذنْ لاصطفانا دونَ كلِّ نديمٍ^(٣)

وأخذه الناشئ^(٤) فولّد معنى زائداً عليه فقال :

في كأسها صوَرٌ تظنُّ لحسنِها عرُباً يرزَنَ من الحِجالِ وغيدا

- (١) شرح ديوان عنتره (تحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي) من قصيدته :
هل غادر الشعراء من متردٍ أم هل عرفت الدار بعد توهّم
كما وردا في البديع لابن المعتز ١٢٥ الثاني فقط ، وورد الأول وحده في الحماسة
البصرية ٣٤٢/٢ ولحن العوام ٣٣ . كما وردا في خزانة ابن حجة ٤٠٤ وفيها
« فليس بنازح » ورواية الصفدي كما في الديوان أدق في أداء المعنى وأصوب .
- (٢) ديوان امرئ القيس (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) من قصيدة مطلعها :
لعمرك ما قلبي إلى أهله بحرٌّ ولا مقصّر يوماً فيأتيني بقرّ
ديوان أبي نواس ٥٧٧ من قصيدة مطلعها :
- (٣) لمن دمن تزدداد حسن رسوم على طول ما أقوت وطيب نسيم
وفي ثانيهما « إذن لاصطفاني » . وانظر زهر الآداب ١٦١/٣ .
- (٤) اسمه عبد الله بن محمد الناشئ الأنباري أبو العباس ، شاعر ، عالم بالأدب
(ت بمصر ٢٩٣ هـ) انظر وفيات الأعيان ٢٦٣/١ ، وتاريخ بغداد ٩٢/١ ،
وفي خزانة ابن حجة ج ١٧٧ ، والبيت الثاني في الخزانة « فتقسمت ... » .

وإذا المزاجُ آثارَها فتنمّمتْ ° ذهباً ودُرّاً توأما وفريدا
فكأنهنَّ لبسنَ ذاكَ مجاسداً ° وجعلنَ ذا لنحورِهِنَّ عقودا
(١/٥٧)

وقال ابن المعتز :

وكأسٍ من زجاجٍ فيه أَسَدٌ ° فرائِسُهُنَّ أَلْبَابُ الرِّجالِ (١)
وَأَلَمَ بهذا ابن بَطال (٢) البطليوسي فقال :

وغابٍ من الأكواسِ فيها ضراغمٌ ° من الرّاحِ ، أَلْبَابُ الرِّجالِ فريستها
قرعتُ بها سِنَّ الهُمومِ فأقلعتُ ° وقد كاد يسطو بالفؤادِ رسيستها
وقال أبو تمام ابن رباح :

وكاسٍ بدا كِسرَى بها في قَرارةٍ ° غريقاً ، ولكنّ في خليجٍ من الخَمَرِ
وما صوّرته فارسٌ عَبَثاً به ° ولكنّهمْ جاؤوا بأخفى من السِحْرِ
أشاروا بما دانوا له في حياتِهِ ° فنّومي اليه بالسجودِ ولا ندري
هذا ما أورده ابن بسّام في معنى الكأس المنقوشة .

ولا بأس بإيراد ما جاء في ذلك للشعراء المتأخرين ، من ذلك قول ابن سناء الملك .

ما الدُرُّ إلا ذا الحَبَا بٌ وإنسي بالدرِّ أدري
شِعري وشعري في السما وفي كؤوسِكَ أَلْفُ شِعري
مَنّتْ عليك ولا كما مَنّتْ على أشلاءِ كسرى
الخلقُ لما عاشَ قد سجدوا له طوعاً وقسراً

(١) ديوان ابن المعتز ص ٣٨١ من مقطوعة مطلعها :

أعاذلُ قد أبحتُ اللهُوَ مالي وهان عليّ مائورُ المقالِ

وجاء في صدر البيت « بكأس من زجاج . . » .

(٢) ابن بَطال البطليوسي هو سليمان بن محمد أبو أيوب . فقيه ، باحث وشاعر
(ت ٤٠٤ هـ) انظر الصلة ص ١٩٤ ، وجذوة المقتبس ص ٢٠٦ .

والكل لما ماتَ قد سجدوا له في الكأس سكرًا^(١)
ولا يخفى على ذي اللب أن هذا مأخوذ من قول أبي تمام بن رباح وقد
تقدّم وهو أحسن من هذا •
وقوله أيضا :

إلا إن شرّاب المدام هم الناس وغيرهم فيهم جنون ووسواس
فيا ليت أني مثل كسرى مصور فليس يزال الدهر في كفه كاس^(٢)

وهذا مأخوذ من قول أبي فراس • وسيأتي فيما بعد (٥٧/ب) •
وقوله أيضا وهو في غاية الحسن :

شربنا على هذا وذاك مدامة
بدت كالعقيق الرطب والذهب الرخص
أعيد لنا في كأسها شخص قصير
وكسرى ، فكادت تبعث الروح في الشخص
قيصرة في قصر كسرى وربما
مجنّا فقلنا بل مساكين في خص^(٣)

(١) ديوان ابن سناء الملك ص ٣٢٩ . من قصيدة قالها يذم الزمان مطلعها :

يا خيبة الحر الذي لم يلق فوق الأرض حراً

ورد في صدر الثاني « شعري وسعدى في السماء .. » .

(٢) ديوانه ص ٤٥٠ . وهما بيتان فحسب ، وجاءت رواية الثاني :
فيا ليت أني مثل كسرى مصوراً فليس يزال الدهر في يده كأس

(٣) ديوانه ص ٤٥٣ من قصيدة مطلعها :

غدا الحسن شورى في الملاح وانما إمامهم من أوتي الحسن بالنص
وجاء في عجز الثاني « وكادت » بدل فكادت . كما ورد البيت الثالث :
قيصرة في قصر كسرى وربما مجنّا فقلنا بل صعاليك في خص

وقول ابن قلاؤس الإسكندري :

لو لم يصبها الماء حين توقدت°
وبنيتها قصراً سقيت° براحتي
بيد المدير لخفت° ان يتسعراً
كسرى أنوشروان فيه وقيصراً^(٤)

وقوله أيضاً

انهكت° جسمها السنين فلولا
فاحني في الكأس جسم كسرى براح°
عرفتها لم يكن بها ذا اعتراف°
تبعث° الروح منه في الأعطاف°^(٢)
وقول ابن سناء الملك الذي تقدم أكمل في الحسن .

وقوله أيضاً :

بزجاجة دارت° وفي جنباتها
خلعت° على عطفيه خلعة قهوة°
كسرى أنوشروان في ايوانه
وسلبتها فغدوت° في سلطانه^(٣)
يعني أنه لبسها بشره لها فغدا في سلطانه ، لما يجده السكران من العزة .
كما قال المنخل^(٤) شاعر الحماسة :

(١) ديوان ابن قلاؤس ٤١ من قصيدة مدح بها القاضي السعيد ابن خليف ،
مطلعها :

هو ملتقى أرج النواسم فانظرا
وجاء في عجز الأول « بيد النديم .. » .
هل تعرفان به القضيبة الأنضرا

(٢) ديوانه ٦٧ من قصيدة مدح بها الحافظ السلفي . مطلعها :

عاف سمعي ذكر المحل العافي واصطفاه البكاء بالمصطاف

والبيتان ليسا في الديوان لأن الناسخ (نفى الساقط) كما صرح في التقديم .

(٣) ديوانه ١١١ من قصيدة مدح بها سعيد السعداء عنبراً . مطلعها :

عزت° ضمائرهُ على كتمانهِ فليذاك عبّر شأته عن شأنهِ

وجاءت رواية الديوان :

دارت° زجاجتها وفي جنباتها كسرى أنوشروان في ايوانه

فخلعت° عن عطفيه خلعة قهوة° البسيتها فغدوت° في سلطانه

(٤) المنخل بن مسعود الشكري . شاعر جاهلي كان ينادم النعمان بن المنذر

(ت نحو ٢٠ ق هـ) انظر الأغاني ٩/ ١٥٨ ، والشعر والشعراء ١/ ٤٠٤ .

وَإِذَا سَكِرْتُ* فَإِنِّي رَبُّ الْخَوَرِ تَقِ وَالسِّدِرِ
وَإِذَا صَحَوْتُ* فَإِنِّي رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَالْمَبْعِرِ^(١)

وقول ابن الذروي :

وَمَصُورٌ نَازَعْتُ فِيهِ عَلَى الْمُدَامَةِ قِصْرًا
وَسَلَبْتُ مِنْهُ مَتَوَجًّا حَتَّى رَجَعْتُ مَسُورًا
وَمَضَيْتُ مِنْ عِقْيَانِهِ وَلَجَيْنِهِ أَغْنَى الْوَرَى (١/٥٨)

وقول ابن قلاقس أيضا :

وَزَجَاجَةٌ حَيَّاكَ مِنْهَا قِصْرٌ وَكَأَنَّمَا هُوَ فِي جَوَانِبِ قَصْرِهِ
مَا أَلْبَسَتْهُ الرَّاحُ ثَوْبًا مَذْهَبًا إِلَّا وَقَلَدَهُ الْحَبَابُ بَدْرَهُ

وهذا مأخوذ من قول الناشئ ، وقد تقدم .

وما أحسن قول أبي فراس^(٢) .

أَعْمَامُ مَا يَدْرِيكَ كَيْفَ قَاتَلْنَا وَالخَيْلُ تَحْتَ النَّقْرِ كَالْأَشْبَاحِ
نَطْفُو وَنَرْسَبُ فِي الدِّمَاءِ كَأَنَّمَا صَوَّرَ الْفَوَارِسُ فِي كُؤُوسِ الرَّاحِ^(٣)

(١) وبيتاه من قصيدة قالها في هند بنت عمرو بن هند فقتله عمرو (في رواية الاغانى) . مطلعها :

إِنْ كُنْتُ عَسَاذِلْتِي فَسِيرِي نَحْوَ الْعِرَاقِ وَلَا تَحْزِينِي

وفي الأصمعيات ص ٦٠ . جاء في أولهما « فلماذا أنتشيت فاني » وفي نور القبس ص ٧٢ كما وردا في الفيث المسجم ٢٦٥/١ غير منسوبين .

(٢) أبو فراس الحمداني . واسمه الحارث بن سعيد الشاعر الفارس المعروف . قتل في تدمر سنة ٣٥٧ هـ . انظر يتيمة الدهر ٢٢/١ - ٦٢ .

(٣) وبيتاه ليسا في ديوانه (د . سامي الدهان - بيروت ١٩٤٤) وهما في اليتيمة ٧٢/١ . وورد الصدر في البيتين : « أغمام ما يدريك ما أفعالنا » ، « تطفو وترسب في الدماء كأنها » .

ومما اتفق لي وفيه تورية :

كؤوس المدام تحب الصفا فكن لتساويرها مبطلا
ودعها سواذج من نقشها فأحسن ما ذهبت بالطلا (١)

وقلت أيضا مضمنا البيت المشهور ، واهتدمت منه ما اهتدمت ليطابق المعنى الذي تخيلته :

ومشمولة قد هام كسرى بكأسها فأضحى ينادي وهو فيها مصور
وقفت لشوقي من وراء زجاجة إلى الراح من فرط الصابة أنظر (٢)

وأما قول عنترة في الذباب ، فقد زعم مشايخ الأدب (٣) أنه من التشبيهات العقم . وقد أخذه ابن الرومي فقال :

وأذكى نسيم الروض ريعان ظله وغنى مغني الطير فيه فرجعا
وغرد ربي الذباب خلالة كما حثت الثدمان صنجا مثرعا
فكانت أرائين الذباب هناكم على شدوات الطير ضربا موقعا (٤)

وقال ابن عبدون (٥) :

ساروا ومسك الدياجي غير منهوب وطررة الشرق غفل دون تذهيب
على ربي لم يزل شادي الذباب بها يلقني بأنق ملفوظ ومضروب

(١) خزانة ابن حجة ٣٠٥ .

(٢) المصدر السابق ١٧٧ . وجاء في الثاني « إلى الدار من فرط الصابة .. » .

(٣) انظر قول الحضري في زهر الآداب ١٦٠/٣ ، كما أورد أبيات ابن الرومي بعد أن قدم لها بقوله : « وقد تعلق ابن الرومي بذيله .. » .

(٤) ديوان ابن الرومي ٣٠١ . وفيه قافية البيت الأول « فسجعا » وفي عجز الثاني « كما حثت الثدوان .. » .

(٥) ابن عبدون هو عبد المجيد بن عبد الله . ذو الوزارتين الشاعر الأندلسي (ت ٥٢٠ هـ) انظر وفيات الأعيان ١٩/٢ ، والمغرب ١/٣٧٤ .

وقد أخذه من قول المثقّب (١) العبدى يذكر الناقة :

وتستمعُ الذبابَ إذا تَغَنَّى كتغريدِ الحمامِ على الغصونِ (٢)

وقول الأقيشر : (٣) •

وقد تقوم على رأسي منعمّةٌ لها إذا طربتْ من صوتها غنجٌ
فترفعُ الصوتَ أحياناً وتخفّفه كما يطنُ ذبابُ الروضةِ الهزجُ

وقد أخذ ابن عبدون قوله من قول الأخطل (٤) في وصف ثور وحشي • وهو :

فَرَدَّ يَغْنِيهِ ذَبَابُ الرِّياضِ كما غنى الغوّاةِ بصنَجٍ عند أسوارِ

وقال أبو بكر بن سعد البطلانيّوسي :

كأنَّ أهَازِيجَ الذبابِ أساقفٌ لها من أزاهير الرِّياضِ محاريبُ

ولم يجسر أحد على هذا المعنى قبل عنترة • غير أن ذا الرّثمة (٥) نقل معنى الصفة إلى الجندب فقال :

(١) المثقّب العبدى اسمه عائذ بن محصن - على خلاف - شاعر جاهلي من أهل البحرين (ت حوالي ٣٥ ق هـ) انظر معجم الشعراء ١٦٧ .

(٢) البيت باختلاف في الرواية في ديوانه ق ٢٩/٥ ص ٣٧ ، والمفضليات ق ٢٨/٧٦ ص ٥٨٤ ، واللسان ٣٦٩/١ ، وجمهرة اللغة ١٦٤/١ ، والحيوان ٣٨٨/٣

(٣) الأقيشر هو المغيرة بن عبد الله الأسدي ، شاعر هجاء ولد في الجاهلية وعاش طويلاً . قتل نحو ٨٠ هـ . انظر الأغاني ٨٠/١ - ٩١ ، والشعر والشعراء ص ٥٥٩ .

(٤) الأخطل واسمه غياث بن غوث التغلبي أبو مالك الشاعر المعروف . اختص بالأمويين في الشام (ت ٩٠ هـ) انظر الأغاني ٢٨٠/٨ ، وبيته في « شعر الأخطل » ص ١١٦ .

(٥) ذو الرمة غيلان بن عقبة ، الشاعر الفحل . امتاز بالوصف والتشبيه وكان مقيماً في البادية (ت ١١٧ هـ) ، انظر الشعر والشعراء ص ٥٢٤ ، ووفيات الأعيان ٤٠٤/١ .

كَأَنَّ رَجُلِيهِ رَجُلًا مُقْطِفٍ عَجَلٍ إِذَا تَجَاذَبَ مِنْ بَرْدَيْهِ تَرْنِيمٌ^(١)
وقال السَّلامِي^(٢) في زنبور وأحسن :

وَلَا بَسَ لَوْنٍ وَاحِدٍ وَهُوَ طَائِرٌ مَلَوْنَةٌ أِبْرَادُهُ وَهُوَ وَقَعٌ
أَغْرَ مَحْشَى الطَّيْلِسانِ مَدِيجٌ وَسُودُ الْمَنَيايَا فِي حَشَاهُ وَدَائِعُ
إِذَا حَكَ أَعْلَى رَأْسِهِ فَكَأَنَّمَا بِسَالِفَتَيْهِ مِنْ يَدَيْهِ جَوَامِعُ
بَدَا فَارِسِيَّ الزَّرِيِّ يَعْقِدُ خَصْرَهُ وَمُزْرَهُ التَّبْرِيَّ أَصْفَرُ فَاقِعُ
يَرْجِعُ الْحَانَ الْغَرِيضَ وَمَعْبَدُ وَيَسْقِي كُؤُوسًا مَلُؤَهَا السُّمُّ نَاقِعُ^(٣)

قوله : إِذَا حَكَ أَعْلَى رَأْسَهُ .. (البيت) ، من قول مسلم بن الوليد :

فَغَطَّتْ بِأَيْدِيهَا ثِمَارَ نَحُورِهَا كَأَيْدِي الْأَسَارِيِّ أَثْقَلَتْهَا الْجَوَامِعُ^(٤)
(١/٥٩)

نقل السَّلامِي هذا المعنى إلى الزنبور لما ولده من هنا ، وشارك عنترة في الصفة
مشاركة خفية . وكذا يكون التخييل الشعري الصحيح .

(١) والبيت في ديوانه ص ٥٧٨ من قصيدة مطلعها :

أَعْنِ تَرَسُمْتَ مِنْ خِرْقَاءَ مَنْزِلَةٍ مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنِكَ مَسْجُومٌ
وجاء في عجز البيت « إِذَا تَجَاوَبَ » .

(٢) السَّلامِي هو محمد بن عبد الله أبو الحسن من شعراء العراق ، اتصل بالصاحب
ابن عباد وعضد الدولة (ت سنة ٣٩٣ هـ) . انظر وفيات الأعيان ١/٥٢٤ ،
والوفاي بالوفيات ٣/٣١٧ .

(٣) أبيات السَّلامِي في اليتيمة ٣٨٨/٢ . وقد خلط الصفدي صدر بيت بعجز
آخر ففي اليتيمة :

بَدَا فَارِسِيَّ الزَّرِيِّ يَعْقِدُ خَصْرَهُ عَلَيْهِ قِبَاءُ زَيْنَتِهِ الْوَشَائِعُ
فَمَعْجَزُهُ الْوَرْدِي أَحْمَرُ نَاصِعُ وَمُزْرُهُ التَّبْرِيَّ أَصْفَرُ فَاقِعُ

(٤) ديوان مسلم بن الوليد ص ٢٧٣ . من مقطوعة مطلعها :
أَعَاوِدُ مَا قَدَّمْتُهُ مِنْ رَجَائِهَا إِذَا عَاوَدْتَ بِالْيَأْسِ مِنْهَا الْمَطَامِعُ
وفي « البديع » لابن المعتز ص ٤٣ جاء مطلع البيت « قَطَفْتُ بِأَيْدِيهَا .. » .

وما أحلى قول بعض الشعراء :

فِعْلُ الأديبِ إذا خلا بهومِهِ فِعْلُ الذبابِ يَرِنُ عند فراغِهِ
فتراهُ يفرُّكَ راحتيه نَدَامَةً منه ويَتَّبِعُهَا بلطمِ دماغِهِ

لم أورد هذه المقاطيع في الكأس المصورة والذباب وأكثر منها إلا لأن هذا الموضوع من مَحَزَّاتِ الأدب وغريب المعاني . ولعل هذا القدر ما اجتمع لأحدهما .
وأما قوله « بدون هذا يباع الحمار » ، أصل هذا المثل أن رجلا أراد أن يشتري حمارا من آخر يدعى أبا يسار ، فجعل يصفه ويبالغ فيه إلى أن قال : تصيد به النعام معقولا فقال له : شاكه أبا يسار^(١) ، بدون ذا ينفق الحمار^(٢) . وشاكه معناه قارب أي لا تَعْلُ .

قال : وكذلك ورد قوله (٥٩/ب) .

يا شقيقَ النفسِ من حَكَمِ نِمْتُ عن ليلي ولم أُنَمِ
فاسقني البكرَ التي اعتجرتُ بِخمارِ الشيبِ في الرَّحِمِ^(٣)

وهذا معنى مخترع لم يسبق إليه ، وهو دقيق يكاد لدقته أن يلتحق بالمعاني التي تستخرج من غير شاهد حال مصورة^(٤) « . وساق حكاية جرت في حضرة الرشيد في استخراج معناه ، وهي مشهورة .

أقول : وأبو نواس ممن له المعاني التي ظاهرها سهل وباطنها مُشْكِلٌ في غاية الدقة ، كقوله :

(١) المثل في الميداني (بولاق) ٢٤٢/١ ، وفصل المقال ٢٨ .

(٢) المثل في الميداني (بولاق) ١٧٨/١ ، وجمهرة العسكري ٤٥٠/١ ، وفصل المقال ٢٩ ، والفاخر ١١٥ .

(٣) ديوان أبي نواس ص ٥٣٧ . وهما مطلع المقطوعة . وجاء في البيت الثاني « فاسقني البكر التي اختمرت » .

(٤) المثل السائر ١٤/٢ .

أما ترى الشمسَ حَلَّتِ الحَمَلَا وطابَ وزنُ الزمانِ واعتدلا
وغنتِ الطيرُ بعدَ عَجْمَتِها واستوفتِ الراحُ حَوَلَهَا كَمَلَا^(١)
محل الإشكال فيه « واستوفت الراح حولها » •

قالوا : من حين عصير الراح ، إلى أن تحل الشمس الحمل ما يكون غير ستة أشهر أو ما حولها ، فكونه يدعي أن الراح استوفت الحول كاملا غير صحيح ، والحول اثنا عشر شهرا • الجواب من وجوه :

أحدها وهو أقواها ، أن الضمير في « حولها » لا يعود على الراح ، وإنما يعود على الشمس • كأنه قال : واستوفت الراح حول الشمس كاملا •

وثانيها ، أن المراد بالحول هنا إنما هو الغاية والتمام ، والمعنى : استوفت الراح بلوغها وصلاحها لأن تستعمل وترشف • وفي هذه المدة ينتهي صلاح الخمرة ، وكل شيء بلغ غاية تطلب منه ، فقد استوفى حوله • كأنه من : حال عن هيئته إلى هيئة أخرى • وهذا الذي يفهم من كلامه •

وكذا قوله :

ظلتُ حَمِيًّا الكأسِ تَبْسُطُنَا حتى تهتَكَ بيننا السِتْرُ
في مجلسٍ ضَحِكَ السرورُ به عن ناجذيه ، وحلَّتِ الخمرُ^(٢)
ذكروا في هذا أربعة أوجه :

أحدها أن طيب المكان وكمال السرور ، أباح حرمتها على عادة الشعراء في مبالغاتهم ثانيها أن يكون آلى على نفسه أن لا يتناول الخمر إلا بعد اجتماعه بمحبوبه ،

(١) ديوان أبي نواس ص ٤٨٧ • وهما مطلع لمقطوعة • وجاء عجز الأول : « وقام وزن الزمان فاعتدلا » • وجاء في عجز الثاني « واستوفت الخمر حولها .. » •

(٢) ديوان أبي نواس ص ٣٢٥ • من قصيدة قالها يمدح الخصيب أمير مصر مطلعها :
يا مَنَّةً امتَنَّهَا السُّكْرُ ما يَنْقُضِي مِنِّي لَكَ الشُّكْرُ
وورد البيت الثاني عند ابن المعتز في « البديع » ص ٤٣ •

فكان الاجتماع مخرجاً من يمينه • كقول امرئ القيس : (٦٠/أ)

حَلَّتْ لِي الخمرُ وكنتُ امرءاً عن شرِّ بها في شغلٍ شاغلٍ ^(١)

ثالثها يريد بـ « حلت » نزلت ، من الحلول في المكان •

رابعها : يريد أنهم استحلوها بدخولهم في السكر وذُهل عقلمهم (٦٠/ب)
وكانت وقفت بالديار المصرية على جزء فيه كلام لأبي عبد الله محمد ^(٢) بن
عبد الله الخطيب على قول الشاعر ^(٣) •

بيضٌ مفارقنا تغلي مراجِلنا نأسو بأموالنا آثارَ أيدينا
وقد ذكر في قوله : « بيض مفارقنا » مئتي وجه وثلاثة أوجه ، في احتمال معنى
هاتين اللفظتين •

وقد وجدت لأبي الحسن ^(٤) الطوسي الفقيه بيتين ، يُسأل عن معنى الثاني
منهما : وهما :

مَتَيْتَنِي حِيناً فَلَمَّا أَنْ مَلَّتْ مِنْ التَّمْنِي
عَرَبَضْنِي لِي بِالْوَصْلِ حَتَّى قَلَّتْ قَدِّ ، أَعْرَضَنِي ^(٥)

(١) ديوان امرئ القيس - حسن السندوبي • من قصيدة قالها وقد بلغ ثأره من
بني أسد مطلعها :

يَا دَارَ مَاوِيَّةَ بِالْحَائِلِ فَالسَّهْبِ فَالْخَبْتَيْنِ مِنْ عَاقِلٍ
وورد البيت في شرح الحماسة للمرزوقي ٨٣٩/٢ •

(٢) محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي أبو عبد الله • عالم بالأدب واللغة من أهل
أصبهان (ت ٤٢٠ هـ) الوافي بالوفيات ٣/٣٣٧ ، وإرشاد الأريب ٧/٢٠ •

(٣) الشاعر هو بشامة بن حزن النّهشلي • من قصيدة مطلعها :
إِنَّا مُحْيِيُونَكَ يَا سَلْمَى فَحِينَا وَإِنْ سَقَيْتِ كَرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا
الحماسة - خفاجي ٤٨/١ •

(٤) أبو الحسن الطوسي واسمه عبد الرزاق بن عبد الله • كان وزيراً تفقه وأفتى
وناظر ، وهو ابن أخي نظام الملك (ت بنيسابور ٥١٥ هـ) انظر الكامل حوادث
٥١٥ ، والنجوم الزاهرة ٥/٢١٢ •

(٥) الفيت المسجم ١/٢٤٠ •

الإشكال فيه أنه كيف يعرضن له بالوصل ، وهو يدعي أنهن أعرضن عنه •
والمعرّض لا يعرّض بالوصل •

والجواب : أن « قد » هنا بمعنى حسب ، وذلك أحد مواردها • كقول أبي تمام :

قدك اتّيبَ أربيتَ في الغلواء ^(١) •

أي : حسبك • والمعنى : منينني زمانا إلى أن مللت ، ثم عرضن لي بالوصل حتى إذا قلت هذا حسبي ، أعرضن عني •

واتفق لي فيما قلت بيتان ، ثانيهما مشكل ، وهما :

قال وقد أبصرَ دمعي دماً هذا وما رُمعتك بالبين
فقلت : لما فئتَ أدمعي بكيتَ بالدمع بلا عين

الإشكال في ذلك أنه : كيف يعترف بأنّ دموعه فئت ونفدت ، ثم يقول بعد ذلك : بكيت بالدمع بلا عين • وكيف يتفق البكاء بلا عين • ؟

والجواب : أنه قال أولاً إنه أبصره وقد بكى دماً فأنكر عليه ذلك ، فقال لما نفدت الدموع ولم يبق لي دمع ، بكيت بالدمع •

والعين هنا إنما يتراد بها أحد حروف الهجاء أخت العين المعجمة ، لا العين التي هي الجارحة من الإنسان حاسة البصر ، فإن الدمع إذا حذفت منه العين كان دماً •

[هل يمكن إبداع معنى من معنى غير مبتدع]

قال : « واعلم أنه قد يستخرج من المعنى الذي ليس بمبتدع معنى مبتدع (١/٦١) فمن ذلك قول الشاعر المعروف بابن السّرّاج في الفهد :

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق عزام ٢٢/١ والبيت مطلع لقصيدة مدح بها محمد بن حسان الضبي ، وكان مدح بها يحيى بن ثابت . والشرط الثاني للبيت « كم تعذلون وأنتم سجرائي » . كما ورد البيت في « طبقات ابن المعتز » ص ٤٤٢ •

تَنَافَسَ اللَّيْلُ فِيهِ وَالنَّهَارُ مَعَا قَمَمَّصَاهُ بِجِلْبَابٍ مِنَ الْمُثْقَلِ (١)

وليس هذا من المعاني الغريبة ، ولكنه تشبيه حسن واقع في موقعه ، وقد جاء بعده شاعر من أهل الموصل يقال له ابن مسهر (٢) ، فاستخرج من هذا البيت معنى غريبا فقال :

وَنَقَطْتَهُ حَبَاءً كِي يَسَالِمُهَا مِنْ الْمَنَايَا نِعَاجُ الرَّمْلِ بِالْحَدَقِ (٣)
أقول :

أول أبيات ابن السراج :

شَتْنُ الْبَرَاثِنِ فِي فِيهِ وَفِي يَدِهِ مَا لِلْقَوَاضِبِ وَالْعَسَالَةِ الذُّبُلِ
وَالشَّمْسُ مَذْ لَقْبُوهَا بِالْفَزَالَةِ لَمْ تَطْلُعْ لَخِيفَتِهِ إِلَّا عَلَى وَجَلِ
وما أدري معنى قوله : « استخرج منه معنى غريبا » : أي غريب أتى به الثاني ؟
والمعنى الغريب هو أن يياض الفهد وسواده يشبه العيون • هذا هو روح هذا المعنى ،
وأما أن الليل والنهار تنافسا فيه ، وأنّ النعاج سالته ونقطته ، ليس بكثير أمر •

(١) الخريدة ، شعراء الشام ٢٧٧/٢ في الهامش هذا البيت والبيتان التاليان والرواية في الخريدة :

شَتْنُ الْبَرَاثِنِ فِي فِيهِ وَفِي يَدِهِ مَا فِي الصَّوَارِمِ وَالْعَسَالَةِ الذُّبُلِ
تَقَاسَمَ اللَّيْلُ فِيهِ وَالنَّهَارُ مَعَا فَالْبَسَاهُ جَلَابِيبًا مِنَ الْمُثْقَلِ
وَالشَّمْسُ مَذْ لَقْبُوهَا بِالْفَزَالَةِ لَمْ تَطْلُعْ لَخَشْيَتِهِ إِلَّا عَلَى وَجَلِ

(٢) الخريدة - شعراء الشام ٢٧١/٢ • وابن مسهر هو الرئيس أبو الحسن على ابن مسهر الموصل (ت سنة ٥٤٦ هـ) والبيت من قصيدة طويلة وقد ورد فيها :

ونقطته حباء كي تسالمها على المنون نعاج الرمل بالحدق
وجاء في ترجمة ابن مسهر أنه أخذ البيت من ابن السراج ، وما أبدل إلا القافية ،
حيث يقول ابن السراج :

ونقطته حباء كي تسالمها على المنون نعاج الرمل بالحدق

(٣) المثل السائر ١٦/٢ والبيت « ... على المنايا نعاج الرمل بالحدق » .

أما انتزاع معنى غريب من معنى آخر ، فكقول مسلم بن الوليد :

تَظَلَّمُ الْمَالُ وَالْأَعْدَاءُ مِنْ يَدِهِ لَا زَالَ لِلْمَالِ وَالْأَعْدَاءُ ظِلَامًا^(١)

انتزعه من قول أبي نواس :

بُحَّ صَوْتُ الْمَالِ مِمَّا مِنْكَ يَدْعُو وَيُصِيحُ^(٢)

فقول مسلم أفصح ومعناه أبلغ .

وقد اتفقت لي انتزاعات معانٍ من معانٍ هي دونها غريبةٌ » .

من ذلك قول بيليك^(٣) القبجاقى المعريّ في الأترج .

وَأَتْرَجَةٌ جَاءَتْ إِيْلَيْكَ هَدِيَّةً فَشَبَّهْتُ مِنْهَا الرِّيحَ رِيحَ حَبِيبٍ

إِذَا نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَيْهَا تَمَثَّلْتُ بِكَفِّ مَرِيضٍ مَدَّهَا لِحَبِيبٍ^(٤)

انتزعت منه معنى آخر فقلت :

أَيَا حَسَنَ أَتْرَجٍ يَلُوحُ لِنَظَرِي عَلَيْهِ مِنَ الْأَوْرَاقِ خُضْرُ الْغُلَائِلِ

حَكَى مُسْتَهَامًا غَيْرَ الْبَيْنِ حَالَهُ وَقَدْ عَدَّ أَيَّامَ الْجَفَا بِالْأَنَامِلِ

ومن ذلك قول شهاب^(٥) الدين التلغفري :

(١) ديوان مسلم بن الوليد ٦١ من قصيدة قالها يمدح يزيد بن يزيد الشيباني مطلعها :

طيف الخيال حمدنا منك المامبا داويت سقما وقد هيجت أسقاما

(٢) ديوان أبي نواس ص ١٦٩ . من قصيدة مطلعها :

غرد الديك الصدوح فاسقني طساب الصبوح

وجاء في الشطر الثاني « منك يشكو ويصيح » .

(٣) في (ب) القبجاقى .

(٤) في هامش (ب) « هكذا بخط المصنف ولعل الرواية فيه : لطبيب » وهو أصوب .

(٥) شهاب الدين التلغفري ، واسمه محمد بن يوسف من شعراء الشام في القرن

السابع كان مبتلى بالقمار (ت بحماسة سنة ٦٧٥ هـ) . انظر فوات الوفيات

٥٤٦/٢ ، وشذرات الذهب ٣٤٩/٥ .

جريتُ بحمراءِ الكُميتِ إلى الشِّقْرا مفرِّ الهوى طيباً وأعرضتُ عن مَقْرا^(١)
انتزعتُ منه معنى آخر فقلت :

(٦١/ب)

وحمراءَ لما ترشَّقَتْهَا جنيتُ المِسرَّةَ فيما جنيتُ
ونلتُ المِسرَاتِ دونَ الوري لأنني سبقتهم بالكُميتِ

ومن ذلك قول مهيار الديلمي^(٢) :

هل السابقُ العجلانُ يملكُ أمره فما كلُّ سيرِ اليَعْمَلَاتِ وخيدُ
رويداً بأخفافِ المطايا فإنما تداسُ جباهُ في الثرى وخدودُ^(٣)

انتزعتُ منه معنى آخر فقلت :

أضحى نسيمُ دمشقَ حياها الحيا يمشي الهوينا في ظلالِ حِماها
وكانه من مائها وهضابِها ما داسَ إلا أعيننا وجِباها^(٤)
ومن ذلك قول ابن التلمساني^(٥) :

(١) بيته في ديوانه ١٨ وفيه « مقر الهوى حسنا ... » وكذلك في فوات الوفيات ٥٤٧/٢ .

(٢) مهيار بن مَرْزَوَيْنَه الديلمي الشاعر . أسلم على يد الشريف الرضي وتخرج عليه في الشعر والأدب (ت ٤٢٨ هـ) انظر وفيات الأعيان ١٤٩/٢ ، ودمية القصر ٧٦ .

(٣) والبيتان في ديوانه ٣١٠/١ من قصيدة كتب بها إلى محمد بن أيوب سنة ٤١٨ هـ ومطلعها :

أمنها على أن المزار بعيد خيال سرى والساهارون هجود

وجاء في البيت الأول « الغضبان » بدل العجلان - ورواية البيت الثاني :

رويدا بأخفاف المطي فإنما تداس جباه تحتها وخدود

(٤) في « الفيث المسجم » ٦٧/١ . وورد في مطلع الثاني « فكأنه » .

(٥) ابن التلمساني هو الشاعر محمد بن سليمان شمس الدين المعروف بالشاب الظريف (ت بدمشق ٦٨٨ هـ) انظر الوافي بالوفيات ١٢٩/٣ ، والنجوم الزاهرة ٣٨١/٧ .

ساقٍ يثريني قلبه قسوةً وكلُّ ساقٍ قلبه قاسٍ^(١)
اتزعت منه معنى آخر فقلت :

قلبَ الدنَّ من أحبٍّ فأضحتْ ° نفحةَ الندِّ من حميٍّ أهْ تهدي
قال لي اعجب فقلتُ غيرُ عجبٍ كلُّ دنٍ قلبته كان ندًّا^(٢)
ومن أحسن ما وقفت عليه في الفهد قول القائل :
(١/٦٢)

ومتصفٍ بالفتكِ عند اكتسابه ° على ظفره شبهُ الدماءِ ونابه
كأنَّ مهاةَ الفلكِ لما انتهى به مداهُ إلى سربِ المها وانتهاه
رمته بشهبِ الجو خوف انتقامه ° فأطفاها في عسجدٍ من إهابه

[مناقشة نموذج من إنشاء ابن الأثير]

قال : « ومما ذكرته في فصل من كتاب منازل بلد ، فذكرت القتال بالمنجنيق
فقلت : فنزلنا بمرأى منه ومسمع ، واستدردنا به استدارة الخاتم بالإصبع ، ونصبت
المنجنيقات فأنشأت سحبا صعبة القياد ، مختصة بالربا دون الوهاد . فلم تزل تقذف
جلامد السور بوبل من جلمودها ، وتفجؤه برعودها قبل بروقها وبروق السحب قبل
رعودها ، حتى غادرت الحزن منه سهلا ، والعامر بلقعا محلا .

وفي هذا معنيان غريبان : أحدهما أن هذه السحب تخص الربا دون الوهاد ،
والآخر أن رعودها قبل بروقها^(٣) » .

(١) والبيت في ديوانه ٤٦ .

(٢) في الغيث المسجم ٤٠٥/٢ طبعة الإسكندرية .

(٣) المثل السائر ١٧/٢ . والنص فيه :

« ومن ذلك .. يتضمن منازل بلد ، فذكرت القتال بالمنجنيق وهو : فنزلنا ..
فلم تزل تقذف السور بوبل ... بلقعا مخلي ... » .

أقول : ما أدري معنى قوله في تشبيه الغبار بأنه « سحب صعبة القياد » ما هو؟
وكونه ادّعى أن تخصيص السحب بالربا دون الوهاد أمر غريب . في هذا تعسف ،
وبعض السحب تسقي الوهاد دون الربا ، وبعضها بالعكس ، هذا أمر محسوس .
فهي إذا سقت الربا وجفت الوهاد ، كانت بالربا مخصوصة وبالعكس .

وما أحسن قول أبي العلاء المعري :

ولو أن السحاب همى بعقل لما أرّوى مع النخل القتادا
ولو أعطى على قدر المعالي سقى الهضبات واجتنب الوهادا^(١)
(٦٢/ب)

وكذا دعواه في أن البروق في السحب قبل الرعود أمر غير لازم ، فإن البروق
قد تثرى بعد الرعود وإن كانت في الغالب تكون قبل .

ولا بأس بإيراد شيء من كلام القاضي الفاضل — رحمه الله تعالى — هنا في ذكر
المنجنيق . فمن ذلك :

« وكتب الخادم والمنجنيقات قد سكنت سبابتها المسلمة ، وكان عدم التسليم
لموادعة البلد المستسلمة » .

ومنه : « والحصار مستمر على صفد وقد نصب عليها من المنجنيقات غلاظا
شدادا جامعة لأوصاف الزبانية ، ونحن في الليل والنهار لا نسمع إلا الواحدة
والثانية ، والله ينجح الثالثة في عبدة الثلاثة ، والبلدة عقدة وسعادة السلطان نقائات
في العقد ، ما أصغى إلى الآن للمنجنيق عطفها ، ولا رغم من البروج أنفها » .

(١) سقط الزند ص ٢١٦ . من قصيدة قالها يخاطب خاله علي بن محمد وكان قد
سافر إلى المغرب . مطلعها :

تفديك النفوس ولا تفادي فأذن القرب أو أطل البعادا

ومن ذلك : « فما خطفوا الخطفة حتى اتبعهم شهاب ثاقب ، ولا قذفوا أنفسهم في الخندق حتى قذفتهم السيوف من كل جانب ، ولا أقدموا على سماء المنجنيقات لأنها قد زينت من المقاتلة بزينة الكواكب » .

ومن ذلك : « بعد نصب منجنيقات ترمي بأحجار متناوبة النوايب ، وإذا اتبعتها الجبال مكدعة خيلت أنها كواكب ذوات نوايب ، وبعد أن حذرهم خطاب الخطوب من اللجاج ، وبعد أن هزّت الثقوب أعطاف الجدران وتساقط ثمر الأبراج » .
ومن ذلك : « وأنا نازل على عينٍ يصمّ السمع هديرها ، فوق جبال يقمر العين صبيرها ، تحت سماء قد رابني منها الغداة سفورها ، أمامي قتال يدير كأس المتون فيها مديرها ، وورائي حجار المنجنيقات التي إذا رأت نقطها حروف البروج محييت سطورها » .

ومن ذلك : (٦٣/أ) وجئت المنجنيق يحاكمها ، ولسان حبله يخاصمها ، والخادم تحت المنجنيق الإسلامي يعرض الوجه لمنجنيق الفرنج ، وينقل قطع الستائر نقل قطع الشطرنج ، حيث التراس يباذق والجفاتي رخاخ ، وحيث القلاع صيّد والحجارة حبّ والمنجنيقات فيخاخ » .

ومن ذلك : « وضايقوا عكنا بأبراج خشبية ضربت مع الأبراج الحجرية المصاف ، وتقدموا بمنجنيقات محاربة لله ورسوله فقطعت أيديها وأرجلها من خلاف » .
ومن ذلك : « وفي الثغر مجانيق لا يعطل راتبها ، ولا يرصد ضاربها ، أكبرها ما قتل المقاتل شدة ، وأيسرها ما جعل ييذق الهام رما » .

ومن ذلك : « وقد كنا نزلنا على هذه المدينة فأردنا توقير ثغرها ، وتوفيرها عن نقبها وثغرها ، فلما كان ثاني يوم الأضحى وقد بلغ منا الصبر إلى غاية من لا لوم عليه في التقرب بنحرها ، وقضى بأن يئتلأ تلها للجبين ، وأن لا يأخذها بالأمان بل يأخذها باليسمين ، فأضجعتها المجانيق وذبحتها الثقوب ، وجرت منها دماء في الحال أوجبت من أبرجتها الجثوب » .

ومن إنشاء شيخنا القاضي شهاب الدين محمود — رحمه الله — من قصيدة نظمها في فتح المرقب :

وأَمْطَرَتْهَا الْمَجَانِيقُ ° التي نَشَأَتْ °
 وكان للكسرِ منها كلما صنعوا
 كأنها ومجانيقُ الفِرَنْجِ لها
 وكم شكى الحصنُ ما يلقي فما اُكْثِرَتْ °
 ولم يكن قبلَها يهْمِي به المطرُ
 من جنسِها ولأيدي الهدم ما عمروا
 فرائسُ الأسدِ إذ أظفَارُها الظفرُ
 يا قلبَها أحديدُ أنت أم حجرُ
 (٦٣/ب)

ومن كتاب كتبه القاضي تاج الدين أحمد بن الأثير في هذا الفتح أيضا :

« والمنجنيقات تَفَوَّقُ إليهم سهام قسيِّها ، ويخيل إليهم أنها ساعية إليهم
 بجبالِها وعِصِيَّها ، وهي في (١) الحصون من ألدِّ الخصوم ، وإذا أَمَّتْ حصنا
 حَكَمَ بأنه ليس بإمام معصوم ، ومتى امترى خلق في آلات الفتوح لم يكن فيها أحد
 من الممترين ، وإذا نزلت بساحة قوم فساء صباحُ المُنْذَرين ، تدعى إلى الوغى
 فتكلّم ، وما أقيمت صلاة حرب عند حصن إلا كان ذلك الحصن ممن يسجد
 ويسلّم » •

قال ابن السّاعاتي :

ومتى يحاول بلدةً لم يَثْنِه حشدُ الجيوش بها ولا بَعْدُ المَدَى
 هَتَمَتْ مجانقُه ثنايا سورِها فرأيتَ ذاكَ الثغرَ ثغراً أدردا

[نماذج من إنشاء ابن الأثير يدعي فيها التقدم]

قال : « ومن ذلك ما وصفت فيه نزول العدو على حصار بلد من بلاد المكتوب
 عنه وكان ذلك في زمن الشتاء ، فسقط على العدو ثلج كثير صارَ به مَحْصُورا •
 فقلت : « وقد عاجلته قتال البروق قبل البَيَّارق ، وأحاط به الثلج فصار خنادق تحول
 بينه وبين الخنادق » •

والشتاء قد لقي عسكره من البرد بعسكره ، والسماء قد قابلته بأعبر وجهها
لا بأخضره ، والأرض كأنها قرصة النقي^(١) وعسى أن تكون أرض محشّره^(٢)»
ثم أخذ في ذكر اختراع المعنى من الحديث النبوي وهو « إنكم تحشرون على أرض
بيضاء كقرصة النقي^(٣) » يريد : الخبزة البيضاء • ودندن لذلك وطنطن •

أقول : العجب منه كونه يدون هذه الأشياء ويجمعها ويوردها ، ويخطب عقيب
كل واحدة منها خطبة لنفسه ، يدعي فيها أن البلاغة في غيره مجاز وفي كلامه
حقيقة ، وأنه جاء بعقود الدرر وجاء غيره بجزعة^(٤) ولا يرضى أن يقول بعقيقة • وقد
أوردت كتابا للقاضي الفاضل فيما تقدم أصدره من بعرين ، ذكر فيه الأمطار
والثلوج والخيام وأتي فيه بمحاسن^(٥) (٦٤/أ) ما لابن الأثير بها يدان ، ولا يدور على
قطبها لكاتب فرقدان •

ومن كلام القاضي الفاضل : « فأما الثلوج التي وصفها ذلك البيان فأججها ،
بل أهداها إلى الصدور التي هي بيوت نار الشوق فأثلجها • فقد تمثّلت^(٦) البلاد
وكأنما نشر المولى عليها عرّضه ، وسرّني أن سرّ ذلك الفضاء فضّه ، وأراني النجوم
في هذه السنة وقد ناصحت في خصبها فنزلت بأنفسها ، وبرزت ظاهرة في النهار
بجواربها وخنسها ، وأجدر^(٧) بها أن تكون سنة تغسل وضر الكفر بصابون
ثلجها ، وتبشر العزيمة الناصرية من هذه الرغبة بما تحتها من صريح فلجها » •

ومن ذلك : « وإن يكشف الله قناع الشك ، تكن^(٨) أحق منزلة بالترك ، فلن
تثرى إلا محشر الحشرات بل محشر الحشرات ، يومها بالهم والثلج أبلق ، والمنفق
فيها يتقلب كقفيه على ما أنهق » •

(١) المثل السائر ١٨/٢ « ومن ذلك ما ذكرته في كتاب أصف فيه .. فقلت : وقد
عاجله قتال البروق قبل البوارق .. » •

(٢) الحديث في صحيح مسلم ١٢٧/٨ • والرواية فيه « يحشر الناس يوم القيامة
على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد » •

ومن رسالة كتبها القاضي محيي الدين بن قرقناص إلى القاضي تاج الدين ابن الأثير :

« وعندما سطرها متهجما ، كان وجه الأفق بالغيم متجهما ، وثمر حماة بالثلج متبسما ، وقد ظهر عليها السكون ، حيث شابت منها القرون ، وكان المملوك مشرفا على مكان أحيط بثمر ، والدو ح يقرب كفيه على ما أنفق من عثمه ، وقد تزهد فتجرد من حرير أوراقه ولبس قطن زهره ، فلا ترى إلا أشجارا قائمة على أصولها وكروما خاوية العروش ، وسقيط ثلج كالقراش المبثوث وجبال غيوم كالعهن المنفوش » .

ومن جواب القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر عن هذه الرسالة :

« وكان توجهنا إذ ذاك حين اكتست الجبال بالثلوج ، وأحاطت بنا الأنواء من كل جانب (٦٤/ب) إحاطة ما لها من فروج ، بفصل فتحت فيه السماء أبوابها بما ليس لجمله عن تلك المواطن فصول ، ولا لخضاب الجليل الدافع أديم الثرى المتجلد من نصول . فعدنا إلى جهة حمص وإن لم يعجبنا العام ، وقلنا كل ذلك مغتفر في جنب ما أشارته مصلحة الإسلام ، الشاملة منهم للخاص والعام ، واستقبلنا تلك النواحي المتناوذة ، والمنازل المتناثية على المراحل المتنازحة ، برقة جلود تتجالد على الجليل ، وأوجه تواجه من تلك الظهور ما وثرود حياض المنون به إليها أقرب من جبل الوريد ، كم التقت الشمس بقارا من قرها بفرودة سينجاب من الغمام ، وكم غمضت عينها عن لم تطعم جفونه بتهويم ولا تطمع بمنام ، وكم سبك الزمهرير فضة ثلوجها فصحت عند السبك ، وكم خبر من امرئ القيس أنشد عند النبك قفا نبك . هذا والزؤميتا قد مدت على البلاد والعباد مثلا لها الرحيضة ، وأضحت بها الأنفس قتيلة لا مريضة ، كأنها وخط المشيب على المفارق ، أو رمل أبيض قد ذر على سطور تلك المهارق » .

وللقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر - رحمه الله تعالى - في القطيعة عدة مفاتيح يصف بردها . منها قوله :

هذي القطيعة التي لا تثنى عقلاً وتقل
خشيت° يرد° يابس° فلاجل ذلك الحشور تثقل^(١)

وقوله أيضا :

على ذم القطيعة اجتمعنا وقد أضحى عليها للزميتنا
ولم يكن المكفن غير شخص
وإن° حشيت° يرد° قد تكرر°
بياض° مثلما قد ذر° سكر°
يكون° إلى نواحيها مسير°
(١/٦٥)

وأبيات شهاب الدين الشاغوري^(٢) مشهورة في الثلج . وهي :

قد أخذ الجمر في كانون حين قدح°
يا جبّة الزبداني أنت مسفرة°
وأجمد الخمر في كانون كل قدح°
والجو° يحلجه والقوس° قوس قزح°
عن حسن وجهه إذا وجه الزمان كلك

ومن هذا قول أبي الفضل الكاتب :

وأطربنا غيم° يمازح شمس°
تري قزحاً في الجور يفتح قوسه°
فتستتر° طوراً بالسحاب وتكسف°
مكباً على قطن من الثلج يندف°

قيل إن الثلج وقع مرة في بغداد ، فقال بعض شعراء ذلك العصر :

يا صدور العراق لم نر ثلجاً قبلها حل° في نواحي العراق
إنما عم° ظلمكم° سائر الناصب° فثابت° ذائب° الآفاق

(١) خزائن ابن حجة ص ٢٥٣ ، وفوات الوفيات ١/٦٢٢ وهما فيه لمحيي الدين ابن عبد الظاهر .

(٢) شهاب الدين الشاغوري . هو فتیان بن علي الأسدي ، مؤدب شاعر من أهل دمشق ، اتصل بالملوك وعلم أولادهم . (ت بدمشق ٦١٥ هـ) انظر وفیات الأعيان ١/٤٠٧ .

ومما اتفق لي في ذلك :

تبّاً لها من بلدةٍ لا أرى فيها مقامي واضحَ النهجِ
لأنّها في وجهِ سكانها وأهلها تبصّقُ بالثلجِ^(١)

[الحسن في أبيات ابن بقيّ : بأبي غزال غازلته مقلتي]

قال وقد أورد في محاسن المعاني قول القائل :

بأبي غزال " غازلته مقلتي بين العذيب وبين شطي بارق^(٢)
... الأبيات .

« وهذا من الحسن والملاحة بالمكان الأقصى ، ولقد خفّت معانيه على القلوب حتى كادت ترقص رقصاً ، والبيت الأخير هو الموصوف بالإبداع ، وبه وبأمثاله أقرت الأبصار بفضل الأسماع ... »^(٣) .

أقول : هذه الأبيات لابن بقيّ ، وأوردها ابن الأثير في « تحفة القادِم »^(٤) .

(١) في « الفيت المسجم » ٧٠/١ .

(٢) الأبيات لابن بقيّ الأندلسي . واسمه يحيى بن عبد الرحمن أبو بكر . شاعر اشتهر بإجادة الموشحات (ت ٥٤٠ هـ) انظر قلائد العقيان ص ٢٧٩ ، والمغرب ١٩/٢ - ٢١ في « معاهد التنصيص » :

بأبي غزالاً غازلته مقلتي	بين العذيب وبين شطي بارق
وسألت منه زيارة تشفى الجوى	فأجاني منها بوعد صادق
بتنا ونحن من الرجا في خيمة	ومن النجوم الزهرتحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله	صهباء كالمسك الفتيق لناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه	وذؤباته حمائل في عاتقي
حتى اذا مالت به سِنَّة الكرى	زحزحته شيئاً وكان مُعانقي
أبعدته عن أضلع شتاقه	كي لا ينام على وساد خافق

(٣) المثل السائر ٣٠/٢ « ... والبيت الأخير منه هو الموصوف بالإبداع ... » .

(٤) الكتاب غير موجود ، والموجود هو المنتخب منه في الأسكوريال ٣٥٦ .

ثم قال : وقد نسب بعض أهل عصرنا ابن بقي إلى الجفاء في قوله :
أبعدته عن مهجة تشتاقه ...

ولو قال : أبعدت عنه أضالعا تشتاقه ، لكان أحسن .

ثم أورد بعد ذلك لأبي الحكم جعفر بن يحيى بن عتال الداني ^(١) : (٦٥/ب)

حُبُّكَ لَدُنِّي بِكُلِّ مَعْنَى إِلَى كَرَى مِلْتِ أَوْ سَهَادِ
إِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ رُقَادٍ فَأُضْلِعِي هَاكَ عَنْ وَسَادِ
وَنَمَّ عَلَى خَفَقِهَا هَدَّوًّا كَالطُّفْلِ فِي نَهْنِهِ الْمِهَادِ

ولما وقفت أنا على ما ذكره ابن الأَبَّار من الإيراد على ابن بقي ، وأبيات
ابن العتال خطر لي أن يكون ذلك نظماً . فنظمت ذلك على روي ابن بقي ووزنه :

أبعدته من بعد ما زحزحته ما أنت عند ذوي الغرام بعاشق
هذا يدل الناس منك على الجفا إذ ليس هذا فعل صبٍ وامق
إن شئت قل أبعدت عنه أضالعي ليكون فعل المستهام الصادق
أو قل فبات على اضطراب جوانحي كالطفل مضطجعاً بمهد خافق ^(٢)

فانظر إلى ما استحسنته ومدحه وفضله كيف أورد الناس عليه وعابوه ، ولعمري
إنه نقد حسن ومأخذ دقيق وإيراد متوجه .

(١) ابن عتال الداني ، ذكره العباسي في معاهد التنصيص ٨١/٣ باسم ابن عيال
الداني . وأورد له البيت الثاني والثالث فحسبه ، وجاء في قافية الثاني
« كالوساد » بدل عن وساد . أما البيت الثالث فهو :

فَنَمَّ عَلَى خَفَقِهَا هَدَّوًّا كَالطُّفْلِ فِي هِزَةِ الْمِهَادِ

كما ورد هذان البيتان فقط في الفيث المسجم ١٧٦/١ .

(٢) في الفيث المسجم ١٧٦/١ . وجاء صدر الأول : (أبعدت من زحزحته عن
أضلع) .

وأما خفق النؤاد واضطرابه من الحب ، فللمتأخرين فيه مقاصد لطيفة المغزى •
من ذلك قول الحظيري الورّاق :

يقول لي حين وافى قد نلت ما ترتجيه
فما لقلبك قد جا خفقته يعتريه
فقلت وصلتك عرس والقلب يرقص فيه (١)

وقول

لا تنكروا خفقان قلب
ما تلك إلا داره
جاء الحبيب اليه زائر
دقت له فيها بشاره (٢)

وقول ابن سناء الملك :

أما والله لولا خوف سخطك
لهان علي ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجا
(١/٦٦)

وليس هما سوى قلبي وقطرطك (٣)
وقول أبي الوليد بن الجثن الشاطبي (٤) :

- (١) الأبيات في الفيث المسجم ٢٤٦/١ ووفيات الأعيان ١٢٠/٦ وجاءت رواية البيت الثاني : فما لقلبك قد جا بخفقة تعتريه ووردت في معاهد التنصيص ٨٠/٣ ورواية الثاني فيه :
فما لقلبك قد جا بخفقة تعتريه
- (٢) لم يذكر اسم القائل وهو البهاء زهير انظر ديوانه كما وردا في معاهد التنصيص ٨٠/٣ وفي الحاشية « وينسب إلى ابن الفارض » وهما عند العباسي :
لا تنكروا خفقان قل بي والحبيب لدي حاضر
ما القلب إلا داره دقت له فيها البشار
وكذلك في الفيث المسجم ٢٤٦/١ غير منسوبين .
- (٣) في الخريدة - شعراء مصر ١٠٠/١ وقد جاء البيت الأول :
أما وهواك لولا خوف سخطك لهان على محبك أمر رهطك
كما ورد في الفيث المسجم ٢٤٥/١ والرواية مطابقة .
- (٤) ابن الجنان الشاطبي ، واسمه محمد بن سعيد أبو الوليد . أديبه شاعر (ت ٦٧٥ هـ) انظر فوات الوفيات ٣٢١/٢ .

وأبيك لم يخفق جناني انما طرباً بأيام العقيق تصفق
لا يدعي فيه الفؤاد خفوقه فوشاح من أهوى لعمري أخفق^(١)

وقول الآخر :

ملك القرط والفؤاد فحقاً إن تسمى بمالك الخاقين
واحد الحسن في الوري ثاني الغصون إذا ماس ثالث القمرين

وقول البدر يوسف بن لولو الذهبي^(٢) :

وأحوى فاتر الأجفان ألمي رشيق قدء رخص البنان
تملك قرطه والقلب مني فصار له بذاك الخاقان^(٣)

وقول ابن سناء الملك من مراثية :

أوسعت فيك الدهر عتبا مؤلماً فأجانبني بالبهت والبهتان
قلبي يحاسبه على إجرامه ويعدها بأنامل الخفقان^(٤)

وما أحسن قول القاضي الفاضل أيضاً :

وقد خفقت راياته فكأنها أنامل في عمر العدو تحاسبه^(٥)

(١) والأبيات في فوات الوفيات ٣٢٣/٢ . وجاءت رواية البيت الأول :

وأبيك لم تخفق حشاي وإنما طرباً بأودية العقيق تصفق

(٢) يوسف بن لولو الذهبي ، بدر الدين الشاعر . (ت بدمشق ٦٨٠ هـ) مطالع
البدور ٤١/١ .

(٣) وبيته في الغيث المسجم ٢٤٥/١ .

(٤) وفي ديوانه ص ٨١٢ وقد جاء في البيت الثاني « أجرامه » بفتح الهمزة . وفي
الغيث المسجم ٢٤٦/١ ، والخريدة - شعراء مصر ٩٢/١ .

(٥) ديوان القاضي الفاضل ص ١٦٤ والبيت من مقطوعة هو خاتمتها .

وقول معين الدين بن تولثوا^(١) :

لم أنسه إذ قال أين تحلثني حذرا عليّ من الخيال الطارق
فأجبتّه : قلبي فقال تعجبا : أرايتَ عمرَكَ ساكنا في خافق^(٢)
(٦٦/ب)

وهو مأخوذ من قول^(٣) :

وسكنتَ قلبا خافقا يا ساكنا في غير ساكن
وما أحسن قول السراج الوراق :
يا ساكنا قلبي ذكرك قلبه أرايتَ قلبي من بدا بالساكن
وجعلته وقما عليك وقد غدا متحركا بخلاف قلب الآمن^(٤)
وقول شمس الدين محمد بن التلمساني :

يا ساكنا قلبي المعنى وليس فيه سواه ثان
لأي معنى كسرتَ قلبي وما التقى فيه ساكنان^(٥)

هذا المعنى ، رأيت جماعة من أهل العصر قد لهجوا به واستحسنوه ، وهو فاسد ، وذلك أن القلب وعاء للساكنين ، والظرف غير المظروف ، والقاعدة ان

- (١) معين الدين بن تولثوا واسمه عثمان بن سعيد . أديب مصري (ت بالقاهرة ٦٨٥ هـ) ، انظر فوات الوفيات ٦٤/٢ .
- (٢) والبيتان في الغيث المسجم ٢٤٦/١ .
- (٣) لم يذكر اسم القائل وهو الشاعر القيسراني واسمه محمد بن نصر (ت بدمشق ٥٤٨ هـ) انظر الخريدة - شعراء الشام ٩٦/١ .
ورد بيته في المصدر السابق ١٢٩/١ من قصيدة مطلعها :
ما هذه الحديق الفواتن إلا سهام في كنان
وجاء مطلع البيت « وحللت » . كما ورد في الغيث المسجم ٢٤٦/١ .
- (٤) في الغيث المسجم ٢٢٧/١ .
- (٥) ديوانه ص ٨٢ وجاء في البيت الأول « سواك » بدل سواه .

الساكين إذا التقيا كسر الثاني منهما ، وإذا كسر قلبه فليس بعجيب لأنه غير الساكين
وليس واحدا منهما ، فما لإنكاره عليه معنى ، فتأمل ذلك يظهر فسادہ .

ومن معنى قول معين الدين بن تؤولوا قول ابن سناء الملك ، ولكنه سلك به
مسكاً آخر حيث قال :

من كل محتكم الأجفان يخرجنا من أرض سلوتنا في الحب ساحرہ
يأوي الى خافر القلب الشجي به فاعجب لمن وكره في الحب طائرہ^(١)
وقوله :

يا طائر الحسن الذي وكره قد حل من قلبي في طائر^(٢)
وقوله أيضا :

وطائر حسن طار قلبي بحسنه فيا عجباً من طائر وكره طائر^(٣)
ومن هذا قول ابن قلاقس وقد وصف المركب :

ونحن في منزل يسري بساكنه فاسمع حديث مقيم بيته غار^(٤)
ومما قلته في خفقان القلب :

لما رقدت أتى خيالك بعتة فعدا فؤادي خافقاً يتموج
لو أن صحنبي شاهدوني في الكرى والقلب يرقص في الخيال تفرجوا

(١) لم أعر عليهما في ديوانه .

(٢) ديوان ابن سناء الملك ص ٢٩٥ . من قصيدة قالها يمدح الملك الظاهر غازي
مطلعها :

(٣) لهفي من العاذل والعاذر ذا ظالمي فيك وذا ضائري
ديوانه ص ٣٦٢ . من قصيدة قالها يمدح الملك العادل بن أيوب . مطلعها :

تنزه طرقي بين زاه وزاهر على أن طرقي أي ساه وساهر
(٤) ديوان ابن قلاقس ٣٢ وفي الخريدة - شعراء مصر ١٥٠/١ .

ومن قولي أيضا :

حَسْبِي الَّذِي أَلْقَاهُ فَيْكَ مِنَ الْجَفَا وَعَلَى الصَّحِيحِ فَبَعْضُ ذَاكَ كَفَانِي
فَنَظَرْتُ إِلَى قَلْبِي إِذَا قَابَلَتْهُ يَا غَصْنُ كَيْفَ يَطِيرُ بِالْخَفَقَانِ (١)

[احسن ما قيل في الخمر وكأسها]

قال : « وكذلك جاء قول بعض المغاربة في الخمر وكأسها ، وهو : »

ثَقُلْتُ زَجَاجَاتٍ أَتَتْنَا فَرَّغَا حَتَّى إِذَا مَلِئْتُ بِصِرْفِ الرَّاحِ
خَفَّتْ فَكَادَتْ أَنْ تَطِيرَ بِمَاحُوتٍ وَكَذَا الْجِسْمُ تَخِفُّ بِالْأَرْوَاحِ (٢)

«وهذا معنى مبتدع، أشهد أنه يفعل بالعقول فعل الخمر سكرًا ، ويرق (٦٧/ب) كما رقت لطفًا ويفوح كما فاحت نَشْرًا (٣) » •

أقول : هما لأبي علي إدريس اليماني ، وأصل المعنى لابن المعتز حيث قال :
وَزَنَّا الْكَأْسَ فَارْغَةً وَمَلَأَى فَكَانَ الْوِزْنُ بَيْنَهُمَا سَوَاءً (٤)
ولكنه زاده مبالغة ، وهي أن الكؤوس استفادت بالخمر خفة ، ثم إنه أراد لذلك
مثالا في الخارج فلم يجده إلا في الروح والجسم •
ومثل هذا قول الخوارزمي (٥) :

(١) في الفَيْث المسجُم ٥٩/٢ . وورد صدر أولهما « حَسْبِي الَّذِي أَلْقَاهُ مِنَ الْمِ
الْهَوَى » .

(٢) المصدر السابق ٢٤٤/١ . وفي خزانة ابن حجة ص ٢١٤ لإدريس اليماني .
(٣) المثل السائر ٣٢/٢ والعبارة فيه : « وكذلك جاء وصف بعض المغاربة في الخمر
وكأساتها :

ثَقُلْتُ زَجَاجَاتٍ

(٤) البيت غير وارد في ديوان ابن المعتز .
(٥) الخوارزمي ، هو محمد بن العباس أبو بكر . من أئمة الكتاب وأحد الشعراء

العلماء (ت بنيسابور سنة ٣٨٣ هـ) . انظر معجم الأدباء ١/١٠١ ، والوافي
بالوفيات ٣/١٩١ ، وفي الفَيْث المسجُم ٢٩/١ .

ورود في البيت الثاني « نوره » بدل ضوءه . وفي سمط اللآلي ص ٦١٦ وقد
ورد البيت الأول :

أَرَاكَ إِذَا أَيْسَرْتَ خَيْمَتَ عِنْدَنَا مُقِيمًا وَإِنْ أَعْسَرْتَ زُرْتَ لِمَامَا

رَأَيْتُكَ إِنْ أَيْسَرْتَ خَيْمْتَ عِنْدَنَا لِرِزَامًا وَإِنْ أَعْسَرْتَ زُرْتَ لِمَامَا
فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ إِنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ أَغْبَىٰ وَإِنْ زَادَ الضِّيَاءُ أَقَامَا
أَخَذَ الْمَعْنَى فِي الْأَصْلِ مِنْ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ الصُّوْلِيِّ ^(١) فِي ابْنِ الزِّيَّاتِ ^(٢) :
يَعْرِفُ الْأَبْعَدَ إِنْ أَثَرَى وَلَا يَعْرِفُ الْأَدْنَى إِذَا مَا افْتَقَرَا
وَمَا أَرَادَ أَنْ يَضْرِبَ لَذَلِكَ مَثَلًا فِي الْخَارِجِ ، لَمْ يَجِدْهُ إِلَّا فِي الْقَمَرِ وَضَوْئِهِ •
وَهَكَذَا حَالُ إِدْرِيسَ الْيَمَانِيِّ مَعَ ابْنِ الْمُعْتَزِّ •

وَلَا بِنَ حَمْدِيسَ ^(٣) هَذَا الْمَعْنَى بَعَيْنِهِ ، فَإِنَّهُ قَالَ :
وَكَأْسَ نَشْوَانٍ فِيهَا الشَّمْسُ بَارِغَةٌ بَاتَتْ تَدِيمٌ إِلَى الْإِصْبَاحِ لَمْ فَمِهِ
تَخِفٌ مَلَأَى وَتَعْطِي الثِّقْلَ فَارِغَةً كَالْجِسْمِ عِنْدَ وُجُودِ الرُّوحِ أَوْ عَدَمِهِ ^(٤)
وَقَالَ أَيْضًا :

جَامٌ تَجْمَعُ شَرْبُهُ لَذَاتِنَا وَعَقُولُنَا بِالسُّكْرِ مِنْهُ تَبَدَّدَتْ
وَيَخِفُ مَلَأْنَا وَيَثْقُلُ فَارِغَا كَالْجِسْمِ يَعْدَمُ رُوحُهُ أَوْ يَوْجَدُ ^(٥)

- (١) إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الصُّوْلِيُّ أَبُو إِسْحَاقَ الْكَاتِبُ الشَّاعِرُ . قَرِيبُهُ الْخُلَفَاءُ (تِ بَسَامَرَاءَ سَنَةِ ٢٤٣ هـ) انْظُرِ الْأَغَانِي ٢٠/٩ ، وَتَارِيخَ بَغْدَادَ ١١٧/٦ ، وَبَيْتَهُ فِي مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ ١٨٣/١ ، وَفِي سَمَطِ اللَّالِي ص ٧٠٩ ، وَالْفَيْثُ الْمُسْجَمُ ٢٩/١ .
- (٢) ابْنُ الزِّيَّاتِ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَزَيْرُ الْمُعْتَصِمِ وَالْوَائِقِ ، عَالِمٌ بِاللُّغَةِ وَالْأَدَبِ لَهُ دِيْوَانُ شَعْرٍ (تِ ٢٣٣ هـ) انْظُرِ النُّجُومَ الزَّاهِرَةَ ٣٢٣/١ .
- (٣) ابْنُ حَمْدِيسَ الصَّقْلِيُّ هُوَ عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، شَاعِرٌ مُبْدِعٌ اتَّصَلَ بِالْمُعْتَمَدِ ابْنِ عَبَّادٍ (تِ بَجَزِيرَةِ مَيُورُوقَةِ سَنَةِ ٥٢٧ هـ) انْظُرِ وَفِيَّاتِ الْأَعْيَانِ ٣٠٢/٣ .
- (٤) وَابْنُ بَيْتَانَ فِي دِيْوَانِهِ ص ٤٢١ .
- (٥) دِيْوَانُ ابْنِ حَمْدِيسَ ص ١٢٦ . وَجَاءَ فِي صَدْرِ الْأَوَّلِ « يَجْمَعُ » وَجَاءَ فِي عَجَزِ الثَّانِي « كَالْجِسْمِ تَعْدَمُ رُوحُهُ أَوْ تَوْجَدُ » .

على أن ابن حمديس أتى بالمعنى كاملاً في بيت واحد ، وإدريس اليماني إنما أتى به في بيتين • ولكن نظم إدريس أعلق بالقلب ، وأوقع في النفس ، وأعذب في السمع •

وقريب من هذا المعنى قول أبي العلاء المعري في اللزوميات :

لم يكن الدنَّ غيرَ نكرٍ سلافةً الراح عرَّفَتْهُ
كأدمٍ صيغَ من ترابٍ ونفخةً الروح شرفَتْهُ (١)
(٦٨/أ)

وكلاهما تسلق على هذا المعنى ، ونقله إلى الثقل والخفة ، وإلا فهو هو • وعلى ذكر الخفة في الخمر والطيران ، فما أحلى قول أبي الحسين الفكيك :
بِكُرِّ خَطَابٍ إذا ما الماءُ خالطَها أبدت لنا زَبَدًا في سَوْرَةِ الغَضَبِ
كادتْ تطير نِفَارًا حين واقَعَهَا لولا شبائكُ ما صاغتْ من الحَبَبِ

[نماذج من إنشاء ابن الأثير يدعي فيها السمو]

قال : « وقد جاءني في الكلام المنشور شيء من هذا الضرب ، وسأذكر ههنا منه نبذة • فمن ذلك ما ذكرته في وصف صورة مليحة فقلت :
« ألبس من الحسن أنضر لباس ، وخلق من طينة غير طينة الناس ، وكما زاد حسنا فكذلك زاد طيبا ، واتفقت فيه الأهواء حتى صار إلى كل قلب حبيبا » فلو صافح الورد لتعطرت أوراقه ، ولو مرَّ على اللِّينوفر ليلا لتفتحت أحداقه (٢) » • أقول : أي غريب في هذه المعاني ، وأي إبداع حتى يشبهه ويتعجب له ويروقه . أما الأول فمأخوذ من قول (٢) •

- (١) لم أعثر على البيتين فيما وقفت عليه من شعره •
- (٢) المثل السائر ٣٢/٢ «... من هذا الضرب شيء... وكما زاد حسنا فكذلك ازداد طيبا... أو لو مر على النيلوفر ليلا...» •
- (٣) لم يذكر اسم القائل والبيت لابن زيدون في ديوانه ص ١٤٤ من قصيدته المشهورة في ولادة بعد فراره من سجن قرطبة . مطلعها :
أضحى التنائي بدلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا
وقد جاء لفظ « أنشأه » بدل « صورته » •

ريبٌ مثلكِ كأنَّ اللهَ صوَّرَهُ مِسْكًا ، وقدَّرَ إنشاءَ الوري طينا
ولا يخفى أن هذا أمدح وأحسن .

وأما الثاني ، فمأخوذ من قول البحري :

أَفَرِغْتَ في الزجاجِ من كلِّ قلبٍ فهي محبوبَةٌ إلى كلِّ نفسٍ (١)
وقول ابن لَنُكَّكَ (٢) .

عَصِرَتْ من دمِّ القلوبِ فما تَبُّ صَرُّ إِلَّا تعلقَتْ بالقلوبِ (٣)

وأما قوله « فلو صافح الورد لتعطرت أوراقه » ، فأبي مزية لهذا الموصوف بهذه الصفة والورد ما زال عطرا ، سواء صافحه زنجي أو غيره ، وهذا من باب تحصيل الحاصل . ولو قال : فلو صافح الأثل تضوع منه نشر البان ، ولو مرَّ على اللِّينوفر في الليل لأيقظ طرفه الوسنان لكان أحسن . فإن الورد لو صافحه أبو الأسود الدؤلي أو عبد الملك بن مروان (٦٨/ب) ، لكان طيب العرف ، والمدح إنما يكون بأنَّ الإنسان يكتسب الطيبَ ما ليس له طيب ويثفيد الحسنَ ما لم يكن معروفا بحسن .

(١) ديوان البحري ١٩١/١ . من قصيدة قالها يصف إيوان كسرى . مطلعها :

صُنْتُ نفسي عما يدنسُ نفسي وترَفَعْتُ عن جِدا كلِّ جِبَسٍ

(٢) ابن لَنُكَّكَ واسمه محمد بن محمد البصري . جل شعره في شكوى الزمان وأهله . وقد هجا المتنبي (ت نحو ٣٦٠ هـ) انظر الواقي بالوفيات ١٥٦/١ ، واليتيمة ١١٦/٢ - ١٢٥ .

(٣) والبيت في معجم الأدباء ١١/١٩ وهما بيتان أولهما :

قد شربنا على شقائق رَوْضٍ شربتْ عِبْرَةَ السحابِ السكوبِ
وجاء مطلع البيت « صُبغت » .

ألا ترى أنهم عابوا على كثير عزة قوله :

وما روضة^١ بالحرز^٢ طيبة^٣ الثرى يَمْجُجُ النَّدى جثائها وعرارها
بأطيب^٤ من أردان^٥ عزة^٦ موهنا وقد أوقدت^٧ بالمندل^٨ الرطب^٩ نارها^(١)
وقيل له : لو كانت هذه أمة زنجية ووقود نارها مندل رطب ، لطاب ريحها
وتعطر ردونها • وهلا قلت كما قال امرؤ القيس •

ألم ترَ أني كلما جئت طارقا وجدت لها طيبا وإن لم تطيب^(٢)
ولهذا استحسنوا قول القائل :

وريحها أطيب من طيبها والطيب فيه المسك والعنبر
فانظر إلى هذا الشاعر لما أثبت أنها تتطيب جعل ريحها أطيب منه •
وبالغ بشار بن برد في قوله :

وإذا أدنيت منها بصلا غلب^١ الطيب على ريح البصل^(٣)

(١) ديوان كثير ٩١/١ من قصيدة مطلعها :

فأقسمت لا أنساك ما عشت ليلة^١ وان سحطت داره^٢ وشط^٣ مزارها^٤
وجاء مطلع أولهما « فما » وأوردهما ابن عبد ربه في العقد الفريد ٣٧٣/٥ ،
والشريشي في شرح المقامات ٢٠٨/٢

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٤١ من قصيدة مطلعها :

خليلي^١ مرأ^٢ بي على أم جندب^٣ تنقض^٤ لبانات^٥ الفؤاد^٦ المعذب^٧
والبيت في الديوان :

الم ترياني كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وإن لم تطيب^١
وجاء في رواية العقد ٣٧٣/٥ « ترياني » و « وجدت فيها طيبا » وكذا في شرح
المقامات ٢٠٧/٢ ، أما الوساطة ص ٣١٢ فكانت « ألم تر أني » و « وجدت بها
طيبا » . وانظر تفصيل ذلك في المحاسن والأضداد ١٣٩ .

(٣) لا وجود للبيت في المطبوع من ديوان بشار ، لأن الديوان لم يجاوز حرف الراء .

لكنه هجن هذا المعنى بذكر البصل •

ويحكى أن بعض الشيعة أنشد أبا مجالد^(١) قول السيّد الحميري^(٢) :

أقسم بالله وآياته	والمرء عمّا قال مسؤول
أنّ عليّ بن أبي طالب	على الهدى والبرّ مجبول
ذاك الذي سلّم في ليلة	عليه ميكال وجبريل
ميكال في ألف وجبريل في	ألف ويتلوهم سرافيل
في يوم بدر بددا كلهم	كانهم طير أبابيل

فقال له أبو مجالد : يا هذا إن الشاعر لم يمدح صاحبك ، وإنما هجاه في موضعين (٦٩/أ) أحدهما أنه زعم أن عليّاً - كرّم الله وجهه - مجبول على البرّ والهدى ، ومن جبل على أمر لم يمدح عليه ، لأنه لم يكسبه بسعيه •

وثانيهما أنه ادّعى أنه أُميد في حروبه بالملائكة ، ولا فضيلة له حينئذ في الظفر ، لأن أبا حيّة النُميري^(٣) لو أيّد بهؤلاء لقهر الأعداء^(٤) •

ذكر ذلك أبو عمر الزاهد^(٥) في كتاب « الياقوته » فثبت بمثل هذا أن لا مدح

(١) أبو مجالد واسمه أحمد بن الحسين البغدادي الضرير ، كان يحفظ مئة ألف حديث . انظر طبقات المعتزلة ٨٥ .

(٢) السيّد الحميري واسمه إسماعيل بن محمد . شاعر إمامي غزير الشعر (ت ١٧٣ هـ) انظر الأغاني ٢/٧ - ١٣ .

(٣) أبو حيّة النُميري واسمه الهيثم بن الربيع ، شاعر مجيد راجز من مخضرمي الدولتين ، مدح الخلفاء وعرف بجبّنه (ت نحو ١٨٣ هـ) انظر الشعر والشعراء ٧٧٤ ، وخزانة البغدادي ٣/١٥٤ .

(٤) يقصد أبو مجالد أن السيّد الحميري لم يصب في المدح فصار كالهجاء ، ولم يقصد أنه هجاه حقيقة فالسيّد الحميري شيعي متطرف ، انظر أخبار السيّد الحميري للمرزباني .

(٥) في الأصل أبو عمرو وهو تحريف . ت سنة ٣٤٥ . وقد ألف كتابه الياقوته ما بين سنتي ٣٢٦ - ٣٣١ هـ . انظر انباه الرواة ٣/١٧١ ، والفهرست ١١٩ ، وتاريخ بغداد ٢/٣٥٦ .

في قوله : « لو صافح الورد لتعطرت أوراقه » • ويؤيد هذا أنه تنبه لهذا في السجعة الثانية فقال :

« ولو مر على اللينوفر ليلاً لتفتحت أحداقه » فاحترز بالليل لأنه في النهار يكون مفتوح الأوراق ^(١) •

ومن طريف ما جاء للشعراء في اللينوفر قول الخبز أرزي ^(٢) :

خافَ المَلالَ إِذَا طالتْ إِقامتهُ فصارَ يَظهرُ أحياناً ويَحتجبُ
كَأنه حينَ يَبدو من مَطلَعِه صبُّ يُقبَلُ حَبّاً وهو يَرتقبُ
وذكرت هنا قول بعض المتأخرين ^(٣) في زر ورد •

سَبَقَتْ إِلَيْكَ مِنَ الحَداقِ وَردَةٌ وَأَتَتْكَ قَبْلَ أَوَانِهَا تَظفِيلاً
طَمِعَتْ بِلِشْمِكَ إِذْ رَأَتْكَ فَجَمَعَتْ فَمَهَا إِلَيْكَ كَطالِبٍ تَقْيِيلاً ^(٤)
وهذا من محاسن التضمين الذي نقل عن أصله ، لأن المتنبي قال في الناقة من جملة قصيدته :

ويُغيِّرُنِي جَذْبُ الزَمامِ لِقَلْبِها فَمَهَا إِلَيْكَ كَطالِبٍ تَقْيِيلاً ^(٥)

(١) لعلها الأحداق .

(٢) الخبز أرزي ، واسمه نصر بن أحمد البصري ، شاعر أمّميّ غزل كان يخبز خبز الأرز في المريد (ت سنة ٣٢٧ هـ) انظر وفيات الأعيان ١٥٣/٢ ، وإرشاد الأريب ٢٠٦/٧ - ٢٠٨ .

(٣) صاحب الأبيات هو الشاعر مجير الدين ابن تميم محمد بن يعقوب ، كان جندياً شجاعاً كريم الأخلاق (ت بحماسة ٦٨٤ هـ) انظر شذرات الذهب ٣٨٩/٥ ، والنجوم الزاهرة ٣٦٧/٧ ، وفوات الوفيات ٥٣٨/٢ ، وخزانة ابن حجة ١٧٦ .

(٤) وورد البيتان له في معاهد التنصيص ٦٦/١ ، وريحانة الألبا ٤٦٣/٢ - ٤٦٤ ، والغيث المسجم ٧٢/١ وفيه « سيقَتْ إِلَيْكَ .. » .

(٥) شرح الديوان للبرقوقي ٤٣٦/٣ من قصيدة قالها في بدر بن عمار إذ ضرب الأسد بسوطه . مطلعها :

في الخَدْرِ أَنْ عَزَمَ الخَليطُ رَحِيلاً مطرٌ تَزِيدُ به الخُدودُ مُحولاً

على أنه أخذه من ابن بابك ^(١) ، وإنما حسن ذلك التضمين • فإن ابن بابك قال :

وافى الشتاء فبزّ النور بهجته فعل المشيب شعر اللّمة الرّجل
ورّد تفتح ثم ارتدّ مجتمعا كما تجمعت الأفواه للقبّل ^(٢)

وما أحسن قول مجير الدين محمد بن تميم في اللينوفر : (٦٩/ب)

غدا اللينوفر المصفر يحكي النجوم فلا يغادرها شبيها
تغوص العين فيه إذا تجلّى النهار وفي الظلام يغوص فيها

وقد استخدم العين هنا في معنيين : أولهما العين الباصرة ، والثاني العين الجارية
وقول ابن حمديس الصّقلي :

اشرب على بركة لينوفر مصفرة الأوراق خضراء
كأنما أزهارها أخرجت ألسنة النار من الماء ^(٣)

وما أظف قول التنوخي ^(٤) من جملة أبيات :

ألف المياه مشاكلا بلطافة حتى يفارق شكله لم يصبر
فيقوم طورا ثم يرفع رأسه بتخشّث وتأود وتكسر

(١) ابن بابك واسمه عبد الصمد بن منصور ، شاعر بغدادي مكثر ، وفد على
الصاحب بن عباد (ت ببغداد سنة ٤١٠ هـ) انظر وفيات الأعيان ٢٩٧/١ ،
ومعاهد التنصيص ٦٤/١ .

(٢) وبيتاه في معاهد التنصيص ٦٦/١ ووردت فيه « النور » مرفوعة وقد نصبها
الصفدي والنصب أنسب للمعنى .

(٣) ديوان ابن حمديس ص ٥ وقد جاء البيت الأول :

اشرب على بركة نيلوفر محمرة النوار خضراء

(٤) التنوخي هو عبد المحسن بن حمود الحلبي أمين الدين الشاعر الكاتب
المنشيء (ت ٦٤٣ هـ) انظر الشذرات ٤٢٠/٥ ، والنجوم الزاهرة ٣٥٣/٦ .

وكانه في الماء صاحب مذهبٍ أغراه وَسَنَواسُ "بأن" لم يَظنْهُرِ
وقول الآخر :

كَأَن لِينُوفِرَها عاشقٌ نهارَه يرقبُ وجهَ الحبيبِ
حتى إذا الليلُ بدا سَجَنفُهُ وانصرفَ المحبوب نحوَ الكئيبِ^(١)
غَمَضَ عينيه عسى أن يرى في النوم من فازَ به عن قريبٍ
وبالغ الآخر في الظرف حين قال :

وكانه إذْ غابَ وقتَ مساءه في الماءِ واحتجبتْ نضارةُ قدِه
صبٌّ يهدده الحبيبُ بهجره ظُلماً فغرقَ نفسَه من وجدِه (٧٠/أ)
وقال الوجيه ابن الذروي يهجو الكينوفر المصري :

ولينوفرٍ أبدى لنا باطناً له مع الظاهرِ المخضرِ جمرةَ عدمِ
فشبهته لما قصدتُ هجاءَه بكاساتٍ حجّامٍ بها لوثَةُ الدمِ

[نموذج من إنشاء ابن الأثير في ذم الشيب يدعي فيه الإبداع]

قال : « ومن ذلك ما ذكرته في ذم الشيب فقلت : والشيب إعدام لا يسار ، وظلم لا أنوار ، وهو الموت الأول الذي يصلى ناراً من الهم أشد وقوداً من النار ، ولئن قال قوم إنه جلالة فإنهم دقّوا به وما جلّوا ، وأفتوا في وصفه بغير علم فضلوا وأضلّوا ، وما أراه إلا محراثاً للعمر ولم تدخل آلة الحرث دار قوم إلا ذلوا . ومن عجائب شأنه أنه المملول الذي يشفق من بُعدِه ، والخلق الذي يكره نزع برده ، ولما فقِدَ الشبابُ كان عنه عوضاً ولا عوض عنه في فقده^(٢) » .

(١) في النسخة (ن) « الكئيب » وفي حسن المحاضرة للسيوطي ٢٤٤ « خوف الرقيب » ، وفي عجز الثالث « مَن فارقه » وهو أصوب .

(٢) المثل السائر ٣٣/٢ « ... اعدام للإيسار وظلام للأنوار ... ومن عجيب شأنه أنه المملول ... » .

أقول : إنه أخذ بعد فراغه من هذا الفصل في الدندنة على العادة ، وأن المعنى الذي ابتدعه هو تشبيه الشيب بألة الحرث ، وقد شبه الناس الشيب بأشياء منها اشتعال النار ، وقد نطق القرآن العظيم به في قوله تعالى « واشتعل الرأس شيباً »^(١) .
وقال الأرجاني :

قد أشعل الشيب رأسي للبلاء عَجَلاً والشمع عند اشتعال الرأس ينسبك
فإن يكن راعها من لونه يقق فطالما راقها من لونه حلك^(٢)
ومنها تشبيهه بالصبح ، قال :

وقالوا اتبه من رقدة اللهو والصبا فقد لاح صبح في دجاء عجب
فقلت : أخلاني دعوني ولذتي فإن الكرى عند الصباح يطيب^(٣)
ومنها تشبيهه بالنجوم ، قال : (٠٠٠)^(٤) (٧٠ / ب) .

ومنها تشبيهه بالتبسم . قال أبو تمام :

رأت تبسمه فاهتاج هائجها وقال لاجئها للعبرة انسكبي
فلا يؤرقك إيماض القثير به فإن ذاك ابتسام الرأي والأدب^(٥)

(١) سورة مريم (٤ / ١٩) .

(٢) ديوان الأرجاني ص ٢٩٥ من قصيدة يمدح بها سعد الملك الوزير أحمد بن نظام الملك الحسن بن إسحق . مطلعها :

هم نازلون بقلبي أية سلخوا لو أنهم رفقوا يوماً بمن ملكوا
وجاء في صدر الأول « عجباً » بدل عجلاً ، كما جاء في عجز الثاني « من قبله حلك » .

(٣) في الغيث المسجم ٢٢٢/٢ غير منسوبين .

(٤) بياض في الأصل .

(٥) ديوان أبي تمام - عزام ١١٦/١ من قصيدة قالها يمدح الحسن بن سهل مطلعها :

أبدت أسي ان راتني مخلص القصب وآل ما كان من عجب إلى عجب
وجاء في صدر الأول « رأت تشننه » ، وتشنن الجلد : إذا خلق .

ومنها تشبيهه بالحبيب • قال (...) (١) •

ومنها تشبيهه بالغبار قال ابن المعتز :

صدت شريراً وأزمعت هجري وضعت ضمائرهما إلى القدر
قالت كبرت وشبت قلت لها: هذا غبار وقائع الدهر (٢)

ومنها تشبيهه بالسيف • قال :

أنا إن نزعته عن الغواية والصبا فلطما استهوتني الآثام
أصبو وسيف المشيب مجرّد وقلت نور بدا على قضيبه

ومنها تشبيهه بالزهر • قال الغزي :

تألق الشيب فاعتذرت له وقلت نور بدا على قضيبه
كان ثغر الحبيب ركب في مفارقي ما أضاء من شنبه
ومنها تشبيهه بالبوم والقطاة كقول الشافعي - رضي الله عنه - في آياته
التي منها :

أيا بومة قد عششت فوق هامتي على الرغم مني حين طار غرابها (٣)
وقال الغزي :

(١) بياض في الأصل .

(٢) في الفيث المسجم ٢٢٢/٢ وجاء البيت الأول :

صدت سرير وأزمعت هجري وصفت ضمائرهما إلى القدر
كما ورد ثانيهما في الذخيرة . القسم الرابع المجلد الأول ص ٢٢٦ . انظر ديوان
ابن المعتز ١٣٧/٢ .

(٣) ديوان الشافعي (سيد الأهل) ١٩٦٦ ص ١٣ من قصيدة قالها في المشيب
مطلعها :

خببت نار نفسي باشتعال مفارقي وأظلم ليلى إذ أضاء شهابها

قطاة في الهداية كان شيبى وإن سمّته نقبته غراباً (١)
وشبهه السراج الوارق بالقرطم ، وإنما حسن ذلك لأنه - رحمه الله تعالى -
كان أشقر . فقال .

ذهب العصفُرُ مني وبدا قرطمُ شيبى
والتي قد ملكتُ رقِي رَدَّتْني بعيبي
وقيل لأعرابي عن الشيب : ما هذا البياض الذي في رأسك ؟ فقال زبدة مخضتها
الأيام وفضة سبكتها التجارب .

وما أحسن قول القاضي الفاضل - رحمه الله - (٧١ / أ) .

اليك بعد انقضاء اللهور واللعبِ عني فلم أرَ بي ما يقتضي أرَبي
والعمرُ كالكَأْسِ والأيامُ تَمزُجُهُ والشيبُ فيه قذى في موضع الحبِّ (٢)

وشبّه بأشياء مناسبة غير هذه ، ولم أر لأحد تشبيهه بآلة الحرث ، وأي
مناسبة بين آلة الحرث والشيب وما وجه الشبه وليس هذا من باب تشبيه
المحسوس بالمحسوس ، ولا من باب المحسوس بالمعقول ، وما أدري ماهو ، وأما
تشبيه الهرم بالحرث نفسه فجائز وأما قوله « اعدام لايسار » ، فمأخوذ من
قول المتنبي :

(١) مصورة الديوان ورقة ١١١ . من قصيدة مطلعها :

تصابى في المشيب ومن تصابى
كمن في كفه الهندي صابا
وجاءت رواية البيت :

قطاة في الهداية كان فودي وإن سميت نقبته غراباً

(٢) ديوان الفاضل ص ١٣٨ من قصيدة مطلعها البيت الأول نفسه . وجاء في
صدره « الجد » بدل « اللهو » . واللهو أصلح .

- وقد أراني الشبابُ الروحَ في بدني وقد أراني المشيبُ الروحَ في بدلي^(١)
وأما قوله « ظلام لا أنوار » ، فمأخوذ من قول أبي تمام :
له منظرٌ في العينِ أبيضٌ ناصعٌ ولكنه في القلبِ أسودٌ أسفعٌ^(٢)
وقول أبي الطيب :
ابعدتَ يياضاً لا يياضَ له لأتتَ أسودٌ في عيني من الظلمِ^(٣)
وما أحسن قول الغزي :
كيف لا ينفرُ الظباءُ من الشيبِ بـ ومن عادةِ الظباءِ النفورُ
أبيضٌ مظلمٌ وكلُّ يياضٍ في سوى العينِ والمفارقِ نورٌ^(٤)
وأما قوله : « وهو الموت الأول .. » (السجعة) ، قال محمود الوراق : « الشيب
إحدى الميتين »^(٥) .
وقال غيره : الشيب غمام قطر الغيوم .
وأما قوله : « ولئن قال قوم إنه جلالة .. » (السجعة) ، فذكرت به قول بعض
المتأخرين :

- (١) غير وارد في شعر المتنبي . وجاء في عجزه في النسخة (ن) « الروح في بدني » .
(٢) ديوان أبي تمام - عزام ٣١٩/٢ . من قصيدة قالها يمدح أبا سعيد الثغري .
مطلعها :
أما إنه لولا الخليطُ المودعُ وربعٌ عفا منه مصيفٌ ومربعُ
كما ورد البيت في هبة الأيام ص ٢٩٣ ، والوساطة ص ٢٥٠ ، وحماسة ابن
الشجري ٢٤٢ .
(٣) شرح الديوان للبرقوقي ١٩٥/٤ . من قصيدة قالها في صباه ، مطلعها :
ضيفٌ ألمٌ براسي غير متحتشمٍ والسيفُ أحسنُ فعلاً منه باللممِ
(٤) مصورة ديوان الغزي ورقة ١٠٩ من قصيدة : مطلعها :
كوكبُ الشرقِ ثاقبٌ لا يغورُ وبقدَرِ الأسى يكونُ السرورُ
وفيه صدر الأول « الغزال » بدل « الظباء » .
(٥) زهر الآداب ٤٤/٤ .

وقالوا شبابُ المرءِ لهوٌ وغرّةٌ « ومن خلفه شيبُ الوقارِ ولا ريبُ
وأَيُّ وقارٍ لامرئٍ عرّي الصبا وقدّ أمه شيبٌ ومن خلفه شيبٌ
وأما قوله : « وهو المملول الذي يشفق من بعده » ، فمأخوذ من قول مسلم
ابن الوليد وقول مسلم في غاية الحسن : (٧١ / ب) •

الشيبُ كرهٌ وكره أن يفارقني اعجبُ بشيءٍ على البغضاءِ مودودِ
يمضي الشبابُ فيأتي بعده بدلٌ والشيبُ يذهبُ مفقوداً بمفقودِ (١)

قيل : إن المنذر بن أبي سبرة نظر إلى أبي الأسود الدؤلي وعليه قميص مرقوع
فقال له : ما أصبرك على هذا القميص ؟ فقال : رب مملول لا يستطاع فراقه (٢) •
فبعث إليه تَخْتًا من ثياب •

ونظر سليمان بن وهب (٣) في المرأة فرأى الشيب فقال : عيب لا عَدِ مناه (٤)
وقد جاء في ترسل الفاضل ذكر الشيب فقال :

« فَمَنْ يَطْلُعُ شَرَفَ السَّبْعِينَ يَهْبِطُ إِلَى الْحُضِيِّضِ ، وَمَنْ يُعَمِّرُ الْعُمَرَ الطَّوِيلَ
يَقَعُ فِي الطَّوِيلِ الْعَرِيضِ وَأَيَّامُ الْمَشِيبِ كُلُّهَا بَيضٌ ، وَمَا نَحْنُ مِمَّنْ يَصُومُ الْأَيَّامَ
الْبَيضَ » •

وما أَلْطَفَ قول ابن المعتز :

أَيَا نَفْسٌ قَدْ أَثْقَلْتَنِي بِذُنُوبِي أَيَا نَفْسٌ كَفَى عَنْ هَوَالِي وَتُوبِي

(١) ديوان مسلم ص ٣١١ وفيه صدر الثاني « يمضي الشباب وقد يأتي له خلف » .

كما وردا في زهر الآداب ٤/٤٤ - ٤٥ ، وجماسة ابن الشجري ٢٤٥ •

(٢) انظر هذا الكلام في فصل المقال ٢٩٣ ، ومجمع الأمثال (محيي الدين عبد الحميد)

٣٠٦/١ حرف الرء •

(٣) سليمان بن وهب بن سعيد الحارثي ، وزير من كبار الكتاب ، مدحه البحري

وأبو تمام • مات في حبسه ببغداد سنة ٢٧٢ هـ ، انظر وفيات الأعيان ١/٢١٦ ،
وسمط اللالي ٥٠٦ •

(٤) قوله في زهر الآداب ٤/٤٤ •

وكيف التصابي بعد أن ذهب الصبا وقد ملّ مقراضى عتاب مشيبي^(١)
وما أحلى قول (٢) :

ألا يا سارياً في بطن قفرٍ ليقطع في الفلا وعثرا وسهلاً
قطعت نقا المشيب وبنت عنه وما بعد النقا إلا المصلّى
ولبعض الشعراء :

ولما رأيت الشيب راءً بعارضي تيقنت أنّ الوصل لي منك واصل
ربما يفهم من هذا البيت غير ما قصده الناظم ، فيتوهم أنه يظن أن الشيب
سبب لوصله وهو على خلاف المعهود من كلام الشعراء ، فإنهم ما زالوا يقولون
إن الشيب سبب تفار الغواني عن المحبين .

وما أحسن قول خالد الكاتب (٣) في هذا :

لما رأت شيئا ألهم بمفرقي صدت صدود متفارق متجمل
وجعلت أطلب وصلها بتذلل والشيب يغمزها بأن لا تفعل^(٤)
(١/٧٢)

- (١) ديوان ابن المعتز ص ٩٣ . وهما فيه بيتان فحسبه . وجاء الثاني :
- وكيف التصابي بعدما ذهب الصبا وقد ملّ مقراضى عقاب مشيبي
- (٥) لم يذكر اسم القائل وهما لابن خلكان ، أوردهما له ابن شاعر الكتبي في فوات
الوفيات ٢/٢١١ كما يلي :
- ألا يا سائراً في قفر عثر يقاسي في السرى حزننا وسهلاً
بلغت نقا المشيب وجزت عنه وما بعد النقا إلا المصلّى
كما وردا في الفيت المسجم ٢/٢٢٤ غير منسوبين .
- (١) خالد بن يزيد البغدادي المعروف بالكاتب ، شاعر رقيق غزل من الكتاب
(ت ببغداد سنة ٢٦٩ هـ) انظر فوات الوفيات ١/٢٩٦ .
- (٢) والبيتان له في زهر الآداب ٤/٣٩ وقبلهما ثالث . والرواية فيه :
- نظرت اليّ بعين من لم يعدل لما تمكّن جنبها من مقتلي
لما رأت وضّح المشيب بلمتي صدت صدود مجانب متحمل
فجعلت أطلب وصلها بتلطف والشيب يغمزها بأن لا تفعل
وينسبهما العقد الفريد ٣/٤٣ لابي تمام وليسا في ديوانه .

والشاعر إنما أراد هذا المعنى المعهود ، فإن واصل بن عطاء الغزال ^(١) رأس المعتزلة ، كان يلشع في الرء لثغة قبيحة ، وكان يتجنب الرء في كلامه ، ولا تكاد تسمع منه كلمة فيها رء ويقال إنه امتحن ليقراً أول سورة « براءة » فقرأ من غير فكر ولا روية : عهد من الله ونبيه إلى الذين عاهدتم من الفاسقين ، فسيحوا في البسيطة هلالين هلالين •

وبلغه أن بشار بن برد هجاه ، فقال غير مفكر : أما آن لهذا الأعمى الملحد المكنى بأبي معاذ من يقتله • أما والله لولا أن الغيلة خلق من أخلاق الغالية ، لبعث إليه من يبيع بطنه على مضطجعه ثم لا يكون إلا سدوسياً أو عتقيلياً •

فقال « الأعمى » ولم يقل الضرير ، وقال « الملحد » ولم يقل الكافر ، وقال « أبو معاذ » ولم يقل بشار بن برد ولا المرعث ، وقال « الغيلة » ولم يقل الغدر ، وقال « الغالية » ولم يقل المغيرية ولا المنصورية ، وقال « بعث » ولم يقل سيرت ، وقال « يبيع » ولم يقل يقرر ، وقال « مضطجعه » ولم يقل فراشه ، وأراد بذكر عقيل وسدوس ما كان بشار بن برد يذكره من الاعتزاز اليهما ^(٢) •

وقال فيه بعض الشعراء ^(٣) يمدحه :

(١) واصل بن عطاء الغزال أبو حذيفة ، رأس المعتزلة ومن أئمة البلغاء والمتكلمين (ت ١٣١ هـ) انظر طبقات المعتزلة ٢٨ ، وانظر قوله في زهر الآداب ١١٩/٢ - ١٢٠ ، وشرح أدب الكاتب للجواليقي ١٠٤ و ١٠٦ ، والآية الكريمة في سورة التوبة ١/٩ « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر » •

(٢) انظر تفصيل ذلك في زهر الآداب ١١٩/٢ - ١٢٠ ، وشرح أدب الكاتب للجواليقي ١٠٤ ، ١٠٦ •

(٣) لعله أبو الطروق الضبي وقد عرف بمدحه واصل بن عطاء بإطالة الخطب واجتناب الرء . وقد وردا غير منسويين في فوات الوفيات ٦٢٤/٢ ، ومعجم الأدباء ٢٤٦/١٩ . وجاء فيه البيت الثاني :

ولم ينطق مطراً في القول يجعله فعاذ بالغيث إشفافاً من المطر

كما وردا في البيان والتبيين ٢١/١ •

ويجعل البئر قمحاً في تصرفه وخالفَ الراءَ حتى احتالَ للشعر
ولم يَطْرُقْ مطراً والقولُ يُعْجِلُهُ فجاءَ بالغيثِ إشفاقاً من المطرِ
فلهذا قال الشاعر ذلك البيت • وشبه الوصل بواصل ، وشبه الشيب بالراء •
مراده أنه يجفوه جفاء واصلِ الراء •

وقال آخر فأحسن :

أَعِدْ لثَغَةً لو أن واصلَ حاضرٌ ليسمَعَهَا ما أسْقَطَ الراءَ واصلُ
وقال الرمادي^(١) في مליح أثغ •
لا الراء تطمعُ في الوصالِ ولا أنا
فإذا خلوتُ كتبتُها في راحتي
وقال الأرجاني :

هَجَرَ الراءَ واصلُ بنُ عطاءٍ في خطابِ الورى من الخطباءِ
وأنا سوف أهجرُ القافَ والراءَ مع الضادِ من حروفِ الهجاءِ

[مناقشة نموذج من إنشاء ابن الأثير]

قال : وكذلك كتبت إلى بعض الأصحاب كتاباً من هذا الجنس ، أهزل معه فقلت :
« ينبغي له أن يشكرني على وسمه بهجائي دون امتداحي ، فإنني لم أَسِمْنِهِ إلا لتحرم
به الأضحية في يوم الأضاحي ، ولا شك أن سيدنا معدود في جملة (٧٣/أ) الأنعام ،
غير أنه من ذوات القرون والقرون عدة في الخصام^(٢) » •

(١) الرمادي واسمه يوسف بن هارون الكندي ، شاعر أندلسي مدح المنصور بن
أبي عامر (ت. بقرطبة ٤٠٣ هـ) انظر مَطْمَحُ الْإِنْفَسِ ص ٦٩ ، والصلة
ص ٦٣٧ •

(٢) المثل السائر ٣٤/٢ « وكذلك كتبت إلى بعض الناس .. فقلت في فصل منه
ما ذكره وهو : ينبغي ... والقرون عدوه عند الخصام » •

أقول : أي معنى هذا حتى يتبجح به ويقول : « وهذا معنى ابتدعته ولم أسمع له لأحد قبلي » .

ولو أنه اقتصر على السجعتين الأوليين لكان ذلك أحسن من أن يفسر معناه فيما بعد ولقد أذهب رونق التنديب والتندير ، بما أتى به من التفسير . وقد قيل إن من شرط التنديب أن لا يكون خفياً ولا صريحاً ولكن بين بين .

ألا ترى إلى قول السَّراج الوراق فيمن ينعت بالصفى :

حالت حوادثٌ بيني بين الصفّيِّ وبينني
فلا أموتُ إلى أنْ أرى الصفّيَّ بعيني

ما أحلاه . ولو قال : فلا أموت إلى أن أراه صفياً أو بعين واحدة ، يعني أعور ما كان له هذه الطلاوة ، ولا فيه هذا الحسن الواقع من القلب . أو لو أخذ يفسره فيما بعد ويشرح ما رمزه ، ذهب منه هذه الحلاوة .

وانظر ما أحسن قول الجزار أبي الحسين^(١) رحمه الله تعالى :

لو يقنصُ الجزارُ أرواحَ العدى في يومِ عيدك كنتُ أولَ قانصٍ
لكنهم آمنوا مئداي لنقصهم إنَّ الضحيةَ لا تكونُ بناقصٍ
وقوله أيضا :

نصحتك فاسمع من نصيحة عاشقٍ^(٢) وإني على ما قلتُه لأمينُ
من الرأي أن لا توقع الحربَ بيننا فإني جزارٌ وأنتَ سمينُ (٧٣/ب)

(١) أبو الحسين الجزار واسمه يحيى بن عبد العظيم جمال الدين . شاعر مصري ظريف كان جزارا ، وصل شعره إلى السلاطين (ت ٦٧٩ هـ) انظر فوات الوفيات ٢/٦٣٠ ، والنجوم الزاهرة ٧/٣٤٥ .

(٢) في حاشية (ب) « لعله صادق » وهو أنسب .

ولو قال : ينبغي له أن يشكرني على وسمه بهجائي بين البرية ، فإنني لم أسمه إلا لكي تحرم به الأضحية ، لكان أحسن . فإن قوله : « الأضحية في يوم الأضاحي » من باب قولك : العيد في يوم العيد ، والصيام في أيام الصيام . ومن المعلوم أن الضحايا لا تطلق إلا على ما ذبح أيام التشريق ، وما ذبح في غير ذلك من الذبائح لا يطلق عليه ذلك . وكذلك صلاة الجمعة لا تطلق إلا على الصلاة المعروفة في الوقت المخصوص ، ومتى كانت صلاة في غير ذلك الوقت فلا تكون جمعة .

[نموذج من إنشاء ابن الأثير يدعي فيه الإبداع]

قال في فصل ذكر فيه هدية رطب لبعض ملوك الشام : « ولما استقلت به الطريق أنشأ الحسد لغيره من الفواكه أربا ، وما منها إلا من قال يا ليتني كنت رطباً ^(١) » . أقول أي فصاحة لهذه العبارة ، وأي بلاغة على هذا المعنى الذي لا طائل تحته وأين هذا من قول أبي الحسين الجزار :

قلت لما سكب الساقية على الأرض الشرابا
غيرة مني عليه ليتني كنت ترابا

فإن هذا أتى بلفظ القرآن العظيم ، فكان له في السمع وقع وفي القلب حلاوة ، ولو كان قوله « ليتني كنت رطباً » بعض آية أو بعض بيت أو بعض مثل أو معنى متداولاً في شيء ، فنقله إلى هذا ، لكان حسناً .

ومن كلام القاضي الفاضل - رحمه الله تعالى - في جواب الخليفة : « ورد الكتاب المشتمل علي ما أبان عنوان النية وإن كان كتاباً ، وأقر النعمة وإن علا وكان سحاباً ، المقتضي حدّ الطاعة ولتلك القدم الشريفة يقول المؤمن ليتني كنت تراباً » .

ثم إن ابن الأثير قال : « وما منها إلا من قال » • فأجری « من » على ما لا يعقل • وهي لا تكون إلا لمن يعقل • والفواكه (٧٤/أ) لا تعقل •

ولو قال : وما منها نوع إلا قال ، لخلص من ذلك • وقد يعتذر له بأنه لما نزل أنواع الفاكهة منزلة العاقلين في القول ، أطلق « من » عليها • كقوله تعالى : « فقال لها وللأرض ، ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا أتينا طائعين » (١) • وهذا الجمع الذي يعرب بالحروف لا يكون إلا للعاقلين • ولكنه لما نزلهما منزلة العاقلين في القول والطاعة ، أعطاهما جمع العاقلين •

والجواب : ليس هذا من هذا ، والفرق بين الآية الكريمة وبين كلامه ، أنه في الآية الكريمة أطلق ذلك لما تقدم قولهما • فأشعر بأنهما تنزلا منزلة العاقلين • وأما ابن الأثير فإنه أطلق « من » على ما لا يعقل من أول وهلة فلم يحسن • وبمثل هذا خلص المتنبي من إيراد ابن وكيع (٢) وغيره عليه ، في قوله :

وكل ما قد خلقه الله وما لم يخلق
محتقر في همتي كشعرة في مفرقي (٣)

قالوا : وفيما خلق الله تعالى ، الأنبياء والرسل والملائكة • وهذا يقتضي تكفيره ويدل على زندقته •

والجواب عن المتنبي أنه إنما قال « وكل ما » ولم يقل « وكل من » فإن « ما » لما لا يعقل على الصحيح وبهذا يخرج عنه الرسل ومن شرف قدرهم وارتفع مقامهم عن هذا ، والملائكة صلوات الله عليهم وسلامه •

وكذا أورد بعض الجاهلين في قوله تعالى : « إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » (٤) •

- (١) سورة فصلت ١١/٤١ •
- (٢) ابن وكيع التنيسي واسمه الحسن بن علي الشاعر ، له كتاب « المنصف في سركات المتنبي » (ت بمصر ٣٩٣ هـ) ، انظر وفيات الأعيان ١٣٧ ، واليتيمة ٢٨١/١ •
- (٣) شرح الديوان للبرقوقي ٩٨/٣ ، والأبيات ثلاثة أولها :
أي محل أرتقي أي عظيم أنقي
- (٤) سورة الأنبياء ٩٨/٢١ •

فقال : وممن عبّد المسيح ، ولم يدر المثلّكل أن « ما » في قوله تعالى « وما تعبدون » لما لا يعقل . فيتناول الأصنام والكواكب وغير ذلك ، ويخرج المسيح — عليه السلام — من ذلك .

[مناقشة رسالة لابن الأثير من عاشق إلى معشوق]

قال : « ومن ذلك رقعة كلّفني بعض أصدقائي إملاءها عليه ، وهي رقعة من عاشق إلى معشوق ^(١) » ثم أخذ في سردها وهي طويلة افتتحها بقول القائل ^(٢) :

واذا قيلَ من تحبُّ تخطا لَ لساني وأنتَ في القلبِ ذاكا (٧٤/ب)

فلما رأيته قد صدر الرسالة بييت أبي تمام قلت : لعل هذا البارق تكون وراءه سمياً ، ويتمسك بهذه الطليعة في اللطف على عادة مخاطبة العشاق وخضوعهم وذلّ سؤالهم في طلب الوصال أو شكوى الهجر أو رقعة العتاب في إخلاف الوعد أو الميل إلى الضد ، فإنه إن كانت الرقة واللطفة والاستكانة خلقت لشيء ، فما أرى أحدا أولى بها من العشاق في هذه المقامات وما أحلى قول القائل ^(٣) :

يُديرُ من كفّه مداماً ألذَّ من غفلةِ الرقيبِ
كأنها إذ صفتْ وزقتْ شكوى مُحِبٍّ إلى حبيبِ

فما كان إلا أن قال بعد ذلك البيت : « يامن لا أسمىه ولا أكنيه ، وأذكر غيره وهو الذي أعنيه لا تكن ممن أوتي ملك الملاحه فلم ينظر إلى زواله ، وعرف مكانه من القلوب فجار في إدلاله ، ولا تغتر بقول من رأى الحسن للإساءة ماحيا ، واعلم أن اللاحي يقول : كفى بالتذلل لاحيا ، وكثيرا ما يزول العشق بجنايات الصدود ، والزيادة في الحد نقص في المحدود . وقد قيل : إن الحسن عليه زكاة كزكاة المال ،

(١) المثل السائر ٤٤/٢ .

(٢) هو أبو تمام والبيت في ديوانه . د . عبد الحميد يونس ٣٨٦ .

(٣) القائل هو الشاعر منصور بن كيغلف ، أديب من أولاد أمراء الشام . وجاء في صدر البيت الأول : « يدير في كفّه . . » انظر اليتيمة ٧٥/١ .

وليست زكاته عند علماء المحبة إلا عبارة عن الوصال ، وهذه صدقة تقسم على أربابها ، ولا ينتظر أن يحول الحول في إيجابها ، فهي مستمرة على تجدد الأيام ، والمستحقون لها قسم واحد ولا يقال إنهم ثمانية أقسام ، وهؤلاء هم المخصوصون بفك الرقاب ، ورقبة العشق أشد أسرا من رقبة تتحرر بالكتاب . فخرج يمولاي من هذا الحق الواجب ، وإلا فتأت لطالب مثنى وأي مطالب ، ولا تقل هذا غريم أكثر (٧٥/أ) عدّ الليالي في مطله ، وأعدّه المواعيد زاد لمثله ، فهذه سلعة قد عاملتني بها مرة ساخرا ومرة ساحرا ، ومن الأقوال السائرة إن الغر تجعله التجربة ماهرا ، ولعمري إن ممارسة الحب تجدد لصاحبه علما ، وتبصرةً وإن كان كما يقال أعمى ، وقد كذب القائل (١) :

عَرَّصَنُ لِلَّذِي تَحَبُّ بِحَبٍّ ثُمَّ دَعَاهُ يَرُوضُهُ إِبْلِيسُ

فإن كانت الرياضة كما قيل لإبليس فما أراه صنعاً في الذي صنع ، وأراك استعصيت عليه استعصاء القارح وأنت جذع ، ولا شك أنك تهدم ما يشيده من البناء ، وأنت مستثنى في جملة مَنْ دخل في حكم الاستثناء ، وأنا الآن له عائب ، وعليه عاتب . فأين نقائاته التي هي أخدع من الحبائل ، وأين قوله لآتينهم عن الأيمان والشمائل ، وأين جنوده المسترقة ما في السماء ، التي تجري منهم مجرى الدماء . وكل هذا قد بطل عندي خبره ، كما بطل عندي أثره ، فإن أدركته النخوة بأني استهزأت بتصديق أفعاله ، فليحلل معقول حاجتي هذه حتى أعلم أنه قادر على حل عقاله ، وإلا فليخف راسه ، وليمح وسواسه ، وإن كان له عرش على البحر فليقوض من عرشه ، وليعلم أن السحر ليس في عقده ونفثه ولكنه في الأصفر ونقشه ، وها أنذا قد بعثت بما يجعل العزم محلولا والود مبذولا ، وما أقول إلا أني بعثت [معشوقاً] (٢) إلى معشوق ، وكلاهما محله القلب بل القلب من جها مخلوق ، وما أكرمه وهو وسيلة إلى مثله ، وحسنه من حسنه وإن لم يكن شكله من شكله ، وما وصفه

(١) القائل هو أبو حفص الشطرنجي ، في الغيث المسجم ١٤٧/١ . والرواية فيه :

قل لمن شئت أنني بك منغرى ثم دعه يروضه إبليس

(٢) زيادة يقتضيها المعنى .

(٧٥/ب) واصف إلا كان ما رآه منه فوق ما رواه ، ومن أغرب أوصافه وأحسنها انه لم يثر ذو وجهين وجيهاً سواء ، ولا جرم أنه إذا سفر في أمر تلتطف في فتح أبوابه ، وتناول وعره فبدله بسهله وبعدله فبدله باقترابه ، ولو بعثت غيره لخفت أن لا يكون في سفارته صادقا ، وأنه كان يمضي سفيرا ويعود عاشقا ، فليس على الحسن أمانه ، وفي مثله تعذر الخيانة ، ولا لوم على العقول إذا نسيت هناك عزيمة رشدتها ، ورأت مالا يحتمله كاهل جهدها ، ومن ذا الذي يقوى درعه على تلك السهام ، أو يروم النجاة منها وقد حيل بينه وبين المرام ، وهذا الذي منعي إلا أن أرسل كيسا أو كتابا ، فأحدهما يكون في السفارة محسنا والآخر على السر حجابا ، والسلام إن شاء الله تعالى ^(١) .

أقول : إنه لما فرغ من هذه الرسالة ، أخذ على العادة في تفريط كلامه لما ابتدعه من ذكر الزكاة ووصف الدينار بمعنى الحديث ، وأن الذي اتفق له لم يظفر به الحريري ولا سبق إليه وأقول : إنني ما سمعت ولا رأيت ولا أسمع ولا أرى بمن راسل محبوبه بمثل هذه الأشياء ، وتهدد بأن العشق يزول بالصدود ، والزيادة في الحد نقص في المحدود ، وأن الوصال زكاة تجب عليك ولا تقل إنها في العام بل في كل وقت ، فأخرج من هذا الحق الواجب عليك ، ولا تقل إني غريم هين الطلب ، فكم تسخر بي ، فما أنا كما كنت والتجربة تجعل الغر ماهرة ، ولكن المحب أعمى ثم أخذ في ذم إبليس وتأنيبه وتوبيخه ، وأنه ليس بصاحب الوسوسة والإغواء

(١) المثل السائر ٢/٤٤ والنص فيه : « .. لا تكن ممن أوتى ملكا فلم ينظر في زواله ، وعرف مكانه من القلوب فجار .. والزيادة في الحد نقصان في المحدود .. وإلا فتأت لطالب منى ومطالب .. ولعمري إن ممارسة الحب تجدد لصاحبه علما ، وتبصره وإن كان .. (أول البيت) عَرَضَنَ ... »

أو إنك مستثنى في جملة من دخل في حكم الاستثناء .. فأين نفثاته التي هي .. التي تجري من بني آدم مجرى الدماء .. فإن أدركته النخوة بأني استهزى .. وها أنا قد بعثت منه ما يجعل العزم محلولا ... بل القلب من حبهما مخلوق .. لا جرم أنه إذا أسفر في أمر ... أو أنه كان يمضي سفيرا ويعود عاشقا .. ومن الذي يقوى درعه على تلك السهام ... وهذا الذي منعي أن أرسل كيسا وكتبا ، فأحدهما يكون في السفارة (..) والآخر على السر حجابا .. »

والسحر إنما هو للدينار ، وها أنا قد جهزت شيئاً من ذلك ، وما بقي بعد أن أجهز المعشوق الى المعشوق شيء • ثم أخذ يصف الدينار •

نعم (٧٦/أ) هذه العبارة والتهديد تصلح أن تكون في حقّ عدوّ خرج عن الصداقة إلى العداوة أو متّوكل أكثر الظلم والفساد في البلاد والعباد ، ولم يفده الإنذار ولا التحذير ، أو عبد خرج عن طاعة مولاه ولم يخف سلطانه •

وما أظن هذا المعشوق إلا أنه كان قد عزم على زيارة هذا العاشق ، فعارضه في الطريق الرسول بهذا الكتاب والدينار ، فلما وقف عليها ورأى هذا الإنعام والمائة (١) به عليه ، كرّر راجعاً بعد أن سبّ الرسول ومزق ثيابه ، وتنف ذقنه وبصق في وجهه ولعن من أرسله ، ومزق الرقعة شذّر مذّر ، وداس فتات الرقعة برجليه وقال ما عنده من العجّر والبجّر ، وتفضل في حق كاتب الرسالة بما يستحقه ، ورمى بالدينار الذي أرسله في الهواء • على أنه يكون في ذلك مختصراً ، وأنّه سكت عن ظلمه ولم يكن منتصراً •

أما وقف هذا على شعر المتّيمين من العرب الذين خاطبوا أحبابهم وتوسلوا في طلب الوصال ، وتلفظوا في طلب الرضا والمساعدة على الهوى • أكذا قال قيس بن ذريح (٢) وعبد الله بن العجلان النّهدي (٣) وعروة بن حزام (٤) وأبو ذؤيب (٥)

(١) من تأثر الأدباء بالعامية الفاشية .

(٢) قيس بن ذريح الكناني شاعر متّيم من سكان المدينة ، اشتهر بحب لبنى الكعبية (ت ٦٨ هـ) انظر الأغاني ١٠٧/٨ - ١٢٨ ، والشعر والشعراء ١/٦٢ .

(٣) عبد الله بن العجلان النّهدي ، شاعر جاهلي من العشاق ، وهو من سادات قومه (ت نحو ٥٠ ق هـ) انظر مصارع العشاق ٨ و ٢٣٣ ، وسمط اللّالي ٧٣٨ .

(٤) عروة بن حزام الشاعر ، من بني عذرة كان يحب ابنة عم له وزوجت بآخر فمات عروة حرقاً نحو ٣٠ هـ . انظر مصارع العشاق ص ١٣٢ ، وفوات الوفيات ٧٠/٢ .

(٥) ابو ذؤيب الهذلي واسمه خويلد بن خالد ، شاعر فحل مخضرم ، اشترك في الفتوح ، رثى أبناء الخمسة وقد أخذهم الطاعون في عام واحد (ت ٢٧ هـ) . انظر الأغاني ٥٦/٦ ، ومعاهد التنصيب ١٦٥/٢ .

وقيس المَجْنُون (١) وجميل بشينه (٢) وكثير عزة • أكذا تغزل عمر بن أبي ربيعة (٣)
والحارث بن خالد (٤) والعباس بن الأحنف (٥) • أما سمع قول أبي الطيب :
زَيْدِي أَذَى مَتهْجَتِي أَزْدَكْ هُوَى فاجْهَلْ النَّاسَ عَاشِقٌ حَاقِدٌ (٦)
وقول أبي فراس :
أَسَاءَ فَرَادَتَهُ الْإِسَاءَةُ حَظَنُوهُ حَبِيبٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ حَبِيبٌ
يَعْدُو عَلَيَّ الْوَاشِيَانِ ذُنُوبَهُ وَمِنْ أَيْنَ لِلْوَجْهِ الْجَمِيلِ ذُنُوبٌ (٧)
وقول الآخر (٨) .

- (١) هو قيس بن الملوّح العامري ، شاعر من أهل نجد ، لقب بالمجنون لهيامه في حب ليلي بنت سعد (ت سنة ٦٨ هـ) انظر خزانة البغدادي ١٧٠/٢ - ١٧٢ .
- (٢) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري الشاعر المعروف ، افتتن ببثينة وهي من قومه ومنع من الزواج بها (ت بمصر ٨٢ هـ) . انظر وفيات الأعيان ٢٦٧/٣ .
- (٣) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي الشاعر الغزل ، كان يشبب بنساء الحج فنفاه عمر بن عبد العزيز ثم غزا في البحر فمات غرقا سنة ٩٣ هـ . انظر خزانة البغدادي ٢٤٠/١ ، والأغاني ٦١/١ .
- (٤) الحارث بن خالد بن العاص المخزومي ، شاعر غزل من أهل مكة ، كان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب بها ولاء يزيد إمارة مكة وتوفي نحو سنة ٨٠ هـ . الأغاني ٩٧/٣ - ١١١ ، وخزانة البغدادي ٢١٧/١ .
- (٥) العباس بن الأحنف اليمامي ، شاعر غزل رقيق ، نشأ ببغداد وهو خال إبراهيم بن العباس الصولي (ت ١٩٢ هـ) انظر الأغاني ٣٥٢/٨ ، ومعاهد التنصيص ٥٤/١ .
- (٦) شرح الديوان للبرقوقي ٢١٠/٢ من قصيدة قالها يمدح عضد الدولة .
- (٧) ديوان أبي فراس ٤٤ من مقطوعة . والبيت الثاني فيه :
يَعْدُو عَلَيَّ الْعَاذِلُونَ ذُنُوبَهُ وَمِنْ أَيْنَ لِلْوَجْهِ الْمَلِيحِ ذُنُوبُ
- (٨) هو ابن الدُمينة عبد الله بن عبيد الله من خثعم والدُمينة أمه . شاعر بدوي غزل ، اغتيل قرب الطائف وهو عائد من الحج حوالي سنة ١٣٠ هـ انظر معايد التنصيص ١٦٠ ، والأغاني ١٤٤/١٥ والبيت في ديوانه ص ١٣ من قصيدة مطلعها :
قَفِي يَا أَمِيمَ الْقَلْبِ نَقْضَ لِبَانَةٍ وَنَشْكُ الْهُوَى ثُمَّ أَفْعَلِي مَا بَدَا لَكَ
وكذلك في شرح الحماسة للمرزوقي ١٣٠٧/٣ (الحاشية) ، وفي العقد الفريد ٢٧٦/٢ .

لئن ساءَ نبي أن نلتني بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّني أَني خَطَرْتُ بِبَالِكَ
وقول الآخر :

وَيَدُلُّ هَجْرُكُمْ عَلَيَّ أَني خَطَرْتُ بِبَالِكُمْ (٧٦/ب)
أما سمع قول المعري :

لِغَيْرِي زَكَاةٌ مِنْ جِمَالٍ فَإِنْ تَكُنْ زَكَاةٌ جَمَالٍ فَاذْكُرِي ابْنَ سَبِيلٍ (١)
ما أحلى قول : فاذكري ابن سبيل ان أخرجت زكاة جمالك ، لم يأمرها بصرفها
إليه ولا أوجبها عليها بل قال : ان كان شيء ، فاذكري ابن السبيل المستحق .
ومن هذا قول كثير عزة :

لئن كان يهدى بردٌ أنيابها العلى لَأَفْقَرَ مِنِّي إِنِّي لَفَقِيرٌ (٢)
على أن معناه مشكل إذا تأملته حق التأمل ، وليس هذا مكان الكلام عليه .
وما ألطف ابن سناء الملك في قوله :

وِغَانِيَةٍ لَمْ تَعُدْ عَشْرِينَ حِجَّةً أَقُولُ لَهَا قَوْلًا لَدَيْهِ صَوَابٌ
عَلَيْكَ زَكَاةٌ فَاجْعَلِيهَا وَصَالًا فَعُمْرُكَ فِي الْعَشْرِينَ وَهِيَ نَصَابٌ (٣)

(١) سقط الزند ص ٢٢٠ من قصيدة مطلعها :

أَسَأَلْتُ أَتِيَّ الدَّمْعَ فَوْقَ أُسَيْلٍ وَمَالَتْ لَظْلًا بِالْعِرَاقِ ظَلِيلٍ

(٢) البيت ليس في ديوان كثير وهو لابن الدمينة وهو في ديوانه ص ٤٩ من أبيات
ثلاثة أولها :

لَقَدْ كَثُرَ الْأَخْبَارُ أَنْ قَدْ تَزَوَّجْتُ فَهَلْ يَأْتِينِي بِالطَّلَاقِ بَشِيرُ

وكذلك في شرح الحماسة للمرزوقي ١٣٠٥/٣ .

(٣) ديوان ابن سناء الملك - ٤٦ من قصيدة قالها في صباه يمدح الأجل الفاضل .
مطلعها :

عَسَى أَنْ يَسُرَّ السَّائِرِينَ إِيَابُ وَأَنْ يَرْوَعَ الْبَيْنُ الْمَشْتَبُ إِيَابُ

وجاءت قافية البيت الأول « ثواب » بدل صواب . ومطلع عجز البيت الثاني
« لأنك » بدل فعمرك .

وقول ناصر الدين بن النقيب (١) :

لقد وجبت عليك زكاة حُسْنٍ وفيه كمثل ما في المالِ حقٌ
فلا تعدلْ به عني فاني لمَصْرِفِهِ الفقيرِ المستحقْ

أما سمع بقول جميل بن معمر العذري (٧٧/أ) •

لا خيرَ في الحبِّ وقتاً لا تحرَّكه عوارضُ اليأسِ أو يعتاده الطمعُ
لو كان لي صبرُها أو عندها جزعي لكنتُ أعرفُ ما آتي وما أدعُ (٢)

وقول أبي الطيب :

وأحلى الهوى ما شكَّ في الوصلِ ربُّه وفي الهجرِ، فهو الدهرُ يخشى ويتَّقِي (٣)

وقول كشاجم :

لولا اطرادُ الصيدِ لم تكْ لذةٌ فتطاردي لي بالوصالِ قليلا
هذا الشرابُ أخو الحياةِ وما له من لذةٍ حتى يُصيبَ غليلا (٤)

وقول العباس بن الأحنف :

وأحسنُ أيامِ الهوى يومُكَ الذي تروّعُ بالهجرانِ فيه وبالعتبِ

(١) ناصر الدين ابن النقيب واسمه الحسن بن شاور الكتاني المعروف بالنفيسي .

شاعر من افاضل مصر (ت ٦٧٨ هـ) انظر فوات الوفيات ٢٣٢/١ .

(٢) ديوان جميل ص ١١٩ من مقطوعة في أربعة أبيات . وجاء في عجز البيت الأول

« يرتاحه » بدل يعتاده وكذلك في عجز البيت الثاني « أملك » بدل أعرف .

(٣) شرح الديوان للبرقوقي ٥٧/٣ من قصيدة في مدح سيف الدولة . مطلعها :

لعينيك ما يلقي الفؤادُ وما لقي وللحبِّ ما لم يبقَ مني وما بي

وجاء في عجز البيت « يرجو » بدل يخشى .

(٤) ديوان كشاجم ص ١٨٧ وهما فيه بيتان منفردان .

إذالم يكن° في الحب سخط° ولارضى° فأين حلاوات° الرسائل° والكتب° (١)
وقول علية بنت المهدي (٢) :

وَضِعَ الحُبُّ عَلَى الجَوْرِ فلو° أُنْصِفَ المعشوقُ فيه لَسَمَّجُ°
ليس يُسْتَحْسَنُ في شرع الهوى عاشقٌ يُحْسِنُ تَأْلِيفَ الحُجَجِ° (٣)

أما سمع بقول محمد بن بشير الخارجي (٤) :

ولقد أردت° الصبر° عنك° فعاقني° علق° بقلبي من هوالك قديم°
يبقى على ريب الزمان° وصرفه° وعلى جفائك° انه لكريم° (٥)
(٧٧/ب)

وما أحسن قول العباس بن الأحنف حين عنف أحبابه على المظل بالوصل :
كأن لم يكن° بيني وبينكم° هوى° ولم يك° موصولا° بجبلكم° حبلي°

- (١) لا وجود لهما في ديوان ابن الأحنف وقد وردا في الفوات ٢١٠/٢ لأبي حفص الشطرنجي من أبيات أربعة وجاء مطلع أولهما « وأطيب أيام الهوى » . كما نسبهما ابن شاعر إلى عليّة بنت المهدي في ١٩٩/٢ بقوله : « فبدأت عليه فغنتهم من صنعتها في شعرها ... » .
- (٢) عليّة بنت المهدي أخت هارون الرشيد وتلقب بالعباسة . أديبة شاعرة تحسن صناعة الغناء (ت سنة ٢١٠ هـ) انظر أشعار أولاد الخلفاء ٥٥ وما بعدها ، والأغاني ٧٨/٩ .
- (٣) وبيتها في فوات الوفيات ١٩٩/٢ . وفيه « بني الحب » بدل وضع . وجاء في صدر الثاني « في حكم الهوى » كما أوردهما الجاحظ في المحاسن والأضداد ١٩٤ وذكر أن الرشيد قتل عليّة بسبب هذا القول خنقا .
- (٤) محمد بن بشير الخارجي ، شاعر حجازي من شعراء الدولة الأموية . كان يسكن البادية وخاصة بادية المدينة انظر الحماسة ٤٧٠/١ .
- (٥) والبيتان لابن الدمينة في ديوانه ص ٤٨ وفي الحماسة ٢١٢/٢ وجاء في صدر الثاني « يبقى على حدث الزمان وريبه » . وقد أوردهما الصفدي في تمام المتون ورقة ١٨ منسوبين لابن القيم الآخر .

وَإِنِّي لَأَسْتَجِيبُ لَكُمْ مِنْ مُحَدَّثٍ يَحْدُثُ عَنْكُمْ بِالْمَلَالَةِ وَالْمَظَلِّ (١)
 حكى الشبلي (٢) - رحمه الله تعالى - قال : رأيت يوم الجمعة معتوها عند جامع
 الرضا صافة قائما عريان وهو يقول : أنا مجنون الله ، أنا مجنون الله ، فقلت : لم
 لا تدخل الجامع وتتوارى وتصلي ؟ فأشدد يقول :

بِقَوْلِ زُرْنًا وَاقْضِ وَاجِبَ حَقِّنَا وَقَدْ أَسْقَطْتَ حَالِي حَقَّوْقَهُمْ عَنِي
 إِذَا أَبْصَرُوا حَالِي وَلَمْ يَأْنِفُوا لَهَا وَلَمْ يَأْنِفُوا مِنْهَا أَنْفَتُ لَهُمْ مِنِّي

قلت أنا : وهذا نوع آخر غير هذا الذي نحن فيه ، وطرق الجِدِّ غير طرق المزاح (٣)
 ومما قلت أنا :

وَإِذَا تَهَتَّكَ فِي الْهَوَى سَرِي غَدَاً وَتَحَدَّثْتَ بِصَبَابَتِي السَّمَارُ
 أَوْ قِيلَ ذَا الْمُسْكِينِ أَصْلُ جَنُونِهِ سَحَرُ الْعَيُونِ وَمَا لَهُ أَنْصَارُ
 أَيَحِلُّ فِي شَرَعِ الْهَوَى هَذَا وَمَنْ أَقْتَى بِأَنْ دَمَ الْمُحِبِّ جُبَارُ
 وَعِلْمْتُ أَنَّ هَوَاكَ أَصْلُ بَلِيَّتِي فَعَلَى صَدُودِكَ لَا عَلَيَّ الْعَارُ

(١) ديوان العباس ص ١٢١ من قصيدة مطلعها :

يقولون لي وأصل سواها لعلها تغارُ والا كان في ذاك ما يسلي
 وجاءت رواية البيت الأول :

فإن لم يكن بيني وبينهم هوى ولم يك موصولا بحبلهم حبلِي
 وفي عجز الثاني « بالمال وبالخذل » .

(٢) الشبلي : هو دلف بن جندَر الشبلي أبو بكر ، أصله من خراسان ونسبته
 إلى قرية شبلة من قرى ما وراء النهر ومولده بسامراء ووفاته ببغداد سنة
 ٣٣٤ هـ . اشتهر بكنيته واختلف في اسمه . له شعر سلك به مسلك الصوفيين ،
 انظر الأعلام ٢٠/٣ .

(٣) ليس الموقف هزلاً كما فهمه الصفدي ، وفي هذا القول مسحة صوفية يشير
 بذلك إلى قولهم « إذا سلب ما وهب سقط ما وجب » .

أما سمع بما قنع به المحبون مثل جميل حيث يقول :

واني لراضٍ منك يا بثن بالذي لو أيقنه الواشي لقرت بلابلته
بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى وبالوعد حتى يسأم الوعد ماطلته
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي وأخرته لا نلتقي وأوائله (١)

وجحدر (٢) حيث يقول :

أليس الليل يجمع أم عمرو وإيانا فذاك بنا تدان
وتنظر للهلال كما أراه ويغلوها النهار كما علاني (٣)
(٧٨/أ)

(١) ديوان جميل ١٦٨ وهي فيه ثلاثة فحسب . جاءت رواية الأول والثاني :

واني لأرضى من بشنة بالذي لو أبصره الواشي لقرت بلابلته
بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى وبالأمل المرجو قد خاب آملته
وفي وفيات الأعيان ٢٨٢/٣ جاءت الرواية مطابقة للديوان عدا « لو أبصره »
في عجز البيت الأول فجاءت « لو استيقن » . وتنسب الأبيات لابن الدثينة ،
وقد وردت في ديوانه ١٩٣ مع اختلاف طفيف وهي :

واني لأرضى منك يا ليل بالذي لو أبصره الواشي لقرت بلابلته
بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى وبالوعد والتسويق قدمل آملته
أما في الحماسة الصغرى ص ١٨٩ فالأبيات منسوبة إلى المجنون . وكانت رواية
البيتين :

واني لأرضى منك يا ليل بالذي لو أيقنه الواشي لقرت بلابلته
بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى وبالوعد حتى يسأم الوعد آمله

(٢) جحدر بن ضبيعة البكري الوائلي أبو مكثف ، فارس بكر في الجاهلية وقتل
في حرب تغلب يوم تحلاق اللثم ، له شعر . انظر طبقات ابن سلام ص ٥٢ .

(٣) وأورد سمط اللالي ٦١٧ هذين البيتين فقال : « وانشد أبو علي لجحدر التلص
قصيدة منها : وجاء مطلع البيت الثاني « نعم وترى الهلال كما أراه »
وكذلك في أمالي القالي ٢٧٨/١ ، ووردا في الفيت المسجم ٢٣٥/٢ غير
منسوبين .

والآخر حيث يقول :

إلى الطائرِ النسرِ انظري كلَّ ليلةٍ فإني إليه بالعشيةِ ناظرٌ
عسى يلتقي طرفي وطرفكٍ عندهُ فنشكو جميعاً ما تُجِنُّ الضمائرُ
وأبي العلاء المعري حيث يقول :

لا قالكَ في العامِ الذي ولّى ولمْ يسألكِ إلا قُبلةً في القابلِ
إن البخيلَ إذا تَمَدَّدَ له المدى في الجودِ هان عليه بذلُ النَّائلِ^(١)
(٧٨/ب)

وأما ذكره إبليس واستصراخه به وحثه على وسواسه وتزيين الباطل له ، فإنه من الغريب أترأه ما علم أن المحب إذا قال لمحبوبه : ما يدعك تزورني وتحنو علي إلا إبليس بوسواسه أن المعشوق يمثل ذلك بين عينيه ويقول : إن هذه الأمور من فعل إبليس ومطاوعة الشيطان في اتباع المحرمات المحظورة ، فيرجع إلى الهجران ، ويتقمص شعار الجفا والصد والإعراض ويكون في ذلك كالتائم الذي أيقظه غيره من الغفلة •

قال بعضهم : كان لي صديق ، وكان لا يحتشمني ولا أحتشمه ، فقال لي يوما : يا أخي قد علمت حبِّي لفلانه ولم أقدر منها على شيء قطّ وقد زارتنى اليوم ، وأحبّ أن تكون عندنا فإني لا أحتشمك • فأجبتة إلى ذلك • فلما صرت إلى مكانه ، وأخذت عيني الجارية فرأيت أحسن النساء • ثم إنا أفضنا في الأكل والشرب والحديث ، وسألني صاحبي الغناء وكنت مجيدا فيه • وكان الله تعالى أنساني جميع ما أحفظه إلا هذا الصوت :

(١) سقط الزند ١٢٧ من قصيدة قالها يمدح واثليا من أولاد سيف الدولة . مطلعها :

ليت الجياد خر سنَّ يومَ خلاجل ورزقنَ عقلا في تنائفٍ عاقل
وجاء في صدر البيت الأول « فلم » بدل ولم • كما ورد البيت الثاني :
إن البخيل إذا يمدد له المدى في الجود هان عليه وعدُّ السائلِ

من الخَفِرَاتِ لَمْ تَفْضَحْ أَخَاهَا وَلَمْ تَرْفَعْ لَوَالِدِهَا شَنَارَا (١)

فلما سمعته الجارية قالت : أحسنتَ والله أعيدَه يا أخي فأعدته ، فوثبت قائمة وقالت : أنا إلى الله تائبة ، والله ما كنتُ لأفْضَحَ أخِي وأرفع شَنَار أبي • فجهد الفتى في رجوعها فلم تفعل وخرجت • فقال لي : ويحك ، ما حملك على ما صنعت؟ فقلت : والله ما هو شيء اعتمدته ، ولكنه ألقني على لساني •

فانظر إلى فائدة ما ذكرته • والأنسب في طلب الوصال أن يقول : اسأل الله أن يعطف قلبك علي ، ويلهمك اغتنام الأجر فيَّ ويرزقك رحمتي لتدخل في الجنة (٧٩/أ) كما غالط القائل محبوبه في قوله : (٢)

تَجَنَّيْتُ لِي ذَنْبِي وَلَمْ أَلْكَ مَذْنِبًا وَحَمَلْتَنِي فِي الْحَبْرِ مَا لَا أَطِيقُهُ
وما طلبني للوصولِ حرصٌ على البقا ولكنه أجرٌ اليك أسوقه
وكما غالط الآخر حيث قال :

قَمِ بِنَا تَقْدِيكَ رُوحِي نَجْعَلُ الشُّكَّ يَقِينَا
فِي أَيِّ كَمِ يَا حَبِيبِي يَأْتِمُ الْقَائِلُ فِينَا (٣)

وقد وقفت على بعض رسالة من كلام ابن سناء الملك وهو : « وأنا والله في أمرك مغلوب والسبب أنني أنا المحب وأنت المحبوب ، ولا أتجاد عليك فأغرك ، ولا أخون حبك ولا أقعقع عليك فأغشك وأغم قلبك ، اعمل ما شئت فأنا الصابر ، واقتل كيف شئت فأنا الشاكر ، وقل لي فلي سمع يعشق قولك » والتفت ترآمالي ترفرف

(١) البيت للسُّلَيْك بن السُّلُكَة ، وهو مطلع مقطوعة وردت في الأغاني ١٠٠/٤ و ١٣٧/١٨ •

(٢) القائل هو الحسين بن سعد بن الحسين الأمدي المتوفى سنة ٤٤٤ هـ . ولد ونشأ بآمد ثم قدم بغداد ثم الشام ومات في أصبهان . له مؤلفات وشعر . انظر معجم الأدباء ٢٦٧/٩ وفيه في البيت الأول « أتنسب لي ذنبا » .

(٣) في الفيث المسج ٢١٤/١ غير منسوبين وجاء في صدر الأول « تفديك نفسي » بدل رُوحِي •

حولك ، وافعل فأنت المعذور ، واستطيل فما أنا المضروب بل المسرور ، وارجع إلى
الود الذي بيننا فكل ذنب لك مغفور » انتهى •

قلت : والله الوزير أبو الوليد بن زيدون حيث يقول :

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع سر إذا ذاعت الأسرار لم يذع
با بائعا حفظه مني ، ولو بذلت لي الحياة بحظي منه لم أبع
يكفيك أنك ان حمّلت قلبي ما لا تستطيع قلوب الناس استطع
ته احتمل واستطيل أصبر وعزّاهن وول أقبل وقلّ أسمع ومثّر أطر^(١)
والآخر حيث قال :

هيات لا جذب السلو بمقنودي أبدأ ولا ظفر الملام بسلوتي
إقطع وصلّ أوصدّ عني عامدا طبع الغرام على هوائك سجيّتي
ومحاسن الشوا^(٢) حيث يقول :

ادين فما يدني أفىء فما يفي أكف فما يكفي أجود فما يجدي
تهنواهن جوروا أجبر أوعدو أعد تسلوا أسل صولوا أصل هددوا أهدي
وحيث يقول أيضا :

فديتك يا من تجنى وصالا وأحرمتي في هواه الوصالا
فللحسن فيك معان بها تفضل النساء وتلهي الرجالا
تروع تراعى تحابي تحب تعادي تعاد تولي توالى

(١) ديوان ابن زيدون - كيلاني ص ١٨٨ و ١٦٩ .
وجاء في عجز البيت الثالث « لم تستطعه قلوب الناس » بينما جاءت رواية
وفيات الأعيان ٣٠٥/١ مطابقة لرواية الصفدي .

(٢) محاسن الشوا واسمه يوسف بن إسماعيل شهاب الدين . شاعر من الأدباء
(ت بحلب سنة ٦٣٥ هـ) انظر وفيات الأعيان ٤١١/٢ ، وكشف الظنون ١٣٤٤ .

بَا مَنٌ ° وَقَفْتُ عَلَى فِرطٍ الضنى جسدي فيه ، وقلبي على التعذيب والعنتِ
 بنٌ ° أدنٌ ° قاطعٌ ° أصلٌ ° بَحْ أَمْخَفِ شَحٍّ ° أَجْدُ
 خَنٌ ° أَوْفِ جُرٍّ ° أَعْدِلْ ° اسخَطْ ° أَرْضَ عِشٍّ ° أَمْتِ

والوزير أبو شجاع فاتك (١) حيث قال ٨٠/أ

يَا مُمَرِّضًا بِتَجَنِّيهِ ° وَجَفَنُوتِهِ ° قلبي ، ويا تاركي لحماً على وَضَمِ
 كُنْ ° كَيْفَ شِئْتَ ° فَإِنِّي لَسْتُ ° أَكْرَهُ ° مَا تَرْضَى ° وَلَوْ أَنَّ مَا يَرْضِيكَ ° سَفَكَ ° دَمِي
 أَعْرِضْ ° وَعَرِضْ ° وَجُرْ ° وَاهْجُرْ ° وَصَدَّ ° وَصِلْ °

وَاخْشَنْ ° وَلِنْ ° وَارْضَ ° وَاغْضَبْ ° وَاعْفُ ° وَاتَّقِمِ
 فِي كُلِّ حَالٍ ° أَنَا الْجَانِي الْمُسِيءُ ° وَأَنْدُ تَ ° الْمُحْسِنُ ° الْحَسَنُ ° الْأَخْلَاقِ ° وَالشَّيْمِ
 وَابْنُ رَوَاحَةَ الْحَمَوِي (٢) :

إِنْ كَانَ يَحْلُو لَدَيْكَ ° قَتْلِي ° فزِدْ ° مِنْ الْهَجْرِ ° فِي عَذَابِي
 عَسَى ° يَطِيلُ ° الْوَقُوفَ ° بَيْنِي ° وَبَيْنَكَ ° اللَّهُ ° فِي الْحِسَابِ ° (٣)
 وَهَذَا أَكْثَرُ وَأَشْهَرُ مِنْ أَنْ يَسْتَشْهَدَ لَهُ °

(١) أبو شجاع فاتك بن عبد الله الرومي الملقب عزيز الدولة ، من ولاية الحاكم بأمر الله ، محب للأدب والشعر . صنف له أبو العلاء المعري رسالة « الصاهل والشاحج » وكتاب « القائف » . قتل في قلعة حلب سنة ٤١٣ هـ ، انظر زبدة الحلب ١/٢١٥ - ٢٢٠ .

(٢) ابن رواحة الحموي ، واسمه الحسين بن عبد الله ، شاعر من الفقهاء ، استشهد في واقعة مرج عكا سنة ٥٨٥ هـ . انظر إرشاد الأريب ٤/٤٧ .

(٣) وبيته في الخريدة - شعراء الشام ١/٤٨٣ من مقطوعة أنشدها العماد في قلعة حلب ، مطلعها :

يَا مَا طَلَا لَا يَرَى غَلِيلِي ° لَدَيْهِ ° وَرَدَا ° سَوَى سَرَابِ °
 وَجَاءَ صَدْرُ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ : « إِنْ كَانَ يَحْلُو لَدَيْكَ ظَلَمِي » .

وأما إضافة السحر وعقده إلى إبليس ، فإنه من العجب ، والسحر والعقد إنما هما للآدميين ليستخدما إبليس وجنوده ، فالسحر للإنسان لا للشيطان •

وما أحلى قول (٠٠٠٠) ^(١) حين استصرخ إبليس نظرفا منه :

الخرم يا إبليس ان لم تقم وتوسع الحيلة في ركة
لا نفقت سوق المعاصي ولا أفلحت يا إبليس من بعدها
وأما دعواه في وصف الدينار بذى الوجهين وأنه لم يسبق إليه ، فأول ما وصفه
الحريري بذلك ، فقال في مقاماته :

تبأ له من خادع مئاذق أصفر ذي وجهين كالمنافق
يبدو بوضعين لعين الرامق زينة معشوق ولون عاشق ^(٢)
وقد جاء ذكر الدينار في مقامات البديع الهمداني ^(٣) فقال :

فاستصحب لي عدواً في بردة صديق ، من نجار الصنفر ، يدعو إلى الكفر ،
ويثر قص على الظفر ، كدارة العين يحط ثقل الدين ، وينافق بوجهين (٨٠/ب) •
وما أحسن قول ناصر الدين بن النقيب ملغزا في الدينار :

أي شيء تصبو النفوس إليه صبرة العاشقين للمعشوق
ضربوه وعلقوه ولكن زاد عزاً بالضرب والتعليق
وأما قوله : « يمضي سفيرا ويعود عاشقا وليس على الحسن أمانة » ، فمأخوذ
من قول أبي الطيب :

(١) بياض في الأصل .

(٢) مقامات الحريري ص ٢٩ . وجاء في صدر ثانيهما « بوصفين » بدل بوضعين وكذا ورد في شرح الشريشي ٧٣/١ .

(٣) البديع الهمداني هو أحمد بن الحسين أبو الفضل ، وعلى منواله نسج الحريري (ت بهراة سنة ٣٩٨ هـ) . انظر وفيات الأعيان ٢٧٢/١ .

ما لَنَا كُلُّنَا جَوٍّ يَا رَسُولَ أَنَا أَهْوَى وَقَلْبُكَ المتبولُ
 كلما عادَ من بعثتُ إليها غارَ مني وخانَ فيما يقولُ
 أفسدتُ بيننا الأماناتِ عينا .. ها وخانت قلوبهنَّ العقولُ* (١)
 (٨١/أ)

ومن هنا أخذ الأرجاني أيضا حيث قال :

قَسَمًا لَقَدْ رَجَعَ النسيمُ عليلا فَأَتَى لِبَرْحِ هَوَاكَ وَهُوَ مُرَدِدٌ
 لما سَرَى مِنِّي إِلَيْكَ رَسُولًا نَفْسًا يَسَارِقُهُ الْأَنَامُ طويلا
 ورأى لحبك أنه قد خانني فغدا يجرُ من الحياءِ ذيو لا (٢)

ومن هنا قول ابن سناء الملك أيضا :

راحَ رَسُولًا وَجاءني عاشقٌ وعاقه عن رسالتي عائق
 وعادلا بالجوابِ بل بجوىٍ أخرسه والهوى به ناطق (٣)
 ولكن الأرجاني تستر في سرقة

قال في تعزية بزوجة توفيت ثم توفي ولدها : « أشجي التعازي ما أتبع فيه
 المفقود بمفقود ، لا سيما إذا جمع بين سعد الأُخبية وسعد الشعود - ثم قال -
 ولم يوفتهما حقهما من بكى ولا من ندب ، ولا من شعر ولا من كتب ، وليت فتدي
 أحدهما بصاحبه فعاش درهما المفدي بالذهب ... » (٤) .

- (١) شرح الديوان - البرقوقي ٣/٣٢٤ . والأبيات مطلع قصيدة قالها يمدح سيف الدولة بعد مفارقتها كافورا ، وكتب بها إليه من الكوفة سنة ٣٥٢ هـ .
- (٢) ديوان الأرجاني ص ٣٣٦ من قصيدة يمدح بها شرف الإسلام إسماعيل أبا العلاء ابن صاعد وجاءت رواية البيت الثالث :
 ورأى بحبك أنه قد خانني فمضى يجر من الحياءِ ذيو لا
- (٣) ديوان ابن سناء الملك - ٥٠٨ . والبيتان مطلع لقصيدة قالها يمدح أباه ، على الفندق الذي وهبه له ويصفه .
- (٤) المثل السائر ٢/٤٨ .

ثم ساق باقي الرسالة وهي طويلة غثه سَمجة ، إلا أنه بعد الفراغ منها أخذ يُطنطن ويثندن في قول « سَعَدَ الأخبية وسَعَدَ السُّعود » وأنها منزلتان من منازل القمر ، ويعجب من هذا الاتفاق •

[مناقشة نموذج من إنشاء ابن الأثير]

وأقول : إنه نفخ في غير ضرم ، وطاف بغير حرم ، وليس ذلك بكبير أمر ، ولا مما ينبه عليه (٨١/ب) بعد الفراغ منه، بل هو في الرتبة الوسطى لا ينحط انحطاطه في عاداته ، ولا يرتفع ارتفاع القاضي الفاضل •

وقد استعمل الناس أسماء المنازل والكواكب في كلامهم جدا وهزلا ، كقول سيف الدين المشد ابن قزل :

ضلَّ فؤادي بين أياتكم° ونارُهُ° تُضرمُها الأهويه°
يا ذابحَ النوم بطرفي أما° ترثي لقلبٍ ضل في الأخبيه°
وقوله أيضا :

ألا يا وادي الشقرا كم قد حَزَّتْ من نَزْهَه°
غِيَّاض° مأوها يجري فما في طيِّها شُبْهَه°
وكم بدرٍ يَروُق° الطر فَ أَضْحَى منك في الجَبْهَه°
وقوله أيضا :

بدا في الدرِّع مثلَ الرم ح في الأعطافِ والسُمره°
فيا لله من بدرٍ يروُق° الطرفَ في النَّثره°
وقول العدل برهان الدين بن الفقيه نصر (١) :

بخدمتكم° لم أنل طائلاً° وميزانُ تقصي بكم° راجح°

(١) برهان الدين بن الفقيه ، واسمه عبد الواحد بن إبراهيم . فاضل من أهل الموصل له شعر (ت ٦٣٦ هـ) . انظر فوات الوفيات ٤٠/٢ .

ففي الطرفِ من أدمي نثرة° وفي القلب من سعدٍ كم ذابح°
ومن أحسن الكنايات قول الآخر :

ألم ترني أمكابد° فيك° وجدي إذا ما أتجّم° الجور استقلت°
وأحمل° منك° مالا يستطاع° ومال° الدلو° وارتفع° الذراع°
وقول محمد سبط التعاويذي :

فبت° وبات° إلى جانبي ثريني البطّين° ولكنني
نعدّ° المنازل° فيها كلانا أقارضهما فأريها الزباني (١)
(٨٢/أ)

وقول الآخر من أبيات : (٢)

فأعجلته° عن دخول° الكنيف° بجهل° مطاع° وحلم° مطاع°
فغرقت° منه بنوء° البطّين° ورواه° مني° نوء° الذراع°
وأما قوله : « وليت لو فدي أحدهما بصاحبه » ، أحسن من هذا قول المتنبي :
فليت طالعة° الشمسين غائبة° وليت غائبة° الشمسين لم تغب° (٣)
وتمام السجعة نصف بيت من هذه القصيدة لأبي الطيب ، أوله :
قد كان قاسمك الشخصين° دهرهما° فعاش درهما المفدي° بالذهب°
قال : « ومن هذا الباب ما أوردته في رسالة طردية في وصف قسي البندق
وحاملها (٤) » ثم إنه ساقها •

- (١) المثل السائر ٥٤/٢ « ... في جملة رسالة طردية .. » .
(٢) البيتان في الطالع السعيد ص ٣٨٩ لنصر الله بن بصاقة من مقطوعة في أربعة أبيات ووردا في الغيث المسجم ٦٠/٢ غير منسوبين . وجاء ثانيهما :
ففرقتني منه نوء° البطّين° وغرق° مني° بنوء° الذراع°
(٣) شرح الديوان - البرقوقي ١٠٥/١ من قصيدة قالها يرثي أخت سيف الدولة وقد توفيت بميا فارقين ، فكتب أبو الطيب بهذه المراثية إليه من الكوفة سنة ٣٥٢ هـ مطلعها :
يا أخت° خير° أخ° يا بنت° خير° أب° كناية° بهما عن أشرف° النسب°
(٤) ديوان ابن التعاويذي ص ٤٩٠ مشيراً إلى أنه أخذهما عن الغيث المسجم ٦٠/٢

أقول : وهي أيضا من الوسط ، فلا تكون في العالي ولا السقط ، وذكرت بالطريق التي سلكها فيها ما جاء لبعض كتاب العجم (٨٢/ب) فيما أظن ، في القوس التي للسهم ، فإنها في حسنها فذة ، ونكتها في سلب العقول مغذة ، وصناعتها لم تدع في المثاني والمثالث عند النفوس بعدها لذة . وهي :

[رسالة لابن الأثير في وصف قسي البندق وحاملها]

« ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ، حكيم جبل على السداد ، يهدي إلى سبل الرشاد ، آثار بأسه مشهورة على ذوي الأعواد . ويسألونك عن الأهلة ، فقل صفر من غير علة ، مجرة تنقض منها نجوم الرجوم ، برج ذو جسدين يطلع بالطائر المشؤوم ، شيطان تطلع شمس النصر بين قرنيه ، مارد لا يسكن إلا بتعريك أذنيه ، صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم ، إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم . مطية تخالف سائر الأنعام ، قيامها باليد وقيامهن بالأقدام . متحرك يعرض على ناجذ التصبر في الشدة والرخاء ، من صحبه طرفة عين مشى على الهواء ، فقل في نون التقم مرسلا فنبذه بالعراء . مقيد يُحمل عليه المطلق ، طريد العنق من جيد عاتقه معلق . ناحل ألصق بطئه بظهره ، حتى بدت للناظرين بنات صدره ، وغارت كلاه في خصره ، لاستيلاء قوته الجاذبة والماسكة على قوته الدافعة والهالكة . مقبوض يقارب السريع ، ويفارقه عند التقطيع . وهري أتى عليه قرن بعد قرن فانحنى مطاه ، لا ينصب إلا على اليد متكاه ، وينشد إذا فتح فاه :

سلبت عظامي لحمها فتركتهما	مجردة تضحني لديك وتحصّر
خذي بيدي ثم اكشفي الثوب فانظري	ضني جَسَدي لكنني أَسْتَرُ (١)
	(٨٣/أ)

(١) شرح الحماسة للمرزوقي ١٤٢٥/٣ . وقال الحارثي :
 سلبت عظامي لحمها فتركتهما مجردة تضحني إليك وتخصّر
 خذي بيدي ثم انهضي بي فتبيني بي الضر إلا أنني أَسْتَرُ
 وعند التبريزي « خذي بيدي ثم ارفعي الثوب فانظري » .

منحني الظهر يتوكأ على عصا ، ويلقيها فإذا هي حية تسعى •

تتكب رماح الخطر والبيض خَلِها وأما الحنايا حَلَّتْها وتنكبا

أقبل على تكعطي القنا من مغاوير الرجال ، وتناولتها بالساعد مساعير الأبطال •
آلة حدباء تنذر بالمنون ، وأعوّجيّ ضامر كحرف النون • أنضاء تحن على غِلَظ
أكبادها ، عَطُوف تئن لفراق أولادها • فرع شُد بهدّاب الدمقس المقتل ، ضارب
بسهمه في أعشار قلب مقتل • غلاظ شداد قاسية القلوب جافية الطباع ، توكل
بقبض الأرواح ذي أجنحة مثنى وثلاث ورباع • نِضُو يهدّر إذْ لُزَّ في قرن ،
جامع إلى بطن الشارخ انحناء اليفن ، مكدود كاد ينقطع منه الوَتين ، مَنحني الظهر
شارف عقد الستين ••• » •

وهي طويلة تدخل في كراسة ، وكلها من هذا الأنموذج •

وقد عارضها جماعة ، منهم القاضي ناصر الدين بن المنير ^(١) ، ضنع ثلاثة ^(٢) أو أكثر ، وغيره ، وكلهم لم يشق لها غبارا ، ولم يجز من الذيل خلفها إلا ما كان
عشارا •

وأما البندق ، فلشيخنا القاضي شهاب الدين أبي الشاء محمود — رحمه الله
تعالى — فيه رسالة طنانة ، الدرة مع الشذرة تزدهم فيها كالحب في الرمانة ، أثبتّها
في كتابه الموسوم بـ « حسن التوسل » وهي من الحسن في غاية ، ومن طبقات الأدب
في نهاية • ولولا طولها لأثبتها هنا ، وأوجدت فقر هذا التأليف منها الغني •

ولابن الرومي قصيدة عينية في البندق والرماة رجز طويلة • ولمحمد سبط
التعاويذي قصيدة في رمي البندق أولها :

(١) القاضي ناصر الدين بن المنير السكندري واسمه أحمد بن محمد بن منصور
من علماء الإسكندرية وأدبائها وولي قضاءها وخطابتها مرتين (ت سنة ٦٨٣ هـ) ،
انظر فوات الوفيات ١/ ١٣٢ •

(٢) في الأصل هكذا ، سهوا ، والصواب (ثلاثا) •

حَيِّتِ يَا دَارَ الْهَوَى مِنْ دَارٍ وَلَا عَدَّتْكَ السُّحْبُ السَّوَارِي^(١)
 فِي غَايَةِ الْحَسَنِ ، وَهِيَ فِي دِيْوَانِهِ (٨٣/ب) •

وَمِنْ أَحْسَنَ مَا ذَكَرْتَهُ فِي قَوْسِ الْبَنْدُقِ قَوْلُ ابْنِ وَضَّاحِ الْمَرْسِيِّ :

عَجَبًا مِنْ الْقَوْسِ الْكَرِيمَةِ إِنَّهَا لَمْ تَرْعَ حَقَّ حِمَائِمِ الْأَغْصَانِ
 أَضَحَّتْ لَهَا حَتْفًا وَكَانَتْ مَأْمَنًا وَكَذَلِكَ حُكْمُ تَصَرُّفِ الْأَزْمَانِ^(٢)

وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ كَتَبْتُ تَوْقِيعًا بِالْحُكْمِ بَيْنَ رِمَاةِ الْبَنْدُقِ ، لَا بِأَسْ يَأْتِيَاتِهِ هُنَا • وَهُوَ :
 « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ حَمْدُهُ وَاجِبًا ، وَرَفَدَهُ لِكُلِّ خَيْرٍ وَاهِبًا ، وَشَكَرَهُ لِلنَّعْمِ
 جَالِبًا وَلِلنَّقَمِ حَاجِبًا ، وَذَكَرَهُ لِلْبُؤْسِ سَالِبًا ، وَلِلنَّعِيمِ كَاسِبًا • نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي
 نَصْرَعُ بِالْحَمْدِ أَصْنَافَ أَطْيَارِهَا (٨٤/أ) وَتَقْصُّ بِالشُّكْرِ أَجْنَحَتَهَا فَلَا قُدْرَةَ لَهَا عَلَى
 مَطَارِهَا • وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً لَا يَكُونُ لَنَا بِهَا عَنْ
 الْفُوزِ بِالْجَنَّةِ عَذْرٌ ، وَلَا نَجِدُ بِهَا نَفُوسَنَا يَوْمَ الْبَعْثِ إِلَّا فِي حَوَاصِلِ طَيُورِ خَضَرٍ •
 وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَفْضَلُ مَنْ قَدَّمَ ذَوِي الرَّتْبِ ، وَأَشْرَفُ مَنْ حَكَّمَ
 بِالْعَدْلِ الْعَارِي مِنَ الشُّبْهِ وَالرَّيْبِ • صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ كَانُوا
 فِي الْحُرُوبِ عَقْبَانِهَا الْكُوَاوِسُ ، وَفِرْسَانِهَا الَّذِينَ أَشْبَعُوا مِنْ لَحُومِ الْعَدَى ذَوَاتِ
 الْمَخَالِبِ وَالْمَنَاسِرِ ، مَا أَحْمَدُ الرَّامِي فِي الْمَرَامِ عَزْمَهُ ، وَسَعَتْ لَهُ فِي لَرْتَبِ قَدَمٍ
 قِدَمَةً • وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا • وَبَعْدَ •

فَلَمَّا كَانَ الرَّمِي بِالْبَنْدُقِ فَنَّا تَعَاطَاهُ الْخُلَفَاءُ وَالْمُلُوكُ ، وَسَلَكَ الْأُمَرَاءُ وَالْعِظَمَاءُ
 مِنْهُ طَرِيقَةً لَطِيفَةً الْمَأْخُذَ طَرِيفَةَ السَّلُوكِ ، يَرْتَاضُونَ بِهِ عِنْدَ الْمَلَلِ لِاسْتِرْوَاكِ نَفُوسِهِمْ ،

(١) دِيْوَانُ ابْنِ التَّعَاوِيذِيِّ ص ٢٢٥ ، وَالْبَيْتُ مَطْلَعُ قَصِيدَةٍ قَالَهَا فِي عِدَّةِ فَنُونٍ مِنْهَا
 رَمَى الْبَنْدُقِ .

(٢) فِي الْفَيْثِ الْمُسْجَمِ ٢/٢١٩ •

وَقَدْ بَدَأَ الْأَوَّلُ بِقَوْلِهِ « عَجَبِي » وَجَاءَ فِي صَدْرِ الثَّانِي « وَكَانَتْ مَأْلَفًا » بِدَلِّ
 مَأْمَنًا •

ويجنون ثمرات المنى في التنزه من عروش غروسهم ، ويرزون إلى ما يروق الطرف ويروع الطير من برزاتهم ، وينالون بينادق الطين من الطير ما لا يناله سواهم بجوارح صقورهم ولا بزاتهم • قد نبذوا في تحصيل المراتب العلية شواغل العلق ، وتدرعوا شعار الصدق بينهم وهم أصحاب الملق ، ومنعوا جفونهم من ورد حياض النوم إلا تحلة ، وبرزوا بوجوه هي البدور وقسي هي الأهلة • وتنقلوا في صيد النسور تنقل الرخ ، وصادوا الطيور في الجو لما نثروا حبات الطين من كل قوس هو كالفسخ ، وصرخوا على الأوتار وكانت ندامى الأطيوار على سلاف المياه من جملة صرعاها ، واقتطفوا زهرات كل روضة أخرجت ماءها ومرعاها ، احتاجت هذه الطريق إلى ضوابط تراعى (٨٤/ب) في شروطها ، وتسحب على الجادة أذيال مروطها ، ليقف كل رام عند طور طيره ، ويسير بتقدمه غور غيره ، ليؤمن التنازع في المراتب ، ويسلم أهل هذه الطريقة من العائب والعاب •

وكان المجلس السامي الأميري الشهابي هو الذي جر فيها على المجرة مطرّفه ، وأصبح ابن بجدتها علما ومعرفة ، تطرب الأطيوار لنغمة أوتاره ، وتنشق مرائر الطير غيرة من لون غياره ، وتود المجرة لو كانت له طريقا والشمس جراوة والسماء ملقة ، وتتمنى قوس السحاب الملونة لو كانت قوسه والنسر طائره والنجوم بتندقه • كم جعل حثل الروض المرقومة بما صرعه مطايره ، وكم خرج في زمر والطير فوقهم صافات فصاد بدر تيم حين بادره ، وكم ضرّج في معرك الجو من قتيل ريشه كالزركد الموضون ، وكم أرسل البندق فكان سهما ماضيا لأنه من حمأ مسنون •

فلذلك رسم الأمر العاليي المولوي السلطاني الملكي الناصري ، لا زال طائره ميمونا ، ودّرث أمره في أدراج الامثال مكنونا ، أن يفوض إليه الحكم بين رماة البندق بدمشق المحروسة ، على عادة من تقدمه في ذلك من القاعدة المستقرة بين الرماة • فليتول ذلك ولاية يعتمد الحق بها في طريق الواجب ، ويظهر من سياسته التي شخصت لها العيون فكأنما عقدت أعالي كل جفن بحاجب ، وليرع حق هذه الطريق في حفظ موثقه ، وليجر على السنن المألوف من هذه الطائفة فكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ، بحيث إنه يتنزل كل مستحق في منزلته التي لا يعدوها ، ويقبل من

الرامي دعوى صيده الواجب له (١٥/أ) ويردّ ما لا يعتدّ به الرماة ولا يعدّوها ،
 متشبّثا فيما يحمل اليه للحكم ولا يترخ على عيبه ذيلا ، مثيرا أمر المصروع الذي
 أصبح راميه من كلفه به مجنون ليلي ، جريا في ذلك على العادة المألوفة ، والقاعدة التي
 هي بالمنهج الواضح موصوفة • ولتلقّ هذه النعمة بشكر يستحق به زيادة كل
 خير ، ويتلّ آيات الحمد لهذا الأمر السليمانى الذي حكمه حتى في الطير • والله
 يتولى تدبيره ، ويصلح ظاهر حكمه والسريرة • إن شاء الله تعالى •

[هل من شرط بلاغة التشبيه ان يشبهه الشيء بما هو أكبر منه وأعظم]

قال في النوع الثامن من التشبيه : « وقد قيل : إن من شرط بلاغة التشبيه
 أن يُشبّه الشيء بما هو أكبر منه وأعظم ، ومن ها هنا غلط بعض كتاب أهل مصر
 في ذكر حصن من حصون الجبال مشبها له : هامة عليها من الغمامة عمامة ، وأنملة
 خضبها الأصيل وكأن الهلال لها قلامة » •

ثم إنه أخذ يعيب هذا ويقول : أيّ مقدار للأنملة أن تشبه الحصن (١) «
 وأطال باعتراض وجواب •

أقول : إن ابن أبي الحديد ناقشه في ذلك (٢) ، وقد بقي شيء من مؤاخذته
 على هذا •

وهو أن الذي ادعى أن من بلاغة التشبيه أن يُشبّه الشيء بما هو أكبر منه
 وأعظم ، أبحث معه وأقول : فعلى هذا تبطل غلبة الفرع على الأصل في التشبيه ،
 ونخطيء مثل ذي الرئمة في مثل قوله :

(١) المثل السائر ١٢٦/٢ « وقيل إن من شرط ... ومن ها هنا غلط بعض الكتاب
 من أهل مصر .. مشبها له فقال ... فكان الهلال منها قلامة ... أي مقدار
 للأنملة بالنسبة إلى تشبيهه حصن على رأس جبل » •

(٢) « الفلك الدائر » في المثل السائر ٢١٤/٤ •

ورملٍ كأوراقِ العذارى قطعته* إذا ألبستته المظلمات* الحنادس^(١)
 فإنه شبه كثران الرمل بما هو أقل منها وأحقر ، لأن أوراق العذارى دون الكثران •
 ولا نستحسن مثل قول أبي بكر محمد بن هاشم^(٢) (٨٥/ب) •
 والمشتري وسطَ السماءِ تخالته وسناه مثل الزئبق المترجرج
 مسمار تبرٍ أصفرٍ ركبته في خاتمِ والفص من فيروزج^(٣)
 فإن كرة السماء والمشتري أكبر من الفص والمِسمار •
 ولا قول ابن قزل :

فصل " كأنَّ البدرَ فيه مطربٌ " يبدو وهالته لديه طارئة*
 وكأنَّ قوسَ الغيمِ جَنَنك "مذهَّب" وكأنما صوتُ الحيا أوتاره*^(٤)

ومثل هذا كثير • وكل ما كان في العالم العلوي لا يشبه بشيء من العالم الأرضي لأنه أحقر وأقل ، كما تشبه الثريا بالرجس الذابل ، والهِلال بالقلامه والنعل^(٥) ، والبرق بالسيف ، والشمس بالمرآة ، والنجوم بالسراج ، وقوس قزح

- (١) ديوان ذي الرمة ٣١٨ من قصيدة مطلعها :
 ألم تسألَ اليومَ الرسومُ الدوارسُ بحزوى ، وهل تدري القفارُ السابسُ
 وفيه « إذا جملته المظلمات .. » .
- (٢) محمد بن هاشم أبو بكر الخالدي ، شاعر أديب من أهل البصرة ، اشتهر وأخوه سعيد بالخالدين ، وكانا من خواص سيف الدولة وتوليا خزانة كتبه ، ويشتركان في نظم القصيدة . لهما تأليف في الأدب . توفي أبو بكر نحو ٣٨٠ هـ . انظر فوات الوفيات ٥٣٦/٢ ، والفهرست ٢٤٠ .
- (٣) وبيتاه في اليتيمة ١٧١/٢ وفي عجز الثاني « في فص خاتم فضة فيروزج » .
- (٤) في فوات الوفيات ١٣٢/٢ وفيه :
 وكأن قوس الغيم حنك مذهب ، وكأنما صوت الحيا أوتاره
 وهو تصحيف .
- (٥) من الغريب أن يدخل النعل ميدان الشعر آنذاك ، بدليل قول الشاعر زين الدين الاشعافي :
 لقد خائنا دهر وكنا به نعلو يود هلال الأفق لو أنه نعل
 انظر ريحانة الألبا ٣٢١/١ .

بأذيال العروس ، وجميع ما هو من هذا الباب لا يجوز تشبيهه ، وإن كان فلا يكون بليغا على هذا التقرير • وهيهات هذا سدّ لباب الحُسن • وأما الحصون ، فقد شبهها الشعراء بالأنامل ، منهم الغزي حيث يقول :

سَدَّ البسيطةَ نازلاً من قَلَّةٍ ال جبلِ الأشمِ إلى قَرَارِ الوادي
حتى غدا الحِصْنُ المباركُ خِنَصراً نِي خاتَمٍ من بهمةٍ وجَوَادِ (١)
وقد استعمل ابن الأثير ذلك ، فقال في فصل تقدم :

« فنزلنا منه بمرأى ومسمع ، واستدرنا به استدارة الخاتم بالإصبع (٢) » •

وشبهها ابن قزل بالعين فقال :

إِنَّ الحصونَ لكالعيونِ فهُدُبُها شُرُفَاتُها وجفونُها الأصوارُ
وكذا محاجرُها الخنادقُ حولُها والحافظون لها همُ الأشفارُ
(١/٨٦)

ومن يعيب مثل قول القاضي الفاضل :

« ونزلنا قلعة نجم وهي نجم في سحاب ، وعقاب في عقاب ، وهامة لها الغمامة عمامة ، وأملة إذا خضبها الأصيل كأن الهلال لها قلامة » (٣) •

فما ينبغي لمجادل يناظره إلاّ كفّ القول عنه ، وهل الطعن على هذا إلاّ قول مَنْ لم يصل إلى العنقود •

(١) في مخطوطة ديوان الغزي ورقة ١٤ من قصيدة قالها في وزير فارس جها نشجاء يمدحه بعد سمل عينيه مطلعها :

اللهُ جارِكُ والنبيُّ الهادي يا مَنْ يوالي فيهما ويعادي
وكذا في الخريدة ٥٣/١ •

(٢) المثل السائر ١٧/٢ •

(٣) انظر نهاية الأرب ٤٠٢/١ •

كَأَنَّ عَائِبَكُمْ يُبْدِي مُحَاسِنَكُمْ بِهِ وَيَمْدَحُكُمْ عِنْدِي وَيُغْرِينِي
ويكفيه أنه غاب مثل هذه الألفاظ التي بهرَ حُسْنُهَا لما ظَهَرَ ، وغدتْ وفي كلِّ
ضاحية من وجهها قمر •

وقول الفاضل يشبه قول ابن خفاجة ^(١) :

فِي خَضِرٍ غَوْرٍ بِالْأَرَاكِ مَوْشَحٍ أَوْ رَأْسٍ طَوْدٍ بِالْغَمَامِ مُعَمَّمٍ ^(٢)
ومن إنشاء شيخنا شهاب الدين محمود — رحمه الله تعالى — في وصف حصن :

« حصن قد تَقَرَّطَ بِالتَّجُومِ وَتَقَرَّطَ بِالْغُيُومِ ، وَسَمَا فَرَعَتْهُ إِلَى السَّمَاءِ وَرَسَا
أَصْلُهُ فِي التَّخُومِ ، تَخَالَ (٨٦/ب) الشَّمْسُ إِذَا عُلَتْ أَتَتْهَا تَنْتَقِلُ فِي أَبْرَاجِهِ ،
وَيَظُنُّ مَنْ سَهَا إِلَى السَّهْمِ أَنَّهُ ذِبَالَةٌ فِي سِرَاجِهِ ، لَا يَعْلُوهُ مِنْ مَسْمَى الطَّيْرِ
غَيْرُ نَسْرِ السَّمَاءِ وَمِرْزَمِهِ ^(٣) ، وَلَا يَرْمِقُ مُتَبَرِّجَاتِ بَرْوَجِهِ غَيْرُ عَيْنِ الشَّمْسِ
وَالْمُنْقَلِ الَّتِي تَطْرَفُ مِنْ أَنْجَمِهِ ، وَحَوْلَهُ مِنَ الْجِبَالِ كُلِّ شَامَخٍ تَتَهَيَّبُ عِقَابُ
الْجَوِّ قَطَعَ عِقَابَهُ ، وَتَقِفُ الرِّيحُ حَسْرَى إِذَا تَوَقَّلَتْ فِي هَضَابِهِ ، تَخَافُ الْعُيُونُ
إِذَا رَمَقَتْهُ سُلُوكُ مَا دُونَهُ مِنَ الْمَحَاجِرِ ، وَيُخَيِّلُ الْفِكْرُ صُورَةَ التَّرَقِّيِ إِلَيْهِ
ثُمَّ لَا يَبْلُغُهَا حَتَّى تَبْلُغَ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرُ ، وَحَوْلَهُ مِنَ الْأَوْدِيَةِ خَنَادِقُ لَا تَعْلَمُ مِنْهَا
الشُّهُورُ إِلَّا بِأَنْصَافِهَا وَلَا تَعْرِفُ فِيهِ الْأَهْلَةُ إِلَّا بِأَوْصَافِهَا •

(١) ابن خفاجة . واسمه إبراهيم بن عبد الله ، أبو إسحاق الأندلسي ، غلب على
شعره وصف الطبيعة (ت ٥٣٣ هـ) . انظر بغية الملمس ص ٢٠٢ . وصفة
جزيرة الأندلس ص ١٠٣ .

(٢) البيت في ديوان ابن خفاجة ٢٣٥ وفيه « في خضر عود بالأراك موشح » والراجح
عندي رواية الصفدي ، لما عُرِفَ بِهِ ابن خفاجة في شعره من تشخيص
المحسوسات بالمرأة ، حتى إن البيت الذي تلاه هو :

أَوْ بَحْرٍ نَحَرَ بِالْحَبَابِ مَقْلَدٍ أَوْ وَجْهِ خَرَقٍ بِالضَّرِيبِ مَلْتَمٍ

(٣) لسان العرب ١٥/١٣١ الرزمان : نجمان (رزم) .

قال كعب الأشقري ^(١) يصف حصنا :

مُحَلَّقَةٌ دُونَ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا غِمَامَةٌ صَيْفٍ زَالٍ عَنْهَا سَحَابُهَا
فَلَا يَبْلُغُ الْأَرُوى شَمَارِيحَهَا الْعُلَا وَلَا الطَّيْرُ إِلَّا نَسْرَهَا وَعُقَابُهَا
وَلَا خَوْفَتْ بِالذِّئْبِ وَلِدَانِ أَهْلِهَا وَلَا تَبَحَّتْ إِلَّا النَّجُومُ كَلَابُهَا ^(٢)

والخالديان ^(٣) :

وَقَلْعَةٌ عَانَقَ الْعَيُّوقُ أَسْفَلَهَا وَجَازَ مَنْطِقَةَ الْجُوزَا أَعَالِيهَا
لَا يَعْرِفُ الْقَطْرُ إِذْ كَانَ الْغَمَامُ بِهَا أَرْضًا تَوَطَّأَ قَطْرَيْنَهُ سَوَاسِيهَا
إِذَا الْغِمَامَةُ لَاحَتْ خَاضَ سَاكِنُهَا حِيَاضُهَا قَبْلَ أَنْ تَهْمِي عَزَالِيهَا
يَتَعَدُّ مِنْ أَنْجَمِ الْأَفْلَاقِ مَرَقَبُهَا لَوْ أَنَّهُ كَانَ يَجْرِي فِي مَجَارِيهَا
عَلَى ذُرَى شَامِخٍ وَعَرٍ قَدْ امْتَلَأَتْ كِبَرًا بِهِ وَهُوَ مَمْلُوءٌ بِهَا نِيهَا
لَهُ عِقَابٌ عِقَابُ الْجَوْرِ حَائِمَةٌ مِنْ دُونِهَا فِيهِ تَخْفَى فِي خَوَافِيهَا ^(٤)
وَقَالَا أَيْضًا فِي ذَلِكَ :

(١) كعب بن معدان الأشقري أبو مالك . فارس شاعر خطيب من جلة أصحاب المهلب بن أبي صفرة (ت نحو ٨٠ هـ) انظر سمط اللالي ٥٨٨ ، ورغبة الأمل ١١٣/٨ .

(٢) وأبياته الثلاثة في الحماسة البصرية ٣٤٥/٢ - ٣٤٦ ، والأشباه والنظائر للخالدين ١٨١/٢ ، ونهاية الأرب ٤٠٤/١ .

(٣) هما محمد أبو بكر وقد مرت ترجمته ، وأخوه سعيد أبو عثمان ابنا هاشم ، واشتهرا بالخالدين نسبة إلى أصلهما من الخالدية وهي قرية من أعمال الموصل . وتوفي سعيد سنة ٣٧١ هـ على خلاف ومحمد سنة ٣٨٠ هـ انظر اليتيمة ٤٧١/١ ، ومعجم الأدباء ٢٠٨/١١ ، ومعجم البلدان (الخالدية) .

(٤) الأبيات في الأشباه والنظائر للخالدين تسعة ١٨١/٢ - ١٨٢ وفيه في البيت الأول « سافلها وراز منطقة الجوزاء عاليها » وفي الثاني « ... لها أرضا لوطاً قطريه مواشيها » وفي الثالث « ... راحت خاض ساكبها » . وانظر كذلك نهاية الأرب ٤٠٥/١ .

وحلقاء قد تاهت° على من يرونها بمدّ قَبِها العالي ومَرّ كَبِها الصعب
يَزُرُّ عليها الجوّ جيبَ غمامِه ويلبِسُها عِقْدًا بأنجمِه الشَّهْبِ
إذا ما سرى برق° بدّت° من خِلالِه كما لاحَتِ العذراءُ من خَلَلِ السَّحْبِ
سموّتَ لها بالرأي يشرقُ في الدجى ويقطع في الجلّي وتنهضُ في الصعب
فأبرزتها مهتوكة الجيبِ بالقنا وغادرتها ملصوقة الخَدِ بالشربِ^(١)

[مناقشة حول التشبيه في أبيات أحد الشعراء]

قال في النوع الثاني من التشبيه بعدما أورد قول الشاعر (٢) :

وكانَّها وكانَّ حاملَ كأسِها إذ قام يجلوها على التَّدَماءِ
شمسُ الضحى رقصت° فنقَّطَ وجهُها بدرُ الدجى بكواكبِ الجَوَازِ
« إنه شبه الساقى بالبدر ، وشبه الخمر بالشمس ، وشبه الحب الذي فوقها بالكواكب (٣) » .

أقول : قد ادعى أنه شبه ثلاثة بثلاثة ، وهو لم يشبه الساقى ، ولا في البيتين ما يدل على تشبيهه ، على أن الشاعر توهم أنه شبه الساقى ولم يذكره ، وقلده ابن الأثير - رحمه الله - في وهمه . ومعناها : أن الخمر في حبِّها كأنها شمس رقصت

(١) الأبيات في الأشباه والنظائر للخالدين سنة ١٨١/٢ وفيه في البيت الأول « وخرقاء ... يرومها .. وجانبها الصعب » وفي الثالث « .. من خلل الحجب » . وفي الرابع « يشرق .. ويقطع .. ويقدع في الهضب » وفي الخامس « فأبرزتها » كما وردت في الحماسة البصرية ٣٤٦/٢ ، وفي نهاية الأرب ٤٠٤/١ .

(٢) هو الواواء الدمشقي واسمه محمد بن أحمد الفساني أبو الفرج . كان ينادي على الفواكه في سوق البطيخ بدمشق (ت ٣٧٠ هـ) الحمدون من الشعراء للقفطي الورقة ١٤ ، واليتيمة ٢٣٧/١ ، ومقدمة ديوانه ص ١٧ .

(٣) المثل السائر ١٣١/٢ « فشبه الساقى ... » .

فَنَقَطَها البدر بالكواكب ، وَكُنِيَ بِرَقصِها عَن اضْطرابِها عِند المَرْج • وَحَسَّن ذَكَر
البدر هُنا لِأنَّهُ يَصاحِب الكواكب ، وَهُوَ أَكْبَرُها في رَأْيِ العَيْن ، لا في العَقْل إِذا
فَكَّرَ في الهِئَةِ ، فَحَسَّن أَن يَكُون لَه الكواكب تَصْرِف لِيَنقُطَ الشَّمسُ بِها • وَذَكَرَ
البدر هُنا أَمْرَ عَلى طَريقِ الاستِطْراد ، لَمَّا ذَكَرَ (٨٧/ب) النُّقُوط ، أَراد أَن يَسند
فَعْلَه إِلى فاعِلٍ صَدَرَ عَنه ، فَحَسَّن أَن يَذَكَرَ البدر • وَلَوْ حَذَفَ مِنَ الكَلَامِ تَمَّ المَعْنى
في الأَصْل ، كَمَا يَقال : كَأَنَّ الخَمْرَ شَمْسٌ رَقَصَتْ فَتَنقِطُ بالكواكب • وَالشاعِر
أَثَبَتْ أَداءَ التَّشْبِيهِ لِلسَّاقِي في قَوْلِهِ : وَكَأَنَّها وَكَأَنَّ حامِلَ كَأَنَّها •

وَلَمْ يَأْت لَه بِمِثْلِهِ بِهِ ، فَالشاعِرُ وَاهِمٌ ، وَابْنُ الأَثِيرِ مُقَلِّدٌ ، وَكِلَاهُمَا اغْتَرَّ بِذَكَرِ
البدر ، لِأَنَّ العادَةَ قَدْ جَرَتْ بِتَشْبِيهِ السَّاقِي بِالْبدر ، وَالخَمْرُ بِالشَّمسِ • كَقَوْلِ
الشاعِر :

إِسْقِنِها بَنَتَ كَرَمٍ عَتَّقَتْ عَشْرًا وَخَمْسًا
بَاتَ يَجْلُوها عَلينا قَمَرٌ يَحْمِلُ شَمْسًا

وَقَوْلِ الأَخَرِ :

وَساقٍ كَالهالِالِ يَدِيرُ شَمًّا عَلى النَّدَمانِ في مِثْلِ الهالِالِ

وَقَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ :

أَبصَرْتُهُ وَالكَأْسُ بَيْنَ فَمٍّ مِنْهُ وَبَيْنَ أَنَا مِلِّ خَمْسٍ
فَكَأَنَّها وَكَأَنَّ شاربَها قَمَرٌ يَقْبِلُ عارِضَ الشَّمسِ (١)

وَلَوْ كانَ الشاعِرُ شَبَّهَ السَّاقِي لَقالَ : شَمْسٌ يَدِيرُها بَدْرٌ أَوْ يَطُوفُ بِها أَوْ يَحْمِلُها •
وَهذانِ البَيتانِ مَشهورانِ بَينَ أَهْلِ الأَدبِ ، وَلَعَلَّ أَحَدًا ما تَفَطَّنَ لَهْذا النَقْدِ • وَمَا

(١) دِيوانُ ابْنِ الرُّومِيِّ ص ١٠٧ والبَيتانِ فيهِ نَهايةُ مَقْطُوعَةٍ بَينَ مَدامَةٍ وَمَعشوقٍ •
مُطْلَعُها :

وَمَدامَةٍ كَحِشاشَةِ النَفْسِ لَطَفَتْ عَنِ الإِدراكِ بِالشَّمسِ

أقول : لأن الشاعر أدخل أدلة التشبيه على « مثار النقع وأسياهم » وأتى بمشبهه واحد هو الليل وقوله : « تهاوى كواكبه » في موضع الصفة لليل ، فهي من لواحق الليل .

ولو قال : ليل تهاوى كواكبه ، ورقمه البرق ووشاه الصبح ، لكان كل ذلك مشبها به ليس إلا . ولو كان من باب تشبيه اثنين باثنين لقال : ليل وكواكب تهاوى . كما قال امرؤ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْثَرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي (١)
وهذا الذي ذكرته ثابت " على محك " النظر ليس بدعوى مجردة عن الدليل والبرهان . وللعكوك (٢) بيت هو بيت بشار بن برد . وهو :

كَأَنَّ سَمُوءَ النَّقْعِ وَالْبَيْضَ حَوْلَهُ سَمَاوَةٌ لَيْلٍ أَسْفَرَتْ عَنْ كَوَاكِبِ
وما أحسن قول ابن قاضي ميلة :

بِتَنَّا وَنَحْنُ عَلَى الْفَرَاتِ نَدِيرُهَا لَيْلًا فَأَشْرَقَ مِنْ سَنَاهَا النِّيلُ
وَكَأَنَّهَا شَمْسٌ وَكَفَ مَدِيرُهَا فِينَا ضَحَى وَفَمَ النَّدِيمُ أَصِيلُ
وذكرت بالبيتين اللذين أوردهما ابن الأثير - رحمه الله تعالى - قول ابن السراج في مجذور :

لِي قَمَرٌ جُدِّرَ لَمَّا اكْتَسَى فزادَهُ حُسْنًا وزادتْ هُمُومُ

(١) ديوان امرئ القيس ص ٣٨ من قصيدة مطلعها :

الْأَعْمُ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يِعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي
وكذا في البديع لابن المعتز ص ١٢٢ .

(٢) العكوك واسمه علي بن جبلة . شاعر عراقي كان أعمى أسود أبرص ، أكثر شعره في مدح أبي دلف العجلي ، قتله المأمون سنة ٢١٣ هـ . انظر الورقة ص ١٠٦ ونكت الهميان ص ٢٠٩ .

كَأَنَّهُ غَنَى لشمسِ الضُّحَى فنَقَطَّتْهُ طرباً بالنجوم ^(١)
وقول أبي يزيد العاص أكثر مناسبة من هذا ، فإنه قال :

عابَهُ الحاسدُ الذي لام فيه أن رأى فوق خَدِّهِ جَدَرِيَا
إنما وجهُهُ كبدْرِ تمامٍ جعلوا بَرَقْعاً عليه الثَّريَا ^(٢)
(٨٨/ب)

لأنَّ الثريا قد تثرى مع البدر ، وأما النجوم فلا تثرى مع الشمس . ويمكن أن يقال فيه : ولهذا قال : نقطته طرباً بالنجوم ، فإنَّ مَنْ نقط بشيءٍ فقد بان عنه وفارقه .

ويمكن أيضاً التأويل للبيتين اللذين أوردهما ابن الأثير أيضاً ولكنه بعيد .

[مناقشة نماذج من التشبيه من انشاء ابن الأثير]

قال في التشبيه : « ومن ذلك ما كتبه من جملة كتاب إلى ديوان الخلافة أذكر فيه نزول العدو الكافر على عكا . فقلت :

« وأحاطَ به العدو إحاطة الشِّقَّاه بالثغور ، ونزل عليه نزول الظلماء على النور ^(٣) » .

(١) البيتان : منسوبان لابن السَّراج في أنباه الرواة ١٤٨/٣ ، والوافي بالوفيات ١٢١/٣ ، والمحمدون من الشعراء مخطوطة ورقة ١٢١ ، وطبقات النحويين واللغويين ص ١٢٥ ، والوافي بالوفيات ٨٨/٣ ، والذخيرة القسم الأول من المجلد الثاني ٢٩٢ ، وهما منسوبان للمفجع محمد بن أحمد البصري في : معجم الأدباء ٢٠٤/١٧ ، والمحمدون من الشعراء ورقة ٦ ، وأعيان الشيعة ٢٦٥/٤٣ .
وقد جاءت القافية في بعض المصادر مشبعة ، وورد في صدر البيت الثاني :

« أظنه غَنَى لشمسِ الضُّحَى » كما في المحدون والطبقات

(٢) الذخيرة القسم الأول من المجلد الثاني ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٣) المثل السائر ١٤٢/٢ « فمن ذلك ... على ثغر عكا .. وأحاط بها العدو ... ونزل عليها نزول ... » .

أقول : ليس في ذلك مبالغة ، لأن الشفاه لا تحيط بالثغور ، والإحاطة اشتغال المحيط على المحوط من كل جانب ، كالدائرة بالنقطة ، وعنصر الماء بكرة الأرض ، وبياض العين بالسواد . أما الشفاه فإنما هي ساترة لا محيطة .

والكامل في ذلك قول الحريري — رحمه الله تعالى :

« وقد أحاطت به أخلاط الزمّر ، إحاطة الهالة بالقمر والأكام بالثمر ^(١) » .

وقول القاضي الفاضل :

« وأبقاه بقاءً خارقاً للعوائد ، وجعل أياديه مطيفة بالأعناق اطافة القلائد »

وليست الشفاه كذلك ، إنما هي تستر الظاهر دون الباطن .

وقوله : « نزول الظلماء على النور » ، لا بأس به ، من نسبة الكفار إلى الظلام ، ونسبة ثغر عكا إلى النور لكونه كان في أيدي المؤمنين .

وما أحلى قول القاضي الفاضل — رحمه الله تعالى — من كتاب في فتح طبرية :

« وصَبَّحَ الخادم طبريةً وهجم عليها هجوم الطيف ، واقتض عذرتها بالسيف » .

قال : « ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان فقلت : »

« وما شبهت كتابه في وروده واقتباضه ، إلا بنظر الحبيب إلى إقباله وإعراضه وكلا الأمرين كالسهم في (١٨٩/أ) ألم وقعه وألم نزعته ، والمشوق من اشتهرت صبابته في حالتي وصله وقطعه ^(٢) » .

أقول : هذا مأخوذ من قول الشاعر

(.) ^(٣)

(١) شرح الشريشي ، المقامة الأولى ٢٩/١ .

(٢) المثل السائر ١٤٢/٢ . . . « إلا بنظر الحبيب في إقباله وإعراضه . . . والمشوق من استوت صبابته . . . » .

(٣) بياض في الأصل .

ويلاهُ إنْ نظرتْ وإنْ هي أعرضتْ ° وقعُ النِصالِ ونزعُهنَّ أليمُ (١)

[براءة التشبيه في بيت للبحري]

قال وقد أورد قول البحري :

وتراهُ في ظلمِ الوغى فتخاله قمرأ يكرُّ على الرِّجالِ بكوكبِ (٢)
« وفي هذا التشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء ، فإنه شبه العجاج بالظلمة ،
والممدوح بالقمر ، والسنان بالكوكب . وهذا من الحسن النادر (٣) » .

أقول : هذا من أنموذج ما تقدم من قوله في قول الشاعر :

وكانها وكأن حامل كأسها ... (البيتين) .

هناك وهم الشاعر ققلده ، وهنا انفرد هو بالوهم دون البحري ، لأن البحري ما قال : وتراه في عجاج الحرب إذا كرَّ على الرجال برمحه ، قمرأ يجول في الظلام بكوكب ، ولو كان البيت يفهم منه هذا المعنى ، كان تشبيه ثلاثة بثلاثة ، وليس في البيت غير تشبيه واحد لأنه قال : تراه في ظلم الوغى فتخاله قمرأ .

هذا هو المعنى الذي بُني عليه البيت . وأما قوله : يكر على الرجال بكوكب ، فمن لواحق القمر ألا ترى أن الجملة في موضع النصب على أنها صفة لـ « قمر » . ومن العجيب أنه ادعى أن البحري شبه العجاج بالظلم ، والبحري جعل

(١) البيت لابن الرومي . وهما بيتان وردا في معجم الشعراء ص ١٤٦ أولهما :

نظرتْ فأقصدتِ الفؤادَ بسهمها ثم انثنتْ عنه فكاد يهيم
وجاءت رواية البيت :

الموتُ إنْ نظرتْ وإنْ هي أعرضتْ ° وقعُ النِصالِ ونزعُهنَّ أليمُ
(٢) ديوان البحري ٢/٢٣٠ من قصيدة قالها يمدح مالك بن طوق . مطلعها :
رحلوا فأيّة عبّرة لم تستكِبِ أسفاً وأيّ عزيمة لم تغلبِ
وجاء في عجز البيت « يشد على الرجال » .

(٣) المثل السائر ٢/١٤٧ والعبارة فيه « وفي هذا البيت تشبيه ثلاثة أشياء ... »

العجاج نفسه ظلما • ولو أتى ذكره الظلام في عجز البيت ، لدخل في المشبه به
واندرج بين القمر والكوكب ، وإنما جاء ذكره في أصل المشبه (٨٩/ب) •

وما أحسن قول المعتمد بن عباد ^(١) :

ولما اقتحمت الوغى دارعا وقتعت وجهك بالمغفر
حسبنا محيالك شمس الضحى عليها سحاب من العنبر ^(٢)
وقول ابن الزقاق ^(٣) •

لو كنت شاهدته وقد غشي الوغى يختال في درع الحديد المسبل
لرأيت منه والحسام بكفه بحرا يثريق دم العداة بجدول
وقول الغزّي :

وقد سلب الطعن الأستة لونها فعصفَرَ في اللبّات ما كان أزرقا
وأسيافنا في السابغات كأنها جداول تجري بين زهر تفتقا ^(٤)
وقوله أيضا :

وكم رعت من مكمومة لا تبين من فوارسها إلا الظبي والحمالق
تخوض النّجيع احمر تحت دلاصه كما نبتت حول الغدير الشقائق ^(٥)
وهذا مأخوذ من قول أبي الطيب :

(١) المعتمد بن عباد واسمه محمد أبو القاسم . صاحب إشبيلية وقرطبة ، كان
فصيحا شاعرا وكاتبا (ت سنة ٤٨٨ هـ) . انظر مطمح الأنفس ص ١١-٢٢ .

(٢) والبيتان في ديوانه ص ١٧ .

(٣) ابن الزقاق واسمه علي بن عطية البكنسي الشاعر . توفي دون الأربعين
سنة ٥٢٨ هـ انظر فوات الوفيات ١٢٥/٢ .

(٤) ليسا في مخطوطه ديوانه لدي لنقصها .

(٥) بيتا الغزي في مخطوطة ديوانه الورقة ٩٩ .

تَعَوَّدَ أَنْ لَا تَقْضِمَ الْحَبَّ خَيْلَهُ إِذَا الْهَامُ لَمْ تَرْفَعْ جُنُوبَ الْعَلَائِقِ
وَلَا تَرِدْهُ الْغُدْرَانُ إِلَّا وَمَاؤُهَا مِنْ الدَّمِ كَالرِّيحَانِ تَحْتَ الشَّقَائِقِ^(١)
ومما قلته أنا في هذا النوع :

وَسَيُوفٍ إِذَا مَضَتْ فِي جِرَاحٍ قُلْتَ هَذَا بِنَفْسِكَ فِي شَقِيقٍ
يَنْشُدُ الْجِسْمَ رُوحَهُ مِنْ ظُبَاهَا وَدِمَاهَا بَيْنَ النِّقَا وَالْعَقِيقِ^(٢)
(٩٠/أ)

وأما ما يشبه قول البحري الذي أورده ابن الأثير ، فقول أبي فراس فيما أظن :

وَقَفَلْتَ عَنْهُمْ غَانِمًا وَقُلُوبُهُمْ فِيهَا لَخَوْفِكَ عَسْكَرٌ جَرَّارٌ
وَأَتَيْتَ يَقْدُمُكَ السَّنَانُ كَمَا أَتَى قَبْلَ الصَّبَاحِ الْكُوكَبُ الْغَرَّارُ^(٣)
قال : « ومن التشبيهات الباردة قول أبي الطيب » :

وَجَرَى عَلَى الْوَرَقِ النِّجِيعُ الْقَانِي فَكَأَنَّهُ النَّارَنْجُ فِي الْأَغْصَانِ^(٤)
أقول : لعمرى إنه معذور في هذا ، وهو من سَقَطَاتِ الْمُتَنَبِّي التي ينحط فيها ،
وهذا البيت من تلك القصيدة التي افتتحها بقوله :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي
(الأبيات الخمسة) ♦

(١) شرح الديوان - البرقوقي ٨٦/٣ من قصيدة قالها يمدح سيف الدولة وإيقاعه بالقبائل المناوئة سنة ٣٤٤ هـ . مطلعها :

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعَذِيبِ وَبَارِقٍ مَجْرً عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ
(٢) في الفيث المسجم ٢٠/٢ .

(٣) ليسا في ديوانه .

(٤) المثل السائر ١٥٧/٢ والبيت في شرح البرقوقي ٣٨٩/٤ من قصيدة قالها يمدح سيف الدولة عند منصرفه من بلد الروم سنة ٣٤٥ هـ .

فانظر إلى هذا الافتتاح ، وما أتبعه من الحِكم والأمثال مع الفصاحة والبلاغة
وفي هذه القصيدة مثل قوله :

وتوهموا اللعبَ النوغى والطعنَ في الـ هيجاءٍ غيرِ الطعنِ في الميَندانِ
ومنها يصف العدو المنهزم :

يغشاهمُ مطرُ السحابِ مفصَّلاً بمهتدٍ ومثقفٍ وسِنانٍ (١)
وقبل البيت الذي أورده ابن الأثير :

قد سَوَدَّتْ شجرَ الجبالِ شعورُهمُ فكأنَّ فيه مُسِفَةً الغُربانِ
ولما عكس أبو المطرِّف بن أبي بكر المخزومي معنى أبي الطيب في تشبيه نارنجة
في نهر (٩٠/ب) جاء حسناً . فإنه قال :

ومنظرٍ أرَّقني حُسْنُهُ من أزرقٍ ينسابُ كالأرقمِ
أبصرته يحملُ نارَ نِجَّةٍ طافيةً حمراءَ كالعندمِ
ودرَّجَتْ رِيحُ الصَّبَا مَتْنَهُ لَمَّا انبرَتْ وهني به ترتمي
فخلَّتْهُ سِيفٌ وَغَى مُصَلَّتَا هَزَّ وفيهِ قطرةٌ من دَمِ

وقال ابن فتحون (٢) في ذلك :

والماءُ فوق صفائِهِ نارِ نِجَّةٍ تطفو به وعجائهُ يَتَمَوَّجُ
حمراءُ قانيةٌ الأديمِ كأنَّها وسطَ المَجَرَّةِ كوكبٌ يَتَوَهَّجُ

فأتى بالمعنى في بيتين ، وأبو المطرِّف في أربعة فأطال .

وذكرتُ بقول أبي المَطَرِّف ، قول القاضي عِيَّاض (٣) رحمه الله تعالى :

(١) في المصدر السابق « بمثقف ومهند وسنان » .

(٢) ابن فتحون ، واسمه محمد بن خلف الأندلسي أبو بكر ، وكان معنيا بالحديث
(ت بمرسيه سنة ٥٢٠ هـ) انظر الصلة ص ٥٤٧ ، والوافي ٤٥/٣ .

(٣) القاضي عياض بن موسى أبو الفضل ، عالم حافظ بالمغرب ، ولي قضاء سبتة
ثم غرناطة (ت بمراكش سنة ٥٤١ هـ) . انظر قلائد العقيان ص ٢٢٤ .

كأثما الزرع وخاماته وقد تبدت فيه أيدي الرياح
كتائب تجفل مهزومة شقائق النعمان فيها جراح^(١)

[مناقشة نموذج آخر من إنشاء ابن الأثير]

قال في القسم الأول من النوع الرابع في الالتفات ، بعدما تكلم على ما في سورة الفاتحة من الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ، وفرغ من ذلك :

« فانظر إلى هذا الموضع ، وتناسب هذه المعاني الشريفة ، التي الأقدام تكاد تطؤها (٩١/أ) والأفهام مع قربها صافحة^(٢) عنها » •

أقول : أكذا يقال بعد ذكر أسرار القرآن الكريم وايضاح غامضه • وما أفاد قوله : « المعاني الشريفة » وتأدبه بقوله « تكاد الأقدام تطؤها » ! وكان الأحسن أن لو قال : فانظر إلى هذه المعاني الشريفة كيف غدت شموها ضاحية ، والبصائر عن إدراك ضيائها لاهية • أو أن يقول : تكاد تيجانها تقع على المفارق ، والأذهان عاطلة الجيد من درها المتناسق •

[الالتفات في بعض الآيات]

قال في الالتفات وقد ذكر قوله تعالى : « ثم استوى إلى السماء وهي دُخان^(٣) » (الآية) • إنما عدل عن الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى : « وزينا السماء الدنيا^(٤) » لأن طائفة من الناس غير المشرعين يعتقدون أن النجوم ليست في سماء الدنيا ، وأنها ليست حفظا ولا رجوما • فلما صار الكلام إلى هنا ، عدل عن خطاب الغائب إلى خطاب نفسه لأنه مهم من متهيمات البلاغة في الاعتقاد ،

(١) بيته في المصدر السابق وريحانة الالباء ٣٥٦/١ و ٩٥/٢ •

(٢) المثل السائر ١٧٤/٢ والعبارة فيه : « .. التي الأقدام لا تكاد تطؤها ... » وواضح بعد هذا عن المعنى المقصود •

(٣) سورة فصلت ١١/٤١ •

(٤) سورة فصلت ١٢/٤١ •

وفيه تكذيبُ الفرقة المكدّبة المعتقدين بطلانه ^(١) » •

أقول : إن اعتقادهم أنّها ليست في سماء الدنيا وليست رجوما ، فرع على اعتقاد قديم العالم ، وأن الله تعالى موجب بالذات دون حدوث العالم والفاعل المختار •

وعلى ما قرّره ، فإضافة الفعل في خلق السماوات في يومين ، ووحى أمرها فيها إلى المتكلم ، يكون أولى من أن تكون إخبارا عن غيره ، لأنه الأصل ، والعناية بالأصل أولى من العناية بالفرع ، لأنه إذا ثبت الأصل ثبت الفرع ولا ينعكس ، ولو كان هذا أولى لما عدل عنه ، ولكنه قد عدل عنه لحكمة لم تظهر لابن الأثير •

[اقحام النحو]

قال في النوع الرابع ^(٢) في توكيد الضميرين :

« ولربما قيل في هذا الموضع : إن الضمائر مذكورة في كتب النحو فأى حاجة إلى ذكرها هنا ؟

ولم يعلم أن النحاة لا يذكرون ما ذكرته ، لأن هذا يختص بفصاحة (٩١/ب) وبلاغة ، وأولئك لا يعرضون إليه ، وإنما يذكرون عدد الضمائر ، وأنّ المتنفصل منها كذا والمتصل كذا ولا يتجاوزون ذلك • وأما أنا فقد أوردت في هذا النوع أمرا خارجا عن الأمر النحوي ^(٣) » •

أقول : إنّ نحو المتقدمين غالبه معان وبيان ، مثل : الرّماني وأبي علي الفارسي

(١) المثل السائر ١٧٨/٢ « والفائدة في ذلك أن طائفة ... فلما صار الكلام إلى ها هنا عدل به عن خطاب الغائب إلى خطاب النفس لانه مهم من مهمات الاعتقاد وفيه تكذيب للفرقة المكدّبة المعتقدة بطلانه » .

(٢) في المثل السائر ١٩١/٢ « النوع الخامس » .

(٣) المثل السائر ١٩١/٢ « إن قيل في هذا الموضع . . فأى حاجة إلى ذكرها ها هنا ولم نعلم أن النحاة ... قلت إن هذا يختص بفصاحة وبلاغة وأولئك لا يتعرضون إليه ... وأما أنا فإني أوردت في هذا النوع أمرا خارجا عن الأمر النحوي » .

وابن جنّي على تأخر زمانهم ، وأكثر ما هو الآن مدون في علم المعاني مذكور في كتب القوم ، ولكن لما أتى الإمام عبد القاهر الجرجاني ^(١) ، جرّد هذه الثكت التي ليست بإعراب ولا بد ، وجمعها ودوّنها وبوّبها ورتّبها ، صار علما قائما برأسه ، وتنبّه الناس بعده كالسكّاكي ^(٢) وغيره تفتّحت لهم الأبواب ^(٣) .

ولهذا إنّ من لم يكن متمكّنا من النّحو ، لا يقدر على الكلام في هذا . ألا ترى أن الزمخشري لما كان عارفا بالنحو تيسر له في تفسيره مالا تيسّر لغيره ، وباقتداره على الإعراب والنظر في أسرار العربية وتعليل أحكامها أورد تلك الإشكالات ، وأجاب عنها بتلك الأجوبة المرقّصة ، وبالنحو استطال ومهر وتبحّر ودرّة فنيّ النّظم والنثر هي التي نبهته لذلك . حتى إنّ الإمام فخر الدين في تفسيره تراه إذا تكلم في سائر العلوم غير مقلّد لأحد ، فإذا جاء المعاني والبيان قلّد الزمخشري في ذلك وقال : قال محمود الخوارزمي وقال صاحب الكشف . ولهذا قال العلماء : من نظر في الكشف ولم يكن عارفا بالعربية وأصول الدين ، صار معتزليا ، وما أشبهه وضع علم المعاني والبيان إلّا بالفقه . فإنّ الفقهاء قديما في التابعين إنما كانوا محدّثين فلما جاء أبو حنيفة ^(٤) - رضي الله عنه - دوّن الفقه وقرّر (٩٢/أ) قواعده ، وقاس ما لم يبلغه فيه حديث على ما ورد فيه الحديث ، وجاء الناس من بعده ومدّوا فيه الأطناب ، وفتّحت لهم الأبواب . وانفرد الفقهاء بهذا العلم عن المحدّثين ، واختصّ الفقهاء بمعرفة الأحكام والاستنباط وتركوا معرفة طرق الحديث وأسماء رجاله وصحيحها من سقيمها للمحدّثين . ولهذا

(١) عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني أبو بكر . من أئمة اللغة وواضع اصول البلاغة وله شعر رقيق (ت ٤٧١ هـ) . انظر فوات الوفيات ١/٦١٢ .

(٢) السكّاكي واسمه يوسف بن أبي بكر الخوارزمي أبو يعقوب ، عالم بالعربية والأدب (ت ٦٢٦ هـ) انظر بغية الدعاة ٢/٣٦٤ ، ومفتاح السعادة ١/١٦٣ .

(٣) سها الصفدي هنا كما يبدو عن ربط جواب الشرط (جرد) بالفاء . وصواب العبارة أن نقول : لما أتى الإمام . . جرد هذه النكت . . فصار علما . . وتنبّه الناس . . . وفتّحت لهم الأبواب » .

(٤) أبو حنيفة واسمه النّعمان بن ثابت الكوفي ، أحد الأئمة الأربعة ، أبى تولّي قضاء بغداد للمنصور ورعا ، فحبسه إلى أن مات سنة ١٥٠ هـ . (انظر النجوم الزاهرة ٢/١٢) .

تسمعونهم يقولون ، فلان من الفقهاء المحدثين • وأعيان الفقهاء إنما تميزوا لقيامهم
بنفن الحديث • وانظر إلى أئمة المذاهب مثل الشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد بن
حنبل^(١) وأبي داود الظاهري^(٢) والثوري^(٣) والأوزاعي^(٤) وسعيد بن المسيّب^(٥)
— رضي الله عنهم — تجدوهم من كبار المحدثين •

ويقال : إن سبب وضع أبي حنيفة الفقه وتدوينه أنه كان في عصره اثنان حضرا
إلى الحمام وأودعا صاحبه وداعة لها صورة ، ودخلا الحمام • ثمّ إن أحدهما
خرج وطلب الوداعة وأخذها وراح في سبيله • فلما خرج الآخر طلبها من الحمامي
فقال له : إن صاحبك خرج وأخذها ، فراح إلى الحكام في ذلك الزمان وشكاه إليهم
فألزموه بالقيام بها للغريم الحاضر وقالوا له : أنت فرطت ، وكان الواجب أن لاتدفع
الوداعة إلا إليهما معا كما أودعاك معا ، فبقي ذلك الرجل في حيرة لا يدري ما يصنع •
فلقيه أبو حنيفة فسأله عن حاله لِمَا رآه من الفكرة والحيرة ، فأخبره بقضيته ،
فقال له : قل لغريمك : إن المال عندي ، فأحضر لي صاحبك لأدفع الوداعة إليكما ،
فإذا أتى به حصلت على غريمك • فكان ذلك سبب خلاص الحمامي من تلك
الورطة •

(١) أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله • أحد الأئمة الأربعة ، قدمه المتوكل وتولى
ببغداد سنة ٢٤١ هـ • انظر وفيات الأعيان ١/١٣٢ •

(٢) أبو داود الظاهري واسمه داوود بن علي الأصبهاني • أحد الأئمة المجتهدين ،
لقب بالظاهري لأخذه مع طائفته بظاهر الكتاب والسنة (ت ببغداد سنة
٢٧٠ هـ) • انظر تذكرة الحفاظ ٢/١٣٦ •

(٣) الثوري واسمه سفيان بن سعيد من مضر • سيد أهل زمانه في علوم الدين
والحديث (ت بالبصرة سنة ١٦١ هـ) ، انظر حلية الأولياء ٦/٣٥٦ •

(٤) الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو إمام الديار الشامية في الفقه • امتنع عن قبول
القضاء (ت ببيروت ١٥٧ هـ) انظر حلية الأولياء ٦/١٣٥ ، ووفيات الأعيان
١/٢٧٥ •

(٥) سعيد بن المسيّب المخزومي أبو محمد أحد الفقهاء السبعة في المدينة (ت سنة
٩٤ هـ) • انظر حلية الأولياء ٢/١٦١ •

وعند ذلك أخذ أبو حنيفة في تدوين الفقه ، وكانت المسألة المذكورة أول ما وضعه • وكذلك أصول الفقه ، إنَّما كان يقوم به المُتَّجِدُ العارف (٩٢/ب) بما يحتاج إليه من العلوم في استنباط الحكم من الآية والحديث ، ويكون عنده قوة ينظر بها في المُحَكَّم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ ، والحقيقة والمجاز ، وصحة الحديث من ضعفه ، وثقة رواته ، وترجيح أحد الحَدِيثين على الآخر إذا تساويا في الصَّحَّة بما يوافق القواعد ويستند إلى القياس الشرعي • ومثل هذا يحتاج إلى علوم جَمَّة ، فجاء الشافعي — رحمه الله تعالى — ووضع أصول الفقه وجمع ما كان منه مفرِّقا في العلوم من اللغة في معرفة المُشْتَرَك والمتباين والمترادف ، والحقيقة والمجاز ، والاستعارة والكناية •

ومن النحو في معرفة الشرط والجزاء ، والاستثناء المتصل والمنقطع ، والعطف المرتب والعطف الذي لا يترتب ، والذي للفقور والذي للتراخي ، وحروف الجر واختلاف معانيها وما ينقسم كل حرف إلى أنواعه ، والأسماء المبهمة وغير ذلك •

ومن المنطق في معرفة دلالة المطابقة والتضمن والالتزام ، ومعرفة الجنس والنوع ، والفصل والخاصة والعرض العام ، والمقدمتين والنتيجة والقياس المنتج ، وغير ذلك مما يحتاج إليه الفقيه من قواعد الجدال ومعرفة المغالط ، وما يحتاج إليه من معرفة صحة الحديث وضعفه وحسنه إلى غير ذلك • وجعله الشافعي — رحمه الله تعالى — علما قائما برأسه وإن كانت أجزاءه مفرقة في العلوم • ثم إنَّ الناس جاؤوا بعده وزادوا فيه ما أمكن من ذلك • فكذا علم المعاني والبيان ، انتزع من النحو ودثون وجعل فنا قائما برأسه •

[حول توكيد الضميرين]

قال : ولنقدم في ذلك قولاً يحصره ويجمع أطرافه فنقول : إذا كان المقصود معلوماً ثابتاً في النفوس ، فأنت بالخيار في توكيد أحد الضميرين بالآخر (٩٣/أ) وإذا كان غير معلوم — وهو ممَّا يَشْكُ فيه — فالأولى حينئذ أن توكد أحد

الضميرين بالآخر في الدلالة لتقرّره وتثبتته . فمّا جاء من ذلك قوله تعالى : « قالوا يا موسى إمّا أن تلقى وإمّا أنّ نكونَ المثلّقين ^(١) » فإنّ إرادة السّحرة للالقاء قبل موسى لم تكن معلومة عنده ، ولأنهم لم يصرّحوا بما في أنفسهم ^(٢) » وطوّّل في الكلام على ذلك .

أقول : ظهرت فائدة ما قرّره أنا من أن المعاني والبيان جزء من النحو ، وإذا خرجا عن القواعد النحوية ، خبّطَ قائلهما خبّطَ عشواء . والدليل على ذلك أنه قرر في القاعدة التي له أنّ المعنى إذا كان ثابتاً في النفس ، فأنت مُخيّر في تأكيد أحد الضميرين بالآخر وليست هذه القاعدة على الإطلاق ، فإنّ التأكيد هو التكرار ، ومن شرطه - أعني التكرار - أن يتم المعنى بدونه مثل : ضربت زيدا زيدا ، وجاءني زيد " زيد " ، وأنت أنت الفاضل ، وهو هو الجواد . فكلّ هذه الصور يجوز حذف التأكيد فيها لأن المعنى يتم بدونه .

وقد وجدنا الضمير يتكرّر ولا يجوز حذفه ، كقوله تعالى : « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ^(٣) » . وقوله تعالى : « فاذهب أنت وربك فقاتلا ^(٤) » ، لأن أفعال الأمر نحو : قم واقعد واسكن كلّها يتحمل الضمير ولا يجوز إظهاره ، لأن التقدير : قم أنت ، واسكن أنت ، ولهذا حكم النحاة على أفعال الأمر بأنها كلام لأنها تركبت من فعل وفاعل .

ألا ترى أنهم أوردوا على الشيخ جمال الدين بن الحاجب ^(٥) - رحمه الله

(١) سورة الأعراف ١١٥/٧ .

(٢) المثل السائر ١٩٢/٢ « ... إذا كان المعنى المقصود معلوماً .. في تأكيد أحد الضميرين فيه بالآخر .. فالأولى حينئذ أن يؤكد أحد .. فان إرادة السحرة الالقاء قبل موسى .. » .

(٣) سورة البقرة ٣٥/٢ .

(٤) سورة المائدة ٢٤/٥ .

(٥) جمال الدين ابن الحاجب واسمه عثمان بن عمرو ، فقيه مالكي من كبار علماء العربية . من تصانيفه « الكافية » و « الشافية » (ت بالاسكندرية ٦٤٦ هـ) . انظر وفيات الأعيان ٣١٤/١ ، ومفتاح السعادة ١١٧/١ ، وبغية الوعاة ١٣٤/٢

تعالى - في قوله : الكلمة لفظ وُضع لمعنى مفردٍ ، الضمائر المستكثّرة في أفعال الأمر جميعاً وقالوا : هي كلمات ولم يُلَفْظ بها اللسان • حتى إنّ الشيخ بدر الدين محمد بن مالك ^(١) - رحمه الله تعالى - قال : الكلمة لفظ بالقوة أو الفعل (٩٣/ب) فاحترز بقوله بالقوة من مثل الضمائر التي تتحملها أفعال الأمر ، ولهذا فسّر بعضهم اللفظ فقال : اللفظ ما يطرحه اللسان أو في حكمه حتى يخلصَ حدُّ ابن الحاجب •

وإذا تقرّر هذا فأقول : إنّ « أنت » في قوله تعالى : « اسكن أنت » ضمير آخر بارز غير الضمير المستكن في « اسكن » ، وتقديره : اسكن أنت أنت وزوجك • ومع ذلك فلا يجوز أن يحذف الضمير الظاهر ها هنا لأنه لا يجوز عطف « زوجك » على الضمير المستتر ، لضعف ما هو بالقوة بالنسبة إلى ما هو بالفعل • وهذا بخلاف قوله تعالى : « وإمّا أن نكون نحنُ المُلّقين » • فثبت أنّ صاحب المعاني إذا لم يعرف النّحو ، لم يدر ما يقوله •

ويمكن أن يُجاب عنه ويُعتذر له فيقال : إنه إنّما يتكلم في التوكيد ، وقوله تعالى : « اسكن أنتَ وزوجك » ليس هو من باب التوكيد ، إنّما أتى به لأمر آخر وهو عدم الجواز في العطف على المضمر المستكن ، وهذا غير التوكيد •

قلت : وعلى كل حال ، فهي عبارة مدخولة غير سادّة ^(٢) ، تحتاج إلى قيد يُخرجُ مثلَ هذا ، وإلاّ وردَ على قاعدته التي قرّرها ، فإنّ القواعد تحتاج إلى أن تكون محكمة غير موهمة •

[ابن الأثير يناقش المتنبي في بعض شعره]

قال في النوع الثامن في استعمال العام في النفي ، والخاص في الإثبات :
« وقد أغفلَ كثير من الشعراء ذلك ، من جملتهم أبو الطيب حيث يقول :

- (١) بدر الدين محمد بن محمد الطائي وهو ابن جمال الدين ناظم الألفية . نحوى من أهل دمشق . من كتبه شرح الألفية (ت بدمشق ٦٨٦ هـ) . انظر بغية الوعاة ٢٢٥/١ والنجوم الزاهرة ٣٧٣/٧ .
(٢) أي لا تفني بالقصد .

يا بَدْرُ يا بَحْرُ يا غَمَامَةُ يا لَيْثَ الشَّرَى يا حِمَامُ يا رَجُلُ^(١)

فإنه إذا فعل ذلك ، كان كالمترفع من محل إلى محل أعلى منه ، وإذا خالفه كان كالمخفض (٩٤/أ) من محل إلى محل أدنى منه •

فأما قوله « يا بدر » فإنه اسم الممدوح والابتداء به أولى ، ثم يجب أن يقول بعده : « يا رجل يا ليث يا غمامة يا بحر يا حمام » لأن الليث أعظم من الرجل ، والغمامة ، أعظم من الليث والبحر أعظم من الغمامة ، والحمام أعظم من البحر^(٢) •

أقول : قد ناقشه ابن أبي الحديد^(٣) ، وقال كلاماً أذكر ملخصه ، وهو أن المتنبّي قصد مقصداً صالحاً لأنه ابتداءً بالبحر وهو دون الغمامة ، لأن البحر هنا هو الذي يورّد وهو مثل الغدير والنهر لا البحر الملح ، فإن ذلك أستقص^(٤) كَلْتِي . والأنهار والغدران يتفرعان عن الغمامة ، ثم انتقل فقال : « يا ليث الشرى » وانتقل منه إلى الحمام لأنه أعلى من الليث ، لأنه لولا الحمام لم يرهّب الليث • ولذكر الجود أولاً قال يا بحر ، ولذكر الشجاعة ثانياً قال يا ليث ، وقدّم الجود لأن حاجة جمهور الناس إلى الجود أكثر من حاجتهم إلى الشجاعة • انتهى ، هذا ملخص كلام ابن أبي الحديد ، وهو لعمرى تأويل حسن ، كونه عكس على ابن الأثير مقصده وجعل البيت من باب الانتقال من الأدنى إلى الأعلى ، وغالب الناس طعن في البيت كما طعن ابن الأثير •

(١) شرح البرقوقي ٤١٣/٣ من قصيدة قالها يمدح بدر بن عمار وقد فسد لعله مطلعها :

أَبْعَدُ نَائِي الْمَلِيحَةِ الْبَخْلُ فِي الْبُعْدِ مَالًا تَكْلُفُ الْإِيْلُ

(٢) المثل السائر ٢١٥/٢ « ... فمن جملتهم أبو الطيب المتنبّي في قوله (الشعر) وينبغي أن يبدأ فيه بالأدنى فالأدنى فإنه إذا فعل ذلك .. فإنه اسم الممدوح والابتداء به أولى ثم بعده فيجب أن يقول ... » (والغمامة أعظم من الليث) غير موجودة •

(٣) الفلك الدائر في المثل السائر ٢٤٢/٤ •

(٤) الاستقص : هو الشيء البسيط الذي يتركب منه الشيء المركب والاستقصات الأربعة هي النار والهواء والماء والتراب ، انظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ١٣٧ ، ونهاية الأرب ٩٥/١ •

قلت : وللناس فيه تأويل آخر ، وهو أنه لا يلزمه الانتقال من الأدنى إلى الأعلى فيما قصده ، لأنه أراد وصفه بالمدح الذي ادعاه فيه قبل • وقال : يا بدر اسمه ، ثم قال يا بحر ، فإن لم أصدّق فيما أقوله فيا غمامة ، فإن لم أصدّق فيا ليث ، فإن لم أصدّق فيا حِمَامَ لأنك تعدّم نفوس أعدائك الحياة ، فإن لم أصدّق فيا رجل ، جمع هذه الأوصاف التي ذكرتها ، على أن هذا التأويل ليس في (٩٤/ب) قوة ما ذكره ابن أبي الحديد ولا في حسنه •

وابن الأثير ادّعى أن الحِمَامَ أكبر من البحر وأعلى ولم يبين وجه ذلك ، والذي أقوله في ذلك : لأن الموت عبارة عن عدم الحياة ، والبحر عبارة عن وجود الماء الكثير الغمر ، والعدم أهم من الوجود ، فهو أعلى منه بهذا الاعتبار ومقدم عليه • ومن هذا قوله تعالى : « الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور » ^(١) . قيل : إنه قدم الظلمات على النور ، لأن الظلمة عبارة عن عدم النور ، والعدم متقدّم على الوجود • ولولا هذا التأويل في هذه الآية الكريمة ، لكان قول المتنبي : يا بدر يا بحر (البيت) من هذا الباب •

ويشكل على من قرّر أنه لا ينتقل إلا من الأدنى إلى الأعلى ، وبهذه القاعدة التي قرّروها تمسك من فضّل الملائكة على الأنبياء وقال : إن الله تعالى انتقل من الأدنى إلى الأعلى في قوله تعالى : « لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون » ^(٢) « فإن الحكيم لا ينتقل من الأعلى إلى الأدنى ، ولا يقول البليغ : لا أفكر في السلطان ولا في الوزير بل يقول : لا أفكر في الوزير ولا في السلطان •

والصحيح الذي ذهب إليه علماء الشنّة ، أن الأنبياء أفضل من الملائكة إلا من شذّ منهم مثل : القاضي أبي بكر الباقلاني ^(٣) ، وأبي عبد الله الحليمي ^(٤) ،

(١) سورة الأنعام ١/٦ •

(٢) سورة النساء ١٧١/٤ •

(٣) أبو بكر الباقلاني واسمه محمد بن الطيب . قاض انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة ، سفر لعضد الدولة إلى ملك الروم . من كتبه « إعجاز القرآن » (توفي ببغداد سنة ٤٠٣ هـ) ، انظر وفيات الأعيان ١/٤٨١ ، والوافي ٣/١٧٧ •

(٤) أبو عبد الله الحليمي واسمه الحسين بن الحسن . فقيه قاض شافعي ولد بجرجان وتوفي ببخارى سنة ٤٠٣ هـ ، انظر الرسالة المستطرفة ص ٤٤ •

والإمام فخر الدين في بعض كتبه وليس هذا بمكان أدلة القوم ، فإنّ المسألة عظيمة والنزاع فيها كثير .

وابن أبي الحديد قد ناقش ابن الأثير في هذا الباب بمجموعه مناقشة جيدة ، فما تنكره عليه تجده في الفلك الدائر .

[هل يجب تقديم الأكثر على الأقل في الكتابة]

قال في النوع التاسع في التقديم والتأخير : « ومن هذا الضرب تقديم الأكثر على الأقل ، كقوله تعالى : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات (١) » .

« وإنما قدم الظالم لنفسه للإيدان بكثرته وأنّ معظم الخلق عليه ، ثم أتى بعده بالمقتصدين لأنهم قليل بالإضافة إليه (٩٥/أ) ثم أتى بالسابقين وهم أقل من القليل ، أعني من المقتصدين . فقدّم الأكثر ، ثم بعده الأوسط ، ثم ذكر الأقل . أخرا (٢) » .

ثم إن ابن الأثير قال بعد سبعة أسطر أو ثمانية . قال « فإن قيل قد ورد في القرآن العظيم مواضع منه تخالف هذا الذي ذكرته ، كقوله تعالى في سورة هود : « وما تؤخّره إلاّ لأجل معدود ، يوم يأتي لا تكلم نفس إلاّ بإذنه ، فمنهم شقي وسعيد ، فأما الذين شقوا ففي النار [لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ، إن ربك فعال لما يريد] (٣) وأما الذين سعدوا ففي الجنة (٤) » .

فقدّم أهل النار في الذّكر على أهل الجنة ، وهذا مخالف للأصل الذي أصلته في هذا الموضع . ثم أخذ يذكر الجواب .

(١) سورة فاطر ٣٥/٣٢ .

(٢) المثل السائر ٢٣١/٢ .

(٣) مابين المعقوفين ساقط في الأصل والنسخ الأخرى كذلك . (يبدو أنه مقصود !)

(٤) سورة هود ١١/١٠٤ - ١٠٨ .

أقول : إنك قد قرّرتَ أن التقديم والتأخير قد يكون للأكثر والأقل ، واستشهدتَ بالآية الكريمة التي اشتملت على تقديم الظالم لِكثرتِه ، وما بالعهد من قدم • فلأيّ شيء ما تكون هذه الآية التي أوردتها من ذلك الباب ، وإنّ الشقي في العالمين أكثر من السعيد • وما تحتاج إلى أنك تورّد وتعرض وتكتلف الجواب •

على أنّه قد أورد أشياء في هذا الباب ، وأجابه عنها ابن أبي الحديد فيؤخذ من الفلك الدائر (١) •

قال : « ومما جاء من ذلك قوله تعالى في قصة مريم « فحملته فانتبذت به » (٢) » (الآية) وفي هذه الآية دليل على أنّ حملها ووضعها إياه كانا متقاربين ، لأنه عطف الحمل والانتباذ إلى المكان الذي مضت إليه ، والمخاض الذي هو الطلق بالفاء وهي للفور ، ولو كانت كغيرها من النساء لعطف بشم التي هي المتراخي والمهلة • ألا ترى أنه قد جاء في الآية الأخرى : « قتل الإنسان ما أكفره » (٣) إلى يسره (٣) ، فلما كان بين تقديره في البطن وإخراجه منه مدة متراخية ، عطف ذلك بشم (٩٥/ب) ، وهذا بخلاف قصة مريم ، فإنها عطفت بالفاء • وقد اختلف الناس في مدّة حملها ، فقليل : إنه كان كحمل غيرها من النساء وقيل : لا بل كان مدة ثلاثة أيام • وقيل أقل وقيل أكثر (٤) •

« وهذه الآية مزيلة للخلاف ، لأنها دلت صريحا على أنّ الحمل والوضع كانا متقاربين على الفور من غير مهلة ، وربما كان ذلك في يوم واحد أو أقل • ومن هذا الأسلوب قوله تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين » ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ،

(١) المثل السائر ٢٦٧/٤ •

(٢) سورة مريم ٢٢/١٩ •

(٣) سورة عبس ١٧/٨٠ - ٢٠ •

(٤) أورد الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) مختلف الأقوال في هذا وهي تتفاوت بين تسعة أشهر وساعة واحدة ، وممن قال بالفورية ابن عباس - رضي الله عنه - انظر تفسير الرازي ٥٢٦/٥ ، وتفسير الطبري ٦٥/١٦ •

فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ، فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١) .

« وفي الآية المقدّم ذكرها قال : « مِنْ نَظْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ » فعَطَفَ التَّقْدِيرَ عَلَى الْخَلْقِ بِالنِّفَاءِ لِأَنَّهُ تَابِعٌ لَهُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ تَفَاصِيلَ حَالِ الْمَخْلُوقِ .

« وفي هذه الآية ذكرُ تفاصيل حاله في تَنَقُّلِهِ ، فَبَدَأَ بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ وَهُوَ خَلْقُ آدَمَ مِنْ طِينٍ ، وَلَمَّا عَطَفَ عَلَيْهِ الْخَلْقُ الثَّانِي الَّذِي هُوَ خَلْقُ النَّسْلِ ، عَطَفَهُ بِثُمَّ » لما بينهما من التراخي ، وحيث صار إلى التقدير الذي يتبع بعضه بعضا من غير تراخٍ ، عَطَفَهُ بِالنِّفَاءِ ، وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى جَعْلِهِ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى وَهُوَ آخِرُ الْخَلْقِ ، عَطَفَهُ بِثُمَّ » « فَإِنْ قِيلَ : إِنَّهُ عَطَفَ الْمُضْغَةَ عَلَى الْعَلَقَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالنِّفَاءِ ، وَفِي أُخْرَى بِثُمَّ ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ (٢) » وَالْجَوَابُ (٣) . ثُمَّ أَخَذَ فِي الْجَوَابِ .

أَقُولُ : إِنَّ ابْنَ أَبِي الْحَدِيدِ أَوْرَدَ عَلَيْهِ فِي جَعْلِهِ أَنَّ النِّفَاءَ لِلْفُورِ فِي الْفَلَكَ الدَّائِرِ (٤) بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ . وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ، قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ : إِنَّ ابْنَ الْأَثِيرِ لَمْ يَذْكُرِ الْجَوَابَ (٩٦/أ) عَنْ ذَلِكَ بَلْ أَمْسَكَ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا فِي النِّسْخَةِ

(١) سورة المؤمنون ١٢/٢٣ - ١٤ .

(٢) سورة الحج ٥/٢٢ .

(٣) المثل السائر ٢٣٧/٢ « ومما جاء من ذلك أيضا قوله تعالى في قصة مريم وعيسى عليهما السلام ... على أن حملها به ... ألا ترى أنه قد جاء في الأخرى : « قتل الإنسان ما أكفره .. إلى يسره » ... وهذا بخلاف قصة مريم عليها السلام .. وربما كان ذلك في يوم واحد أو أقل أخذًا بما دلت عليه الآية . ومما ورد من هذا الأسلوب ... فتبارك الله أحسن الخالقين « ففي الآية المقدم ذكرها قال ... فإن قيل إنه قد عطف المضغّة على العلقّة في هذه الآية بالنِّفَاءِ ... » .

(٤) في المثل السائر ٢٦٤/٤ وما بعدها .

التي وقف عليها لما وصلت من الموصول ، وإنه طلب نسخة أخرى ، ثم تأملها فوجدَها هكذا ، وقد أدخل مكانا للجواب (١) .

وقد وقفتُ على جواب ابن أبي الحديد عن هذا الموضع ، وعلى جواب ابن الأثير في « المثل » فوجدت ابن أبي الحديد قد أجاب بالجواب السَّادِّ ، ومُلخصه أن هذه الفاء ليست للفور لا هنا ولا في قصة مريم عليها السلام ، وما يقال في الفاء إلا المتعقِّب ولم تكن للفور الحقيقي الذي يتراد به هذا بعد هذا بلا تحليل زمان يفصل بين الشيئين . واستدل بمثل قوله تعالى : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فَنَسِيَ (٢) » ، وبمثل : « وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجا من نبات شَتَّى (٣) » .

وإن النسيان من آدم لم يكن على الفور بل بعد مُدَّة مائة عام في قول (٤) ، وكذا خروج النبات لم يكن على الفور من نزول المطر بل بعد مُدَّة . ولهذا يصح أن يقال : دخلت البصرة فبُعْداد وإن كان بينهما مُدَّة .

وإن الفاء وإن كانت لها مُدَّة ما ، فمَّ لها مُدَّة أكثر في المَهلة والتَّراخي .

هذا ملخص ما قاله ابن أبي الحديد في الجوابين . وإذا كان ذلك ، فليس في الآية التي اعترض بها إشكال ، وإنما أشكلت عليه لكونه قدَّر أنها للفور الذي هو عدمُ الزمانِ المحسوس بين الحالتين . وكيف يتصورُ مثلُ هذا ، وبين كل كون وكون من النطفة إلى العَلَقَة إلى المُضْغَة زمان ، وقد جاء في الحديث الشريف أنه أربعون يوما .

هذا لم يقل به أحد ، فإنه لا يتصور مع ورود النَّقل فيه بالحديث النبوي ، والإحساس به في مدة الحمل .

(١) والامر كذلك في النسخ المطبوعة التي بين أيدينا .

(٢) سورة طه ١١٥/٢٠ .

(٣) سورة طه ٥٣/٢٠ .

(٤) لا تحديد للمدة في تفسير الطبري ٢٢٠/١٦ ، وفي تفسير الرازي ٧٦/٦ وكذا في مجمع البيان للطبرسي .

وأما ما أجاب به ابن الأثير في « المثل » عن هذا الإشكال ، فإنني ما فهمته ، لأنه أضاع الزمان في فعل المطاوعة وما يشبهه ، والعطف عليه بالواو وبالفاء (٩٦/ب) وأطال وما أطاب ، وأجاب وما أجاد . ومن أراد الوقوف عليه فليقف عليه في « المثل السائر » ولكن :

في طَلْعَةِ الشَّمْسِ ما يُغْنِيكَ عن زُحَل (١) .

ولم أذكر هذا إلاّ تنبيها على أنّ ابن أبي الحديد لم يقف على هذا الجواب ، ولو وقف عليه لشاهد عجا (٢) .

[الصفدي يناقش ابن الأثير في التطويل]

قال في النوع الخامس عشر من الإيجاز :

« وسأزيد هذا الموضوع بيانا بمثال أضربه للتطويل حتى يستدل به على أمثاله وأشباهه ، والمثال الذي أضربه هو حكاية أوردت ° بمَحْضَرٍ مِنِّي ، وذلك أنه جلس إليّ جماعة من الإخوان في بعض الأيام وأخذوا في مفاوضة الأحاديث ، وانساق ذلك إلى ذكر غرائب الوقائع التي تقع في العالم ، فذكر كل من الجماعة شيئا ، فقال شخص منهم : إني كنت بالجزيرة العُمرية في زمن الملك فلان ، وكنت إذ ذاك صبيا صغيرا ، فاجتمعت أنا ونفر من الصبيان في الحارة الفلانية ، وصعدنا إلى سطح الطاحون التي لبني فلان وأخذنا نلعب على السطح ، فوقع صبي مِنّا إلى أرض الطاحون ، فوطئه بغل من بغال الطاحون فخفنا أن يكون آذاه ، فأسرعنا النزول إليه فوجدناه قد وطئه البغل فخنته ختانة صحيحة حسنة لا يستطيع الصانع الحاذق أن يفعل خيرا منها . فقال له شخص من الحاضرين : والله إنّ هذا عبيّ فاحش وتطويل كثير لا حاجة إليه . فإنك بصدد أن تذكر أنك كنت صبيا تلعب مع الصبيان على سطح طاحون ، فوقع صبي منكم إلى أرض الطاحون ، فوطئه بغل

(١) عجز بيت للمتنبّي وصدّره : خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في العصر الحاضر .

(٢) ليت الصفدي أورد هذا الجواب هنا لتكمل به النسخ التي طبع منها الكتاب انظر ص ١/٥٠ .

من بغال الطاحون ، فختته ولم يؤذه ولا فرق أن تكون هذه الواقعة في بلد نعرفه أو في بلد لا نعرفه ، ولو كانت بأقصى المشرق أو بأقصى المغرب (٩٧/أ) ولم يكن ذلك قدحا في غرابتها • وإما أن تذكر أنها كانت بالجزيرة العُمَريّة ، في الحارة الفلانية ، في طاحون بني فلان ، وكانت زمن الملك فلان ، فإن هذا كله تطويل لا حاجة إليه ، والمعنى المقصود يفهم بدونه (١) » •

أقول : أترى هذا الرجل ما سمع الحديث ، ولا اعتنى برواية العلم عن طريق القوم فإنهم من العادة أن يعيدوا الزمان والمكان ، خصوصا في الوقائع الغريبة ، التي يتفق وقوعها نادرا عن النمط المعتاد والعرف المعهود • ومثل هذه الواقعة التي أوردها غريبة في الوقوع ، وهي بعيدة في الذّهن ، واتفقها غريب ، وفيها من لطف الله الخفي بالضعيف ما يوجب الاعتراف به للطّيف الخبير في حفظه الإنسان وكلاءته ورعايته ، ويجب إظهاره ونشره ، وتعين إذاعته • ويحتاج مثل ذلك إلى ضبط الزمان والمكان والعصر ومن حضر ذلك ، ليكون ذلك قرائن يتمسك السامع بها في الصدق ، والمحافظة على ذلك والنقل له أبعد من الكذب وأنفى للريب •

ولو اتفق لأحد ممّن راعى الحديث ، وعانى الرواية ، وسمع الآثار ، واعتنى بنقل الوقائع على الصيغة التي تقع ، أو تسمع بها على الصيغة التي حكاها هذا الناقل ، لأوردها من حفظه أو من كتابه كذلك من غير زيادة ولا نقص •

ولو اتفق لابن الأثير أن يستشهد في هذا الموطن بما حكاه صاحب (٢) الأغاني

(١) المثل السائر ٢٧٣/٢ « ... وذاك أنه جلس الي في بعض الأيام جماعة من الاخوان وأخذوا ... وصعدنا إلى سطح طاحون لبني فلان ... أنك كنت صبيا تلعب مع الصبيان على سطح الطاحون ... ولا فرق بين أن تكون هذه الواقعة .. وكان زمن الملك فلان ، فإن مثل هذا كله تطويل ... » •

(٢) هو أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين الأموي القرشي . من أئمة الأدب واللفّة والتاريخ (ت ببغداد سنة ٣٥٦ هـ) . انظر وفيات الأعيان ١/٣٣٤ واليتيمة ٢٧٨/٢ •

في أخبار مطيع بن إياس^(١) ، لكان أنسب • وذلك أنه ساق من جملة خبر له مع المهدي^(٢) أنه قال له : وقد رفع إليّ صاحب الخبر أنك تتماجن على السؤال وتضحك الناس منهم • قال : ولا ذلك من فعلي يا أمير المؤمنين ولا جرى مني قطّ إلا مرة واحدة (٩٧/ب) ، فإنّ سائلاً اعترضني وقد عبرت الجسر على بغلتي فظنني من الجند ، فرفع عصاه في وجهي ثم صاح : اللهم سخّر الخليفة لأنّ يعطي الجند أرزاقهم ، فيشتروا من التجار الأمتعة ، فتربح التجار عليهم ، فتكثر أموالهم ، فتجب فيها الزكاة عليهم ، فيتصدقوا عليّ منها • فنفرت بغلتي من صياحه ورفعه عصاه في وجهي حتى كدت أسقط في الماء • فقلت : يا هذا ما رأيت أكثر فضولاً منك • سل الله أن يرزقك ، ولا يجعل بينك وبينه هذه الحوالات والوساطات التي لا حاجة إليها ، فإن هذه المسائل فضول • فضحك الناس منه^(٣) •

ويقال : إن بعض الأكابر سأل إنساناً : هل تعرف تلعب بالشطرنج ؟ فقال : لا والله ، إلا أنّ لي أخاً اسمه فلان ، وهو أخي لأمي ، أكبر سناً مني بقدر سنتين أو أكثر ، وكان حصل بيني وبينه صورة غاظته ، ففارقنا من مدة عشرة أعوام ، وسكن بعلبك وتديّرهما ، وفتح بها دكان عطر • والآخر أيضاً ما يعرف يلعب بالشطرنج •

قال في الإيجاز بعدما ساق قطعاً للأعشى^(٤) وللفرزدق ولجريب^(٥) ولعليّ^(٦) ابن جبلة :

- (١) مطيع بن إياس الكنانيّ أبو سلمى شاعر من مخضرميّ الدّولتين ، ظريف ، ماجن ، متهم بالزندقة (ت بالبصرة سنة ١٦٦ هـ) انظر الأغاني ١٢/٧٥ - ١٠٤ ، والديارات ص ١٥٩ - ١٦٦ .
- (٢) المهدي هو الخليفة العباسي محمد بن عبد الله المنصور ، أقام في الخلافة عشر سنين (ت ١٦٩ هـ) ، انظر الواقي ٣/٣٠٠ .
- (٣) الأغاني ١٣/٣١٨ .
- (٤) الأعشى ميمون بن قيس الوائلي أبو بصير . الشاعر الجاهلي ، المعروف بأعشى قيس . أحد أصحاب المغلقات ، أدرك الإسلام ولم يسلم (ت ٧ هـ) ، انظر الأغاني ٩/١٠٨ ، ومعاهد التنصيص ١/١٩٦ .
- (٥) جريب بن عطية الخطفي من تميم ، أشعر أهل زمانه وكان هجاءً مرّاً (ت باليمامة سنة ١١٠ هـ) . انظر الأغاني ٨/١ .
- (٦) الملقب بالعكوك . تقدمت ترجمته .

[حول إعجاب ابن الأثير بأبيات أبي نواس السينية]

« فهذا هو الكلام الذي ألفاظه وفاق معانيه » ثم قال « ومن هذا الضرب قول أبي نواس وهو من نوادر ما يأتي به في هذا الموضع » وساق أبياته السينية التي أولها :

ودارِ ندامي أدلجوها وعطّلوا بها أثرٌ منهمٌ جديدٌ ودارِسٌ^(١)

وساق بعد ذلك خمسة أبيات آخر ، وذكر ما رمّو عن الجاحظ من أنه أنشدها أبا شعيب القلال فقال له : والله يا أبا عثمان إن هذا لهو الشعر ، ولو تقرّر لطنّ (٩٨/أ) فقلت : ويحك ما تفارق عمل الجرار والخزف . ثم قال : « ولعمري إن الجاحظ عرف ما وصف ، وخبر فشكر وذلك هو الحق »^(٢) .

أقول : هنا يعدّ هذه الأبيات في الطبقة العليا ، ويطرّزها بهذه الحكاية ، ومن قبل أوردتها وقال : « إن الجاحظ أوردتها وعظّمها ، وبدون هذا ثباع الحمار » ، وهنا وفاها حقها ، وهناك كابر نفسه . وهذا دليل على عدم الإنصاف .

وأما قول أبي شعيب القلال : « هذا هو الشعر ولو تقرّرت لطنّ » ، فقد ذكرت قول البستي^(٣) لابن البواب^(٤) وقد رآه جالسا على عتبة بابه : « أظن الأستاذ يقصد حفظ النسب بالجلوس على العتب »^(٥) .

وقد وضع ابن مولاها المصري كتابا سماه « البدائع في الصنائع »^(٦) ، ساق

- (١) ديوان أبي نواس ص ٣٦١ والبيت مطلع القصيدة . وجاء في صدره « عطّلوها وأدلجوا » . وكذا في طبقات ابن المعتز ص ٢٠٦ . وهو الصواب .
- (٢) المثل السائر ٣٤٦/٢ « .. وهو من نادر ما يأتي في هذا الموضع .. ولعمري إن الجاحظ عرف فوصف وخبر فشكر والذي ذكره هو الحق » .
- (٣) البتي هو أحمد بن علي أبو الحسن . كاتب أديب غلب عليه الظرف والمجون ، كانت له معرفة بالفناء وصنعتة (ت ٤٠٥ هـ) . انظر إرشاد الأريب ١/٢٣٣ - ٢٤١ ، واللباب ١/٩٧ .
- (٤) ابن البواب . تقدمت ترجمته .
- (٥) القصة برواية أخرى في معجم الأدباء ١٥/١٢٤ - ١٢٥ .
- (٦) ورد اسم الكتاب في كشف الظنون ١/٢٣٠ .

فيه خمسين صانعا اجتمعوا على شرابهم في ليلة أنس ، وأخذ كل إنسان يتحدث بلغته ومصطلح أهل ذاك الفن ، وما يدور بينهم من المحاورات في مخاطباتهم ، بحيث أنه أورد ذلك جميعه من باب التورية • وهو في غاية اللطف مع ما فيه من العامة اليسيرة •

ووضع ابن يغمور أيضا كتابا ، ذكر خمسين صانعا غير أولئك ، وهو من نمط الأول •

[الصفدي ينقد رسالة لابن الأثير يدعي فيها الإجابة والإبداع]

قال : « وإذا أريد وصف ذلك البستان على حكم الإطناب ، قيل فيه ما أذكره • وهو فصل من كتاب أنشأته وهو • وساق الكتاب وفيه قوله في المشمش :

« ففيها المشمش الذي يسبق غيره بقدمه ، ويقذف أيدي الجانبين بنجومه ، فهو يسمو بطيب الفرع والتجار ، ولو نظم في جيد الحسنة لاشتبه بقلادة من تزار • وله زمن الربيع وهو أعدل الأزمان ، وقد شبهه بسن الصبا في الأسنان ^(١) » •

أقول : أي حُسن في هذا ليثبته ويجعله أنموذجا يحتذى عليه ، ويتنسج على منواله وأين هذا (٩٨/ب) من قول القاضي الفاضل - رحمه الله تعالى - : « وأما حج المشمش فلا غرو لقاطن مكة أن يغيب عن عرقه ، ولا للجائز على نهر طالوت أن يعترفه ، ولا شك في كون جرسه الذهبي المعلق قد أسمع على خرسه ، وأذكى الكرم منه جمرات النار لقرى حاضري عثره • وإذا كان حج البيت فلا بد من جمرات ، وإذا كان ظل وجنى فلا أبعد هن الله من شجرات ^(٢) •

إذا ما حضرتم فاذكرونا فإننا

(١) المثل السائر ٣٦٩/٢ « ... وله زمن الربيع الذي هو اعدل الازمان ... » •

(٢) يشير هنا إلى قول الشاعر :

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى فأبعد كن الله من شجرات
انظر الإبدال لأبي الطيب ٢٦١/١ •

اذكرونا بالحمية عن المشمش وارثوا لنا منها ، فقدّمّا كُنّا نوكله ولا نأكله ،
ونفوض قضاء حقّه إلى الإخوان ونكّله • فما قوّس ظهري لالتقاط بِنادقه ،
ولا شهدتُ بناني رُمّعة السفرة إذا بسطتُ لبياذقه ، ولا زِدْتُ على الزّهْهْزَهة
لأكله والتسبيح لخالقه » •

وقوله من كتاب آخر : « وما يساوي المشمش هجرَ الصديق البعيد بداره
القريب بحبه ، والإخلالَ بقوت قلبه من كتبه ، ورياضةَ لسانه الشاكر على عتبه •
ولقد ظننتُ أن المشمش أعدى المودةِ إلى أن صار عمرها كعمره ، وكان طعمها
كطعمه إذا انتهى إلى حدّ قطفه بل إلى حدّ بتره • هذا وقد حفّظني وما أضاعني ،
وإنصافي في البُعد لمّا باعني ، بأنّه لم يعنني من المشمش إلا بذهب راقّت صفرته ،
وترفعت عن رقة الدنيا كثرته • ولا أحسب هذا الكتاب يحظى بتقبيل يد مالكة
إلا وحجيجُ المشمش قد أحلّوا بإحرام أسحاره ، وأصواتُ الشحارير قد شجّت
بتعطيل أشجاره » •

وقول القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر — رحمه الله تعالى :

حبذا مشمشٌ "بجَلَقٍ أضحى ذا شُعاعٍ يستوقفُ الأبصارا
شجرٌ "أخضرٌ" لنا جعل الل... هُ تعالى منه كما قال نارا
(١/٩٩)

وقوله أيضا :

وكانَ ضوءَ الشمسِ من أوراقِها في نَقْشِ أسْوَرَّةِ العُصُونِ خَلاخِلُ
وكانَ مِشْمِشُها بصوتِ هَزَارِها إذ حَرَكَتْهُ يَدُ النسيمِ جَلاجلُ
وقوله أيضا :

إِنْ لَوْزِيَّ جَلَقٍ واهِنُ العِجْمِ والقوى
لَمْ يَكْلَفْكَ كَسْرَهُ فالقُ الحَبِّ والنوى^(١)

أقول : هكذا يكون التفتن في الوصف ، والإتيان في استواء النظم وحسن الرصف • والله القائل :

خدّ متى قلتَ إنَّ الوردَ يشبهه^١ قال الجمال : تأملْ ذا وذا وقسْ
ثم قال : « وفيها التفاح الذي رق جلده ، وعظم قده ، وتورّد خدّه ، وطابت
أنفاسه فلا بانُ الوادي ولا رنده^(١) » •

أقول : ما يقال في مثل التفاح والكمثرى والسفرجل وما أشبه ذلك « رق جلده » وإنما يقال ذلك في ما اشتمل على مائع ، كالغلب الذي يؤكل جلده معه غالباً والمشمش • وأما عظم القدّ فما سمعته للتفاح ، وأي قدّ له وهو يميل إلى الشكل الكريّ • وقالوا : قدّ الغصن والرمح وخدّ الورد ، وثغر الأفاحي ، وعيون الترجس ، وأصابع المنثور ، وآذان السوسن وأما قدّ التفاح فما سمعته قط • وما أحسن قول شمس الدين التلمساني :

نَسَمَ زهرُ البانِ عن طيبِ نشره وأقبلَ في حسنٍ يجِلُّ عن الوصفِ
هَلَمُوا اليه بين قَصَفٍ ولَذَّةٍ فإنَّ غصونَ البانِ تصلحُ للقَصَفِ^(٢)
وما أحسن قول مجير الدين محمد بن تميم :

إني لأشهد للحمي بفضيلةٍ من أجلها أصبحتُ من عشاقه
ما زاره أيامَ نرجسِه فتى إلا وأجلسه على أحداقه^(٣)
(٩٩/ب)

(١) المثل السائر ٣٧٠/٢ « ... فلا بان الوادي ولا رنده » •

(٢) ديوان التلمساني ص ٥٤ وفيه :

تبسم زهرُ اللوز عن طيب وصفه وأقبل في حسن يجل عن الوصف
هلم اليه بين قصف ولذة فان غصون الزهر تصلح للقصف

(٣) في الفيث المسجم ١٨٣/١ ، وخزانة ابن حجة ص ٢٦١ •

وقول السراج الورّاق :

فبادِرْ الينا فدتك النفوسُ فلم يخف عنك انتظارُ المشوقِ
فللبابِ آذانُ سوساننا وأعينُ نرجسنا للطريقِ
وقول مجير الدين محمد بن تميم :

ما بين منشورٍ أقامَ ونرجسٍ معَ أفتحوانٍ وصفه لا يدركُ
هذا يُشيرُ بإصبعٍ وعيونُ ذا ترنوا إليه وثغرُ هذا يضحكُ (١)
وقول الآخر :

ونرجسٍ قابلٍ في مجلسٍ ورْدًا غلا في نعتِهِ الناعِتِ
فخذُ ذا يخجلُ من لحظِ ذا وطرفُ ذا في وجهِ ذا باهتِ
ثم إنه وصف العنب والرمّان فأحسن بعض إحسان في الرمان . ثم قال :

« وفيها التين الذي أقسم الله به تنويها بذكره ، واستتر آدم بورقه إذ كشفت
المعصية من ستره ، وخُص بطول الأعناق (١٠٠ / أ) فما يرى فيه من ميل فهو
من نشوة سكره . وقد وصف بأنه راق طعما ونعم جسما ، وقيل هذا كنيف ملئ
شهدا لا كنيف ملئ علما (٢) » .

أقول : هذا فيه مسحة حُسن في السجعة الأخيرة ، وأما عنق التين ، فذكره
الناس وظرفوا فيه . من ذلك قول القائل :

أما ترى التينَ في الغصونِ ضحى منكسَ الرأسِ مائلَ العنقِ
كأنه ربُّ نعمةٍ سلبتْ فعادَ بعد الجديدِ في الخلقِ

(١) في فوات الوفيات ٥٤٢/٢ .

وورد في صدر البيت الأول : ما بين منشور وناظر نرجس

(٢) المثل السائر ٣٧٠/٢ .

وقول ابن خفاجة الأندلسي من أبيات :

ومالٌ يسيلُ جنىً شهدِهْ كما سال ريقُ حبيبٍ نفسُ
فهملتُ له بياضَ الثغورِ وأحببتُ فيه سوادَ اللعسِ^(١)

وأما قوله : « فهو نشوة من سكره » ، في غير محلها لأنه ما تقدم ما يدل على
النشوة • فلو استعار له سلاف الظل لكان أحسن • وكان يقول : وارتشف سلاف
الظل فميلُ عنقه من سكره ، وأما إضافة النشوة إلى السكر فغريب •

ثم إنه ذكر النخل^(٢) فوصفه بوصف غير طائل ، لولا أنه ختم السجع ببعض
آيةٍ من القرآن لكان سمجاً •

ولشيخنا القاضي شهاب الدين محمود - رحمه الله تعالى - في النخل ثغز
حسن ، أحببت أن أذكره هنا وهو : « يا إماماً أصول علومه ثابتة ، وفروع فنونه في
سماء الفضائل باسقه وفي رياض العلوم نابته • ما شيء يبهج الناظر مرآه ، ويزين
الرياضَ النواضر منشاء إن صحَّفْتَه طار في الهواء ، ووُجِدَ فيه
الجمع بين الداء والدواء ، وإن عكسته بعد تصحيفه ذُمَّ به
اللسان وسقط بسببه الإنسان ، وربما اتصف به من لم تزد
معرفته رفعة ، ولم تظهر له وإن كثر سماعه بين أهل الحديث سُمعة ، فإن
أسقطتَ عند ذلك أوله كان وصفَ (١٠٠ / ب) من حنٍّ إلى أوطانه ، حنين
النجيب إلى أعطانه ، وإن حططتَ رتبة إعجام أول حروفه ، وعمدتَ بعد استقامته
إلى تحريفه ، ذُمَّ المتَّصفُ به بين جنسه ، وكانت جنايته في نفس الأمر على
نفسه • وإن أفردتَه نقص عدده ، وقلَّ عند ذلك مدده ، وقصر عن رتبة الغنى
من حوته يده • وربما علوته بسبب ، وجنيت من رضايه ما هو أشهى من

(١) ديوان ابن خفاجة ص ١٥ من مقطوعة مطلعها :
أما واهتصار غصون البلسِ وقد قلَّص الصبحُ ذيلَ الفلَّسِ

(٢) المثل السائر ٣٧١/٢ •

الضَرْب ، واستبحتَ ذلك منه وإنْ عُدَّ مِنْ ذوات المحارم في اللفظ دون التَّسَبُّب . وله نتائج يختلف ألوانها ، فتردُّ في كل عام ولا يتغير زمانها • فمنها ما يَسْرُ تصحيْفُهُ ، ويروق انتظامه وتأليفه • وإنْ قلبتَه رَسْب ، وردَّ مصحَّفُهُ ذا الجِماح والشَّعَب • أَيْنَهُ فقد أوضحتَه لديك ، وجلوت عرائسه عليك » وللتَّصِير الحمَّامي (١) لُغزٌ في التَّخَل :

ما اسْمُ سماء والنجمُ مِنْ تحتِ عِلاه يُزْهَرُ
مرتفعٌ منتصبٌ مؤثثٌ مذكَّرُ
وجاء في إكرامِهِ عن النبي الخَبَرُ

وللشَّريف النَّاسخ (٢) يصفها :

ونخلةٍ قد علَّتْ سُمُوًّا وانخفضتْ دونها الجبالُ
فَمِنْ شَماريخها الثريا ومن عراجينها الهلالُ

قال بعد ذلك في كتاب أنشأه مثالا على لسان طاهر بن الحسين (٣) إلى المأمون لما ظفر بعيسى ابن ماهان (٤) :

« وجيء برأس عيسى ، وهو على جسدٍ غير جسده ، وليس له قدم فيقال إنه يسعى بقدمه ولا يد فيقال إنه يبطش بيده .. » (٥) •

- (١) النصير الحمَّامي ، وقد ترجم له صاحب الفوات ٦٠٤/٢ بقوله « كَيَس الأَخلاق يتحرف باكتراء الحمامات . وكان يستجدي بالشعر (تبمصر سنة ٧١٢ هـ)
- (٢) الشَّريف النَّاسخ هو محمد بن رضوان العلوي الحسيني الدمشقي ، له يد في النظم والنشر والأخبار (ت ٦٧١ هـ) انظر فوات الوفيات ٤٠٦/٢ .
- (٣) طاهر بن الحسين الخزاعي . من كبار الوزراء والقواد أديبا وحكمة وشجاعة . قتل الأمين سنة ١٩٨ هـ تولى خراسان وقتل بمرو سنة ٢٠٧ هـ وفيات الأعيان ٢٣٥/١ ، والكامل لابن الأثير ١٢٩/٦ .
- (٤) المعروف أن اسمه علي بن عيسى وقد ورد ناقصا في المثل السائر أيضا وهو من كبار القادة : حرَّض الأمين على خلع المأمون ، وسيره الأمين لقتاله فهزم أمام طاهر في الري وقتل سنة ١٩٥ هـ . انظر الكامل لابن الأثير ٧٩/٦ ، والنجوم ١٤٩/٢ وقد اشار إلى ذلك المحققان للمثل السائر ٣٧٢/٢ .
- (٥) المثل السائر ٣٧٢/٢ .

أقول : الأول مأخوذ من قول أبي فراس ، وقد عاد سيف الدولة إلى حلب وبين يديه رأس القرمطي ^(١) على رمح :

وَأَنْقَذَ مِنْ ثَقَلِ الْحَدِيدِ وَمَسَّهُ
وَأَبَ وَرَأْسُ الْقُرْمُطِيِّ أَمَامَهُ
أَبَا وَائِلٍ وَالْدَّهْرُ أَجْدَعُ صَاغِرُ
لَهُ جَسَدٌ مِنْ أَكْعَبِ الرَّمْحِ ضَامِرُ ^(٢)
وقال بعض الشعراء (١٠١ / أ) •

وعاد لكنه رأس " بلا جسد
إذا تراءى على الخطيئ أسفرَ في
وجاء يسري على ساقٍ بلا قدم
حال العُبوسِ لنا عن ثَغْرِ مَبْتَسِمِ ^(٣)
وأما قوله : « وليس له قدم » (السجعة الثانية) فإنه عيٌّ ، وقد قال في الأولى : « وجيء برأس عيسى » فإن ذكر القدم واليد بعد مجيء الرأس ونفيهما عنه من باب تحصيل الحاصل •

[حول نموذج إنشائي لابن الأثير]

قال : إنه كتب كتابا عن الملك الناصر إلى ديوان الخلافة في معارضة كتاب كتبه القاضي الفاضل في فتح القدس • ثم إنه ذكر الدعاء الذي افتتح به كتابه فقال :

« خلد الله سلطان الديوان ^(٤) العزيز النبوي وجعل أيام دولته أترابا ، ومناقب

- (١) القرمطي . وهو المعروف بالمبرقع ، أخذ يدعو إلى نفسه وكسب الأنصار ، فأوقع به سيف الدولة قرب دمشق وقتله وحمل رأسه على رمح فقال في ذلك أبو فراس . انظر اليتيمة ١٨/١ .
- (٢) والبيتان في ديوانه من قصيدة مطلعها :
لعل خيال العامرية زائرُ فيسعدُ مهجورُ ويسعد هاجرُ
وورد في صدر الأول « من مس الحديد وثقله » .
- (٣) ورد البيتان في اليتيمة ١٩/١ غير منسوبين . وجاء في عجز الأول « يسري ولكن على ساق بلا قدم » .
- (٤) جاء في صبح الأعشى ٤٩٦/٦ قوله : « والمراد بالديوان ديوان الإنشاء ، لأن المكاتبات عنه صادرة وإليه واردة . وسبب مخاطبتهم بالديوان ، الخضوعان عن مخاطبة الخليفة نفسه ، ويكون الدعاء للديوان بما فيه دوام العز والسلطان وبسط الظل وما أشبه ذلك » .

مجدها هضابا ، وزادها على مرور الأيام شبابا . وأوسعها توشية وإذهابا ، إذا أوسع غيرها تلاشيا وذهابا ، ومنحها في الدنيا والآخرة عطاء وفاقا لاعطاء حسابا ، ومثل جدودها في عيون الأعداد شيئا عجبا ، وأراهم منها في اليقظة إرهابا وإرعابا ، وفي المنام إبلا صعبا تقود خيلا عرابا ^(١) » .

أقول : إن ابن الأثير — رحمه الله — لما أنشأ هذا الكتاب ، قعد في بيته وتأنى وتأنق ، ونقش ونقح ، وكان في ذلك كالحريري في مقاماته ، فإنه عملها في بيته بمسودات واختيار ومطالعات . والفاضل — رحمه الله تعالى — أصدر ذلك الكتاب وهو ابن يومه بل ابن ساعته ، وجهزه وخرج عن يده على ما فُتح به ذلك الوقت عليه .

[حول رسالة لابن الأثير يعارض فيها القاضي الفاضل]

وأقول : إن قول ابن الأثير : « وجعل أيام دولته أترابا » كان ينبغي له أن يختار للأيام ، فإنه إذا دعا لها بأن تكون متشابهة ، شمل ذلك الخير والشر (١٠١/ب) فأى دولة صفت من الكدر ؟ وكان ينبغي أن يقول : وجعل أيام دولته في النصر أترابا . وأما قوله : « ومناقب مجدها هضابا » أي مبالغة في أن تكون في ارتفاعها كالهضاب ، وهي : صغار الجبال أو كبار الرُّبَا أو الجبال المنبسطة على الأرض . ولو قال « أعلاما » لكان بعض شيء ، ولو قال : ومناقب مجدها ترفع من الصباح عمودا وتمد من المجرّة أطنابا ، كان أبلغ .

وأما قوله : « وأوسعها توشية وإذهابا » لفظة « إذهاب » موهمة ، والسمع ينفّر عنها في الدعاء للدولة ، لاشتقاق ذلك من الذّهاب . ولو قال : توشية وتذهيبا ، كان أحسن .

(١) المثل السائر ٣٧٥/٢ « . . وأراهم منها وراءهم في اليقظة إرهابا وإرعابا . . » .

وقوله : « ومثّل جدودها في عيون الأعداء شيئا عجابا ، هذا كلام فارغ كالجسد الذي لا روح فيه . »

وقوله : « وأراهم في اليقظة إرهابا وإرعابا ، وفي المنام إبلا صعبا ، تقود خيلا عرابا » ، أصل هذا المعنى لأشجع السلمي^(١) .

وعلى عدوك يا بن عم محمد رصدان : ضوء الصبح والإظلام
فاذا تنبّه رعتّه واذا غفأ سكّته عليه سيوفك الأحلام^(٢)

وما زان سجعته الثانية إلا تضمينته السجع الذي جاء في رؤية الموبدان ليلة وُلد النبي صلّى الله عليه وسلم وما جاء في ذلك من كلام سطيح^(٣) .
وابن الأثير احتفل لهاتين^(٤) السّجعتين ، وأراد مماثلة القاضي الفاضل في دعاء الكتاب الذي كتبه في فتح القدس . ومنه :

« ولا زالت غيوث فضله إلى الأولياء أنواء إلى المربع وأنواراً إلى المساجد ،
وبعوث رعبه إلى الأعداء خيلاً إلى المراقب وخيلاً إلى المراقد » .
وأنت أيها الواقف على هذه الأوراق حكّم بين هذين الخصمين ، ويبدك الأمر في الفرق بين الكلامين :

فمن استحقّ الارتقاء فرقه
ومن استحطّ فحطّه في حشه
(١٠٢/أ)

(١) أشجع بن عمرو السلمي ، شاعر فحل معاصر لبشار . مدح البرامكة وقربه الرشيد (ت نحو ١٩٥ هـ) . انظر الأغاني ٣٠/١٧ - ٤٤ ، وخزانة البغدادي ١٤٣/١ .

(٢) وبيته من قصيدة قالها في مدح الرشيد . انظر العقد ٣٨/١ ، والوساطة ص ٢٥٣ . وفي طبقات ابن المعتز ص ٢٥١ جاء صدر البيت الثاني : « فإذا تنبه رعته واذا هدا » .

(٣) سطيح الكاهن واسمه ربيع بن ربيعة . جاهلي غساني من المعمرين ، يضرب المثل بجودة رأيه (ت ٥٢ ق هـ) والموبدان هو قاضي الفرس . انظر الأغاني ٣٠/٤ ، وانظر في رؤيا الموبدان وتفسير سطيح الكاهن لها في تاريخ الطبري (أبو الفضل) ١٦٦/٢ - ١٦٨ ، وتاريخ أبي الفداء ١١٠/١ وفي اللسان (سطح) ٣١٢/٣ - ٣١٣ .

(٤) في الأصل « لهذه » .

وإن كان هواي مال بي إلى كلام الفاضل .

فله ابن سناء الملك حيث قال :

إني رأيتُ البدر ثم رأيتها ماذا عليّ إذا عشقتُ الأحسن^(١)

ثم قال : « وهي فتح القدس الذي تفتحت له أبواب السماء ، وكثرت بأحاديث مجده كواكب الظلماء ، واسترد حق الإسلام وطالما سعت الهمم في طلبه بالزاد والماء ^(٢) » .

وأي همم هذه ، وما عسى أن تناله إذا لم يكن معها إلا الزاد والماء . أما كان لها مهم "غير الزاد والماء ، ولا لها فكرة غير ذلك ؟ وهمة" لا يكون همها الخيل والرجل والسلاح والدأب والسرى وركوب الأخطار ، وقطع المفاوز ، والصبر على السهر وأنواع المشاق ، أي شيء تناله ..

ثم قال : « ومن أحسن ما أتى به أنه آنس قبلته الثانية بقبلته الأولى ^(٣) » . أقول : المليح النادر في هذا ، ما ورد في خطبة القاضي محيي الدين ابن الزكي ^(٤) - رحمه الله تعالى - وهو على المنبر في أول جمعة أقيمت في القدس :

« ومسجدكم هذا أول القبلتين ، وثاني الحرمين ، وثالث المسجدين .. » . واستعمل العماد الكاتب ^(٥) ذلك أيضا في كتاب كتبه إلى ديوان الخلافة بفتح

(١) ديوان ابن سناء الملك ص ٧٩٩ . من قصيدة قالها يمدح القاضي الفاضل ويهنئه بعيد الفطر . مطلعها :

ان كنت ترغب أن ترانا فالتقنا يوم الهياج إذا تشاجرت القنا
ورواية الديوان « إني رأيت الشمس ثم رأيتها » .

(٢) المثل السائر ٣٧٥/٢ « وهي فتح البيت المقدس الذي تفتحت له ... » .

(٣) المصدر السابق .

(٤) القاضي محيي الدين ابن الزكي واسمه محمد بن علي . فقيه دمشقي ، خطيب أديب ، كانت له منزلة عند صلاح الدين ، ولي له حلب وقضاءها ثم قضاء دمشق (ت ٥٨٨ هـ) انظر وفيات الأعيان ٤٦٧/١ .

(٥) العماد الكاتب واسمه محمد بن محمد ، مؤرخ عالم بالأدب من كبار الكتاب ، ولي ديوان الإنشاء عند نور الدين بدمشق ثم لصلاح الدين ويقوم مقام الفاضل إذا غاب (ت ٥٩٧ هـ) . وفيات الأعيان ٧٤/٢ ، والوافي ١٣٣/١ .

القدس أيضا ، فقال وقد ذكر الصخرة :

« فصافحت الأيدي منها موضعَ القدم ، وتجددَ لها من البهجة والرسالة ما كان لها في القِدم ، فهو ثاني المسجدين بل ثالث الحَرَمين » •

ثم قال : « وكان قد برز من السلاح في لباس رائع من المنعّه ، وأخرج من السواد الأعظم ما خدع العيون والحرب خدعه ^(١) » (١٠٢/ب) •

أقول : أكذا يكتَب عن مثل ملك عانى من الأهوال ما عانى ، وكابدا ما كابد ، وبذل نفسه وولده وأهله وماله وعساكره ، حتى استنقذ مثل القدس من مثل الفرنج • • وهو يريد أن يمتدَّ إلى الخليفة بهذه اليد ، ويعظم الأمر ويفخّمه ، ويصف الشدائد التي كابدها حتى صار هذا الفتح العظيم في أيام الخليفة ، وانضاف إلى ملكه ودخل في قبضته • ويقال : « خدعهم بالسواد الأعظم والحرب خدعة » • ليس هذا بلائق في هذا المقام •

ثم قال : « وما تمنع رقاب البلاد بكثرة السواد ، ولا تحمي بعوالي الأسوار بل بعوالي الصّعاد ^(٢) » •

أقول : كان الأحسن أن لو قال : وما تمنع رقاب البلاد بكثرة السواد ، بل ببياض الرأي وكثرة السّداد •

على أن هذا الكتاب الذي أورده ابن الأثير — رحمه الله — في معارضة الفاضل من أجلّ ما أنشاه ، وأحسن ما وشاه • وإنما سبب ذلك كونه عارضه به معارضه ، وأخذ محاسنه من المهلة والتأني مقارضه ، فلهذا جاء منقّحا وزهره مفتّحا • ولو أنه أخذ درجا ، والقاضي الفاضل درجا وقعدا في مكان واحد ، وأخذ في العمل على غير مثال ، لبان المُجلّي في الحلبة من الفِسْكل ^(٣) ، كما اقترح السلطان

(١) المثل السائر ٣٧٦/٢ •

(٢) المثل السائر ٣٧٦/٢ « وما يَمنع رقاب البلاد . . . ولا يحمي بعوالي . . » •

(٣) في لسان العرب ٣٤/١٤ الفسكل والفسكل : الذي يجيء آخر الخيل ، فهو المقصر البطيء •

المُعَزِّزُ (١) على ابن رشيق (٢) وابن شرف القيرواني (٣) أن ينظما في الشعر الدقيق الذي على ساق بعض النساء ويمدحاه لكونه يستحسنه ويعيبه بعض الضراير . وقال : أريد أن يكون ذلك حجة لها على من يعيبها . فانفرد كل واحد منهما ونظما في الوقت . فكان الذي أتى به ابن شرف :

وبلقيسيّة زينتْ بشعرٍ يسيرٍ مثل ما يهَبُ الشحيحُ
حكى زَغَبَ الخُدودِ وكلُّ خَدٍّ به زَغَبٌ فمعشوقٌ مليحٌ
فإن يك صرح بلقيس زجاجا فمن حلق العيون لها صروحُ (١٠٣/أ)

وكان الذي أتى به ابن رشيق :

يعيون بلقيسيّةٌ إذ رأوا بها كما قدرأى من تلك من نصب الصرّحاً
وقد زادها التزغيبُ ملحاً كمثلي ما يزيدُ خدودَ المردِّ تزغيبها ملحا (٤)
فاستحسن المعزّزُ أبيات ابن شرف وعاب قول ابن رشيق وقال : لقد أوجدت خصمها حجةً بقولك « يعيون » ، فإنّ بعض الناس عاب ذلك . وهذا نقدٌ حسن .

- (١) المعز بن باديس من ملوك الدولة الصنهاجية بافريقية ، قرب العلماء وأكرمهم ، حمل الناس على ترك مذهب أبي حنيفة الى مذهب مالك . تقهر أمام بني هلال وسليم الى المهديّة وتوفي فيها سنة ٤٥٤ هـ . انظر وفيات الأعيان ١٠٤/٢ .
- (٢) الحسن بن رشيق القيرواني صاحب العمدة في صناعة الشعر . كان شاعرا أدبيا مدح صاحب القيروان (ت ٤٥٦ هـ) . انظر بغية الوعاة ١/٥٠٤ ، ووفيات الأعيان ١٦٢/٤ .
- (٣) ابن شرف القيرواني واسمه محمد بن سعيد كاتب شاعر من ندماء المعز ترحل ومات باشبيلية سنة ٤٦٠ هـ . انظر فوات الوفيات ٢/٤١٠ ، والوافي ٣/٩٧ .
- (٤) ديوان ابن رشيق ص ٣٩ . وجاء في صدر الأول « أن رأوا بها » وفي عجز الثاني « خدود الفيد » . كما ورد البيت الأول في كتاب « ابن رشيق » لعبد العزيز اليميني ص ٧ .

وانظر إلى هذين الشاعرين كيف نطقا بلسان واحد ، عن رواية واحدة ، ومعنى واحد ، وقافية واحدة •

ولا بأس بإثبات شيء من كتاب القاضي الفاضل في الفتح المذكور • ولولا خوف الإطالة لأثبت الكتابين برمتيهما ، ولكن يؤخذان من مكانيهما •

قال القاضي الفاضل رحمه الله تعالى :

« أدام الله أيام الديوان العزيز ، ولا زال مظفراً بكل جاحد ، غنياً بالتوفيق عن رأي كل رائد ، موقوف المساعي على اقتناء مطلقات المحامد ، مستيقظ النصر والسيف في جفنه راقد ، وارِدَ سحاب الجود والسحاب على الأرض غير وارِد ، متعديّ مساعي الفضل وإن كان لا يلقى إلا بشكر واحد ، ماضي حكم العدل بعزم لا يمضي لسل غوي وریش راشِد ، ولا زالت غيوث فضله إلى الأولياء أنواء إلى المرباع وأنواراً إلى المساجد ، وبعوث رغبة إلى الأعداء خيلاً إلى المراقب وخيالاً إلى المراقِد » •

منه : « ولله في إعادة شكره رضى ، وللنعمّة الراهنة دوام » لا يقال معه هذا مضى ، وقد صارت (١٠٣/ب) أمور الإسلام إلى أحسن مصائرّها ، وقد استتبّت عقائد أهلها على بصائرّها ، وتقلّص ظل الكافر المبسوط ، وقد صدّق الله أهل دينه فلمّا وقع الشرّط وقع المشروط ، وقد كان الإسلام غريباً فهو الآن في وطنه ، والنور معروضا وقد بذلت الأنفس في ثمنه ، وجاء أمر الله وأنوف الشرك راغمة ، وأدلت السيوف والآجال نائمة ، وصدق الله وعده في إظهار دينه على كل دين ، واستطارت له أنوار أبانت أن الصباح عندها جانّ الجبين ، واسترحت المسلمون ثرائاً كان عنهم آبقاً ، فظفروا منه يقظة بما لم يصدقوا أنهم يظفرون به طيفاً على النّأي طارقاً ، واستقرّت على الأعلى أقدامهم ، وخفقت على الأقصى أعلامهم ، وتلاقت على الصخرة قبلكم ، وشفيت بها وإن كانت صخرة كما تشتهي بالماء غلثهم • ولما قدم الدين عليها عرّف منها سويداء قلبه ، وهنّأ كفؤها الحجر الأسود بيت عصمتها من الكافر بحربه ، فليلّ الحمد على أن أحرمت بخلع ذلك البنيان المخيط ، وطهرها ما قطر من دعم الكفر وما كان ليطهرها

البحر المحيط ، وكان الخادم لا يسعى سعيه إلا لهذه العظمى ، ولا يقاسي تلك
البؤس إلا لهذه النعمى ، ولا يحارب من يستظلمه إلا لتكون الكلمة مجموعة
وكلمة الله هي العليا ، وليفوز بجواهر الآخرة لا بالعرَض الأدنى من الدنيا •
ومن طلب خطيرا خاطر ، ومن رام صفقة رابحة خاسر ، ومن سما لأن يجلي
غمرة غامر » •

منه لما ذكر الخلفاء (١٠٤/أ) « لا جرم أنهم ورثوا سرهم وسريتهم خلفهم الأظهر ،
ونجلهم الأكبر ، وبقيتهم الشريفة ، وطليعتهم المنيفة ، وعنوان صحيفة فضلهم ،
لا عدم الإسلام سواد القلم وبياض الصحيفة » •

منه : « والشرق يهتدي بأنواره ، بل إن بدا نور من ذاته هتف الغرب بأن
واره ، فإنه نور لا تكثه أغساق الشدء ، وذكر لا تواريه أوراق
الصحف » •

منه وقد ذكر الكفر : « ونام سيف جفنه وكانت يقظته تريق نطف الكرى
من الجفون ، وجذعت أنوف رماحه وطالما كانت شامخة بالمنى راعفة بالمنون ،
وأصبحت الأرض المقدسة الطاهرة وكانت الطامث ، والرب المفرد الواحد
وكان في زعمهم الثالث » •

منه : « وبدل الله مكان السيئة الحسنه ، ونقل بيت عبادته من يد أصحاب
المشأمة إلى أصحاب الميمنة » •

منه : « فكم أهلة سيوف تقارضها الضراب حتى عادت كالعراجين ، وكم
أنجم قنا تبادلت الطعان حتى صارت كالمطاعين ، وكان اليوم مشهودا والملائكة
شهودا ، وكان الصليب صارخا والإسلام مولودا ، وكانت ضلوع الكفار
لنار جهنم وقودا » •

منه وقد ذكر القومص وفراره : « وكان مليا يوم الظفر بالقتال ويوم
الخذلان بالاحتيال ، فنجوا ولكن كيف ، وطار خوفا من أن يلحقه منسر الرمح
وجناح السيف ، وكان لعدتهم كذلك ، وانتقل من ملك الموت إلى مالك • وبعد

الكسرة مرة الخادم على البلاد فطواها بما نشر (١٠٤/ب) عليها من الراية العباسية السوداء صبغاً البيضاء صتعا ، الخافقة هي وقلوب أعدائها ، هي وعزائم أوليائها ، المستضاء بأنوارها إذا فتح عينها البشر ، وأشارت بأنامل العذبات إلى وجه النصر » •

منه : « ويحصد كفرا ويزرع إيمانا ، ويحطّ من جوامعها صلبانا ويرفع أذانا ، ويبدل المذابح منابر والكنائس مساجد ، ويثبّوئ أهل القرآن بعد أهل الصلبان للقتال مقاعد ، ويقر عينه وعين أهل الإسلام أن تعلق النصر منه ومن عسكره بجارٍ ومجرور ، وأن يظفر بكل سورٍ ما كان يخاف زلزاله وزياله إلى يوم التفخ في الصفح » •

منه : « وقابلها ثم قاتلها ، ونزل إليها ثم نازلها ، وبرز لها ثم بارزها ، وحاجزها ثم ناجزها ، فضمها ضمة ارتقب بعدها الفتح ، وصدع جمعها فإذا هم لا يصبرون على عبودية الحدّ عن عتق الصفح » •

منه : « وقدّم المنجنيقات التي تتولى عقوبات الحصون عصيها وحبائلها ، وأوتر لهم قسيها التي تضرب ولا تفارق سهامها نصائلها ، فصافحت السور فإذا سهمها في ثنایا شرفاتها سواك ، وقدّم النصر نسرًا من المنجنيق يخلد إخلاده إلى الأرض ويعلو علوه إلى السماء ، فشجّ مرادغ أبراجها ، وأسمع صوت عجاجها ، فأخلى السور من السيارة ، والحرب من النظارة ، وأمكن للنقّاب أن يسفر للحرب النقّاب ، وأن يعيد الحجر إلى سيرته من التراب ، فتقدّم إلى الصخر فمضغ سرّده بأنياب معوله ، وحل عتقه بضره الأخرق الدال على لطافة أنمله (١٠٥/أ) ، وأسمع الصخرة الشريفة حنينه واستغاثته إلى أن كادت ترقّ لمقتله ، وتبرأ بعض الحجارة من بعض ، وأخذ الخراب عليها موثقاً فلن يبرح الأرض ، وفتح من السور باباً سدّ من نجاتهم أبواباً ، وأخذ يفتّ في حجره فقال الكافر يا ليتني كنت تراباً » •

منه في تسكّم البلد : « وملك الإسلام خطة كان عهدّه بها دمنة سكّان ، فخدّمها الكفر إلى أن صارت روضة جنان ، لا جرّم أن الله تعالى أخرجهم منها وأهبطهم ، وأرضى أهل الحقّ وأسخطهم » •

منه : « وفيها كلُّ غريبٍ مِنَ الرُّخام الذي يَطْرِدُ مأوّه ، ولا يَنْطَرِدُ لألاؤه ،
قد لَطَفَ الحديدُ في تجزيعه ، وتَفَتَّنَ في توسيعه ، إلى أن صار الحديدُ الذي
فيه بأسٌ شديد ، كالذَّهَب الذي فيه نعيمٌ عَتِيد ، فما تَرى إلا مقاعدَ كالريّاض
بها من بَيَاض التَّرخيم رَقراق ، وعمدًا كالأشجار لها من التَّنبيت أوراق » •

منه : « وأُقيمت الخطبة وكادت السموات ينفطرن للسَّجوم لا لِلوُجوم ،
والكواكب تنتثرُ لِلطَّرب لا لِلرَّجوم ، ورفعت إلى الله كلمةُ التَّوحيد وكانت
طريقها مسدودة ، وطهرت قبورُ الأنبياء وكانت بالنجاسات مكدودة ، وأُقيمت
الخمسةُ وكان التثليثُ يثعبدها وجهت الألسنة بـ « الله أكبر » وكان سحر الكفر
يعقدها ، وجهر باسمِ أمير المؤمنين في موطنه الأشرف مِنَ المنبر ، فرحَّب به
ترحيب من بَرٍّ بمن بَرٍّ ، وخفق علماء في خافقيته فلو طار سرورا لطارَ بجناحيه » •

منه : « وكلُّ مَشَقَّةٍ بِالإضافة إلى الفَتَح مُحتملة ، وأطماعُ الفِرَاج بعد
ذلك غير مُرجئة ولا مُعتزلة ، فإن يدعوا دعوةً يرجو الخادمُ من الله أن
لا تسمَعَ (١٠٥/ب) ولن يَفكِّوا أيديهم مِنَ أطواق البلاد حتى تقطع ، ولهذه
البشائرُ أخبارٌ لا تكاد من غير الألسنة تَتَشَخَّص ، ولا بما سوى المُشافهة
تَتَلَخَّص ، فلذلك نفَّذ فلانا شارحا ، ومُبشرا صادحا ، يُطالع بالخبر على
سياقته ، ويعرض جيش المُسرَّة من طليعته إلى ساقته • وهو فلان » •

وقال من كتاب آخر عند ذكر الصخرة : « فقد كان بَخْتُ الناصر في ردِّ
القدس أمضى من سيفِ بَخْتِ ناصر » •

وذكرت هنا أبيات صاحب جمال الدين ابن مطروح ^(١) - رحمه الله - وهي :

المسجدُ الأقصى له عادةٌ سارتْ فصارَتْ مَثَلًا سائرا

إذا غدا للكفر مُستوطننا أن يبعثَ الله له ناصرا

(١) جمال الدين ابن مطروح واسمه يحيى بن عيسى ، شاعر أديب مصري ، نظَرَ
خزانة مصر للصالح أيوب - توفي مخمولا بعد الصالح سنة ٦٤٩ هـ . انظر
النجوم الزاهرة ٢٧/٧ ، وشذرات الذهب ٢٤٧/٥ .

فناصر " طَهَّرَهُ " أولاً " وناصر " طَهَّرَهُ " آخراً (١)

رجع الى كلام الفاضل :

منه : « وكان الكفر حلَّ بهذا البلد فملكه واستهلكه ، وأغلقه فأوثقه ، وضاعت مفاتيحه من الإسلام فلم يجدوها إلا في زمان أمير المؤمنين وهي السيوف ، وما كان يضرب في فئائه للحرب مضاف حتى ضربت في مسجده للصلاة صقوف فاسترجع الصخرة التي هي فصّ خاتم الإسلام كما استرجع بها سليمان قدماً خاتمه ، وكان وكيل الإسلام في استرجاع خاتمه صارمه » آخر كلام الفاضل رحمه الله تعالى .

وهذا بديه لا كتجبير قائل إذا ما أراد القول زورَهُ شهراً (٢)
وقد أتبع ابن الأثير (٣) - رحمه الله - كتاب فتح القدس بتقليد حسنة ، أطال فيه وليس في عقده واسطة ، ولا في أثناؤه نكتة تكون بينها وبين التسعجرب رابطة ، لكنه استوعب آداب الحسبة وعددها ، ورصّع وصاياها في سلكه ونضدها (١٠٦ / أ) وأطال في نصّها لما سردها ، وأظهر فيه العلم لا لطف العمل ، وأتى به عرياً عن المحاسن فلا رغبة فيه للمتشئ الماهر ولا أمل ، وهو بأن يكون جزءاً في آداب الحسبة أحق منه بأن يكون في التقاليد معدوداً ، وبأن يضم إلى الكتب الموضوعة لذلك أولى منه بأن يكون في جملة الإنشاء مسروداً .

[حول ورود « أن » بعد « لما » واثرها في الدلالة على تراخي الزمن]

قال في النوع (١٠٦ / ب) السابع عشر في التكرير ، وقد ذكر دخول « أن » التي ترد بعد « لما » وادّعى أنها إذا دخلت في الكلام دلّ على ان الفعل

(١) أبياته في ديوانه ص ١٨٣ وقالها لما استعاد الناصر داود القدس من الفرنج . وكذا وردت الأبيات في البداية والنهاية ١٨٢/١٣ .

(٢) البيت لبشار بن برد يمدح واصل بن عطاء بخطبته التي ارتجلها وتجنب فيها الرأى . انظر (البيان والتبيين) ٢٤/١ و ٦٨ وبدأ البيت فيه بقوله « فهذا » .

(٣) المثل السائر ٣٨٥/٢ .

لم يكن على الفور ، وأنه ثمّ تراخٍ ومثلهة* . وساق قوله تعالى : « فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا (١) » .

« وإذا نظر في قصة يوسف مع إخوته منذ ألقوه في الجُبِّ وإلى أن جاء البشير إلى أبيه عليه السلام ، ووجد أنه كان ثمّ إبطاء وتراخٍ بعيد بعيد ، ولو لم يكن ثمّ مدة بعيدة وأمد متطاوّل ، لما جيء بـ « أن » بعد « لما » وقبل الفعل . بل كانت تكون الآية : فلما جاء البشير ألقاه على وجهه . وهذه دقائق ورموز لا توجد عند النحاة لأنها ليست من شأنهم (٢) » .

أقول : هذا من جنابة إعجاب المرء بعقله ورأيه ، ألا تراه كيف تصوّر الخطأ صوابا ، ثم أخذ يتبجّح بأنه ظفر بما لم يفهمه النحاة ولا يعلموه : أتراه ما نظر إلى هذه الفاء التي هي للتعقيب عقيب ماذا وردت . هل وردت عقيب قوله تعالى : « فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجُبِّ (٣) » . والآيات المتعلقة بواقعة إلقائه في الجُبِّ حتى يدعي هذه الدّعوى . أو وردت عقيب قوله تعالى : « اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني لأجد ريح يوسف لولا أن تنفّدون . قالوا : تالله إنك لفي ضلالك بأهلكم أجمعين » إلى قوله تعالى : « ولما فصّلت العير قال أبوه : إني القديم . فلما أن جاء البشير (٤) » الآيات . فأبي تراخ بين هذين من البعد البعيد والمدة المتطاولة ؟ إنما كان ذلك كله بقدر المسافة من مصر إلى أرض كنعان ، مقام يعقوب عليه السلام ، وهي تكون اثني عشر يوما وما حولها ، ولهذا قال النحاة : إنها هنا زائدة (١٠٧/أ) .

قال في هذا النوع أيضا وقد أورد قول أبي نواس :

- (١) سورة يوسف ١٢/٩٦ .
- (٢) المثل السائر ١٤/٣ « إذا نظر في قصة يوسف عليه السلام . . كان ثمّ إبطاء بعيد (وقد اختلف المفسرون في طول تلك المدة) ولو لم يكن ثمّ مدة بعيدة وأمد متطاوّل . . . وهذه دقائق ورموز لا تؤخذ من النحاة . . . » .
- (٣) سورة يوسف ١٢/١٤ .
- (٤) سورة يوسف ١٢/٩٣ - ٩٦ .

أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَلَاثًا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرَحُّلِ خَامِسٌ^(١)
 « مراده من ذلك أنهم أقاموا أربعة أيام • ويا عجباً له ، يأتي بمثل هذا البيت السخيف الدال على العبي الفاحش في ضمن تلك الأبيات ^(٢) » •

أقول : ليس الأمر كما ادّعاء من أنه أراد أنهم أقاموا أربعة أيام ، بل قد ذهب بعض المتأدبين إلى أن المقام كان سبعة أيام ^(٣) ، بدليل أنه أقام يوماً ويوماً وثلاثاً فهذه ثلاثة أيام • ثم قال : ويوماً له يوم الترحل خامس فزاد الثلاثة أربعة آخر خامسها يوم الرحيل • وما يشكُّ صاحب الذوق أن هذه العبارة أحسن من قوله : أقمنا بها أسبوعاً ، وإن كان هذا أخصر في اللفظ ، ولكن ذلك له موقع •

سلمنا أن المقام أربعة أيام ، ولكنه كرّر ذلك لمعنى لم يوجد إلا في هذا التكرار ، وهو أن المقام في هذه الحالة مقام وصف لأيام قطعها في لذة ، فأخذ يعددها أفراداً غير جملة ويقول : أقمنا بها يوماً ويوماً ويوماً كالمستلذذ بهيئة كل يوم استحضرها في ذهنه ، وما مر لهم فيها من أنواع اللذات والمسرات ، وهذا أمر متعارف في الخير والشرف يقال : واصلني يوماً في يوم في يوم في يوم ، وهجرني يوماً في يوم في يوم في يوم • ومن هذا قول مروان الأصغر ^(٤) :

سقى الله نَجْدًا وَسَلَامًا عَلَى نَجْدٍ وَيَا حِذَا نَجْدٍ عَلَى النَّأْيِ وَالْبُعْدِ^(٥)
 كرّر ذلك تكلّفاً بذكرها ، وتحرّفاً بالشوق إليها •
 ولله المستسبب حيث قال : (١٠٧ / ب)

- (١) ديوان أبي نواس ص ٣٦١ من قصيدة مطلعها :
 ودارِ ندامى عطيلوها وأدلجوا بها أثرٌ منهم جديدٌ ودارسٌ
 وكذا في طبقات ابن المعتز ص ٢٠٦ .
 (٢) المثل السائر ٢٤/٣ « ومراده من ذلك أنهم أقاموا بها أربعة أيام ... » .
 (٣) انظر ما جاء في شذرات الذهب ٣٤٦/١ .
 (٤) هو مروان بن أبي حفصة ويكنى أبا السمط . انظر طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٩٢ والأغاني ٨٠/١٢ .
 (٥) البيت في أول ثلاثة أبيات في الأغاني ٨٠/١٢ .

أبا شجاعٍ بفارسٍ عضدٍ الدَّ و لَهْ فَنَّا خُشْرُوْهُ شَهْنِشَاهَا
أَسَامِيًّا لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً وَإِنَّمَا لَذَّةٌ ذَكَرْنَاهَا (١)

[حول الاعتراض]

قال في النُّوع الثامن عشر في الاعتراض بعدما أورد قول المضرَّب السعدي (٢)
فلو سَأَلْتُ سِرَّاةَ الحَيِّ سَلَّمِي عَلَى أَنْ قَدَّ تَلَوَّنَ بِي زَمَانِي
لَخَبَّرَهَا بَنُو أَحْسَابٍ قَوْمِي وَأَعْدَائِي فَكَلُّ قَدْ بَلَانِي (٣)
« ومن ذلك قول أبي تمام الطائي :

وَإِنَّ الْغَنَى لِي إِنْ لَحِظْتُ مَطَالِبِي مِنْ الشَّعْرِ إِلَّا فِي مَدِيحِكَ أَطْوَعُ (٤) (٥) »

أقول : أي شيء رآه في قول أبي تمام حتى يجعله مُنْخَرَطًا في قول المضرَّب السعدي ؟ ، وأنا لا أعيب البيت من حيث معناه فإنه في غاية الحسن ، وإنما أعيبه من حيث تراكيب ألفاظه فإنها بين تقديم وتأخير ضيِّعا بهجة المعنى وأذهبا طلاوته . ألا ترى أنه يحتاج إلى تقدير وهو : وأنَّ الغنى أطوعُ لي من الشعر إلا في مدائحك إن لحظت مطالبِي . فالمعنى في نفسه في غاية الحسن من البلاغة ، والألفاظ ما

(١) سبق الكلام على هذين البيتين .

(٢) في الحماسة ٥٩/١ سوار بن المضرَّب السعدي ، شاعر إسلامي كان مع قَطْرِيّ ابن الفجاءة وهو من بني سَعْد .

(٣) بيتاه في المصدر السابق وجاء في صدر الثاني « ذوو أحساب قومي » كما ورد البيتان له في الفَيْث المسجَم ٥٨/٢ .

(٤) ديوان أبي تمام - عزام ٣٣٣/٢ من قصيدة قالها يمدح أبا سعيد الثفري . مطلعها :

أَمَا إِنَّهُ لَوْلَا الْخَلِيطُ الْمُوَدَّعُ وَرَبْعُ عَفَا مِنْهُ مَصِيفٌ وَمَرْبَعُ
وَفِي هَبَةِ الْأَيَّامِ ص ٢٩٨ ورد صدر البيت « وان الغنى لي ان لحظت مطالبِي » .

(٥) المثل السائر ٤٥/٣ (الطائي) غير موجودة .

كأنها إلا عتقد الميزان ، أو التخليط الذي يكون في منامات الباذنجان • وما أشبه هذا البيت الا بقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أخوه يقاربته^(١)
ومثل قول أبي تمام قول شرف الدين بن الفارض :

هبي قبل يثني الحب مني بقية أراك بها لي نظرة المتلفت^(٢)
والتقدير فيه : هبي لي نظرة المتلفت قبل أن يثني الحب مني بقية أراك بها •

[حول الكناية]

قال في النوع التاسع عشر في الكناية وقد أورد قوله تعالى (١٠٨ / أ) « أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا »^(٣) (الآية) :

« فأما جعل الغيبة كأكّل الإنسان لحم الإنسان الآخر ، فشديد المناسبة ، لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم ، وتمزيق العرض مماثل

(١) لم أعثر على البيت في ديوان الفرزدق وفي طبعة الصاوي ص ١٠٨ وورد في العقد الفريد ٣٩٢/٥ ومعاهد التنصيص ٤٣/١ وجاء في عجز البيت « أبوه » بدل أخوه . وشرحه صاحب العقد بقوله : « ما مثل هذا المدوح في الناس إلا الخليفة الذي هو خاله » .

وقال العباس في تقديمه « البيت للفرزدق من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك » . وفي طبقات فحول الشعراء ص ٣٠٩ ورد البيت :

وأصبح ما في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبوه يقاربته

(٢) ديوان الفارض ص ٤٧ من قصيدته التائية الكبرى المسماة نظم السلوك . مطلعها :

سقتني حميا الحب راحة مقلتي وكأسي موحيا من عن الحسن جلّت

(٣) سورة الحجرات ١٢/٤٩ .

لأكل لحم مَنْ تَغْتَابُهُ ، لأنَّ أكل اللحم تمزيقٌ على الحقيقة (١) » •

أقول : دعواه أنَّ مناسبة الغيبة بأكل لحم الإنسان لأنها تمزيق عرض والتمزيق أكل ، ليست بواضحةٍ فإنَّ تمزيق العرض من باب أكل اللحم ، وهما كناية عن أمرين معقولين بأمرين محسوسين • والأحسن في مثل هذا أن يقال : لأن الذي يغتاب يذكر مثالب وارتكاب محرّمات وغيرها ممّا يجب فيها على المغتاب الحدث ، ولعل ذلك الحدث يكون ضرب عُنُق أو قطع يدٍ أو جلد ظهر ، وذلك تفصيل أعضاء وتمزيق أجزاء ، فهو أشبه شيء بالأكل ، لأنَّ الأكل يفرّق الأجزاء من الأجسام • ألا ترى قول السراج الورّاق ما أحسنه في هذا المعنى :

ورُبَّ شخصين قطّ ما اجتمعا إلاّ على هَرَّتٍ غائبٍ فهما
ما مرَّ يومٌ إلاّ وعندهما لحمُ رجالٍ أوْ يُولغان دما

مضمن •

وهذا التعليل أنسب ، وبه يتعلّل تمزيق العرض أيضا فأما قوله كنتمزيق العرض ، فإنّه أحال على أمرٍ يحتاج إلى بيان ، وينتقل السؤال من الغيبة إليه ، وبمثل هذه المناسبة التي ذكرتها أنا ، لا يحتاج إلى ذلك •

قال في هذا النوع :

« وأما القسم المختص بما يقبّح ذكره من الكناية ، فإنه لا يحسن استعماله لأنّه عيب في الكلام فاحش وذلك لعدم المراد من الكناية فيه (٢) • فمما جاء

(١) المثل السائر ٦٢/٣ » ... فأما جعل الغيبة كأكل الإنسان لحم إنسان آخر مثله فشدّيد المناسبة جدا .. وتمزيق العرض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغتابه .. » •

(٢) المثل السائر ٧٠/٣ » .. وذلك لعدم الفائدة المرادة من الكناية فيه ... » •

منه قول الشريف الرضي ^(١) يرثي امرأة :

إن لم تكن نصلا فغمد نصال ^(٢) .

أقول : أما هذه الكناية فإنها في غاية الحسن في كون المرأة يتغمد فيها ذلك العضو المخصوص (١٠٨/ب) وليس في بابها مثلها ولا تقبّح من حيث الصناعة وتخيّل المعنى ، وإنما قبّحها بالإضافة إلى المقام ، إن كان المقام مقام تعظيم قدر المَرثِيّ ، لأنها أمٌ ملك أو بنتٌ كبير القَدَر ، أو أختٌ أمير . فإنه ليس من الأدب أن يسمع فيها قريبها هذه الكناية لتعلقها بفرجها وذكر عورتها . كما عيب على أبي الطيب قوله يرثي أمٌ سيف الدولة :

رواقُ العِزِّ فوقَكَ مُسَبِّطِرٌ ومثلكُ عليٌّ ابنُكِ في كمالٍ ^(٣) .

فإنه ليس من الأدب أن يذكر أمَّ السُلطان ويقال : فوقها مُسْتَد ، فإن النفوس الكبار تأنف من ذكر عورات النساء .

ويقال : إن بعض الولاة أُحْضِرَ إليه جماعة من الفسّاق ، فأراد تأديبهم ، فجعلوا يقسمون عليه ولا يزداد عليهم إلا قَسوةً وغِلظةً ، وكان فيهم مُخَنَّثٌ فقال : تنحوا يا حبير ، أكذا يُحَلِّفُ الأمير ثم قال : يا أمير بحياة أمّك ، فاشتد غضبه عليه وهم يجلِدونه ، فقال : بحياة وجهيها ، بحياة عُنُقِها ، بحياة كذا بحياة كذا حتى قال : بحياة سُرَّتِها . فقال الأمير وليس بعد السُرّة إلا الحرّة ^(٤) . أطلقوهم .

وما أحسن قول كشاجم يرثي أمه :

(١) الشريف الرضي واسمه محمد بن الحسين أبو الحسن ، أشعر الطالبيين ،

نقيب الأشراف (ت ببغداد سنة ٤٠٦ هـ) اليتيمة ٢/٢٩٧ - ٣١٥ .

(٢) عن شرح نهج البلاغة ٥/٤١ قال الرضي يرثي امرأة :

إن لم تكن نصلا فغمد نصول غالت له أحداث الزمان بغول

وفي الحاشية هناك « مطلع قصيدة يعزي فيها أبا سعد بن خلف عن أخته » .

(٣) شرح الديوان للبرقوقي ٣/١٧٦ من قصيدة قالها يرثي والده سيف الدولة .

أنشده إياها سنة ٣٣٧ هـ مطلعها :

نعد المشرفية والموالي وتقتلنا المنون بلا قتال

(٤) الحر مخفف وأصله حرح والجمع أحراح ، وقالوا : حرة بمعنى الفرج . قال

الهذلي : جراهمة لها حرة وثيل . انظر لسان العرب بولاق ٣/٢٥٧ (حرح) .

فَأَقْسِمُ لَوْ أَبْصَرْتُنِي عِنْدَ مَوْتِهَا وَجَفَنِي يَسْحُ الدَّمْعِ سَجْلاً عَلَى سَجَلٍ
رَثِيتُ لِنَصْلِ يَأْخُذُ الْمَوْتَ جَفَنَهُ وَأَعْجَبْتُ مِنْ فِرْعَ يَنْوَحُ عَلَى أَصْلِ^(١)

وقد تحسن هذه الكناية من الشريف الرضي في باب التهكم
وتكون نهاية في الحسن . وعلى الجملة فقبح الكناية التي ذكرها ليس لذاتها بل
لأمر عرّض عليها على أنه قد أوردَ بعدها قول الفرزدق يرثي امرأته :

وجفن نصالٍ قد رُزِئتُ فلم أُنحْ عليه ولم أبعثْ عليه البواكيا^(٢)
وقال : « هذا حسن بديع في بابه ، وما كني عن امرأة ماتت بجمع أحسن من
هذه الكناية ولا أفخم شأنًا^(٣) » .

فيقال له : أي شيء حسن هذه وقبح تلك ؟ (١٠٩ / أ)

[حول المغالطات المعنوية]

قال في النوع العشرين في المغالطات المعنوية :

« فنه ما كتبتّه في فصل من كتابٍ عند دخولي إلى بلاد الرُّوم أصِفُ
فيه البرَكْدَ والتَّلَجَ :

ومن صفات هذا البركد أنه يعتقِد الدَرَ في خلفه ، والدَّمْعَ في طَرَفه ،
ولرُبَّمَا تعدّى إلى قَلِيبِ الخَاطِرِ فَأَحَقَّه أَنْ يَجْرِيَ بِوَصْنِهِ ، والأَرْضُ شَهْبَاءُ
غَيْرَ أَنَّهَا حَوْلِيَّةٌ لَمْ تَرْضُ ، ومَسِيلَاتُ الْجِبَالِ أَنْهَارٌ غَيْرَ أَنَّهَا جَامِدَةٌ لَمْ

(١) ديوان كشاجم ص ١٥٦ من مقطوعة قالها يرثي أمه . مطلعها :

أَبْعَدُ مُنْصَابِ الْأَمِّ أَلْفُ مَضْجَعَا وَأَوْيَ إِلَى خَفْضِ مِنَ الْعَيْشِ أَوْ ظِلٍ
وورد في الأول « وعيني تسح الدمع » .

(٢) غير موجود في ديوانه . وورد منسوباً إليه في الصناعتين ٢٠٦ وفيه « ولم أتعَب
عليه البواكيا » وفي الموازنة ٣٧ « ثم أبعث » وكذلك في الذخيرة القسم الأول
من المجلد الأول ١٢٧ وفي نهج البلاغة ٤٠/٥ . وفيها جميعاً « وجفن سلاح » .

(٣) المثل السائر ٧١/٣ .

تُخَضُّ (١) » •

أقول : ثم إنه أخذ يَصِفُ مكان الحُسْنِ في قوله : حولية ولم ترض • وأيُّ كبير حُسْنٍ في هذا حتى يَدَوُّهُ وَيَسْتَشْهَدُ بِهِ • ولكنه معذور إذا وقع في كلامه تورية أن يخطبَ لها ، فكيف به لو قال مثل القاضي الفاضل يَصِفُ البَرْدُ : « في ليلة جمد خمرها ، وخمد جمرها ، إلى يومٍ تودُّ البصلة لو ازدادت إلى قَمُصِها ، والشمسُ لو جرَّتِ النارَ إلى قَرَصِها » •

وقد نظم هذا الجلالُ بن الصَّقَّار (٢) فقال :

ويومٍ قَرَّ بَرْدُ أنفاسِهِ تمزقُ الأوجهُ من قَرَصِها

يومٌ تودُّ الشمسُ من بَرْدِهِ لو جرَّتِ النارَ إلى قَرَصِها (٣)

ومن كلام الفاضل في ليلة كثيرة البرد :

« في ليلة جَمَدِ الماءِ في لبايِدِها حتى ثَقُلَ متنها ، وانعكستِ القاعدةُ في التشبيه حتى صارَ كالجبالِ عَهنُها » •

وقال الصاحب جمالُ الدين ابن مطروح :

انظُرْ تجِدْ وجهَ البسيطةِ أبيضاً لم تَبْدُ فيه شامةٌ سوداءُ

كَرَّمَ السَّحابُ فَعَمَّ بالثلجِ الشَّرى إنَّ الكريمَ له اليدُ البيضاءُ (٤)

(١) المثل السائر ٧٩/٣ » ... أصف فيه البرد والثلج فقلت .. وربما تعدى إلى قلب الخاطر فأجفَّه أن يجري بوصفه (فالشمس مأمورة والنار مقرورة) والأرض شهباء .. » •

(٢) جلال الدين ابن الصفار واسمه علي بن يوسف المارديني . كاتب شاعر ، كتب الإنشاء لصاحب ماردين قتله التتار سنة ٦٥٨ هـ . انظر النجوم الزاهرة ٢٥٢/٧ .

(٣) بيتاه في فوات الوفيات ١٩٦/٢ وخزانة ابن حجة ص ٣٤٩ . وجاء في عجز الأول « تخمَشُ » بدل تمزق .

(٤) البيتان ليسا في ديوانه .

[وقال] ^(١) : مجير الدين محمد بن تميم :

دنياك مذ وعَدَتْ بِأنك لم تَزَلْ في نِعمةٍ وسعادةٍ لا تنقضي
كانَ الدليلُ على وفاها أنها أَضحتْ تقابلنا بوجهٍ أبيض

وقال مجير الدين أيضا في البرد :

وليلةٍ قرةٍ قد هبَّ فيها نسيمٌ لا تقابله الصدورُ

نسيمٌ يقتشعِرُ الرِّوَضُ منه إذا وافى ويترعدُ الغديرُ (١٠٩/ب)

ثم قال : ومن ذلك ما ذكرته في وصف كريم فقلت : « ولقد نزلتُ منه بمُهَلَّبِي » ^(٢) الصنَّع ، أحفني ^(٣) الأخلاق ، ولقيته فكأنني لم أَرَعْ بلوعة الفراق ، ولا كرامة للأهل والوطن حتى أقول استبدلتُ به أهلاً ووطناً ، وعهدي (١١٠/أ) بالأيام وهي من الإحسان فاطمة فاستولدها بجواره حسناً ^(٤) » ثم أخذ في التَّناء على ذلك .

أقول : غاية ما ذكره أنه استعمل اسم فاطمة ^(٥) والحسن ^(٦) - رضي الله عنهما - تورية وليس هذا بعظيم .

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) مهلبى : لعلها نسبة الى المهلب بن أبي صفرة وكان كريماً ممدحاً . انظر الإصابة ت ٨٦٣٥ .

(٣) أحفني : نسبة إلى الأحنف بن قيس المشهور بالحلم وكرم الخلق . انظر طبقات ابن سعد ٦٦/٧ .

(٤) المثل السائر ٨٠/٣ « ... فكأنني لم أَرع ممن أحب بلوعة الفراق ... حتى أقول إنني قد استبدلت به أهلاً ووطناً .. فاستولدها بجواره حسناً » .

(٥) فاطمة بنت الرسول عليه السلام تزوجها علي وولدت الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب (ت ١١ هـ) انظر طبقات ابن سعد ١٩/٨ .

(٦) الحسن بن علي بن أبي طالب . بويغ في العراق سنة ٤٠ وتنازل لمعاوية سنة ٤١ وتوفي مسموماً . انظر مقاتل الطالبين ص ٣١ .

وما أحسن ما استعمل القاضي الفاضل اسم الحسن ، فقال يخاطب قوماً أشرافاً :

« السعيد من أشبه حديثه قديمه السعيد ، والشرف القديم مقطوع إن لم يصله الشرف الجديد ، والغصن من الدوحة العريقة وإن لم ينم كان من الحطب ، ومحمد صلى الله عليه وسلم كان عمه أبا لهب ^(١) ، وقبيح أن يكون فعلكم القبيح وجدكم الحسن . وأن يكون أولكم قاتل حتى لا تكون فتنة وتقاتلون حتى تكون الفتن » .

وما أحسن قول أبي الحسين الجزّار يمدح سيف الدين علي بن قليج من جملة قصيدة في ذكر الزمان :

وإني لمعتاد لحمل خطوبه إذا كلّ أو أعى من همّ حامله
أقول لفقري : مرّجبا لتيقني بأنّ علياً بالمكارم قاتله ^(٢)

كذا تكون التورية ، وكذا يكون تحيّل التخيّل .

ومما اتفق لي نظمه :

أقول لشاد تغنى لنا وقد قرّح الدمع أجفان عيني
أيا حسن الوجه رجّع وخذ بصوت علي لنا في حسيني

ثم قال : « ومن هذا الأسلوب ما كتبتّه في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان فقلت : وعهدّه بقلمي وهو يتحلّى من البيان بأسمائه ، ويبرز أنوار المعاني من ظلماته ، وقد أصبحت يدي منه وهي حمالة الحطب ، وأصبح خاطري

(١) أبو لهب عبد العزّي بن عبد المطلب ، عم الرسول صلى الله عليه وسلم وبه

نزلت الآية (ت سنة ٢ هـ) . انظر الكامل لابن الأثير ٢/٢٥ .

(٢) في الفيث المسجم ١١٤/٢ البيت الثاني فقط .

أبا جهل^(١) (١١٠/ب) بعد أن كان أبا لهب^(٢) .

أقول : قد استعمل القاضي الفاضل مثل هذا كثيرا ، ولهج المتأخرون بمثل هذا فأتوا فيه بالطم والرم^(٣) . قال ابن النبیه^(٤) :

لو لم تكن إبنة العنقود ريقته لَمَّا غدا خدّه القاني أبا لهبِ
تبت يدا عاذلي فيه ووجنته حمالة الورد لا حمالة الحطب^(٥)
وقال ابن سناء الملك في مُعَذَّر :

كنت مثل الظبني ذا غيدٍ صرّت مثل الثور ذا غببِ
وجنة كانت أبا لهبِ رجعت حمالة الحطب^(٦)
وقال :

وصفتك واللاحي يعاند بالعذلِ فكنت أبا ذرٍّ وكان أبا جهلِ
وقلت وأنا في رملٍ مصرَ عند العريشِ :
أتيناعريش الرمل في وقت حرّه فقلنا له تبت يداك أبا لهبٍ
وكم أثلة لا ظلَّ فيها ولا جنى تقابلنا منه بحمالة الحطبِ

- (١) أبو جهل واسمه عمرو بن هشام المخزومي . كان من قتلى المشركين في بدر سنة ٢ هـ انظر عيون الأخبار ١/٢٣٠ .
- (٢) المثل السائر ٨٠/٣ « .. وعهدي بقلمى وهو يتحلى من البيان بأسمائه ، وتبرز أنوار المعاني ... » .
- (٣) انظر المثل في الزهر : ٥٠٠ ، والفاخر ٢٤ ، واللسان (رمم - طمم) وأدب الكاتب (سنة ١٣٥٥) ص ٤٦ والمعنى عنده : البحر والثرى .
- (٤) ابن النبیه واسمه علي بن محمد كمال الدين . شاعر منشئ من أهل مصر ، مدح الأيوبيين وتولى ديوان الإنشاء (ت في نصيبين سنة ٦١٩ هـ) . انظر فوات الوفيات ١٤٣/٢ .
- (٥) بيتاه في خزانة ابن حجة ص ٢٧٥ .
- (٦) ليسا في ديوانه .

ثم قال من فصل :

« وَمِنْ آثَرِ مَسَاعِيهِ أَنَّهُ حَازَ قَفْلَ الْمَكَارِمِ وَمِفْتَاحَهَا ، وَإِذَا سُئِلَ مَنَقِبَةً كَانَ مَنَاعِمَهَا وَإِذَا سُئِلَ مَوْهَبَةً كَانَ مَنَاحَهَا ، وَأَحْسَنُ أَثَرًا مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَخَذَ بِأَعْنَةِ الصَّوَابِ وَالْآنَ جِمَاحَهَا ، وَإِذَا شَهِدَ حَوْمةَ حَرْبٍ كَانَ مَنْصُورَهَا وَإِذَا لَقِيَ مُتَهِجَةً خُطِبَ كَانَ سَفَاحَهَا (١) » .

أقول : وهذا الباب أعني أسماء الخلفاء في الألقاب ، مما جسر الناس على دخوله ، وعبره كلُّ أحدٍ مِنَ المتأدِّبين وتصرَّفَ في مَحْصوله ، فَإِنَّهُ سَكِسُ القِيَادِ فِي التَّوَرِيَةِ إِذَا جَذِبَ وَسَرِيعُ الْارْتِفَاعِ إِذَا أُقِيمَ أَوْ نَصِبَ .
قال ابنُ سناء الملك :

بَايَعْتَهُ يَدُ السَّعَادَةِ وَالْبَيْعَةُ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْهِ الْيَمِينُ
وَاصْطَفَاهُ الرَّأْيُ الرَّشِيدُ عَلَى الْعَامِ .. لَمْ يَهْوِ الْأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ (٢) (١١١/أ)

وقال سيف الدين المَشِيد ابنُ قُزَل :

يَا أَهْلَ وَدِّي دَعْوَةً مِنْ مَدْنَفٍ خَفِيَتْ شِكَايَتُهُ عَنِ الْعَوَادِ
تَاللَّهِ مَا جَلَدِي عَلَيْكُمْ طَائِعٌ كَلَّا وَلَا وَاللَّهِ قَلْبِي الْهَادِي

وقال ابنُ سناء الملك :

بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ يَكُونُ الْمَكْتَفِي بِجَمَالِهِ لَجَمَالِهِ كَالْمَكْتَفِي

(١) المثل السائر ٨١/٣ « ومن أبر مساعيه أنه حاز قفل المكارم ومفتاحها ، فإذا سأل .. أخذ بأعنة الصعاب والآن جماحها ، فإذا شهد ... » .

(٢) ديوان ابن سناء الملك ص ٧٦٧ من قصيدة قالها يمدح القاضي الفاضل سنة ٥٧٥ م مطلعها :

ما ثنيناك لؤلؤ مكنون
مثلها لم تقع عليه العيون

مُستوحشٌ "مُتفرّد" في حُسْنِهِ لا تَعَجِبَنَّ لوَحْشَةَ المُتفرّدِ (١)
وقال مجير الدين محمد بن تميم :

يا مَؤثِراً قَصْدِي حِماةٌ وخِدْمَتِي سُلطانُها مِن بَعْدِ كَلِّ أَمِيرِ
أنا واثقٌ برَشِيدِ رَأْيِكَ طائِعٌ لأَمِينِهِ الهادي إلى المَنصُورِ

ثم قال من فصل : « وما أقولُ إلاَّ أَنَّهُ شَعْرُ بَتْلَكِ المَسرَّةِ المَسروقةِ فأقامَ عليها القَطْعَ ، ورأى العيشَ فيها خَفَضاً فأزالَهُ الرَفْعُ (٢) » .

أقول : وهذا الباب أيضا مما تقدّم ، وسُورُهُ مِمَّا خَرِبَ وتهدّمَ ، قد دخلَ الناسُ فيه أفواجا ، وراقتْ لآلِهم فيه انفرادا وأزْدِ واجا .

قال السَّراجُ الورّاقُ يَرثِي الجَزَّارَ :

رَفَعوكَ وانتصبوا قياما خافِضِي ال أَصواتِ إِذْ جَزَمَ الرَّدَى مِنْكَ العُرَى
وَعَدَوْتَ فِي الأَكْفانِ عَنْهُمْ مَضْمَرا وَهَمَّ يروُنكَ لِلجَلالَةِ مَظْهَرا
إِنَّ الصَّحِيحَ اعْتَلَ مَذْفارَقَتَنَا وَأَيُّكَ وَالْجَمْعَ الصَّحِيحَ تَكْسَرا
وقال أيضا :

نَصَبَ العَدَاوَةَ حاسِدوكَ فَأَعقبوا جَزَمًا لِأَلْسِنِهِمْ وخَفَضَ الشَّانِ
فَمَتى أَراهُمْ أَدْبَروا ورؤوسَهُمْ مَرْفُوعَةً بعواملِ المُرَّانِ (١١١/ب)
وقال شهاب الدين التَّلَعْفَرِي :

وَإِذا التَّيْبَةُ أَشْرَفَتْ وَشَمَمَتْ مِنْ نَفَسِ الحِمَى أَرَجًا كَشَرَ عَيبِ

(١) ديوان ابن سناء الملك ص ٢٦٥ من قصيدة قالها يمدح صاحب صفى الدين :
مطلعها :

كَحَلِّ العِيونِ بِمِرْودٍ مِنْ عَسْجَدٍ فِيهِ الذَّوائِبُ واللَّمى كالإِثْمَدِ

وقد ورد في عجز البيت الأول « لجماله بجماله » . وفي عجز الثاني « بوحشة » .

(٢) المثل السائر ٨١/٣ « ... فأقام عليها حدا لقطع ... فأزاله بعامل الرفع » .

سل° هَضْبَهَا المنصوبَ أين حديثها المرفوعُ عن ذيل الصَّبَا المَجْرورِ (١) وهذا في غاية الحسن من الصناعة ، فإنه أتى بالمنصوب في المنصوب ، وبالمرفوع في المرفوع ، وبالمجورور في المجورور .

وله بيتان آخران في هذا المعنى ، ولكن هذين أحسن وأكمل (٢) .

وعلى الجملة ، فهذه الأشياء قد انتهك المتأخرون حرمتها ، ومنعوا من الآباء عصمتها خصوصاً أسماء الخلفاء كما تقدّم ، وألقاب الإعراب وقد تقدّم ، وأسماء سُورِ القرآن . كما قال أبو الحسين الجزّار يمدح فخر القضاة نصر الله ابن بصّاقة (٣) :

وكم ليلةٍ قد بنّتها معسراً ولي بزُخرف آمالي كنوزٍ من اليسرِ
أقولُ لِفَقْرِي كلما اشتقتُ للمعنى إذا جاء نصرُ الله تبتُ يدُ الفقيرِ

وكما قال أيضاً وقد خلع على شاعرٍ أسودَ ولم يخلع عليه يخاطب جمال الدين ابن رمضان :

غيرُ خافٍ عنك الذي ناله الأسُودُ بالأُمسِ من ندى السُلطانِ
وتمشّيه بالعمامةِ والثَّوبِ ومنديلِ الكُثمِ والطَّيلسانِ
قلتُ إذ فُصِّلَتْ عليه أرى الزُّخرفَ يَتلى بالنَّصْرِ فوق الدُّخانِ

(١) بيتا التلعفري في ديوانه ص ١٨ وفيه في أولهما « وشمنت من أرجائها أرجا » وفي الثاني « أين حديثه » . وكذا وردا في فوات الوفيات ٥٤٧/٢ والفيت المسجم ٨٠/٢ .

(٢) اعلمهما قوله :

تتيه على عشاقها كلما رأت حديث صفات الحسن عن وجهها يروى
فتاة لها في موقف العز حاكم بقتل الوري أعطى لواظتها فتوى
انظر ديوانه ص ٦ .

(٣) نصر الله بن هبة الله المعروف بابن بصّاقة . كاتب مترسل من الشعراء ، ولي كتابة الإنشاء بمصر (ت بدمشق سنة ٦٥٠ هـ) انظر الطالع السعيد ص ٣٨٦ ، والشذرات ٢٥٢/٥ .

وكما قال سيف الدين ابن قزل :

أَقْسِمُ مِنْ جَفْنِي بِالذَّارِيَاتِ °
إِنِّي عَلَى الْإِخْلَاصِ فِي حُبِّكُمْ °
وَمِنْ دُمُوعِ الْعَيْنِ بِالْمُرْسَلَاتِ °
حَتَّى تَرَى رُوحِي فِي النَّازِعَاتِ °
وكما قال الآخر :

أُنَاشِدُهُ الرَّحْمَنَ فِي جَمْعِ شَمِلِنَا
إِذَا مَا غَدَا شِبْهُهُ الْحَدِيدُ فَوَادُهُ °
فَيَقْسِمُ هَذَا لَا يَكُونُ إِلَى الْحَشْرِ
فَوَالْعَصْرِ إِنْ الْعَاشِقِينَ لَفِي خُسْرِ °
(١١٢/أ)

وأسماءُ الكتب كما قال من أبيات :

يَا سَائِلِي مِنْ بَعْدِهِمْ ° عَنْ حَالَتِي
حَالِي إِذَا حَدَّثْتُ لَا جَمَلًا وَلَا °
عِنْدِي جَوِي يَذَرُ الْفَصِيحَ مُبَلَّدًا °
الْقَلْبُ لَيْسَ مِنَ الصَّحَاحِ فَيُتَرَجَّى °
تَرَكُّ الْجَوَابِ جَوَابُ هَذِي الْمَسْأَلَةِ °
لَمَعًا لَا يُضَاحِي لَهَا مِنْ تَكْمِلِهِ °
فَاتَرُكْ مُفَصَّلَهُ وَدُونَكَ مُجْمَلَهُ °
إِصْلَاحُهُ وَالْعَيْنُ سَحْبٌ مُثْقَلَهُ °
وقد ذَكَرَ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ أَسْمَاءً مِنْ تَصَانِيفِ الْأَدَبِ (١) .

كما قال ابن قزَل في مَليح يلعب بالقانون :

تَرَى ابْنَ سِنَاءٍ فِي يَدَيْهِ أَقْلٌ °
قَانُونُهُ الْمُتَرَتِّبُ نَجَاةٌ °
أَقْلٌ °
كُلُّ إِشَارَاتِهِ شِئَاءٌ °
وقد ذَكَرَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي عَلَى قِصَرِ بَحْرِهِ مِنْ مُصَنَّفَاتِ الرَّئِيسِ أَرْبَعَةَ كُتُبٍ .
وكما قال أَبُو الْحُسَيْنِ الْجَزَّار :

(١) هِيَ الْجُمْلُ لِلزَّجَاجِيِّ وَاللُّمْعُ لِابْنِ جَنِي وَإِضْاحٌ لِلْقَزَوِينِيِّ وَالتَّكْمَلَةُ لِلْجَوَالِيقِيِّ .
وَالْفَصِيحُ لثَعْلَبٍ وَالْمُفَصَّلُ لِلزَّمْخَشَرِيِّ وَالتَّجْمَلُ لِابْنِ فَارَسٍ وَالصَّحَاحُ لِلْجَوْهَرِيِّ
وَإِصْلَاحُ الْمُنْطِقِ لِابْنِ السَّكَيْتِ وَالْعَيْنُ لِلخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ .

يا مَالِكِي مَا شَافِعِي إِلَيْكَ إِلَّا أَدَبِي
 حَاشَاكَ أَنْ تَحْتَاجَ فِي التَّنْصِيهِ لِلْمُهَذَّبِ
 وَأَسْمَاءُ مَشَايِخِ الْعُلُومِ كَمَا قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْجَزَارُ :
 إِنَّ فَصْلَ الشِّتَاءِ مِنْذَ نَحَا جِسْمِي أَبَدْتُ بَيَانَهُ الْأَعْضَاءُ
 فِيهِ عَظَمِي الْمَبْرَدُ إِذْ عَنْ الْكِسَائِيَّ وَاحْتَمَى الْفَرَّاءُ
 وَكَمَا قَالَ نَاصِرُ الدِّينِ حَسَنُ بْنُ النَّقِيبِ :

بَا مَنْ مَقَامَاتِهِ فِي الْجُودِ مُذْهَبَةٌ وَمِنْ تَشَارِيفِهِ وَشِيَّ وَدِيَاجُ
 أُعْطِيتَنِي جَسَدًا مُلْقًى وَلَيْسَ لَهُ رُوحٌ وَلِلْبَرْدِ إِقْلَاقٌ وَإِزْعَاجُ
 وَلَيْسَ عَنْ فُرُوقٍ تَحْتَ الْحَرِيرِ غَنًى إِنَّ الْحَرِيرِيَّ لِلْفَرَّاءِ مُحْتَاجُ
 وَكَمَا قَالَ مُجِيرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ تَمِيمٍ :

وَصَادِحَةٌ تَرَدَّدُ لِي غِنَاهَا فَتَطْرَبُنِي وَأَجْهَلُ مَا تَقُولُ
 بِلَحْنٍ حَارٍّ إِبْرَاهِيمُ فِيهِ وَوُزْنٌ لَيْسَ يَعْرِفُهُ الْخَلِيلُ
 (١١٢/ب)

وقد نظم شرف الدين المقدسي ^(١) - رحمه الله - قصيدة تتقارب الخمسين بيتاً ، جمع فيها جملة من كتب التفسير والحديث والفقه والنحو واللغة وغير ذلك ، وذكر مشايخ العلوم وغيرهم . وكلها غزل ، وأسماء البروج الإثني عشر والمنازل . كما قال ابن قزَل :

بَدَرٌ جَعَلَتْهُ الْقَلْبَ أَخِيَّةً لَهُ كِي لَا يَرَاهُ رَقِيئُهُ الْعَوَّاءُ

(١) شرف الدين المقدسي واسمه محمد بن موسى الكاتب ، كتب الإنشاء بمصر وكان حسن الأخلاق ، له شعر ونثر خمس شذور الذهب (ت ٧١٢ هـ) انظر الدرر الكامنة ٢٦٩/٤ ، والشذرات ٣٢/٦ ، كما أورد صاحب فوات الوفيات ٥٢٨/٢ القصيدة التي يشير إليها الصفدي وهي تفصّل بما ذكره .

خَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ رَوْنَقَ حُسْنِهِ وَحَبَّتْهُ رَوْنَقَ ثَغْرِهِ الْجُوزَاءُ
وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ :

بَتْ وَبَدَرُ الدُّجَى ضَجِيعِي وَهُوَ مَوَاتٍ بِلا امْتِنَاعِ
فَقُلْتُ لِلْحَاسِدِينَ لَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ بِالشَّعَاعِ
الْقَلْبُ وَالطَّرْفُ مَنْزِلَاهُ وَهُوَ إِلَى الْآنَ فِي الذَّرَاعِ
وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ (١) فِي مَلِيحٍ يَحْرُثُ :

يَا حَارِثًا تَرَوَى مَقَامَاتِ الْهَوَى عَنْ طَرْفِهِ الْفَتَاكِغِ غَيْرَ مُؤَوَّلِهِ
أَضْحَى يَشْتَقُّ لِحُودَ مَنْ قَتَلَ الْهَوَى فِي حَرِّهِ لَيْسَتْ خُطُوطًا مَهْمَلِهِ
رُوحِي الْفِدَاءُ لِبَدْرِ تَمَّ سَائِقِي لِلثَّوْرِ ، لَيْسَ يَرُومُ غَيْرَ السَّنْبَلِهِ
وَأَسْمَاءُ مُشَاهِيرِ الْعَرَبِ ، كَمَا قَالَ ابْنُ سَنَاءِ الْمُلْكِ :

إِنِّي عَلَى مَا كَانَ شَغْلِي بِالْهَوَى لَمْ يَشْتَغِلْ وَبِطَالَتِي لَمْ تَبْطُلْ
أَنَا جَدُّ أَنْصَارِ النَّبِيِّ لِأَنِّي يَا أَشْهَلَ الْعَيْنِينَ عَبْدُ الْأَشْهَلِ (٢)
(١١٣/٤)

وَكَمَا قَالَ ابْنُ قَزَل :

عُدْتُ فِيهِ جَاهِلِيَّ النَّحْبِ مِنْ غَيْرِ تَعْدِي

(١) الوافي ١١٧/١ وقد أورد الأبيات منسوبة للنور الإسردي .

(٢) ديوان ابن سناء الملك ص ٦٢١ من قصيدة قالها يمدح الملك العادل . مطلعها :

رَجَعَ الْغَرَامُ إِلَى الْحَبِيبِ الْأَوَّلِ فَرَجَعْتُ بَعْدَ تَعْذُلِي لِتَغْزَلِي
وَجَاءَ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ : « إِنِّي عَلَى مَا كُنْتُ شَغْلِي بِالْهَوَى » .

وَجَاءَ عَجَزُ الثَّانِي : « بِالْأَشْهَلِ الْعَيْنِينَ عَبْدُ الْأَشْهَلِ » .

وَالْأَشْهَلُ : ذُو الشَّهْلِ وَهُوَ قَلَّةُ سَوَادِ الْحَدَقَةِ . وَابْنُ عَبْدِ الْأَشْهَلِ حِي مِنْ الْعَرَبِ يَنْسُبُونَ إِلَى صَنْمِ اسْمِهِ الْأَشْهَلُ فَيَقُولُ الشَّاعِرُ : إِنَّهُ فَتَنَ بِالْأَشْهَلِ الْعَيْنِينَ وَصَارَ عَبْدُهُ ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى عَبْدِ الْأَشْهَلِ الَّذِي كَانَ جَدَّ الْأَنْصَارِ .

لحظت عيني عبد شمس وفؤادي عبد مود

وكما قال شمس الدين محمد بن التلمساني :

وما كنت مجنون الهوى قبل أن يرى قلبي من صدغيك في الأسر عاقل
ولو أن قسًا واصف منك وجنة لأعجزه نبت بها وهو باقل (١)

وأسماء المدن ، وأسماء الملل والنحل ، وأسماء أبجر العروض ، وأسماء
القرناء ، وأسماء أشكال الرمل وأسماء الشعراء ، وأسماء منازل العرب
وأماكنها وأشياء غير ذلك .

ولولا خوف الإطالة ، وأنتي لم أضع هذه الأوراق لهذا ، لأتيت بالشواهد
على ذلك . لتعلم أيها الواقف على كتابي هذا أن ابن الأثير - رحمه الله - ما
أتى بظائل ، ولا رقت بكلامه أنفاس الأسفار ولا بثرد الأصائل ، وأتته لو
تأخر وجوده إلى هذا العصر علم أن قوله ليس بحجة ، وأن قطره يغرق في
مثل هذه اللجة ، وأن الناس قد بلغوا محط الرحال وهو إلى الآن في الدلجة .

وما أحسن قول مجاهد الخياط (٢) يهجو أبا الحسين الجزار :

أبا الحسين تادب ما الفخر بالشعر فخر
وما تبللت منه بقطرة وهو بحر
وإن أتيت بيئت وما لبيتك قدر
لم تأت بالبيت إلا عليه للناس حكر (٣)

وقد وضعت كتابا في التورية وسمته « فض الختام عن التورية »

(١) ديوان التلمساني ص ٦٠ من قصيدة مطلعها :

حللت بأحشاء لها منك قاتل فهل أنت فيها نازل أم منازل

وقد جاء في صدر البيت الأول « قبل أن بدا » .

(٢) مجاهد بن سليمان المعروف بالخياط ، من أدباء العوام بمصر ، له شعر وظرف

وأخبار (ت ٦٧٢ هـ) . انظر فوات الوفيات ٢/٢٩٨ ، والنجوم الزاهرة ٧/٢٤٢

(٣) وأبياته في فوات الوفيات ٢/٢٩٩ .

والاستخدام (١١٣/ب) (١) « فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكْشِفَ عَنْ مَاهِيَةِ ذَلِكَ وَتَقِفَ عَلَى مُحَاسِنِهِ ، فَقِفْ عَلَيْهِ ، لَعَلَّهُ يَكُونُ فِيهِ لَكَ زُبْدَةٌ ، أَوْ تَجِدَ فِيهِ عَلَى مَا تَرُونَهُ نَجْدَةٌ . »

ثم قال من فصل يذكر فيه الحمى :

« ولهذا صارت الأدوية في علاجها ليست بأدوية ، وأصبحت أيامٌ نحرها في الناس غير مَبْتَدئةٍ بأيام تَرَوِيَةٍ » .

أقول : ليس في السَّجَّة الأولى طائلٌ وهي كلامٌ فارغٌ . وأما الثانية فما فيها غيرُ التورية بيوم التَّروية لِلنَّحْرِ ، وليس في ذلك أمرٌ كبيرٌ . وما أحسن قول الجزّار :

إِنِّي لَمِنْ مَعْشَرِ سَفَكِ الدَّمَاءِ لَهُمْ دَأْبٌ ، وَسَكْلٌ عَنْهُمْ إِنْ رُمْتَ تَصْدِيقِي
تُضِيءُ بِالِدَّمِ إِشْرَاقًا عِرَاصُهُمْ فَكُلُّ أَيَّامِهِمْ أَيَّامٌ تَشْرِيقٌ (٢)
وأما أبيات المتنبي في الحمى فما لأحدٍ مثلها في حسنها . منها :

وزائرتي كأنَّ بها حياءٌ	فليس تزوزٌ إلاَّ في المنامِ
بذلتُ لها المطارفَ والحشايا	فعافتها وباتتُ في عِظامي
يَضِيقُ الجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا	فتوسَّعَتْ بأنواعِ السَّقامِ
إذا ما فارقتني غسَّلتني	كأنَّ عاكفانِ على حَرَامِ
كأنَّ الصَّبْحَ يطردها فتَجْري	مدامعُها بأربعةِ سِجَامِ (٣)

(١) مخطوط .

(٢) في الفيث المسجم ٦٠/١ ، وخزانة ابن حجة ص ٢٤٨ .

(٤) شرح البرقوقي ٣٤٩/٤ من قصيدة قالها يذكر حمى كانت تغشاها بمصر ،

ويعرض بالرحيل . مطلعها :

مكرومكما يجبلُ عن الملام . ووقعَ فعَالِه فوقَ الكلامِ

وجاء عجز البيت الأول : « فليس تزوز إلا في الظلام » .

وحذا السَّراج الوَرَّاق حذوَه فقال :

وزائرتي وليس بها احتِشامٌ
بها عَهَرٌ وليس لها عَفافٌ
عن الشَّيخ الكبير ولا الغلامِ
(١١٤/أ)

إذا طرقتُ أعاذَ اللهُ مِنها
لها في ظاهري حرٌّ وبَرْدٌ
تلهنوجُ نارُها لحبي طعاماً
وأصواتُ الغِناءِ لها أنيني
تضاجعني على ضَعفي وشيبي
إذا ما فارقتني غسَلتني
سلوتُ عن الكرائم والكرامِ
بقلبي والفتورُ ففي العِظامِ
وتشربُ مِن دمي صِرْفَ المدامِ
فما تَنفَكُ مِن هذا المقامِ
وقد أعييتُ رباتِ الخيامِ
لأنني قد وصلتُ إلى حِمامي

وما أحسن قول أمهدوست الديلمي (١) :

وزائرةٌ تزورُ بلا رقيب
تبيت بباطنِ الأحشاءِ مِنْه
وتمنعهُ لذيذُ العيش حتَّى
أتُّ لزيارتي مِن غيرِ وعْدٍ
وقول ناصر الدين حسن بن النقيب :

أقولُ لنوبةِ الحمى اترْكيني
فقلتُ : كيف يُمكن تركُ هذا
ولا يكُ منك لي ما عشتُ أوبه
وهل يبقى الأميرُ بغيرِ نوبه (٢)

(١) هو أمهدوست بن محمد بن شيرويه الديلمي الشاعر . كان يهجو الصحابة والناس ، ثم تاب وحسنت توبته . انظر فوات الوفيات ١٥/١ . وأبياته في فوات الوفيات ص ١٦ وجاء عجز البيت الثالث « تبغضه لمأكله وشربه » .

(٢) بيتا ابن النقيب في فوات الوفيات ٢٣٣/١ وفي خزانة ابن حجة ص ٢٥٠ .

وقد ظرّف مجير الدين محمد بن تميم في قوله ، وقد حمّ الثور الإسعري^(١) :

أخفّوا شماتتهم لديّ وأقبلوا في زي مقروح الفتّادِ كليم
قالوا بأنّ الثور حمّ فقلت لا يس حول الثور من حم
(١١٤/ب)

هكذا تكون مقاصد أهل الأدب وتورياتهم وأوصافهم ، ليس كما قال ابن الأثير « الأدوية في علاجها ليست أدوية » .

وأقوال الناس في المליح المحموم مشهورة فلا حاجة إلى ذكرها . وكنت في وقتٍ قد كتبت إلى بعض الأصحاب كتاباً أشكو فيه الحمى . من ذلك :

« وينهي لا بل يشكو حاله التي ليس له منها بدّل ، وآلامه التي كلّمت أعضائه فلا يطيق جلدّه قطع ذاك الجدّل ، وحمّاه التي يلدغّه منها عقرب وترميه قوس فليت جسمه مع ذلك حمل ، واتّصال رشح عرقه الذي لا يقال مع بحرّه ساوي من الصبر الجميل إلى جبل ، فأين قولتهم لقيت منها عرق القرربة ، ممّن لقي منها غرق الكربة .

إذا ما فارقتني غسّلتني كأنّا عاكفان على حرام^(٢)

ويعجز المملوك عن وصف ما حصل لرأسه من الصّداع ولجسمه من الصّدوع ، ولآماله المعلقة من القطع ولحظّه من القطوع » .

ثم قال من فصل كتاب إلى ديوان الخلافة يتضمّن فتوح بلدٍ من الكفار :

« والسائر بها فلان ، وهو راوي أخبار نصرها التي صححتها في تجريح الرّجال ، وعوالي إسنادها مأخوذة من طرق العوال ، والليالي والأيام لها

(١) النور الإسعري واسمه محمد بن محمد نور الدين . شاعر فيه مجانة وظرف كف بصره قبل موته (ت سنة ٦٥٦ هـ) . انظر الوافي ١/١٨٨ ، ونكت الهميان ص ٢٥٥ .

(٢) من قصيدة المتنبي السابقة في وصف الحمى - انظر شرح البرقوقي ٤/٣٥٠ .

رُواة» فما الظنُّ برواية الأيام والليال (١) » •

أقول : هذا الفصل ختم به الكتاب الذي عارض به القاضي الفاضل في فتح القدس • وقد أوردته هنا أيضا وادّعى فيه هذه الدّعى ، وأذكرني هنا بقول مجير الدين محمد بن تميم :

إني لأعجبُ في الوغى من فارسٍ حارتْ دقائِقُ فِكرتي في كُنْهِهِ
أدّى الشّهادةَ لي بأنّي فارسُ السّهجاءِ حين جَرَحْتُهُ في وجهِهِ (٢)
(١١٥/أ)

وهو مأخوذ من قول ابن السّاعاتي :

وكائن سقى جيشاً كؤوسَ حمامِهِ
فيا سيفه حَزّت العَدالةَ في العِدَى
وما أحلى قول القاضي الفاضل :

« وعَرَفَ المملوكُ ركوبَ مولانا الملكِ الأفضَل (٤) في القَلْبِ والقد سَخا
السُّلطان على القَلْبِ بِقَلْبِهِ ، وأبرزه حاسراً لِحَرِّهِ ، وهذا الموقف نصّ صحيح
على السُّلْطَنَةِ ، وهو نصّ مطلق كان السيفُ فيه القاضي والنّصرُ البينة ،
عرّسَ به الإسلامُ وكان النّثارُ دنانيرَ غرر الصّواهِلِ ، والتّحايا رياحين أطرافِ
الذّوابِلِ ، فهو - أعزّ الله نَصْرَهُ - السّابِقُ ولاداً وجِهَاداً ، ولقد ولدَ أبوه

(١) المثل السائر ٨٣/٣ « التي صحتها في تجريح الرجال .. » .

(٢) في خزانة ابن حجة ص ٢٦٢ .

(٣) ديوان ابن الساعاتي ٣٤٣/٢ من قصيدة قالها يمدح المعز ابن الملك الناصر سنة ٥٩٧ هـ مطلعها :

عيونَ المِها قلبي بنبْلِكَ مجروحُ ومعنى غرامي فيكَ بالدّمعِ مشروحُ

وجاء في صدر البيت الثاني « في العلا » بدل « في العدى » .

(٤) الملك الأفضَل هو علي بن يوسف صلاح الدين . استقل بمملكة دمشق بعد وفاة أبيه سنة ٥٨٩ ووزر له ابن الأثير . (ت بسميساط سنة ٦٢٢ هـ) .
انظر السلوك للمقريزي ٢١٦/١ ، ووفيات الأعيان ٣٧١/١ .

والِدْهُ وولَدَ الآبَاءُ أولاداً ، والحمدُ لله الذي أنجد الإسلامَ مِنْهُ ومن سيفه بعليٍّ (١) وذو الفقار (٢) وبعثَ (٣) وفي يده سيفُ عمّار (٤) » .
الذي يتعلّق بهذا الموطن السجّعتان الأوليان ، ولكنّ القلم استلذّ هذا التّعَمُّ وقال : معذورٌ مَنْ امتلا ، وغبَّ كؤوس الطّلا .

[الأحاجي والمغالطات في مقامات الحريري]

ثم قال في النوع الحادي والعشرين في الأحاجي :
« وكذلك فعَلَ الحريري في مقاماته ، فإنه ذكرَ الأحاجي التي جعلها على حكم الفتاوى كناية ومغالطةً ، وظنَّ أنّهما من الأحاجي الملتغزة كقوله :
أیحِلُّ للصّائم أن يأكل نهاراً (٥) » . ثمّ إنّ ابن الأثير أخذ يستدلّ على أنّ ذلك من باب المغالطات المعنوية .
وأقول (١١٥/ب) على أنّي ما أدري ما أقول ، هذا الرجل — رحمه الله تعالى — يتصور شيئاً ويلزمُ الناسَ به ، ويرميهم بمساوئِهِ ولم يكونوا أرادوه ولا قالوه .

والمقاماتُ فكتابٌ (٦) اشتهر وحفِظ ، ودُرِس وما اندرس ، وهذه المسائلُ التي أشار إليها قد أودّعها الحريري — رحمه الله تعالى — المقامة الثانية والثلاثين . وهي مائة فتيا ، وسردّها مرتبة على تبويب الفقه ، ولم يُسمَّ ذلك أحجّية ولا لغزاً . بل قال عند ذكرها : « فصمّد له فتىً فتيقُّ اللسان ، جريُّ الجنان وقال : إنّني حاضرٌ ففقهاء الدنيا ، وانتحلت منهم مائة فتيا . فإن

- (١) هو علي بن أبي طالب .
- (٢) ذو الفقار هو سيف العاص بن منبه الذي قتل يوم بدر كافراً ، فصار سيفه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم إلى علي رضي الله عنه .
- (٣) هو عمر بن الخطاب .
- (٤) عمار بن ياسر القحطاني أبو اليقظان ، صحابي من الولاة الشجعان ذوي الرأي . قتل في صيفين سنة ٣٧ هـ وله من العمر ٩٣ سنة . انظر الإصابة ت ٥٧٠٦ ، وحلية الأولياء ١/١٣٩ .
- (٥) المثل السائر ٨٤/٣ « .. فانه ذكر في الأحاجي ... كناية ومغالطة معنوية .. »
- (٦) أراد أما المقامات فكتاب .

كُنْتُ مِمَّنْ يَرْغَبُ عَنْ بَنَاتٍ غَيْرٍ ، وَيَرْغَبُ مِنْنَا فِي مَيْرٍ ^(١) ، فَاسْتَمَعَ وَأَجِيبُ ،
لِتَتَقَابَلَ بِمَا يَجِبُ • فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، إِسْيَبِينَ الْمَخْبَرِ ، وَيَنْكَشِفُ الْمُضْمَرُ ،
فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ •

« قَالَ : مَا تَقُولُ فِيمَنْ تَوْضَعُ ثُمَّ لَمَسَ ظَهْرَ نَعْلِهِ ؟ قَالَ : ابْتَقَضَ وَضَوْءَهُ
بِفِعْلِهِ ^(٢) » حَتَّى فَرَّغَ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَقُلْ أَحْجِيَّةً وَلَا لَغْزًا وَلَا كِنَايَةً وَلَا
مُغَالَطَةً •

وَأَمَّا فِي مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ فَإِنَّهُ قَالَ : « وَرَصَّعْتُهُ فِيهَا مِنَ الْأَمْثَالِ الْعَرَبِيَّةِ ،
وَاللِّطَائِفِ الْأَدْبِيَّةِ ، وَالْأَحْجَايِ النَّحْوِيَّةِ ، وَالْفَتَاوَى اللَّغْوِيَّةِ ^(٣) » فَذَكَرَهَا فِي
الْمُقَدِّمَةِ وَفِي الْمَقَامَةِ الَّتِي اخْتَصَّتْ بِهَا أَنُهَا فَتَاوَى •

وَلَا بَنَ فَارِسَ كِتَابِ سَمَاءِ « فَتَاوَى اللَّغَةِ ^(٤) » وَمِنْهُ اسْتَمَدَّ الْحَرِيرِيُّ ، فَأَيُّ
حَرَجٍ عَلَى الْحَرِيرِيِّ إِذَا سَمِيَ ذَلِكَ فَتَاوَى •

[الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِلْفَازِ وَالْوَصْفِ : أَمْثَلَةٌ مِنْ وَصْفِ السَّفَنِ]

قَالَ : وَعَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ وَرَدَ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ فِي السَّفَنِ :

وَحَشَاهُ عَادِيَّةً بَغِيرَ قَوَائِمٍ عَقْنَمَ الْبُطُونِ حَوَالِكَ الْأَبْدَانِ
تَأْتِي بِمَا سَبَبَتِ الْخِيُولُ كَأَنَّهَا تَحْتَ الْحِسَانِ مَرَابِضُ الْغِزْلَانِ ^(٥)
(١١٦/أ)

- (١) بنات غير : كناية عن الكذب . مير : رزق وصلة . انظر شرح الشريشي اللاحق .
 - (٢) شرح المقامات للشريشي ١٤٣/٣ « ... وقال : إني حاضرت فقهاء الدنيا ، حتى انتحلت منهم مائة فتيا ... » .
 - (٣) المصدر السابق ١٩/١ .
 - (٤) طبع باسم « فتيا فقيه العرب » بدمشق سنة ١٩٥٨ .
 - (٥) المثل السائر ٨٧/٣ .
- والأبيات في شرح البرقوق ٣٩٤/٤ من قصيدة مدح بها سيف الدولة سنة ٣٤٥ هـ مطلعها :
- الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني
وقد جاءت قافية البيت الأول « الألوان » .

أقول : قد عَدَّ هذين مِنَ الإلغاز ، وليساً مِنَ ذلك في شيء ، بل هما مِنَ باب الأوصاف ، لأنَّ اللَّغْزَ مِنَ شرطه أن لا يذكر المُلَغَزُ به صريحاً في الكلام ، وهذا يُخَالِفُ ذلك لأنَّ أبا الطيب قال قبلهما :

فَتَكَلَ الْجِبَالُ مِنَ الْغَدَائِرِ فَوْقَهُ وَبَنَى السَّفِينُ لَهُ مِنَ الصُّلْبَانِ (١)

وهذا تصريح • فهما من باب الأوصاف لا من باب الألغاز •

وانظر إلى قول السَّراج الورَّاق يُلَغِزُ في المركب :

وما هو شيءٌ علينا كبيرٌ ومقصودنا منه شيءٌ يسيرٌ

غداً واحداً وهو جَمْعٌ كما أتاها بذلك الكتابُ المنيرُ

أمّا الأول ، فهو ظاهر على ما فيه من التَّورية • وأمّا الثاني ، فإنه قد نصَّ أئمةُ اللغة على أن الفلَّكَ لفظٌ يستوي فيه المفرد والجمع •

وقد نظمتُ أنا لغزاً في السَّفينة فقلت :

وجاريةٌ حلَّ لي وطؤها ولم يكُ في ذاك ما يمنعُ

ويا عجباً ما أتت ريبةٌ وألزمها أنها تَقْلِعُ

فقول السَّراج وقولي من باب اللَّغْزِ ، لأننا لم نصرح بلفظ المركب ولا السفينة ، وأمّا المُتنبِّي ، فإنه صرَّح بذكر السَّفينة فخرج من هذا الباب ، وهو من باب الأوصاف •

وكذا قول مجير الدين محمد بن تميم : (١١٦ / ب)

عَجِبْتُ لِلْبَحْرِ لِمَا أَنْ رَأَيْتُ بِهِ تِلْكَ الصَّوَارِي وَقَدَّارُ بَتٍ عَلَى الْحَبْكِ

أُظْهِرُهَا لَمْ تَطُلْ إِلَّا وَقَدْ وَكَلَيْتُ حَمْلَ الرِّسَائِلِ بَيْنَ الْفَلَكِ وَالْفَلَكِ

وقوله أيضاً مضمناً :

ولما رَكِبْنَا الْفُلَّكَ وَالْبَحْرُ قَدْ طَمَى وَهَاجَ عَلَيْنَا مَوْجُهُ الْمَتَلَاطِمُ
تَمَشَّتْ لَنَا فِي لُجَّةٍ بِيْطُونِهَا كَمَا تَتَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ
وَابْنُ قَلَاقِسِ الْإِسْكَندَرِيِّ مِمَّنْ أَجَادَ أَوْصَافَ السُّفُنِ فِي عِدَّةِ قِصَائِدٍ • مِنْ
ذَلِكَ قَوْلُهُ وَقَدْ ذَكَرَ الْبَحْرُ :

تَرَى الْمَوَاحِرَ تَجْرِي فِي زَوَاحِرِهِ فَتَرْتَقِي فِي أَعَالِيهِ وَتَنْحَدِرُ
مِنْ كُلِّ سَوْدَاءٍ مِثْلَ الْخَالِ يَحْمِلُهَا بِوَجْهَةٍ مِنْهَا لِلضُّحَى خَفَرُ (١)
وقوله أيضا من قصيدة :

وَقَدْ رَأَيْتُ بِهِ الْأَشْرَاطَ قَائِمَةً لِأَنَّ أَمْوَاجَهُ تَجْرِي بِأَطْوَادِ
تَعْلُو فَلَوْلَا كِتَابُ اللَّهِ صَحَّ لَنَا أَنَّ السَّمَاوَاتِ مِنْهَا ذَاتُ أَعْمَادِ
وَنَحْنُ فِي مَنْزِلٍ يَسْرِي بِسَاكِنِهِ فَاسْمَعْ حَدِيثَ مُقِيمٍ بَيْتِهِ غَادِ
أَبَيْتُ إِنْ بَتَّ وَمِنْهُ فِي مُصَوِّرَةٍ مِنْ ضَيْقِ لِحْدٍ وَمِنْ إِظْلَامِ إِحَادِ
لَا يَسْتَقِرُّ لَنَا جَنْبٌ بِمَضْجَعِهِ كَأَنَّ حَالَاتِنَا حَالَاتُ عُبَادِ (٢)

وله أشياء غيرُ هذه ، أَضْرَبْتُ عَنْهَا خَوْفَ الْإِطَالَةِ (١١٧ / أ) •

وما أَحْلَى قَوْلَ أَبِي الْحُسَيْنِ الْجَزَّارِ :

كُنْتُ فِي كَلْكَةٍ تَطِيرُ بِقَلْعٍ وَهِيَ طَوْرًا عَلَى الْمَنَايَا تَحُومُ

(١) ديوان ابن قلاقس ٤٢ من قصيدة قالها يمدح أبا القاسم بن حجر واخوته مطلعها :

سَفَرْنَا فَعَجَبَ لِرَوْضِ مَالِهِ زَهْرُ إِلَّا الْمِبَاسِمُ وَالْأَلْحَاطُ وَالطَّرُ
كما وردا في الخريدة - شعراء مصر ١٥٨/١ •

(٢) ديوانه ٣٢ وفي الخريدة - شعراء مصر ١٥٠/١ من قصيدة يصف فيها البحر .
وقد قدَّم لها بقوله وقد طال ركوبه للبحر : « وعجبت من حالي في حلي وترحالي ،
فتشوقت الوطن والوطر ، وكلفت الخاطر وصف ذلك الخطر » مطلعها :

لو لم يحرم على الأيام انجادي ما واصلت بين اثنامي وانجادي

أَنظَرُ المَوجَ حَولَها فإِخالُ الـ جِيمُ تاءٌ لِخِيفَتِي وَهي جِيمُ
 لَم أَجدُ لي فيها صَديقاً حَميماً غيرَ أَنِّي بِالماءِ فيها حَميمُ
 وَإِذا ما دَنتُ إلى البَرِّ أَمسى عَندنا مِنْه مَقْعِدٌ وَمَقِيمُ
 يَسجُدُ الجَرَفُ كُلُّما رَكَعَ المَو جُ فَدَأَ بِي هَناكَ التَّسليمُ
 وَقَبِيحٌ عَلَيَّ أَن أَشكِي بَر رَأَ وَبَحراً وَأَنتَ بَرٌّ رَحيمُ

وقال ابنُ السَّاعَاتي وإن كان فيه بعضُ قلق :

ولَمّا تَوَسَّطْنا مَدى النَيلِ غُدوةً ظَنَنْتُ وَقَلْبُ اليَومِ بِاللَّهِوِ جَذَلانُ
 عَشارِيَّةُ انْساناً لَه الماءُ مَقْلَةٌ وليسَ لَها إِلا المَجازيفُ أَجْفافُ
 وَقَد ذَكَرَ القاضِي الفاضِل - رَحِمَهُ اللهُ - المَراكِبَ في مَواطِنَ • مِنْها قَولُه :

« وَوافى الأُسْطُولُ في خَمَسينَ غُرَاباً طائِراً مِنَ القَلْوَاعِ بِأَجَنِحَتِهِ ، كاسِراً
 بِمِخالِبِ أَسْلَحَتِهِ ، فَمَافى شَمَلاً إِلا دَعاهُ إلى الحَينِ ، وَحَقَّقَ ما يَغرِي
 إِلَيهِ مِنَ البَينِ » •

وقولُه : « فَيَمْلَأُها عَلَيهِم جَوارِي في البَحْرِ كالأعلامِ ، وَمُتَدَنّا في اللُجِ سَوائِرُ
 كَأَنها اللَّيالي مَقلَعاتُ بالأيامِ ، وَتَطْلُعُ عَلَينا مَعاشرُ الإسلامِ آمَلاً ، وَتَطْلُعُ عَلَي
 الكُفارِ آجَلاً ، مَسوِّمةٌ تَمُدُّها ملائِكَةُ مَسوِّمةٌ ، وَمُعَلِّمةٌ تَقَدِّمُ حِيازيمَها
 إِقدامَ حَيَزومٍ تَحْتَ الحَزَمَةِ » •

قال : « وَأَحسَنُ مِنْ ذَلكَ وَأَلْطَفُ قَولُ بَعْضِهِم في الخَلْخالِ :

مَلِيجِ اللَّوْنِ مَعشوقِ	وَمَضْرُوبِ بَلا جُرمِ
مَلِيحِ القَدِّ مَمشوقِ	لَه قَدُّ الهالِ عَلَي
عَلَي الأَشاطِرِ في السَّوقِ (١)	وَأَكْثَرُ ما يَشرى أَبْداً

(١) المثل السائر ٨٩/٣ « وَأَحسَنُ مِنْ ذَلكَ كَلَهُ وَالْطَفُ وَأَحلى قَولُ ... » .
 وَوَرَدَتِ الأَبْياتُ في الفِيتِ المَسْجَمِ ٣٥/١ .

أقول : كذا وجدته في النسخة « بالمثل » ووقفت عليه أيضا في كتاب : (١١٧/ب)
« الإعجاز في الأحاجي والإلغاز » للحظيري على هذه الصورة •

والأحسن أن يقال فيه : له شبه الهلال أو شكل الهلال أو طوق الهلال •
فإن قد الهلال غير مناسب • ولكن هذا من قوله فيما تقدم في التفتاح « وعظم
قده » •

وقلت أنا ملغزاً في الخلخال :

ما أصفر داراً على أبيض لأن ولكن قلبه قاس
ورب ساق غص منه وما أحسن هذا الوصف في الناس (١)

وقلت فيه أيضا :

أيا عجباً من صابر صامتٍ ولم يفه بسلام قط في ساعة الضرب
أقام ولم يرح مكاناً ثوى به على أنه أضحى يدور على الكعب (٢)
وإن كان الشيء يذكّر بالشيء ، فما أحلى قول القائل ملغزاً في دملج :

إلى النساء يلتجي وعندهن يوجد
الجسم منه فضة والقلب منه جلد (٣)

[مناقشة الصفدي لابن الأثير في تعليقه على لغز في حمام]

قال : « ووجدت لبعض الأدباء لغزاً في حمام » : ثم إنه ذكره وقال بعد
الفراغ منه : « وهذا من فصيح الألغاز ، ولا يقال في صاحبه إنه في العمى ضائع

(١) في الغيث المسجم ٣٥/١ •

(٢) المصدر السابق ٣٥/١ •

(٣) المصدر السابق ٤٠١/٢ طبعة الإسكندرية •

العكاز (١) » •

أقول : ما السَّجَّةُ الثانية مناسبةٌ للأولى في المدح والتَّعْرِيف ، وما كانت السَّجَّةُ تريد إلا أن يقول بعدها : ولا أنه في الحيوان معدودٌ من البهائم لأنه انفرد بالنطق وامتناز • ! وما رأيت من قرَّط أحداً بمثل هذا التَّعْرِيف ويكون المقامُ مقامَ استحسان وثناء ومدح فيقال : ما هو في العمى ضائع العكاز • وأيُّ مدح في هذا وقد جعله أعمى بعكاز ، وهو أشدُّ (١١٨ / أ) حالاً من الأعمى الذي يمشي بلا عكاز • لأنَّ الذي يعتمد مع عماه على عكازه ، يكون قد جمع بين عمى البصيرة وعمى البصر • والظاهر أنه أراد أن يذكر المعنى فما اتفق له ، والتزم بالزاي فما وجد غير العكاز • وآخر هذه السجعة عجز بيت لأبي الطَّيِّب • وهو :

• ويرى أدَّه البصيرُ بهذا وهو في العمى ضائعُ العكاز (٢)

[من أقوالهم في الحمام]

وعلى ذكر الحمام فلا بأس بذِكْرِ شيء من كلام المتأخرين في هذا الموطن وإيراده •

كتب القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر - رحمه الله تعالى - يستدعي إلى حَمَام (٣) :

(١) المثل السائر ٩٣/٣ « ووجد لبعض الأدباء لغز في حمام ... ولا يقال إن صاحبه في العمى صانع العكاز » وواضح أن العبارة الواردة في المثل مضطربة المعنى وأسلم منها عبارة الصفدي •

(٢) شرح البرقوقي ٣٤٩/٢ من قصيدة قالها بدمشق يمدح علي بن صالح الرُّوذباري الكاتب • مطلعها :

كفرِ تدي فِرِندِ سيفي الجُرارِ لذة العينِ عُدَّة للبرازِ

(٣) انظر رسالته هذه في فوات الوفيات (طبعة ١٩٥١) ٤٥٤/١ - ٤٥٦ •

« هل لك - أطل الله بقاءك إطالة تكرر ع في منهل النعيم ، وتتملى بالسعادة تملى الزهر بالوسمي والنظر بالحسن الوسيم - في المشاركة في جمع بين جنة ونار ، وأنواء وأنوار ، وزهر وأزهار ، قد زال فيه الاحتشام وكل عار ولا عار .

نجوم سماءه لا يعثر بها أفول ، وناجم رخامه لا يغيره ذبول ، تنافست العناصر على خدمة الحال به ، تنافسا أحسن كل فيه التوصل إلى بلوغ مآربه فأرسل البحر ما جسده حسده من زبد ، لتقيل يد أخمصه إذ قصرت هيمته عن تقيل يده ، ولم ير الشراب له في هذه الخدمة مدخلا ، فتكفل وجاء وما علم أن التسريح لمن جاء متطفلا ، والنار رأت أنه عين مباشرتها وأنها بفرص خدمته لا تخل ولأن لها حرمة هداية الضيف في الشرى ، وبها دفع القرى ونفع القرى ، فأعلست ضدّها الماء فدخل وهو حرّ الأنفاس ، وغلت مراجله فلأجل ذلك داخله من صوت تسكابه الوسواس ، ورأى الهواء أنه قصر عن مطاولة هذه المبارك ، فامسك متهيبا ينظر ولكن من وراء زجاجة إلى تلك الدار ، ثم إن الأشجار رأت أن لا شائبة لها في هذه العظوة (١١٨/ب) ولا مساهمة في تلك الخلوة ، فأرسلت من الأمشاط أكفأ أحسن بما تدعو إليه الفرق ، ومرت في سواد العذار الفاحم كما يمر البرق ، وذلك بيد قيّم قيّم بحقوق الخدمة ، عارف بما يعامل به أهل النعيم أهل النعمة ، خفيف اليد مع الأمانة ، موصوف بالمهابة عند أهل تلك المهابة ، لطيف أخلاقا حتى كأنها عتاب بين جحظة (١) والزمان ، وحسن صنعة فلا يمسك يدا إلا بمعروف ولا يسرح تسريحا إلا بإحسان ، أبدا يرى مع طهارته وهو ذو صلف ، ويشاهد مزيلا لكل أذى حتى لو خدم البدور لأزال من وجهه الكلف ، بيده موسى كأنها صباح ينسخ ظلاما ،

(١) جحظة ، واسمه أحمد بن جعفر البرمكي أبو الحسن ، قبيح المنظر ومن ظرفاء عصره ، له شعر (ت سنة ٣٢٤ هـ) ومن تصانيفه كتاب « الطبخ » و « الطنوبريين » ومن أبياته السائرة قوله :

ورق الجو حتى قيل : هذا عتاب بين جحظة والزمان

انظر وفيات الأعيان ١/٢٨٦ ، والديارات ص ٢٨١ ، ومعجم الأدباء ٢/٢٤١ .

أو نسيم" ينفضُ عن الزَّهر أكماما ، إذا أخذَ صابونه أفهمَ مَنْ يخدمُه بما يثمرُه على جسده أنه بحرٌ عجَّاجٌ ، وأنه يبدو منها زبدُ الأعْكَان التي هي أحسنُ مِنَ الأمواج .

فهلهمَّ إلى هذه اللذة ، ولا تعدُّ الحَمَّام دعوة أهل الحراف فرُبَّما كانت هذه من بين تلك الدَّعوات فذَّه » .

وكتب أيضا في محضرِ قِيَمٍ في حَمَّام الصَّوْفَةِ (١) :

« يقول العبدُ الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن عبد الظاهر أنَّ أبا الحجاج يوسف ما برح لأهل الصلاح مَيْمَّما ، وله جُودَةٌ صِنَاعَةٌ استحقَّ بها أن يدعى قِيَمًا ، كم له عند جسدٍ مِنْ مَنْ جسيمٌ ، وكم أقبلَ مُستعملوه تَعْرِفُ في وجوهمهم نضرةَ النَّعِيم ، وكم تجرَّدَ مع شيخٍ صالح في خلوة ، وكم قال وليُّ الله يا بشراي لأتَّه يوسفُ حين أدلى في حوضٍ دلوهُ ، كم خدَمَ مِنَ العلماء والصلحاء إنسانا ، وكم ادَّخر بركتهم لدنيا وأخرى فحصلَ مِنْ كلِّ منهم شفيعين مؤتزرًا وعثريانا (٢) (١١٩/أ) ، كم حرمةِ خدمةٍ له عند أكابر الناس ، وكم له يدٌ عند جسدٍ ومِنَّةٌ على راسٍ ، كم شكَّرتَه أبقارُ البشَر ، وكم كحَّ رَجُلٌ رجُلٌ صالح فتحقَّقَ هنالك أن السَّعادة لتلحظ الحَجَر ، قد ميَّزَ بخدمة الفضلاء أهله وقبيله ، وشكَّرَ على ما يعاب به غيره مِنْ طول الفتيلة ، كم ختمَ تَغْسِيلِ رجُلٍ بإعطائه براءته يستعملها ويخرج مِنْ حَمَّام حارٍّ ، فاستعملها وخرج فكانتْ له براءةٌ وعِتْقٌ مِنَ النار ، كم أوضحَ فَرْقًا ، وغسلَ دَرَنًا مع مَشِيب فكان الذي أنقى فما أبقى ، تتمتعُ الأجسادُ بتطْييبه لحَمَّامه بظلٍّ ممدود وماءٍ مَسْكوب ، وتكادُ كثرةُ ما يخرجُه مِنَ المياه أن يكون كالرَّمَح أنبوبًا على أنبوب ، كم له بَيِّنَةٌ حرٌّ على تكثير ماءٍ يزول به الاشتباه ، وكم

(١) انظر رسالته في فوات الوفيات (طبعة ١٩٥١) ١/٤٥٣ - ٤٥٤ .

(٢) من قول الفرزدق :

ليس الشفيح الذي يأتيك مؤتزرًا مثل الشفيح الذي يأتيك عريانا

انظر القصة في الفاخر ٣١٠ - ٣١١ .

تَجَعَّدَتْ فَبَاءَتْ كَالسُّطُورِ فِي كُلِّ حَوْضٍ فَقُتِلَ هَذَا كِتَابُ الطَّهَّارَةِ بِأَبِ الْمِيَاهِ ،
كَمْ رَأْسٍ انشَدَتْ مُوسَاهُ حِينَ أُخْرِجَتْ مِنْ تَلَحُّقِ الْإِنْبَاتِ خَضِرًا :

وَلَوْ أَنَّ لِي فِي كُلِّ مَنبَتٍ شَعْرَةٌ لَسَانًا يَبْثُ الشُّكْرَ كُنْتُ مُقْصِرًا

أَقُولُ : لَيْسَ يَخْفَى مَا فِي هَذَا الْكَلَامِ مِنَ التَّوَرِيَةِ وَالِاسْتِخْدَامِ وَحَلِّ الْأَيَّاتِ
وَالْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ ، وَلَوْلَا [خَوْفٌ] ^(١) الْإِطَالَةُ لَذَكَرْتُ ذَلِكَ .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ النَّصِيرِ الْحَمَّامِيِّ وَالظَّفَرِيِّ :

لِي مَنَزَلٌ مَعْرُوفُهُ يَنْهَلُ غِيثًا كَالسُّحْبِ
أَقْبَلُ ذَا الْعُذْرَةِ بِهِ وَأَكْرَمُ الْجَارِ الْجَنَّبِ ^(٢)
(١١٩ / ب)

وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

وَكَدَّرْتُ حَمَّامِي بِغَيْمَتِكَ الَّتِي تَكْدِرُ مِنَ لَذَائِهَا كُلَّ مَشْرَبٍ
فَمَا كَانَ صَدْرُ الْحَوْضِ مَنْشَرَحًا بِهَا وَلَا كَانَ قَلْبُ الْمَاءِ فِيهَا بِطَيِّبٍ
وَكُنْتُ يَسْتَدْعِي إِلَى حَمَامِهِ :

مِنْ الرَّأْيِ عِنْدِي أَنْ تَوَاصِلَ خَلْقُوهَ لَهَا كَبِدٌ حَرَّى وَفَيْضٌ عَيْونِ
تُرَاعِي نَجُومًا فِيكَ مِنْ حَرِّ قَلْبِهَا وَتَبْكِي بِدَمْعِي فَارِحِ وَحَزِينِ
غَدَا قَلْبُهَا صَبًا عَلَيْكَ وَأَنْتَ إِنْ تَأَخَّرْتَ أَضْحَى فِي حِيَاضِ مَنْونِ

وَالنَّاسُ فِي مَدْحِ الْحَمَّامِ وَذَمِّهَا أَشْيَاءٌ مُلِحَّةٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ ذِكْرِهَا خَوْفُ
الْإِطَالَةِ .

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) في خزانة ابن حجة ص ٣٣ وقد بدأ عجز الثاني بـ « وأقبل » بدل وأكرم .

[أمثلة على الألفاظ الحسان ومناقشة الفرق بين اللفظ والتعريض]

قال : ومما سمعته من الألفاظ الحسان التي تجري في المحاورات ، ما يحكى عن عمر بن هبيرة ^(١) وشريك النُميري . وذلك أنَّ عمر كان سائراً على برذونٍ له ، وإلى جانبه شريك النُميري ، فتقدمه شريك في المسير فصاح به عمر : اغضض من لجامها . فقال : أصلح الله الأمير ، إنها مكتوبة . فتبسّم عمر ثم قال له : ويحك لم أرد هذا . فقال له شريك : ولا أنا أردته . وكان عمر أراد قولَ جرير :

فغَضَضَ الطرفَ إِنْكَ مِنْ نُمَيْرٍ فلا كُتِبَ بلَغْتَ ولا كِلاباً ^(٢)
فأجابه شريك بقول الآخر ^(٣) :

لا تَأْمَنَنَّ فزاريّاً خَلَوْتَ بِهِ على فُلُوصِكَ وَاكْتَبَها بِأَسْيَارِ ^(٤)

(١) عمر بن هبيرة بن سعد الفزاري أمير من الشجعان تولى الجزيرة والعراق وخراسان في زمن الأمويين (ت نحو ١١٠ هـ) انظر الأعلام ٢٣٠/٥ ، وله أخبار في طبقات ابن سلام ٢٨٧ ، والبيان والتبيين ١٨٩ .

(٢) البيت من قصيدة يهجو فيها الراعي النميري عبيد بن حصين . مطلعها :
أَقْلَتِي اللُّومَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا وقولي ان أصبت لقد أصابا
وفيات الأعيان ١٤٨/٣ ، ونهج البلاغة ٢٩/٥ ، والعقد ٤٦٨/٢ ، وطبقات فحول الشعراء ص ٣٢٠ .

(٣) هو ابن دارة واسمه سالم بن مسافع الفطفاني . شاعر مخضرم نسبته إلى أمه ، كان هجاءً (ت نحو ٣٠ هـ) انظر الإصابة ١٠٨/٢ .

وبيته في شرح نهج البلاغة ٢٦/٥ ، وخزانة البغدادى ٥٥٧/١ ، والعقد ٤٦٨/٢ وفي المثل السائر ٩٥/٣ ، قوله « لا تأمنن فزاريّاً نزلت به » والقصة في العقد الفريد ٤٦٨/٢ ، والكمال (أبو الفضل إبراهيم) ٨٦/٣ ، ونهاية الأرب ١٦١/٣ - ١٦٢ ، وعيون الأخبار (١٩٢٥) ٢٠٢/٢ .

(٤) المثل السائر ٩٤/٣ « ... وذلك أن عمر بن هبيرة كان سائراً على برذون له وإلى جانبه شريك النميري على بغلة ... فتبسّم عمر ثم قال ويحك لم أرد هذا .. » .

[الفرق بين اللغز والتعريض]

أقول : ليس هذا وأمثاله من الإلغاز في شيء ، لأن اللغز (١٢٠/أ) هو أن تذكر شيئاً بصفات يشاركه فيها غيره ، فيرجعُ الذهن في ذلك إلى حيرة لا يدري مصرّفها إلى أي متّصف منها بتلك الصفات ، لكونها تصدّق من جهةٍ وتكذب من أخرى . واشتقاقه من اللغّيزي ، وهي حفر يحفرها اليربوع تحت الأرض ، ويجعلها متشعبة يمنية ويسرة ليخفي أمره على من يقصده ، فإذا طلبه في واحد منها خرج من آخر .

ألا ترى أن السامع إذا سمع قول القائل :

جارية" جاءت من الهند	يحثّها السير إلى القصْد
لها بنات" لسنّ من جنسها	في حدّهم جزن عن الحد
لهم قرون" ولها حافر	وذلك من أغرب ما أبدي
وأعجب الأشياء أولادها	يكلّمون الناس في المهد

أخذ يقول في نفسه : في البيت الأول ، جارية" جاءت من الهند يحثّها السير ، ما في ذا شيء ، فإذا سمع الثاني : لها بنات لسنّ من جنسها ، رجع في الحيرة وفكّر وقال : كيف يكنّ من غير جنس أمّهن . فإذا سمع الثالث : لهم قرون ولها حافر ، زاد في حيرته وقال : لسن هؤلاء ولا أمّهن من الأناسي . فإذا سمع الرابع : يكلّمون الناس في المهد ، تأكّدت حيرته ، ثم رجع إلى أنهن من الأناسي لإثبات المهد والكلام ، وأخذ يعمل فكرته في موجود متّصف بهذه الصفات . فإذا أعبى مال إلى الألفاظ المشتركة ، ونزّله بقوة فكرته وإصابة حدّسه على أن ذلك لا يصدّق إلا على الدست الذي للقاصد وريشه (١٢٠/ب) وما أحلى ما استعمل هذا الشاعر ، السير والحافر والتكليم ، وهكذا يكون اللغز .

وحكاية ثعلب - رحمه الله - مشهورة مع الأعرابي الذي وقف عليه وأنشده مثلغزاً بيتاً بعد بيت وثعلب يقول : هذا كذا ، ثم ينتقل في الثاني إلى غير التفسير الأول ، حتى إذا فرغ الأعرابي من إنشاده قال ثعلب : هذا قلم .

وإذا ثبت هذا في اللغز ، فليس الذي ساقه ابن الأثير من الإلغاز ، وإنما ذلك

من باب التعريض والإشارة ، كأنَّ المتكلم بمثل هذا يعرض للمُخاطب بما قيل ويشير له إلى واقعة وقعت . وما رأيت مَنْ عدَّ مثل هذا لغزا غير ابن الأثير - رحمه الله تعالى - على أنه قال في « المثل » في الكناية والتعريض :

« إنما سمي التعريض بهذا لأنَّ المعنى فيه يفهم من عرض اللَّفظ ، أي : من جانبه ، وعرضُ كلِّ شيء جانبه ^(١) » .

أقول : وكذا واقعة عمر وشريك ، كلُّ منهما فهم مقصود صاحبه من عرض كلامه . فإن « غَضَّ » جانب من قول الشاعر :

فَغَضَّ الطرف (البيت) .

وكذا « الكُتَب » جانب من قوله : « واكتبها بأسيار » . فتعين أنَّ التعريض غير اللُّغز . وهذا شريك صاحب أجوبة حادثة . يقال : إن أهل الكوفة كانوا إذا تمنى منهم أحد شيئا يقول : أتمنى أن يكون لي فقه أبي حنيفة ، وحفظ سفيان ^(٢) وورع مسعر بن كدام ^(٣) وجواب شريك .

ومثل حكاية عمر وشريك ، ما ذكره صاحب الأغاني . قال :

عرَّض معاوية على عبد الرحمن بن الحَكَم ^(٤) خيله ، فمرَّ به فرَس فقال : كيف تراه ؟ قال : هذا سابحٌ . ثم عرض عليه آخر . فقال : وهذا ذو عتالة . ثم مرَّ به آخر فقال : وهذا أجشُّ هزيم . فقال له معاوية : أباي تعرَّض ؟ ! قد

(١) المثل السائر ٥٧/٣ « إنما سمي التعريض ، لأن المعنى يفهم من عرضه . . » .

(٢) هو سفيان الثوري ، كان آية في الحفظ . وقد سبقت ترجمته .

(٣) مسعر بن كدام الهلالي ، أبو سلمه . كوفي من ثقات أهل الحديث (ت ١٥٢هـ) انظر تذكرة الحفاظ ١٨٨/١ .

(٤) عبد الرحمن بن الحكم هو أخو مروان بن الحكم الأموي . شاعر إسلامي كان يهاجي عبد الرحمن بن حسان بن ثابت . انظر الحماسة ٣٠٩/٢ .

علمت ما أردت^(١) ، إنما عرضت بقول النجاشي :

ونجى ابن حربٍ سابحٍ ذو علالةٍ أجشٌ هزيمٌ والرماح دوانٍ

أخرج فلست تساكيني في بلد (١٢١/أ) •

فانظر إلى كلام معاوية — رضي الله عنه — كيف صرح بلفظة التعريض في الموضوعين •

وقد ساق علماء الأدب من هذا الباب جملة في كتبهم • وأما أبو عبد الله محمد بن السيد البطليوسي^(٢) فقد ساق واقعة شريك وعمر بن هبيرة هذه في شرح « أدب الكاتب »^(٣) ، ثم قال بعد الفراغ منها : « عرض له ابن هبيرة بقول جرير ، وعرض له شريك بقول سالم بن دارية • وساق أمثال هذه الواقعة ، وفي الكل يقول : عرض • وهذا صريح من مثل هذا الرجل وهو إمام فيما يقوله وقوله حجة •

وما أحسن قول من قال وما ألطفه :

إسقني خمرةً كرقّةٍ ديني أو كعقلي ولا أقول كحالي

خيفةً من توهم الناس أني قلت هذا في معرضٍ للسؤال^(٤)

(١) النجاشي واسمه قيس بن عمر من كهلان . شاعر هجاء مخضرم ، اشتهر في الجاهلية والإسلام (ت نحو ٤٠ هـ) . انظر الشعر والشعراء ص ٣٢٩ ، وخزانة البغداد ١٠٥/٢ - ١٠٧ ، وسمط اللآلي ص ٨٩٠ ، وبيته في شرح نهج البلاغة ٢٤/٥ ، وفي العقد ٤٦٩/٢ ، وورد في صدر البيت « ونجى ابن هند » . والقصة في العقد الفريد ٤٦٩/٢ ، والأغاني (بولاق) ٧٦/١٢ .

(٢) عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي . من العلماء باللغة والأدب (ت في بلنسية سنة ٥٢١ هـ) . من كتبه « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب » . انظر قلائد العقيان ص ١٩٣ والصلة ص ٢٨٢ .

(٣) انظر الاقتضاب في شرح أدب الكتاب للبطليوسي ص ٥٠ .

(٤) في الفيث المسجم ١٣٥/١ .

ومِن التّعريض قول السّراج الورّاق يُعرّض بطلب صابون :

بعثتُ لك الكتابَ وقلَّ سعيي على رأسي لبابك بالكتابِ
وعُذري عنك في التأخيرِ أدّي تبددتِ الدّواةُ على ثيابي
ونقلتُ من خطِّ السّراج الورّاق - رحمه الله - ما صورته :

كان أبو الحسين النّحوي ^(١) يجلس عند شرابي ، فجاء يوما فوجد في موضعه
قمقم ماورّد . فقال له الشّرابي : يا سيدنا نَشِيل القمقم وتجلس . فقال له :
كيف وقد أمرتني بالقيام مرّتين بقولك : قمقم ؟ !

واتّفق أن أهدي إليّ شخص قممًا فأنشدته :

إنّ كان ذلك قال : قممٌ قممٌ طارِدًا لجليسِهِ بإشارةٍ في القمقمِ
فأنا الذي قعدَ الزمانُ بحظه فأنتى بذلك له ونادى : قمم قمم
(١٢١/ب)

[المبادئ والافتتاحات]

قال في النوع الثاني والعشرين في المبادئ والافتتاحات :

« ومن الحذّاقة في هذا الباب ، أن يُجعل الدّعاء في أول المكاتبات السلطانيات
والإخوانيات وغيرهما متضمّنًا من المعنى ما بُني عليه ذلك الكتاب ، وهذا شيءٌ
انفردتُ بابتداعه ، وتراه كثيرًا فيما انشأته ^(٢) » . ثم قال : « ومن ذلك ما ذكرته
في الهناء بمولود وهو: جدّد الله مكسراتِ المجلس الفلاني، ورسّل صبوح هنائهِ بغبوقه،
وأمتعه بسليله المبشر بطروقه ، وأبقاه حتى يسضيء برأيه ويرمي عني فتوقه ،
وسرّ به أبقارَ المعالي حتى يخلق أعطافها بخلوقه ، وجعله كزرعٍ أخرج شطاه

(١) أبو الحسين النحوي واسمه محمد بن الحسين . الإمام في النحو بعد خاله أبي
علي الفارسي وعليه تتلمذ ، تنقل وأملّى وتسنّم الوزارة غير مرة وله شعر .
انظر اليتيمة ٣٥٣/٤ .

(٢) المثل السائر ١١/٢ « .. ان يجعل الدّعاء في أول المكاتبات ، الكتاب من
السلطانيات والإخوانيات وغيرهما متضمنا من المعنى .. » .

فآزره فاستعَظَ فاستوى على سَوِّقه (١) » •

أقول : هذا وقد عاب على الصَّابي وعلى جماعةٍ من الشعراء في الافتتاحات ،
وادّعى (١٢٢/أ) هذه الدَّعوى ، ثم أتى بمثل هذا الافتتاح في الهناء بمولود •

وليس في أول سَجْنَةٍ ما يدلُّ على أنَّ الهناء بمولود أو خِتان أو عَرس أو
فتح أو عيد أو بَرء من مرض أو غير ذلك من أنواع المَسارِّ ، وإنما دلَّت على
مُطلق الهناء •

وأما قوله : وسرَّ به أبكارَ المعالي حتى تخلق أعطافها بخلوقه ، ما أدري ما في
هذا من البلاغة •

وكتبتُ أنا في هناء بمولود : وزانَ أَفَقَ السَّعادة بنجمه الذي أصبح بازِغا ،
وبلَّغَه في صباه أعلى المفاخر حتى يكون قبل البلوغ لِغايات المعالي بالغا ، وشغَلَ
به السيَّادة فإن قلبها إلَّا من هذا البيت لا يزال فارغا •

وكتبت أيضا : وحفِظَ على غابِ الممالك شِبلَه ، وجعله طليعةَ بشرى لِمَا
بعده كما جاء ساقَةَ خَيْرٍ لِمَا قَبْلَه ، وأَهْلَه لِأَنَّهُ يكون أمامَ صُفوف الحرب
إماما ، كما جعل وجهه للحسن جامعا ويدَه للقبُل قبلة •

وكتبتُ أيضا : وأقر عينَه بهذه القرَّة ، وبلَّغَه نهايات آماله فيه من السُّعود
فإنها مترجمة في هذه الطُّرة ، وجعل الأصيل زعفرانَ هذا الخُلوق والشفق عَقيقة
هذه الدُّرَّة •

وقد كتبتُ جوابا عن كتاب وردَ قرينَ تفاصيل قماش مَطَير • فقلت :
يُقبَلُ الباسِطة لا زالت جُمَل جُودِها مشكورةَ التَّفصيل ، وتُحفُّ بِرَّها
المرقومة تَعْمَل لَوَلِيَّه ما يشاء من مَحارِب وتَمائيل ، ونُقوشُ هداياها تَرمي
نُفوسَ العِدى بالهَلَكِ مِنْ طيورها الأبايل •

(١) المثل السائر ١١٢/٣ « ... مسرات المجلس السامي الفلاني .. وأبقاه حتى
يستضيء بنوره .. وسر به أبكار المعاني حتى تخلق أعطافها .. » •

وعلى ذكر الهناء بالولد . فَمِمَّا جاء في كلام القاضي الفاضل - رحمه الله تعالى - (١٢٢/ب) « وهذا الولد المبارك هو الموفي لاثني عشر ولدا ، بل لاثني عشر نجما مُتَقِدًا ، فقد زاده الله في أنجمه عن أنجم يوسف نجما ، ورآهم المولى يقظة ورأى تلك حُلما ، ورآهم ساجدين له ورأينا الخلق لهم سجدوا ، وهو قادر أن يزيد حدود المولى إلى أن يراهم أباً وجدودا » .

ومن كلامه أيضا : « ونهي أن الله - وله الحمد - رزق الملك العزيز - عز نصره - ولدا مباركا عليا ، ذكراً سويا ، نقيماً تقياً ، من ذرية بعضها من بعض ، ومن بيت كادت ملوكه تكون ملائكة في السماء ومماليكه ملوكاً في الأرض ، في غرة الهلال من جمادى فلهذه الليلة غرّتا هلالين ، بشرتا بالأنواء صادقتين . وأصدر المملوك هذه الخدمة مبشراً بأن الله تعالى لا يخلي مولانا في كل وقت من زيادة أولادٍ يُمْنَحُها ، أو زيادة بلاد يفتَحُها . فهو في كل يوم مبشّر ، بما هو له ميسر ، والفلك بما نرجوه له جارٍ وله مُسمّر ، فيطلع عليه نجومه نجماً نجماً ، وتستهلّ سحبه عليه سَجْماً سَجْماً ، وقد ورد في الأثر أن الولد ريحان الجنة ، فالبوت الكريمة على هذه بساتين ، والأولاد البررة على هذه رياحين ، فلا عفا بستاننا ، ولا ذوى ریحاننا ، وعلا جد بني مولانا الذي هو جدّهم وأبوههم وسلطاننا » .

وقد ادّعى ابن الأثير أنه الذي انفرد بمناسبات المبادئ ، وهذا ما زال غالب الناس يراعيه . وقد نصّ على ذلك ابن خلف (١) في « المنشور البهائي » (١٢٣/أ)

قال : « ومن ذلك مُفتَسَح كتاب إلى ديوان الخلافة ، وساق مقدمة الكتاب ، وفي آخرها : « وقد يُعَبَّرُ عن الكتاب ونائله ، بالسحاب ووابله ، فإن صدر عن يد كيد الديوان العزيز فقد وقع التشبيه موقع الصواب ، وصدق حينئذ قول القائل ، إنّ البَحْرَ عنصر السحاب (٢) » .

(١) مرّت ترجمة ابن خلف ، و « المنشور البهائي » كتاب صنعه لبهاء الدولة البويهى . وهو نشر كتاب « الحماسة » .

(٢) المثل السائر ١١٢/٣ .

أقول : ليس هذا مِنْ التَّحْقِيقِ فِي شَيْءٍ ، وَمَنْ ادَّعَى أَنَّ السَّحَابَ مِنَ الْبَحْرِ ، فَلَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ بِحَقِيقَةِ ذَلِكَ (١٢٣/ب) وكيف والبحر مِلْحٌ أجاج ، والقطرُ الْمُتَنَزِّلُ مِنَ السَّحَبِ عَذْبٌ فَرَاتٌ ؟ •

وقد فَسَّرَ قوله تعالى : « وفي السماء رزقكم وما تُوعَدُونَ » ^(١) « أَنَّهُ السَّحَابُ الَّتِي تُمَطِّرُ ، وَلَوْ كَانَ كَمَا زَعَمَهُ ، لَقَالَ : وفي البحر رِزْقُكُمْ •

وقال الله تعالى : « الله الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا » ^(٢) « ، فَجَعَلَ عِلَّةً مَنَشَأَ السَّحَابِ إِرسَالَ الرِّيَّاحِ ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْبَحْرَ •

وما أحسن قول ابن زيدون :

الْمُشْفِيعُ الْغِنَاءُ وَالْحَمْدُ فِي صَوْبِ الْحَيَا لِلرِّيَّاحِ لَا لِلْغَيْومِ ^(٣)

إِشَارَةٌ إِلَى مَعْنَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ • وَإِنْ كَانَ جَاءَ فِي ذَلِكَ ثَقُلٌ يُوَثِّقُ بِصِدْقِهِ ، يُرَدُّ بِالتَّأْوِيلِ إِلَى هَذَا •

وقد قال أبو العلاء المعري :

وَقَدْ يُجْتَدَى فَضْلُ الْعَمَامِ وَإِنَّمَا مِنَ الْبَحْرِ فِيمَا يَزْعُمُ النَّاسُ نَجْتَدِي ^(٤)
فَاحْتَرَزَ بِقَوْلِهِ : « فِيمَا يَزْعُمُ النَّاسُ » • يَعْنِي : فِي الظَّاهِرِ • وَوَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ فِي الْبَاطِنِ بِخِلَافِ ذَلِكَ •

(١) سورة الذاريات (٢٢/٥١) •

(٢) سورة الروم (٤٨/٣٠) •

(٣) ديوان ابن زيدون - كيلاني ص ٢٠ ، وديوانه ص ٢٨٣ من قصيدة قالها يمدح أبا الحزم بن جهور . مطلعها :

الْهَرَى فِي طُلُوعِ تِلْكَ النُّجُومِ وَالْمُنَى فِي هُبُوبِ ذَاكَ النِّسِيمِ
ورواية الديوان « لِلْمُشْفِيعِ الثَّنَاءُ » •

(٤) سقط الزند ص ٨٩ من قصيدة مطلعها :
إِلَيْكَ تَنَاهَى كُلُّ فَخْرٍ وَسُودِدَ فَائِلُ اللَّيَالِي وَالْأَنَامِ وَجَدَّدَ

وما أحسن قول الحسين بن مطير ^(١) يصف مطرا :

لو كان من لُجَجِ السَّوَاهِلِ ماءٌ لم يبقَ في لُجَجِ السَّوَاهِلِ ماءٌ

وربما كابر بعضُ الجهال وقال : « إن السحاب من البحر ولكن الرياح تقصّره ^(٢) فيحلّو . ومن هذا قول التهامي :

كالبحرِ تمطرُهُ السَّحَابُ ومالهَا فَخْمَلٌ عليه لأنّه من مائه ^(٣)
(١٢٤ / ١)

وما يليق بهذا المكان غيرُ التّنبية على أنّ المطر ليس من البحر ، وأنّ البحر ليس بعنصر السحاب . وغير ذلك يؤخذ من كتب هذا الفن في الطّبيعيّات .

وما أحلى قول القاضي الفاضل — رحمه الله تعالى :

« وصل كتابه وقد انقضى الربيع وعهدّه ، وصدرَ وارده وقوَّضَ ورْدُهُ ، فنابتَ سطورهُ فأحسنَت النّيابة ، وعرفَ الناسَ ما بينه وبين الربيع من القَرابة ، بل الأُخوة فإنّ أُمهما السحابة » .

قال : « ومن جملة الكتب المشار إليها ، مُفتّح كتاب كتبه إلى بعض الإخوان ، وأرسلته إليه من الموصل ^(٤) » ثم ذكر الكتاب .

(١) الحسين بن مطير الأسدي ، شاعر متقدم من مخضرمي الدولتين ، وله أماديح في رجالهما (ت ١٦٩ هـ) . انظر فوات الوفيات ٢٨٤/١ ، وخزانة البغداد ٤٨٥/٢ وبيته في الحماسة الصغرى ص ٢٨٠ والعقد ٤٦٦/٣ ، من قصيدة يصف فيها المطر مطلعها :

كثرتْ لكثرةٍ ودقّه أطبائُه فاذا تحلب فاضتِ الأطبَاءُ

(٢) في اللسان ٤١١/٦ . ماء قاصر أي بارد . فهل قصد أنها تبرده فيحلّو .

(٣) غير موجود في ديوان التهامي . ونسبه صاحب الفوات ٦١٥/٢ إلى هبة الله ابن الحسين المنعوت بالبديع الإصطرابي الشاعر ، المتوفى ببغداد سنة ٥٣٤ هـ وجاء صدر البيت « كالبحر يمطره السحاب وماله » .

(٤) المثل السائر ١١٣/٣ .

ولما فرّع منه ، بَخْبَخَ لنفسه (١٢٤/ب) وأثنى ، وساق كتباً أُخِرَ في معنى الشّناء على المراسلات الواردة ، ومنها مِنَ الحُسْنِ بعضُ إحسان ، وإذا قرنتَها بكلام الفاصل قلتَ فتى ولا كمالِكِ^(١) ومرعىً ولا كالسَّعدانِ^(٢) .

[من المحاسن افتتاح الكتاب بآية أو حديث أو بيت شعر]

قال : « ومن محاسن هذا الفن ، أن يفتتح الكتابُ بآيةٍ مِنَ آيات القرآن ، أو بخبرٍ مِنَ الأخبار النبوية ، أو بيتٍ مِنَ الشعر ، ثم يُبنى الكتابُ عليه . »
« فمن ذلك ما كتبتُه في ابتداء كتاب يتضمّنُ البشْرى بفتح . وهو :
ومنْ طلبَ الفتحَ الجليلَ فإنّما مفاتيحُه البيضُ الخفافُ الصّوارمُ^(٣)
وقد أخذنا بقول هذا الشاعر الحكيم ، وجعلنا السيِّفَ وسيلةً إلى استنتاج المثلِكِ العقيمِ^(٤) » .

أقول : من محاسن ما وجدته من هذا النوع ، كتاب كتبه القاضي مجيب الدين ابن عبد الظاهر رحمه الله تعالى ، جواباً إلى الأمير شمس الدين آقسنقر ، عن كتاب وردَ منه بفتح بلاد الثوبة^(٥) ، استفتحه بعدَ البسملة بقوله تعالى : « وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فمحونا آيةَ الليل وجعلنا آيةَ النهار مُبصرةً^(٦) »

- (١) انظر هذا المثل في فصل المقال ١٧١ ، ونهاية الأرب ٤٣/٣ ، وريحانة الألبا ٣٥٨/١ و ٣٤٥/٢ .
- (٢) انظر فصل المقال ١٦٨ ونهاية الأرب ٥١/٣ ، والفاخر ٦٤ ، وريحانة الألبا ٣٤٥/٢ .
- (٣) البيت للمتنبي في شرح البرقوقي ١٢٢/٤ من قصيدة قالها يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه ثغر الحدث سنة ٣٤٣ هـ . مطلعها :
على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ وتأتي على قدرِ الكرامِ المكارمُ
وقد ورد في عجز البيت « مفاتيحه » .
- (٤) المثل السائر ١١٨/٣ « ومن محاسن هذا الباب ، أن يفتتح الكتاب بآية من القرآن الكريم ... أو ببيت من الشعر ... » .
- (٥) انظر رسالته في فوات الوفيات (طبعة ١٩٥١) ٥١/١ وما بعدها .
- (٦) سورة الإسراء ١٢/١٧ .

« أدام الله نعمة المجلس ، ولا زالت عزائمه مرهوبة ، وغنائمه مجلوبة ومجنوبة ، وسطاه وخطاه هذه تكف الثوب وهذه تكف الثوبه ، ولا برحت وطأته على الكفار دشنته ، وآماله لإهلاك الأعداء كرماحه ممتدة ، ولا عدمت الدولة بيض سيفه التي ترى بها الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة . »

« صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس تثني على عزائمه التي واثت على كل أمر رشيد ، وأنت على كل جبار عنيد ، وحكمت بعدل السيف في كل عبث سوء (١٢٥ / أ) « وما ربك بظلام للعبيد » . حيث شكرت الضمير الجرد وحملت العيس ، واشتبته يوم النصر بأمره بقيام حروف العلة مقام بعض فأصبح غزو كنيسة سوس كغزاة سيس . »

« ونفذه أننا علمنا فضل الله بتطهير البلاد من رجسها وإزاحة العناد ، وحسم مادة معظمها الكافر وقد كاد وكاد ، وتعجيل عيد النحر بالأضحية بكل كبش حرب يرك في سواد ، وينظر في سواد ، ويمشي في سواد . وتحققنا النصر الذي شفى الشفوس وأزال البؤس ، ومحا آية الليل بخير الشموس ، وخرب دقلقة بجريمة سوس ، وكيف لا يخرب شيء يكون فيه سوس . »

« فالحمد لله على أن صبتحتهم عزائم المجلس بالويل ، وعلى أن أولج النهار من السيف منهم في الليل ، وعلى أن رد حرب حراهم إلى نحورهم ، وجعل تدميرهم في تدميرهم ، وبيّن خيط السيف الأبيض من الخيط الأسود من فجّر فجورهم ، وأطلع على مغيبات النصر ذهن المجلس الحاضر ، وأورث سليمان الزمان المؤمن ملك داود الكافر ، وقرن النصر بعزم المجلس الأنهض ، وأهلك العدو الأسود بميمون طائر النصر الأبيض ، وكيف لا وأقسنقشر هو الطائر الأبيض . وأقر لأهل الصعيد كل عين ، وجمع شملهم فلا يرون من عدوهم بعدها غراب بين ، ونصر ذوي الشيوف على ذوي الحراب ، وسهل صيد ملكهم على يد المجلس وكيف يعثر على السقنقر صيد الغراب ؟ . » . والشكر لله على إذلال ملكهم الذي لان وهان ، وأذاله

بِبَاسِهِ الَّذِي صَرَّحَ بِهِ شَرُّ كُلِّ مِنْهُمْ فِي قِتَالِهِ فَأَمْسَى وَهُوَ عَرِيَانٌ ، وَإِزْهَاقِهِمْ بِالْأَسِنَّةِ الَّتِي غَدَا طَعْنُهَا كَفَمَ الزَّقِّ (١٢٥/ب) غَدَا وَالزَّقُّ مَلَانٌ ، وَدُقُّ أَفْقَيْتَهُمْ بِالسَّيْفِ الَّذِي أَنْطَقَ اللَّهُ بِفَالِهِ أَعْجَمَ الطَّيْرِ فَقَالَ : دُقُّ قَقَا السُّودَانِ •

« وَرَعَى اللَّهُ جِهَادَ الْمَجْلِسِ الَّذِي قَوَّمَ هَذَا الْحَادِثَ الْمُنَادَ ، وَلَا عَدَمَ الْإِسْلَامِ فِي هَذَا الْخَطْبِ سِيْفُهُ الَّذِي قَامَ خَطِيْبًا وَكَيْفَ لَا وَقَدْ أَلْبَسَهُ مِنْهُمْ السُّوَادُ ، وَشَكَرَ لَهُ عَزَمَهُ الَّذِي اسْتَبَشَرَ بِهِ وَجْهَ الزَّمَنِ الْقَطُوبِ ، وَتَحَقَّقَتْ بِلَادُ الشِّمَالِ بِهِ صِلَاحَ بِلَادِ الْجَنُوبِ ، وَأَصْبَحَتْ بِهِ سِهَامُ الْغَنَائِمِ فِي كُلِّ جِهَةٍ تَسْنُهُمْ ، وَمُتَوْنُ الْفَتْوحَاتِ تُمْتَطِي فَتَارَةً يَمْتَطِي السَّيْفُ كُلَّ سَيْسٍ وَتَارَةً كُلَّ أَدْهَمٍ ، وَحَمِيدَ شَجَاعَتِهِ الَّتِي مَا وَقَفَ لَصْدَمَتِهَا السُّوَادُ الْأَعْظَمُ •

« وَلِلَّهِ الْمِنَّةُ عَلَى أَنْ جَعَلَ رُبُوعَ الْعَدُوِّ بِعِزَائِمِ الْمَجْلِسِ حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ ، وَأَقَامَ فُرُوضَ الْجِهَادِ بِسَيُوفِهِ الْمَسْنُونَةِ وَأَنَامِلِهِ الْخَمْسِ ، وَقَرَنَ ثَبَاتَهُ بِتَوْصِيلِ الطَّعْنِ لِنَحُورِ الْأَعْدَاءِ وَوَقَّتْ النُّحْرَ قِيدَ رُمُحٍ مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ • وَنَرَجُو مِنْ كَرَمِ اللَّهِ إِدْرَاكَ دَاوُودَ الْمَطْلُوبِ وَرَدَّهَ عَلَى السَّيْفِ بِعَيْبِ هَرَبِهِ وَالْعَبْدُ السَّوْءُ إِذَا هَرَبَ يُرَدُّ لَا مُحَالَةَ بِعَيْبِ الْهَرُوبِ •

« وَاللَّهُ يَشْكُرُ تَفْصِيلَ مُكَاتِبَاتِ الْمَجْلِسِ وَجُمْلَتِهَا ، وَآخَرَ غَزَوَاتِهِ وَأَوَّلَتِهَا ، وَنِزَالَ مَرَهَفَاتِهِ وَنَزْلَتِهَا ، وَيَجْعَلُهُ إِذَا انْسَلَخَ نَهَارُ سَيِّفِهِ مِنْ لَيْلِ هَذَا الْعَدُوِّ يَعُودُ سَالِمًا إِلَى مُسْتَقَرِّهِ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرِّ لَهَا » •

أُبَيِّنُ هَذَا الْكِتَابَ بِمَجْمُوعِهِ لِمَا فِيهِ مِنَ النُّشُكِ الْمَطْرِبَةِ ، وَالتَّوَرِيَّاتِ الْمُغْرِبَةِ • وَلِلْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ بَيْتَانِ ، وَقِيلَ لَابْنِ السَّقِيبِ • وَهُمَا :

يَا يَوْمَ دُقْتُ قَتْلَهُ وَقَتْلَ عَيْدِهَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ وَكُلِّ مَكَانٍ
مِنْ كُلِّ نَوْبٍ يَقُولُ لِأُمِّهِ نُوحِي فَقَدْ دَقُّوا قَقَا السُّودَانِ^(١)
(١٢٦/أ)

(١) البيتان لابن النقيب الفقيسي في فوات الوفيات ١/٥٣ وفيه في صدر البيت الثاني : « كم فيه زنجي يقول لأمه .. »

[في التخلّص والافتضاب]

قال في النوع الثالث والعشرين في التخلّص والافتضاب ، وقد أورد قول أبي تمام من جملة أبيات :

لا والذي هو عالم " أن " النوى " أجل " وأن " أبا الحسين كريم ^(١)

ثم قال : وهذا خروج من غزل إلى مديح ^(٢) .

أقول : المشهور في هذا البيت أن " أبا تمام قاله :

لا والذي هو عالم " أن " النوى صبر "

وما رأيت من أورده كذا ، ولا وقفت عليه في ديوان على كثرة النسخ به إلا وهو مثبت كما ذكرته . وأما أرباب البلاغة ، فقد ذكروا البيت وعدّوه من العيوب ، لأنّه لا مناسبة بين الصبر والكرم . ولو قيل : إن الزمان بخيل وأبا الحسين كريم ، أو يقول إن النوى صبر " وإن الوصال شهّد " ، كان مناسبا . وما ذكره أحد " فيما علمت إلا وعدّه عيبا ، وهذا عدّه من المحاسن ومثّل به وغير لفظه . والعدالة غير هذا ، وليته أصلحه لما غيره .

ولا بأس بإيراد ثبذ مما جاء للشعراء في هذا النوع . من ذلك قول المعري أبي العلاء وقد ذكر الثوق :

سألن فقلت مقصدا سعيده فكان اسم الأمير لهتن فالا ^(٣)

(١) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ٢٩٠/٣

من قصيدة قالها يمدح محمد بن الهيثم بن شبانه . مطلعها :

أستقى طولهم أجش هزيم وغدت عليهم نضرة ونعيم

وجاء في عجز البيت « صبر » بدل « أجل »

وكذلك جاء في البديع لابن المعتز ص ١١٠ .

(٢) المثل السائر ١٢٣/٣ « وهذا خروج من غزل إلى مديح أغزل منه » .

(٣) سقط الزند ص ٤٨ من قصيدة مطلعها :

أعن وخدر القلاص كشفت حالي ومن عند الظلام طلبت مالا

وقول مسلم بن الوليد :

يقول صحبي وقد جدوا على عجلٍ والخيل تستن بالركبان في الشجَم
أَمَطَلَعَ الشَّمْسُ تبغي أن تؤمَّ بنا فقلت : كلا ولكن مَطَلَعَ الكَرَمُ (١)
وقد أخذه أبو تمام أخذا وفلذه فلذا فقال :

أَمَطَلَعَ الشَّمْسُ تبغي أن تؤمَّ بنا فقلت : كلا ولكن مَطَلَعَ الجود (٢)
(١٢٦ ب)
وأخذه الغزني أيضا ، وسبكه فلبكه اذ قال :

تقول إذا حشناها وظللتْ تَنَاجِينَا بَأَلْسِنَةِ الْكَلَالِ
إِلَى أَفْئَقِ الْهَلَالِ مَسِيرُ رَكْبِي فَقُلْنَا : بل إلى أَفْئَقِ النَّوَالِ (٣)
وقول علي بن الجهم (٤) :

وليلة كَحَلَّتْ بِالنِّقْسِ مَقْلَتَهَا أَلْقَتْ قِنَاعَ الدُّجَى فِي كُلِّ أَخْدُودِ

(١) ديوان مسلم ص ٣٤٠ .

(٢) ديوان أبي تمام - عزام ١٣٢/٢ - وهو ثاني بيتين قالهما في عبد الله بن طاهر وقد خرج إليه . مطلعها :

يقول في قَوْمَسٍ صحبي وقد أخذتْ منا السُّرى وخطا المهرية القودِ
وجاء في صدر البيت « تنوي أن تؤم بنا » . وفي الأغاني ٣٩٥/١٦ « تبغي أن تؤم بنا » .

(٣) مخطوطة ديوان الغزي المصورة ورقة ١٦ ، وفي هبة الأيام ص ١٣٨ من قصيدة قالها يمدح الوزير مجد الدين أبا المعالي هبة الله بن المطلب ببغداد . مطلعها :
تجود الأخيصة بالخيال وعقد الجو منتظم اللالي
وجاء في صدر البيت الأول : « فظلت » بالفاء .

(٤) علي بن الجهم أبو الحسن . شاعر من أهل بغداد معاصر لأبي تمام وبينهما مودة .
قربه المتوكل ثم نفاه . قتله جماعة وهو في طريقه الى الفزو سنة ٢٤٩ هـ .
أنظر الأغاني ٢٠٣/١٠ - ٢٣٤ ، ووفيات الأعيان ٣٤٩/١ ، وبيتاه في ديوانه ص ١٢٨ وقد جاء في صدر البيت الأول « ليلة كحلت » وفي صدر البيت الثاني « قد كاد تفرقني » . كما وردا في الغيث المسجم ١٢١/١ .

- تكاد تغرقني أمواجٌ ظلمتِها لولا اقتباسي سناً من وجهِ داوودِ
وقول القائد أبي عبد الله السنبسي^(١) يمدح سيفَ الدولة صدقةَ بن منصور^(٢) :
- ونرجسٍ خضيلٍ تحكي نواظره أحداقَ تبرٍ على أجفانٍ كافورِ
كأنما نشره في كلِّ باكرةٍ مسكٌ تضيّع أوزكر ابن منصور^(٣)
وقول ابن سناء الملك :
- لا يرجع الكلف المشوق عن الهوى أو يرجع الملك العزيز عن الندى^(٤)
وقوله أيضاً :
- فالوجد لي وحدي دون الوري والمثلك لله وللظاهر^(٥)
وقول ابن الساعاتي :
- وجدي وإن كنت الذليل بيضيه وجد العزيب كل لدنٍ أسمر^(٦)

- (١) أبو عبد الله السنبسي واسمه محمد بن خليفة ، شاعر قائد أقام بالحلة عند صدقة بن منصور (ت ٥١٥ هـ) انظر الوافي ٤٨/٣ ، والباليات ١٤/١ .
- (٢) صدقة بن منصور الأسدي سيف الدولة ، أمير بادية العراق وباني مدينة الحلة . شجاع طموح (ت سنة ٥٠١ هـ) . انظر وفيات الأعيان ٢٢٩/١ ، ومروءة الزمان ٢٥/٨ ، والكامل لابن الأثير ١٥٤/١ .
- (٣) البيتان في فوات الوفيات ٤٠٢/٢ من مقطوعة مطلعها :
- قم فاسقنيها على صوتِ النواخير حمراء تشرق في ظلماء ديجور
وفي الغيث المسجم ١٢٧/١ وجاء في صدر البيت الأول « تحكي أزاهره » ، وفي الباليات ١٥/١ .
- (٤) ديوان ابن سناء الملك ص ١٥٣ من قصيدة قالها يمدح الملك العزيز . مطلعها :
أما الغرام بها فعاد كما بدا وهلال وجنتها أضل كما هدى
وورد البيت في الغيث المسجم ١٢٢/١ وجاء فيه « الكلف الذليل » بدل المشوق .
- (٥) ديوانه ص ٢٩٥ من قصيدة قالها يمدح الملك الظاهر غازي . مطلعها :
لهفي من العاذل والعاذر ذا ظلمي فيك وذا ضائري
وورد البيت في الغيث المسجم ١٢٢/١
- (٦) في الغيث المسجم ١٢٢/١

وقوله أيضا :

كَمْ وَقَفْنَا فِيهَا مَعَ الْغَيْثِ مِثْلِي ٠٠٠٠ نَجْتُونَا وَكَافَةً وَغَمَامَا
أَتَخَنَسْتَهُ ظُبَى الْبُرُوقِ جِرَاحًا مَنَهَرَاتٍ سَالَتْ عَلَيْهِ رُكَامَا
وَكَأَنَّ الْعَمَامَ تَقَعُ وَقَدْ جَرَّ ٠٠٠٠ رَدَّ فِيهِ الْمَلِكُ الْمُعِزُّ حُسَامَا^(١)
(١٢٧/أ)

وأحسن من هذا كله قول الشيخ شرف الدين عبد العزيز شيخ الشيوخ بحماسة
من غزل قصيدة يمدح بها النسي - صلى الله عليه وسلم :

فَمَنْ رَأَى ذَلِكَ الْوَرِشَاحَ الصَّبَّ ٠٠٠٠ أَيْمَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ
وَقَوْلُ أَبِي الْحُسَيْنِ الْجَزَارِ يَمْدَحُ جَمَالَ الدِّينِ مُوسَى بْنِ يَغْمُورَ^(٢) :

جَسَرْتُ عَلَى لَثَمِ الشَّقِيقِ بِخَدَّهَا وَرَشَفَ رُمُضَابٍ لَمْ أَزَلْ مِنْهُ فِي سَكْرِ
وَلَسْتُ أَخَافُ السَّحَرَ مِنْ لِحَظَاتِهَا لِأَنِّي بِمُوسَى قَدْ أَمِنْتُ مِنَ السَّحَرِ
وقوله أيضا يمدح فخر القضاة نصر الله بن بضاقة :

وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بَشَّهَا مَعْسِرًا وَلِي بَزُخْرِفِ آمَالِي كَنُوزٍ مِنَ الْيُسْرِ
أَقُولُ لِقَلْبِي كَلِمَا اشْتَقْتُ لِلْغِنَى إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ تَبَتْ يَدُ الْفَقْرِ^(٣)
وعلى ذكر المخلص ، فما أحلى قول السراج الوراق :

لَنْ خَفَّ صَدْرِي لِلْقَوَافِي وَنَظْمِهَا فِي مَنْ وَظَلَّ الْجُودُ عَنِي مَقْلَصُ
وَكَمْ مَطْلَعٍ حَبَّرْتَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ يَقُولُ عَسَى لِي أَوْعَى لَكَ مَخْلَصُ

(١) في الغيث المسجم ١٢٢/١ .

(٢) جاء في « تراجم القرنين » ص ٢٣٥ أن الأمير جمال الدين موسى بن يغمور توفي سنة ٦٦٣ هـ عند توجهه إلى ديار مصر لما كان مع الظاهر بيبرس في محاصرة الفرنج .

والأبيات في الغيث المسجم ١٢٢/١ ، وفي خزنة ابن حجة ص ١٥٧ .

(٣) في الغيث المسجم ١٢٢/١ .

وظرف مَنْ ذم التخلص في بيت واحد حيث قال :

بيننا ذَوَائِبُ مَنْ يُحِبُّ بِكَفِّهِ حَتَّى تَعْلُقَ لِحْيَةَ الْمَدُوحِ^(١)

[التخاص في القرآن الكريم]

قال : « وقال أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي : « إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ خَالٍ مِنَ التَّخْلِصِ^(٢) » . إِنَّمَا هُوَ الْخُرُوجُ مِنْ كَلَامٍ إِلَى كَلَامٍ آخِرَ بَلْطِيفَةٍ ثَلَاثِمِ بَيْنِ الْكَلَامِينَ ، الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ ، وَالَّذِي دَخَلَ إِلَيْهِ » .

[حول أمثلة من ذلك أوردها ابن الأثير من القرآن الكريم]

ثم قال ابن الأثير : « وفي القرآن مواضع كثيرة . من ذلك » :
وأخذ يُتُورَدُ مَا أُورِدَهُ . كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ^(٣) » (١٢٧/ب)^(٤) إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ .

أقول : الذي ذكره ابن الأثير لا يخرج عما قاله الغانمي ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ جَمِيعَهُ مُتَعَلِّقٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، كَالْخُرُوجِ مِنَ الْوَعظِ وَالتَّذْكِيرِ إِلَى الْإِنْذَارِ أَوْ إِلَى الْبِشَارَةِ ، أَوْ إِلَى أَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ أَوْ وَعْدٍ أَوْ وَعِيدٍ ، إِلَّا مَا خَفِيَ تَعَلُّقُهُ فِي الظَّاهِرِ . وَالْإِمَامُ فَيَضَرُّ الدِّينَ رَاعِي هَذَا فِي تَفْسِيرِهِ ، وَتَكَلَّمَ عَلَى عِلَاقَةِ الْآيَةِ بِمَا بَعْدَهَا .

وابن الأثير ما فهمَ كَلَامَ الْغَانِمِيِّ وَلَا عَلِمَ مُرَادَهُ ، وَهُوَ أَنَّهُ أَرَادَ التَّخْلِصَ الَّذِي اصْطَلَحَ عَلَيْهِ الشُّعْرَاءُ ، وَهُوَ أَنْ يَتَخَلَّصَ الشَّاعِرُ فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ ، مِنْ غَزَلٍ أَوْ عِتَابٍ أَوْ وَصَفٍ إِلَى مَا يَدِيحُ . وَمِثْلُ هَذَا لَمْ أَعْلَمْ أَنَّهُ وَرَدَ فِي الْآيَةِ الْوَاحِدَةِ .

(١) في الفيث المسجم ١٢٩/١ .

(٢) هنا ينتهي كلام الغانمي ليبدأ بعده ردّ ابن الأثير .

(٣) سورة الشعراء ٦٩/٢٦ .

(٤) المثل السائر ١٢٨/٣ « وهذا القول فاسد لأن حقيقة التخلص إنما هي الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره بلطيفة ثلاثم بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه ، وفي القرآن الكريم مواضع ... » .

وأما تعلّق الآيّة بما قبلها ، فما شدّد من هذا إلاّ اليسير وذلك في الظاهر ، وإلاّ متى تدبّر الإنسان ذلك وتأمّله حقّ التأمل ، لم يجدّه مقطوعاً إلاّ فيما هو معلوم الاقتضاب .

[نماذج من التخلص في إنشاء ابن الأثير]

قال : « وقد جاءني من التخلّصات في الكلام المنشور أشياء كثيرة . فمن ذلك ما أوردته في كتاب إلى بعض الإخوان أصفّ فيه الرّبيع ، ثم خرجت من ذلك إلى ذكر الأشواق . فقلت : « وكما أنّ هذه الأوصاف في شأنها بديعة ، فكذلك شوقي في شأنه بديع ، غير أنّه بحرّه فصل مكيّف وهذا فصل ربيع^(١) » .

أقول : قد أورد هذا الرجل من تخلّصات الشعراء ، كأبي تمام وأبي الطيب والبحتري وغيرهم أمثلة وما تنبّه لتخلّص وحسنه . أترى مثل هذا يعدّ من التخلّصات ولو كان قال : وشتيق شقّ أكمامه ، ورفع أعلامه ، وملأ من المدام جامه ، وجلا خدّه الأحمر وفيه من السّواد شامه ، وأوقد (١٢٨/أ) نارّه فحكّت جمر أشواقي وضرامه ، لعنة الناس هذا تخلّصا . ثمّ ذكر فصلاً آخر في البرّد ، وادّعى أنّه تخلّص إلى الشوق ، وهو من هذه النسبة . ثمّ ذكر فصلاً آخر في الهدية ، تخلّص منها إلى الشفاعة ، وهو من هذا الضّرْب . ثمّ ذكر فصلاً في ذكر المودّة ، وتخلّص إلى طلب رطب . وهو من هذا القليل .

[التناسب بين المعاني ومناقشة أمثلة من ذلك]

قال في النوع الرابع والعشرين في التناسب بين المعاني ، بعد أن أورد أمثال قول الشاعر :

ألا يا بنّ الذين فئتوا فماتوا أما والله ما ماتوا ليتبقى

(٢) المثل السائر ١٣٢/٣ « . . . غير انه لحره فصل صيف . . . » .

ومالك فاعلمن فيها مقاماً إذا استكملت آجالاً ورزقاً^(١)

وأنكر عديم المناسبة بين أفراد الرزق وجمع الأجل ، وقبحه :

« كنت أرى هذا الضرب واجبا في الاستعمال ، وأنه لا يحسن المحيد عنه ، حتى مرّ بي في القرآن ما يخالفه • كقوله تعالى : « أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفياً ظلاله عن اليمين والشمائل^(٢) » • وأورد قوله تعالى : « أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم^(٣) » •

وقوله تعالى : « حتى إذا ما جاؤوها ، شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم^(٤) » •

أقول : لا مزية في قول الشاعر : آجالاً ورزقاً ، أنه معيب معدود في عدم تناسب المعاني ، وقد ذكره علماء البلاغة ونصّوا عليه • ولو كان قال : أجلاً وأرزاقاً لكان أهون ، فإنّ الأجل واحد ، والرزق متعدّد • وصحة الذوق تأبى مثل هذا •

وأما إيراده هذه الآيات ، فإنه لم ير دالّ الجمع مع الأفراد إلاّ لحكمة (١٢٨/ب) لم يطلع عليها ابن الأثير • وتلك الحكمة أكبر وأعظم من مراعاة المناسبة •

(١٢٨/ب)

ويضرب إلى جهة اليسار فهو واحد ، فإذا زالت الشمس وعادت إلى جهة الغرب ، انعكس الظل وأخذ عن الشمال ثم صار شيئاً فشيئاً وتعددت زياداته وفترت النسبة • كذا لا استقبال القبلة وشرف جهتها •

ودع ذا فإنّ لنظة « الشمائل » أعذب في الجمع من الأفراد وأحلى ، والعرب من عاداتها مراعاة خيفة الألفاظ وعذوبتها مع عدم تناسب المعاني • وأنت قررت

(١) البيتان لأبي نواس في ديوانه (طبعة ١٨٩٨) ص ١٩٢ •

(٢) سورة النحل ٤٨/١٦ •

(٣) سورة النحل ١٠٨/١٦ •

(٤) سورة فصلت ٢٠/٤١ •

(٥) المثل السائر ١٥٨/٣ « وقد كنت أرى هذا الضرب من الكلام واجباً ... حتى مرّ بي في القرآن الكريم .. كقوله تعالى في سورة النحل : .. » •

أَنَّ مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا يَثْقُلُ مُفْرَدًا وَيَخِفُّ جَمْعًا •

وأما السمعُ في الآيتين الكريمتين فإنما أُفْرِدَ لِأَنَّهُ مُصَدَّرٌ ، والمصدر يصدق على القليل والكثير ، فإذا انْدَرَجَ بين جُمُوعٍ كان له حكمُها ، وإذا انْدَرَجَ بين مفردات ، كان في حكمها •

وعلى الجملة فالمصادر جمعُها عِيٌّ ، لأنَّ معنى الكثرة موجود فيها ، أو لِأَنَّهُ بتقدير حذف مضافٍ لَمْ يَحْصُنْ فِي غَيْرِهِ ، كَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ : وَعَلَى حَوَاشِي سَمْعِهِمْ • ولا يستقيم مثله في الأبصار والقلوب •

أما الأبصار ، فلأنها غيرُ مَطْبُوعٍ عَلَيْهَا وَلَكِنهَا مُغْشَّاةٌ • وأما القلوب ، فلأنها غيرُ مَحْوِيَةٍ فِيهَا لِهَوَاشٍ يَقَعُ الْخَتَمُ عَلَيْهَا ، فَكَانَ الطَّبَعُ عَلَى الْقُلُوبِ نَفْسِهَا لَا عَلَى حَوَاشِيهَا • وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ^(١) » لِأَنَّ الظُّلُمَاتِ مِنْ أَجْرَامٍ مُتَكَثِفَةٍ ، وَالنُّورُ مِنَ النَّارِ • فَكَذَا الْيَمِينُ وَالشَّمَالُ •

[مناقشة ابن الأثير في الاقتصاد والتفريط والإفراط]

قال في النوع الخامس والعشرين في الاقتصاد والتفريط والإفراط ، عند ذكر التفريط : (١٢٩/أ) « وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْمَدَحِ أَلْفَاظًا تَخْصُّهُ ، وَلِلذَّمِّ أَلْفَاظًا تَخْصُّهُ ، وَقَدْ تَعَمَّقَ قَوْمٌ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالُوا : مِنَ الْأَدَبِ أَنْ لَا يُخَاطَبَ الْمُلُوكُ وَمَنْ يَقَارِبُهُمْ بِكَافِ الْخَطَابِ • وَهَذَا غَلَطٌ بَارِدٌ » ، فَإِنَّ اللَّهَ الَّذِي هُوَ مَلِكُ الْمُلُوكِ ، قَدْ خُوطِبَ بِالْكَافِ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ فَقِيلَ : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ^(٢) » • وَقَدْ وَرَدَ أَمْثَالُ « فِي مَوَاضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ مَحْصُورَةٌ » ^(٣) •

أقول : استشهداه بهذا ليس مما يَرُدُّ قَوْلَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْأَدَبَ فِي

(١) سورة الأنعام ١/٦ •

(٢) سورة الفاتحة ٤/١ •

(٣) المثل السائر ٣/١٨٧ «... من الأدب أن لا تخاطب الملوك...» وقد ورد أمثال هذا في مواضع من القرآن غير محصورة •

خطاب المثلوك ومَن قاربهم أن لا يكون بالكاف ، لأنَّ هذه فاتحة الكتاب وممَّا يُتلى في كل ركعة ، والقرآن الكريم إنما أنزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن جملة فوائده تنزيه الله عزَّ وجل عن الشريك والولد والزوجة • فلو قيل : إياكم نعبد وإياكم نستعين ، لكان فيه إشعار للمشركين والنصارى بما يقولونه من تعدُّد الآلهة ، وكان شبهةً لمدَّعي ذلك •

وقد وردت رسالة من جزيرة قبرص على يد كِليام الفرنجي التاجر في سنة عشرين وسبعمائة تقريباً ، ووقفت عليها بمدينة صفد ، فوجدت واضعها قد استدلَّ على صحَّة مذهب النصارى في القول بالثالوث ، بأشياء نقلية من القرآن العظيم • بمثل قوله تعالى : « قال ربِّ ارجعون ^(١) » « وكفى بنا حاسبين ^(٢) » • وبمثل هذه الآيات ، وبأشياء آخر يُضحك من الاستدلال بها •

ثم أخذ يستدل على الثالوث بقوله تعالى : « قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق ^(٣) » فذكر ثلاثة ، وهذا شيء يُضحك منه •

على أنَّ بعض الرافضة ، له في القول بصحَّة الزواج بتسعة دليل من هذا النوع • وهو قوله تعالى : « فانكحوا ما طابَ لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ^(٤) » (١٢٩/ب) وقال : هذه العِدَّة مجموعها تسعة ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - مات عن تسع نسوة •

وأما هذه الرسالة القبرسية ، أجاب عنها الشيخ تقي الدين بن تيمية ^(٥) - رحمه الله - في مجلدين ، وعَبَثَ بها مُدَّةً وأولع بها •

(١) سورة المؤمنون ٩٩/٢٣ •

(٢) سورة الأنبياء ٤٧/٢١ •

(٣) سورة البقرة ١٣٣/٢ •

(٤) سورة النساء ٣/٤ •

(٥) تقي الدين بن تيمية ، واسمه أحمد بن عبد الحليم الحنبلي ، شيخ الإسلام . نبغ واشتهر وساد الأئمة في عصره له أثر بارز في أحداث زمنه ، سجن غير مرة ، كان كثير البحث والتفسير ، تزيد مؤلفاته على أربعة آلاف كراسه ، توفي معتقلاً بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ . أنظر الدرر الكامنة ١/١٤٤ ، والنجوم ٩/٢٧١ •

فإن قلتَ بمِثْلِ قوله تعالى : « ربِّ ارجعون » « وكفى بنا حاسبين » يُشكِّلُ عليك فيما قرَّرْتَهُ في الفاتحة ، قلتُ : ثبتَ لنا في القرآن مِن غير هذا ، وقامت الأدلة على الوحدانية بمِثْلِ قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ^(١) » ، وإذا جاء مثل هذا عَلِمْنَا أَنَّهُ المُراد به التَّعْظِيم . وما أَخَذَ النَّاسُ خِطَابَ الْعَظِيم بلفظ الجَمْع إلاَّ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيم ^(٢) .

والعلَّةُ في أنَّ الْمُعْظَمَ نَفْسَهُ يَقُولُ : نحن فعلنا وأمرنا . . وما أشبه ذلك ، هو أَنَّهُ لَا يَقُولُ هَذَا إِلَّا مَنْ هُوَ مُطَاعٌ مُعْظَمٌ فِي قَوْمِهِ ، وَلَا يَكُونُ الْمُطَاعُ إِلَّا مَنْ لَهُ أَتْبَاعٌ وَخُدَمٌ يَقُولُونَ بِقَوْلِهِ ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى مَا يَقُولُهُ . كصاحب المذهب يقول : رأينا ، ومذهبنا . أي أنا وَمَنْ يَقُولُ بِهَذَا الْقَوْل .

ولهذا ، الفُتُوهَاءُ وَالنُّظَارُ يَقُولُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ : لَا نَسْأَلُكُمْ . وَيَكُونُ وَاحِدًا لِغَيْرِهِ ، وَالْمُرَادُ أَنَّ هَذَا أَمْنُهُ أَنَا وَمَنْ وَافَقَ قَوْلِي . فلما كَانَ الْمُتَكَلِّمُ إِذَا كَانَ عَظِيمًا قَالَ : نحن فعلنا ، حَمِلَ عَلَى ذَلِكَ خِطَابَهُ فَقِيلَ لَهُ : أَنْتُمْ فَعَلْتُمْ لِيَكُونَ ذَلِكَ مُقَابَلَةً لِمَا يَقُولُهُ .

وَأَمَّا فِي هَذَا الْعَصْرِ ، فَقَدْ اسْتَرَاخَ النَّاسُ مِنْ خِطَابِ الْمُلُوكِ فِي مَكَاتِبَاتِهِمْ وَغَيْرِ مَكَاتِبَاتِهِمْ مِنَ الْكَافِ وَمِنْ ضَمِيرِ الْجَمْعِ . فَإِنَّهُ لَا يَقَالُ إِلَّا : الْمَرَامُ الشَّرِيفَةُ ، وَالْأَرَاءُ الشَّرِيفَةُ ، وَالصَّدَقَاتُ الشَّرِيفَةُ ، وَالْأَبْوَابُ الشَّرِيفَةُ ، إِلَّا مَا كَانَ يَجِبُ الشَّرَفُ أَنْ يَنْعَتَ بِهِ مِثْلُ : الْإِسْطِبَلِ ، وَالْمَنَاخِ وَالْمَطَابِخِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ يَنْعَتُ (١٣٠ / أ) بِالسَّعِيدَةِ .

وَأَنْ كَانَ الْمُتَكَلِّمُ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ قَالَ : رَأْسُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ - خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ - وَكُلُّ شَيْءٍ يَذْكُرُهُ ، أَضَافَهُ إِلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ .

(١) سورة الأنبياء ٢١/٢٢ .

(٢) انظر ما جاء في أدب الكاتب (سنة ١٣٥٥) ص ١٨ .

[المفاضلة بين التسميتين : الإرصاء والتوشيح]

قال في النوع الثامن والعشرين في الإرصاء :

« ورأيت أبا هلال العسكري ^(١) قد سمى هذا النوع : التوشيح ^(٢) . وليس كذلك ، بل تسميته بالإرصاء أولى ^(٣) » .

أقول : هذا الإرصاء الذي ذهب إلى أنه أليق من التوشيح بالمعنى الذي قرره ، مثاله قول البحري :

أحلت دمي يومَ الفراقِ وحرمتَ بلا سببِ يومَ اللقاءِ كلامي
وليس الذي حكمتَه بمحللٍ وليس الذي حرمتَه بحرام ^(٤)

وهو أن الشاعر يأتي بنصف بيت يفهم منه النصف الثاني ، أو صدر يفهم منه العجز ، أو من البعض يفهم الكل ، وهو دليل التمكن وجودة الطبع .

ووجه المناسبة بين هذا المعنى وبين التوشيح ، أن ينزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح ، وينزل دلالة ما في أوله على آخره منزلة الورشاح الجائل عليهما . وهذا معنى لائق بهذا المسمى ، ونفس اللفظ أعذب في السمع من « الإرصاء » .

قال : « وقد سلك قوم في منشور الكلام ومنظومه طرقاً خارجة عن موضوع علم البيان وهي بنجوة عنه ، لأنها في واد وعلم البيان في واد » .

- (١) أبو هلال العسكري واسمه الحسن بن عبد الله صاحب « الصناعتين » له ديوان شعر (ت بعد سنة ٣٩٥ هـ) . انظر خزانة البغدادي ١١٢/١ .
- (٢) الصناعتين ص ٣٨٢ وفيه « ولو سمي تبيننا لكان أقرب » .
- (٣) المثل السائر ٢٠٧/٣ .
- (٤) ديوان البحري ١٥/١ من قصيدة قالها يمدح المتوكل . مطلعها :
الا هل أناها بالمغيب سلامي وهل خبرت وجدي بها وغرامي
وقد ورد في صدر البيت الأول : أحلت دمي من غير جرم ...

« فَمِمَّنْ فعل ذلك الحريري صاحب المقامات ، فَإِنَّه ذكر تلك الرسالة (١) التي هي كلمة "مُعْجَمَة" وكلمة مُهْمَلَة " ، والرسالة (٢) التي هي حَرْف " مِنْ حروف ألفاظها معجم والآخرة غير معجم .

« ونظمَ غيرُه شعرا ، آخر كل بيت منه ، أول البيت الذي يليه . وكلُّ هذا وإنْ تَضَمَّنْ مَشَقَّةً مِنَ الصَّنَاعَةِ ، فإنه خارج عن باب الفصاحة والبلاغة (٣) » .

(١٣٠ / ب)

أقول : إنَّ الحريري — رحمه الله تعالى — لم يأت بما أتى به من هذه الأنواع وادَّعى أنَّ هذا هو الفصاحة والبلاغة ، وإنما أتى بذلك ليستوعب أنواع الأدب ، ويبيِّن للأديب ما يلزمه معرفته ، وكلُّ ذلك دليل " القدرة والتَّمَكُّن " .
ولو أنَّ الحريري فعل ذلك في المقامات كلَّها لكان غيرَ حَسَن .

(١٣١ / أ)

ومثلُ هذه الأشياء مِنَ اللَّغْزِ والأُحْجِيَّةِ والأَغَالِيظِ ، والإِيتْيَانِ بالكَلِمَةِ المُعْجَمَةِ وبعدها المُهْمَلَةُ ، وبالحرف المُعْجَمِ وبعده المُهْمَلُ ، أو صَدْرُ بيت كذا وَعَجْزُهُ كذا . . كلُّ ذلك لائق بالمقامات . أما في التَّرَسُّلِ والخُطْبِ ، فإنه يَكْرَهُ وَيُسْتَقْتَل . لأنَّ التَّرْسُلَ ليس المراد منه التَّفَقُّه في الأدب وإنما هو إما لَهْناءٍ أو عَزاءٍ أو شُكْرٍ أو مَدْحٍ أو وَصْفٍ أو استعطافٍ أو عَتَبٍ أو شَوْقٍ أو غير ذلك . ومثلُ هذه الأشياء لا يليق بها التَّكَلُّفُ .

على أنه وإن كان هذه الأنواع في المقامات ، فينبغي أن يكون كاللَّشْمَعِ اليَسِيرَةِ ،

(١) المقامة السادسة « المراغية » شرح الشريشي ١٢٣/١ .
وفي المقامة السادسة والأربعين « الحلبية » المصدر السابق ١٩١/٤ مقطوعة شعرية بهذه الصفة أيضا . مطلعها :

اسمَحْ فَبِتُّ السَّمَاخَ زَيْنٌ وَلَا تُخِبْ آمِلًا تَضِيْفُ

(٢) شرح الشريشي ٤٩/٣ المقامة السادسة والعشرون .

(٣) المثل السائر ٢١٠/٣ . . . والرسالة التي حرف من حروف ألفاظها معجم . . .
آخر كل بيت منه أول البيت الذي يليه . . . » .

فإنها إذا كثرت سَمُجَّتْ • ألا ترى أنَّ العِمَاد الكاتب - رحمه الله تعالى - لمَّا جعل كلامه مشحونا بالجناس لا تكادُ كلمة تخلو من ذلك، ثقل على الأسماع والقلوب، ولم يكن له خِفَّةٌ كلام القاضي الفاضل على القلوب •

وقد يكون الشاعر مُجيدا، فيأتي بنوع من التكلُّف وليس عليه أثرُ الكلفة •
كقول ابن حمديس :

مُزْرَعٌ الصَّدْعُ يَسْطُو لِحْظُهُ عَبَسًا بِالْخَلْقِ، جَذْلَانُ أَنْ أَشْكُ الْهُوَى ضَحِكًا
لَا تَعْرِضَنَّ لُورْدٍ فَوْقَ وَجْنَتِهِ فَإِنَّمَا نَصَبَتْهُ عَيْنُهُ شَرَكًا^(١)
فالأول يجمع حُرُوف المعجم كلَّها على عدم تبين الكلفة عليه •
وكذلك قولُ القائل^(٢) :

لَبِقٌ أَقْبَلَ فِيهِ هَيْفٌ كُلُّ مَا أَمْلِكُ إِنْ غَنَى هِبَهُ
فإن كل كلمتين من هذا لا يتغيَّر معناهما بالانعكاس إلا القافية فإنها في نفسها معلومة • وليس عليه أثرُ الكلفة •
ومثله أيضا :

أَرْضٌ خَضْرَا فِيهَا أَهْيَفُ سَاكِبُ كَاسٍ^(٣)
وكذا قول القائل :

أَرَانَا الْإِلَهَ هَلَالًا أَنَارَا^(٤)

وكذلك قولُ القائل :

- (١) ديوان ابن حمديس ص ٥٥٦ ولم يرد فيه سوى البيت •
وقد ورد البيتان في الكشكول ص ٥٤ ومعاهد التنصيص ص ٤٩٣ •
- (٢) هو الشاعر كمال الدين ابن النبيه • انظر الفَيْث المسجُم ٤٠٤/٢ • كما ورد غير منسوب في خزانة ابن حجة ص ٤٠ •
- (٣) في الفَيْث المسجُم - طبعة الإسكندرية سنة ١٢٩٠ - ٤٠٤/٢ •
- (٤) المصدر السابق ٤٠٤/٢ •

تَقْتُلُ تَأْتُمْ تَجُورُ تَدَم (١٣١/ب)

إذا عكس وصحّف كان :

مذيبٌ رُوحِي متى نلتقي

ومثله قولُ القائل :

فلذاك رُوحِي لا تَقِرَّ

رَقَّتْ شَمَائِلُ قَاتِلِي

فكأنته في اللفظ دُرٌّ^(١)

رَدَّةُ الحبيبِ جَوَابَه

أولُ كلِّ بيت ، عكس الكلمة الأخيرة منه . وليس عليه كلفة .

وأما ابن الأثير ، فكأنه يظن أن الأدب عبارة عن الترسُّل فقط ، ولم يعلم أنّه جزءٌ منه وإن كان جزءاً كبيراً ، ونوعاً جليلاً .

وأقلُّ هذه التّسكُّفات استثقالا ما كان كلّهُ مُهمّلاً ، لا بل لا يُعَدُّ في شيءٍ من الاستثقال ، بل هو خفيف عذّب في السمع والقلب . كقول الحريري :
أَعْدِدْ لِحُسَادِكَ حَدَّ السَّلَاحِ وَأَوْرِدِ الْآمِلَ وَرَدَّ السَّمَاحِ^(٢)
القصيدة كلّها في غاية الحُسن .

وقد وجدتُ للقاضي الفاضل — رحمه الله تعالى — خطبة وضعها لدخول العام الجديد ، وهي طويلة كلّها عري عن الإعجام ، وهي في غاية الحُسن . ولولا خوفُ الإطالة لأثبتها .

وقد وجدتُ الوراقَ الحظيري قد تكلّفَ أشياء من هذه الأنواع ، من ذلك بيتان كلّ كلمة منهما مهموزة . وهما :

بأبي أغيدٌ أذابَ فؤادي إذ تناءى وأظهرَ الإعراضا

رَشَاءٌ يَأْلَفُ الجفَاءَ فإن أف بل أبدى لآملِهِ انقباضاً^(٣)

(١) المصدر السابق ٤٠٤/٢ .

(٢) شرح الشريشي ١٨٦/٤ المقامة السادسة والأربعون . وهو مطلع لمقطوعة من بضعة أبيات .

(٣) في وفيات الأعيان ١٢٢/٦ .

وفي « انقباض » نظر (١٣٢/أ) ، كاد قول أبي الطيب :

أُمِّي أبا الفضل المبرِّءَ أَلَيْتِي لِأَيِّمِنَ أَجَلَ بَحْرِ جَوْهَرَا^(١)
يكون من هذا اللزوم ، وفيه مع تكرار الهمز تكرار الشدات •

ومن ذلك قطعة إذا قرئت لاتتحرك فيها الشفتان • وهي :

ها أنذا عاري الجَلَد°	أسهرني الذي رَقَد°
آهٍ لِعَيْنٍ نَظَرَتْ°	إلى غزالٍ ذي غَيَد°
أريتني يا ناظري	صَيَدَ الْغَزَالِ لِلْأَسَد°
إِنَّ الضَّيْنِ لِهَجْرِهِ	يا عاذلي هَدَّ الْجَسَد°
حشا حشايَ إِذْ نَأَى	نارَ الْغُضَا حِينَ شَرَد°
يا غادرًا غادرني	على لَطَى نارٍ تَقَد°
أَلَا اصْطَنَعْتَ فاحِلاً°	لا يشتكي إلى أَحَد° ^(٢)

ومن ذلك قطعة ، أنصافها الأولُ مُعْجَمَةٌ ، والثواني مُهْمَلَةٌ • منها :

بي شَعَفَ شَبَّ بَيْنَ جَنْبِي°	دَوَاؤُهُ الْوُدُّ وَالْوَصَال°
يَبُثُّ بَثِّي خَفِيٍّ غَيَظٍ	أحورٌ موعودُهُ مُحَال°
زَيْنَ بَشِيئِينَ غَنَجٍ جَفْنٍ	ومِلْحٌ دَلٌّ لَهُ كَمَال°

قال : وعلى هذا الأسلوب ورد قول بعضهم :

(١) شرح البرقوقى ٣٢٣/٢ من قصيدة قالها يمدح أبا الفضل محمد بن العميد .
مطلعها :

(٢) باد هواءك صبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرى
في وفيات الأعيان ١٢٢/٦ وجاء صدر البيت الأول « ها أنذا عاري الجسد » .
ورواية الصفدي أسلم للمعنى •

وفتًى مِنْ مَازَنْ قَدْ فَاقَ أَهْلَ الْبَصِرَةِ
أَمَّهْ مَعْرِفَةً وَأَبَوْهْ نَكِيرَةً (١)

« وهل يُشكُّ في حُسن هذا المعنى ولطافته (٢) » .

أقول : (١٣٢/ب) ما أولى هذين البيتين بالشك ، وأحقَّ ناظرهما بالصَّك ، أيَّ حُسْنٍ فيهما وأيُّ لُطْفٍ ، مع هذه الألفاظ المُستَثَنَّة في استعماله « البَصرة » بتحريك الصَّاد ، وما فيهما مِنَ الزَّحَاف وإن كان جائزاً . وهل فيهما غيرُ ذكر المعرفة والنكرة ؟ وأيُّ كبير أمرٍ في ذلك ! .

ولو شاء كَتَّابُ هذا العصر أن يستعملوا (٣) أبواب النحو وألقاب الإعراب مِنْ أول الفن إلى آخره في أي معنى أرادوا لفعلوه .

أما في النثر ، فقد وجدتُ للقاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر — رحمه الله تعالى — رُمُعة كتبها شفاعة على يد شخص إلى كبير . وهي :

« لا زال عِلْمُ علمه مرفوعاً أبداً ، وبناءٌ مجده منصوباً بخفض العدى ، ولا برحتْ حُرُوف أعلامه لأفعال الشكِّ جازمة ، ووفودُ الشعود عن أعدائه متعدّية ولأوليائه لازمة .

» وينتهي أن فلانا حضر وذكر أن اسمه رُخِّم في غير النداء ، وجُزِم والجزم لا يدخل على الأسماء ، واستثنى من غير مَثُوج بـخُفضٍ وليس الخُفض مِنْ أدوات الاستثناء ، وادَّعى أن العامل الذي دخل عليه منعَه مِنَ التَّصَرُّف ولزمه لزوم البناء ، ودخل معه في الشرط وأفرده بالجزاء ، والمؤثر — أيَّده الله — نصَّب

(١) ورد البيتان في قصة وفيها أنهما نظما في المبرد نفسه . انظر مقدمة البلاغة للمبرد صنعة الدكتور رمضان عبد التواب وأخبار النحويين البصريين ٩٩ ، وبغية الوعاة ١١٦ ، ووفيات الأعيان ٤٤٥/٣ .

(٢) المثل السائر ٢١٥/٣ .

(٣) في الأصل (يستعمل) وصوبتها .

محله على المدح لا على الإغراء ، ورفع اسمه المعرّي من العوامل على الابتداء فيه من التمييز والظرف ما يوجب له العطف ، ومن العدل والمعرفة ما يمنعه من الصرف . لا زال باب مولانا للعائد والصلّة ، وحال مكاتته شائعة غير مُنتقلة » .

فانظر إلى صناعة هذا المنشئ في هذه الرسالة (١٣٣/أ) ما ألطف ما أتى بهذا المصطلح النحوي في معنى الشفاعة والدعاء والثناء على من شفع له من أول كلامه وإلى آخره .

وأما النظم ، فإنه قد عبث الشعراء به كثيرا ، وهو مشهور . وما أحلى قول البهاء زهير^(١) :

لم يقض زيدكم من وصلكم وطره ° ولا قضى ليلته في هجركم سحره
تركتم خبري في الهجر مبتدأ ° وكل معرفة لي في الهوى نكره °

وما في البيتين اللذين أوردهما ابن الأثير ، غير الكناية عن المذكور أنه ولد زنا لا يعرف أبوه . وما أحسن قول ابن عَنَيْن^(٢) يهجو ابن سيّده :

قتل لابن سيّدة وإن أضحي له خول ° تدل بكثرة وخيول °
ما أنت إلا كالعقاب فأمّتها معلومة ° ولها أب مجهول^(٣) °

(١) البهاء زهير هو محمد العتكي بهاء الدين الكاتب . شاعر من الكتاب ولد بمكة ونشأ بقوص (ت بمصر ٦٥٦ هـ) . انظر وفيات الأعيان ٣٩/١ . وبيتاه في ديوانه ص ٣٨ وجاء في عجز الأول « من قربكم سحره » وفي صدر الثاني « جعلتم خبري » .

(٢) ابن عَنَيْن واسمه محمد بن نصر الحوراني الدمشقي ، كان هجاء قل من سلم من شره حتى السلطان صلاح الدين والعدل . له « مقراض الأعراض » قصيدة في نحو خمسمائة بيت . ترحل وتوفى في دمشق سنة ٦٣٠ هـ ، انظر وفيات الأعيان ٢٥/٢ ، والنجوم ٢٩٣/٦ .

(٣) وبيتاه في ديوانه ص ٢٣٥ وفيه رواية البيت الثاني :
ما أنت إلا كالعقاب فأمّهُ معروفة ° وله أب مجهول °

[حول السرقات الشعرية]

قال في النوع الثلاثين ، في السَّرِقات الشعرية بعدما أورد بيت ابن الخياط^(١) :
أغارُ إذا آنستُ في الحي أثَّةٌ حِذاراً عليه أن تكون لِحُبِّهِ^(٢)
وبيت عُمارة^(٣) :

وهل دَرى البيتُ أنِّي بعد فَرَّقْتِهِ ماسِرَتُ من حَرَمٍ إلّا إلى حَرَمٍ^(٤)
إن هذين مسروقان من قول المتنبي :

لو قلتَ للدِّنفِ المشوقِ فديتُهُ ممّا به لأغرَّتَهُ بِفِدائِهِ^(٥)
ومن قول أبي تمام يمدح بعضَ الخلفاء وقد حجَّ :

يا مَنْ رأى حَرَمًا يَسعى إلى حَرَمٍ طوبى لمُسْتَلِمٍ يَأْتِي ومُلتَزِمٍ^(٦)^(٧)

(١) ابن الخياط واسمه احمد بن محمد التغلبي الشاعر الدمشقي الكاتب . ترحل وامتدح (ت ٥١٧ هـ) . انظر وفيات الأعيان ٣١٦/١ .

(٢) وبيته من قصيدة مطلعها :

خذا من صبا نجد أماناً لقلبه فقد كادَ رِيّاها يطيرُ بلبه
كما ورد البيت له في خزانة ابن حجة ص ١٩٧ وجاء عجز البيت « حذارا وخوفا
ان يكون لحبه » وورد البيت في الغيث المسجم ٢٣٤/١ و ١٨٦/٢ ، وكذلك في
تشنيف السمع ص ٢٠ .

(٣) هو عمارة بن علي اليمني . أديب من اليمن ، مؤرخ ثقة وشاعر فقيه ، قرّبه
الفاطميون بمصر ورثاهم بعد زوالهم . اتفق مع سبعة على الفتك بصلاح الدين
فصلبوا بالقاهرة سنة ٦٩٥ هـ . انظر صبح الأعشى ٥٣٢/٣ ، ومفرج الكروب
٢١٢/١ - ٢١٦ .

(٤) ورد البيت في ريحانه الألبا ٣٨٠/١ بغير نسبة وفيه « وما درى » .

(٥) شرح البرقوقي ٥/١ من قصيدة قالها وقد طلب اليه سيف الدولة إجازة
أبيات لأبي ذرّ سهل بن محمد الكاتب . مطلعها :

القلبُ أعلمُ يا عدولُ بدائِهِ وأحقُّ منكُ بجفنه وبمائِهِ
وقد جاء في صدر البيت « للدنف الحزين » .

(٦) البيت ليس في ديوان أبي تمام . وجاء في صدره في المثل السائر ٢٢٥/٣
« يسري الى حرم » .

(٧) المثل السائر ٢٢٤/٣ .

وأخذ في الشَّتَّاع على أهل الشام ومصر ، في كونهم خفي عليهم مثل هذا ،
وزاد في التَّعَجُّب (١٣٣ / ب) •

أقول : إن سبب خفاء السرقة في هذين البيتين وغيرهما ، أذَّ الأصل يكون
ركيكاً غير مُستعمل ولا دائرٍ على الألسنة في المكاتبات والمحاورات والأمثال ،
فيأتي بعض الشعراء إلى ذلك المعنى الخامل ، ويبرزه في صورة حسنة ، ويسبكه
في قالب أرشق والطف من الأول ، فيخلو ويعذب ويتداوله الناس ، ويعود الأول
نسياً منسياً كأن لم يكن • كما إذا بدا النجم ثم يبدو البدر من بعده ، فلا
يشتغل البصر بالنجم ويدع البدر •

وما أحسن قول أبي تمام :

أعندك الشمس تزهى في محاسنها وأنت مشغل الأحشاء بالقمر^(١)

ولا يُلْتَفَتُ في الثاني إلا إلى حسنه من غير بحث عن أصله ، وهل هو مسروق
أو مُبتدع • على أن الأديب لو أتته ما عسى أن يكون من النقل والاطلاع ، ليس
في إمكانه استخراج كل معنى يمر به من غير روية ولا تتبّع لذلك • خصوصاً
فيما عذب وساغ ، وبرز في صورة غير صورته الأولى •

ولا شك أن قول ابن الخياط أعذب من قول المتنبّي ، ولهذا اشتهر • وكذا
قول عثمارة أحسن وأرق من قول أبي تمام ، ولهذا ساغ واشتهر ، واستعمل مثلاً
على تأخّر زمانه ، وتقدير زمان أبي تمام • خصوصاً عجز بيت عثمارة ، فإنه ذاع
وضاع ، وملا الأفواه والأسماع •

وإذا كان الشيء بالشيء يُذكر ، فما أحلى قول عبد الحكم بن الخطيب

(١) البيت في أخبار أبي تمام للصولي ص ١٩٥ وليس في ديوانه •
وجاءت رواية البيت عنده وكذلك في الأغاني ٣٩٧/١٦ كما يلي :

أعندك الشمس لم يحظ المغيّب بها وأنت مضطرب الأحشاء بالقمر

وفي نسخة أخرى من أخبار أبي تمام ورد البيت :

أعندك الشمس قد راقت محاسنها وأنت مشغل الأحشاء بالقمر

العراقي^(١) في رجل وجب عليه القتل ، فرماه المستوفي للقصاص بسهم فأصاب كبدَه فقتله من وقته :

أخرجت من كبدِ القوس ابنها فعدت ° تئن ° ، والأم قد تحنو على الولد
وما درت ° أته لما رميت به ° ما سار من كبدٍ إلا إلى كبدٍ

وأما الغيرة ، فمن أبلغ ما جاء في ذلك قول ابن قلاقس من أبيات :

وابلائي من مخدرة ° دونها سور ° وجدران
وأُسود ° خافَ سطوتها ° كل ما حازته خفان °
ورقيب ° لو يلاحظها ° لتشتى وهو غيران °^(٢)

وقول علي بن عبد الله الجعفري :

ربما سرني صدودك عني ° في طلائيك وامتناعك مني °
حذراً أن أكون مفتاح غيري ° وإذا ما خلوت كنت التمني °
وبالغت حفصة المغربية^(٣) في قولها :

أغار عليك من غيري ومني ° ومنك ومن مكانك والزمان °
ولو أنني خبأتك في جفوني ° إلى يوم القيامة ما كفاني^(٤)

(١) الخطيب العراقي ، هو إبراهيم بن منصور شيخ الشافعية بمصر ، عاد من بغداد ف قيل له « العراقي » (ت سنة ٥٩٦ هـ) .
انظر وفيات الأعيان ٥/١ ، والشذرات ٣٢٣/٤ .

(٢) الأبيات في الفيت المسجم ٢٣٤/١ وجاء في عجز الثاني « كل من حازته » .

(٣) حفصة بنت الحاج الركونية الاندلسية ، شاعرة تفوقت بالظرف والحسن وسرعة خاطر بالشعر (ت بمراكش ٥٨٦ هـ) انظر معجم الأدباء ٢١٩/١٠ .

(٤) وبيتها في معجم الأدباء ٢٢٧/١٠ مع بعض التغير :

أغار عليك من عيني وقلبي ° ومنك ومن زمانك والمكان °
ولو أني جعلتك في عيوني ° إلى يوم القيامة ما كفاني °

وأخذ جمال الدين ابن مطروح بعض هذا وقال :

فلو أمسى على تَلَفِّي مُصِرًا لقلتُ : مُعَذِّبِي بِاللَّهِ زِدْنِي
ولا تَسْمَحْ بَوْصَلِكَ لِي فَإِنِّي أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْكَ ، فَكَيْفَ مِنِّي
ومنه قول سعد الدين محمد بن عربي :
يا من أَغَارُ عَلَيْهِ مِنِّي فِي الْهَوَى فَأَصْدُهُ عَنْهُ وَقَلْبِي الْمُشْتَاقُ
صُنْ حُسْنَ وَجْهِكَ عَنْ لِحَاطِي إِنْ لِي قَلْبًا يَرَى وَلِنَظَرِي إِطْرَاقُ
وما أحسن قول شهاب الدين ابن الخيمي ^(١) :

وعَذُولِ رَابِنِي فِي نَصَحِهِ كَلَّمَا زِدْتَ هَوَى زَادَ لِحَاجَا
مَا عَذُولِي قَطُّ إِلَّا عَاشِقٌ سَتَرَ الْغَيْرَةَ بِالْعَذُولِ وَدَجَى ^(٢)
وقد نظمت أنا في معنى قول ابن الخيمي :

تَدَاهِي عَذُولِي فِي الْغَرَامِ وَلَمْ تَكُنْ مَقَاصِدُهُ تَخْفَى عَلَى عَاشِقٍ مِثْلِي
أَحَبُّ حَبِيبِي ثُمَّ غَارَ فَخَافَ أَنْ أَفَاتَحَهُ فِيهِ فَسَاقَ بِالْعَذُولِ ^(٣)
(١٣٤ / ب)

على أنَّ المنتبى في الأصل ، أخذ المعنى من العباس بن الأحنف حيث يقول :
لَمْ أَلْقَ ذَا شَجْنٍ يَبُوحُ بِجَبِّهِ إِلَّا حَسْبْتُكَ ذَلِكَ الْمَحْبُوبَا
حَذَرًا عَلَيْكَ وَإِنِّي بَكَ وَائِقٌ أَنْ لَا يَنَالَ سِوَايَ مِنْكَ نَصِيبَا ^(٤)

- (١) شهاب الدين ابن الخيمي واسمه محمد بن عبد المنعم ، شاعر أديب يمانى الأصل (ت بمصر سنة ٦٨٥ هـ) ، انظر فوات الوفيات ٢ / ٤٥٨ .
(٢) وبيتاه في الفيت المسجم ٢ / ٢١٢ وورد عجز الأول « كلما زدت إبا زاد لِحاجا »
(٣) في الفيت المسجم ٢ / ٢١٢ .
(٤) ديوان العباس ص ٢١ وجاء في عجز الأول « إلا ظننتك » . وكذا في فوات الوفيات ٢ / ٢١٠ .

وَمِنْ الْغَيْرَةِ قَوْلُ أَبِي تَمَامِ الطَّائِي :

أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلِي وَأَشْفِقُ أَنْ أَرَى خَدَّيْ
وَإِنْ أَعْطَيْتَنِي أَمْلِي لَكَ نَصَبَ مَوَاقِعِ الْقَبْلِ (١)

وَمِنْ الْغَيْرَةِ قَوْلُ الْقَائِلِ (٢) :

خَلَصَ الْهَوَى لَكَ وَاصْطَفَيْتَكَ مَحَبَّتِي وَأَرَاكَ تَخْطُرُ فِي مَحَاسِنِكَ الَّتِي
حَتَّى أَغَارَ عَلَيْكَ مِنْ مَلَكَئِكَ هِيَ مِحْنَتِي فَأَغَارُ مِنْكَ عَلَيْكَ
إِنِّي أَرَاهُ مُقْبِلًا شَمَتِيكَ وَلَوْ اسْتَطَعْتُ جَرَحْتُ لَفْظَكَ غَيْرَةً

وَمَا أَلْطَفَ قَوْلُ عَبْدِ الْمُحْسَنِ الصُّوْرِيِّ (٣) ، فَإِنَّهُ عَكَسَ هَذَا الْمَقْصِدَ لَمَّا قَالَ :
تَعَلَّقْتُهُ سَكَرَانٍ مِنْ خَمْرَةِ الصَّبَا يَشَارِكُنِي فِي حُبِّهِ كُلُّ أَغِيدٍ
فَإِنْ حَبِيبِي مَنْ أَحَبَّ حَبِيبِي (٤) فَلَ تَلْزَمُونِي غَيْرَةً مَا أَلْفَتْهَا

(١) ديوان أبي تمام د - يونس ص ٣٨٨ .

(٢) هو الخبز أرزي في الوساطة ص ٣٠٨ ، وشرح ديوان المتنبي للعكبري ١٩٤/٤ .
وورد البيت الأول :

مِنْ لَطْفِ أَشْفَاقِي وَدَقَّةِ غَيْرَتِي أَنِّي أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ مَلَائِكَا

(٣) عبد المحسن بن محمد الصوري ويلقب بابن غلبون . شاعر من أهل صور في
بلاد الشام (ت فيها سنة ٤١٩ هـ) انظر وفيات الأعيان ١/٣٠٨ ، واليتيمة
١/٢٢٥ ، والنجوم ٤/٢٦٩ .

(٤) وأبياته في مخطوطة ديوانه (ظاهرية ١٢٠) وفي اليتيمة ١/٢٥٩ ، والغيث
المسجم ١/٢٣٥ ، وجاء في صدر الثاني « وشاركني في مهجتي » وفي صدر
الثالث :

« غيرة ما عرفتها » وفي صدر الثاني في المخطوطة « كل أهيف » وفي الغيث
« كل ماجد » .

[الاقتصاد في اللفظ]

قال : « قال بشار بن برد » :

مَنْ راقِبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهُجُ ^(١)
« أَخَذَهُ سَكَمُ الْخَاسِرِ ^(٢) - وَكَانَ تَلْمِيزَهُ - فَقَالَ :

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَازَ - بِاللَّذَةِ الْجَسُورِ ^(٣)
« فَبَيْنَ الْبَيْتَيْنِ لَفْظَتَانِ فِي التَّأْلِيفِ •• » ^(٤)

أقول : ما أنصفَ سَكَمَ الْخَاسِرِ ، وما يقال في هذا : « بينهما لفظتان في التأليف » إذ اللَّفْظَةُ تصدِّقُ على الحرفين ، مثل : مَنْ وعن وما ••• وغير ذلك • بل على الحرف الواحد كباء الجر ولامه ، والأحسنُ في هذا أن يُقال : بينهما تسعة أحرف • فإن الأول أربعة وأربعون حرفاً ، والثاني خمسة وثلاثون حرفاً (١٣٥/١) وكذا قول أبي العتاهية :

وَإِنِّي لَمُعْذُورٌ عَلَى فَرْطِ حُبِّهَا لِأَنَّ لَهَا وَجْهًا يَدُلُّ عَلَى عَذْرِي ^(٥)
أخذه أبو تمام فقال :

(١) ديوان بشار ٧٥/٢ من قصيدة مطلعها :

خُسَّابٌ هَلْ لِمُنْجِبٍ عِنْدَكُمْ قَرَجٌ أَوْ لَا فَإِنِّي بِحَبْلِ الْمَوْتِ مَعْتَلِجٌ
(٢) سلم الخاسر هو سالم بن عمرو . شاعر ماجن ، مدح المهدي والرشيدي ، له أخبار مع بشار وأبي العتاهية (ت سنة ١٨٦ هـ) انظر وفيات الأعيان ١٩٨/١ ٧٧/٦ .

(٣) وبيته في وفيات الأعيان ٨٧/٦ من قصيدة مطلعها :

بَانَ شَبَابِي فَمَا يَحُورُ وَطَالَ مِنْ لَيْلِي الْقَصِيرُ
وورد البيت في تمام المتن للصفدي مخطوطة ورقة ٣٥ وفي الفيث المسجم ، ٢٤٤/١ ، وتشنيف السمع ص ٢١ .

(٤) المثل السائر ٢٥٨/٣ « فمن ذلك قول بشار بن برد ••• » .

(٥) ديوان أبي العتاهية ص ٥٤٦ من مقطوعة هو مطلعها . وجاء في صدره « على طول حبها » .

لَهُ وَجْهٌ إِذَا أَبْصَرَ تَه نَاجَالُكَ عَنْ عُنْذِرِي (١)

الأول أربعة وأربعون حرفاً ، والثاني ستة وعشرون حرفاً ، فبينهما ثمانية عشر حرفاً . وسلم الخاسر مِمَّنْ له القدرة على الاختصار . ألا ترى قوله :

أَقْبَلَنِي فِي رَأْدِ الضَّحَى يَسْتَرْنِ وَجْهَ الشَّمْسِ بِالشَّمْسِ (٢)

وقوله الآخر :

وَإِذَا الْغَزَالَةُ فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ
أَبَدَتْ لَعَيْنِ الشَّمْسِ عَيْنًا مِثْلَهَا
وَكَذَا قَوْلُهُ أَيْضًا :

سَقَّتَنِي بَعِينِهَا الْهَوَى وَسَقَيْتُهَا
وَقَوْلُ عُبَيْدِ اللَّهِ مِنْ شِعْرَاءِ الْحِمَاسَةِ :

شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ
تَعْلَعَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ
هَوَاكُ فِلِيمَ وَالتَّامَ الْفُطُورُ
وَلَا حَزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ (٣)

قال : « وعلى هذا ورد قول ابن الرومي :

كَأَنِّي أَسْتَدْنِي بِكَ ابْنَ حَنِيئَةٍ إِذَا التَّزَعُّعُ أَذْنَاهُ مِنَ الصَّدِّ رَأْبَعْدَا (٤)
« أَخَذَهُ بَعْضُ شِعْرَاءِ الشَّامِ وَهُوَ ابْنُ قَسِيمِ الْحَمَوِيِّ ، فَقَالَ (١٣٥ / ب)

(١) ديوان أبي تمام د : يونس ص ٣٧٥ .

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣١ والبيت عنده لبشار بن برد . وجاءت روايته :
أَقْبَلَنِي فِي رَأْدِ الضَّحَاءِ بِهَا فَسْتَرْنِ عَيْنَ الشَّمْسِ بِالشَّمْسِ
وبذا استقام وزن الشطر الأول .

(٣) الحماسة - خفاجي ١٩١/٢ والشاعر هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . وقد ورد في عجز الأول « فالتأم » بالفاء وكذلك في شرح الحماسة للمرزوقي ١٣٥٤/٢ .

(٤) في الفيث المسجم ١٦٢/٢ وزهر الآداب ١١٣/٣ .

- فهو كالسهم كلما زده من
أقول : وأخذه أيضا الأرجاني فقال :
- لنا وعليكم أنجم الليل تشهد
حنايا فما تكدنون إلا لتبعدوا (٢)
- وكررّه فقال :
- قد قوس القعدة توديعا وقرّ بني
وكررّه أيضا فقال :
- كالسهم راميّه يقرّبّه
وقال :
- ما ضمّني يوم الرّحيل هوى
وقال :
- والإلف قد عانقني للنوى
كأنه رام إلى غاية
- ك دثو ٣ بالتزّع زادك بُعدا (١)
- لنا وعليكم أنجم الليل تشهد
حنايا فما تكدنون إلا لتبعدوا (٢)
- وكررّه فقال :
- قد قوس القعدة توديعا وقرّ بني
وكررّه أيضا فقال :
- كالسهم راميّه يقرّبّه
وقال :
- ما ضمّني يوم الرّحيل هوى
وقال :
- والإلف قد عانقني للنوى
كأنه رام إلى غاية

- (١) المثل السائر ٢٥٩/٣ والبيت في الفيت المسج ١٦٣/٢ .
- (٢) ديوان الأرجاني ص ١٤٧ من قصيدة يمدح بها مؤيد الدولة كاتب الانشاء للمسترشد بالله . مطلعها :
- أحبابنا قد شقتمونا فأسعدوا
ولا تجمعوا أن تسهرونا وترقدوا
وجاء في صدر الأول « ولا تنكروا حق المشوق فانما » وفي صدر الثاني « في الهوى وأراكم » . وورد البيت الأول في الفيت المسج ٢٠٩/١ .
- (٣) ديوان الأرجاني ص ٤١٥ من قصيدة مدح بها السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه . مطلعها :
- يامودع السر سرا عند أجفاني
ومتنبع السر إيصاء بكتمان
- (٤) من قصيدة مدح بها القاضي ناصر الدين في ديوانه ص ٥٥ مطلعها :
- عوجوا عليها أيها الركب
لا عار أن يتساعد الصاحب

حتى إذا أدناه من صدره أبعداه ساعة أدناه^(١)

وأخذه كشاجم قبل الأرجاني فقال :

أرى وصالك لا يصفو لأمليه والهجر يتبعه ركضاً على الأثر
كالقوس أقرب سهميها إذا عطفته عليه، أبعدهما من منزع الوتر^(٢)

وكرر ابن الرومي هذا المعنى في موضع آخر فقال :

رأيتك بيننا أنت جار وصاحب إذا بك قد وليتتنا ثانياً عطفنا
وإثك إذ تحنو حنوؤك معقباً يعادا لمن بادلتك الودع والعطفنا
للكلوس أحنى ما تكون إذا حنت على السهم أدنى ما تكون له قدفاً^(٣)

وولّد ابن بابك من هذا معنى آخر فقال :

أصبحت في صولجانهِ ككرة يُبعدُها قربها من الضارب^(٤)
(١٣٦ / أ)

وما أحسن قول ابن المغلس^(٥) ملفزاً فيها :

أراد دثوّها حتى إذا ما دنت منه بكد أي كد
قلاها ثم أتبعها بضرب وبكدها قربها منه ببعد^(٦)

(١) في الفيت المسجم ١٦٣/٢ .

(٢) ديوان كشاجم ص ٩٦ وجاء في عجز البيت الأول « والهجر تتبعه » وفي زهر الآداب ١١٣/٣ .

(٣) في الفيت المسجم ١٦٢/٢ ، والثالث في زهر الآداب ١١٣/٣ .

(٤) الفيت المسجم ١٦٢/٢ .

(٥) ابن المغلس هو عبد العزيز بن أحمد القيسي الأندلسي ، شاعر من أهل العلم باللغة والأدب (ت بمصر سنة ٤٢٧ هـ) أنظر وفيات الأعيان ٢٩٦/١ .

(٦) وبيته في الفيت المسجم ١٦٣/٢ .

[بين النثر والنظم]

قال في تفضيل النثر على النظم في آخر الكتاب :

« إن الشاعر إذا أراد أن يشرح أموراً متعددة ، ذوات معانٍ مختلفة في شعره ، واحتاج إلى الإطالة بأن ينظم مائتي بيت أو ثلاثمائة أو أكثر من ذلك ، فإنه لا يجيد في الجميع ولا في الكثير منه ، بل يجيد في جزء قليل ، والكثير من ذلك رديء غير مرضي . والكاتب لا يثُرُتِي من ذلك ، بل يطيل في الكتاب الواحد إطالة واسعة تبلغ عشر طبقات من القراطيس أو أكثر ، وتكون مشتملة على ثلاثمائة سطر أو أربعمائة أو خمسمائة . وهو متجيد في ذلك كله .

« وهذا لا نزاع فيه ، لأننا رأيناه وقلناه . وعلى هذا فإنني وجدت العَجَم يفضّلون العرب في هذه النكتة المشار إليها . فإن شاعرهم يذكر كتاباً مصنّفاً من أوّلِهِ إلى آخره شعراً ، وهو شرح قصص وأحوال ، يكون مع ذلك في غاية الفصاحة والبلاغة في لغة القوم ، كما فعل الفردوسي في نظم الكتاب المعروف « شاه نامه » وهو ستون ألف بيت من الشعر ، يشتمل على تاريخ الفرس ، وهو قرآن القوم ، وقد أجمع فصحاؤهم على أنّه ليس في لغتهم أفصح منه ، وهذا لا يوجد في اللغة العربية على اتساعها وتشعب فنونها وأغراضها ، وعلى أنه لغة العرب بالنسبة إليها كقطرة من بحر » (١) .

أقول : قد ختم ابن الأثير — رحمه الله تعالى — كتابه بهذه النكتة التي مال

(١) المثل السائر ١١/٤ «... وهذا لانزاع فيه لأننا رأيناه وسمعناه وقلناه ... كما فعل الفردوسي في نظم الكتاب المعروف بشاهنامه ... وقد أجمع القوم وفصحاؤهم ... وعلى أن لغة العجم بالنسبة إليها كقطرة من بحر » .

فيها إلى الشعوبية^(١) ، وما قال معمر بن المثنى^(٢) ولا سهل بن هارون^(٣) ، ولا ابن غرسية^(٤) في رسالته مثل هذا . وقد وجد في أهل اللسان العربي من نظم الكثير أيضا ، وإن عدّ هو الفردوسي ، عددت له مثل ذلك جماعة ، منهم من نظم تاريخ المسعودي^(٥) نظما في غاية الحسن ، ومنهم من نظم كتاب «كلىة

(١) وهنا نقرأ للدكتور زغلول سلام أشياء غريبة في محاولة منه للدفاع عن ابن الأثير ، فيقول في الصفدي : « ويتهمه كذلك بأنه نصر النثر على الشعر وأن ذلك من الشعوبية (كذا) . وعجيب هذا التناقض ، فهو حين ينتصر للبيان العربي على بيان اليونان وفلسفتهم يقال إنه جاهل بالفلسفة (انظر حاشية ص ١١٦ من هذه المجلدة) وحين يفضل النثر على الشعر كما حاول كثير من العلماء غيره ولم يكن وحده - كما عرفنا - انتصارا للقرآن ، يقال إنه شعوبي . » (تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري للدكتور زغلول سلام ص ٣٣٠ - ٣٣١) . ثم يعود الدكتور سلام ثانية إلى هذه النقطة في كتابه عن ابن الأثير في نوابع الفكر العربي ص ٦٩ ، فيتجاهل كلية سبب الاتهام بالشعوبية ، ويحول الأمر إلى موقف طريف من ابن الأثير بقوله :

« ويعرض ضياء الدين لمقارنة طريقة بين الشعر العربي والشعر الفارسي فيقول : وعلى هذا فإني وجدت العجم يفضلون العرب من هذه الناحية المشار إليها أي التقيد بالوزن والقافية . » .

ولا وجود لهذه العبارة التوضيحية المتعلقة بالوزن والقافية في كلام ابن الأثير ، كما أن ابن الأثير نفسه لم يقصد بقوله سوى الكثرة مع الجودة عند العجم ، كما هو واضح في نصه في المثل السائر ١١/٤ .

(٢) معمر بن المثنى أبو عبيدة النحوي البصري ، من أئمة العلم بالأدب واللغة ومن حفاظ الحديث ، قرأ عليه الرشيد أشياء من كتبه . صنف في مثالب العرب (ت بالبصرة سنة ٢٠٩ هـ) . أنظر وفيات الأعيان ١٠٥/٢ ، وطبقات النحويين واللفويين ص ١٩٢ - ١٩٥ .

(٣) أنظر زهر الآداب ٢٥٨/٢ .

(٤) ابن غرسية أبو عامر من أبناء نصارى البشكنس ، سبي صغيرا وأدبه مولاه وتمكن بالعربية وكان شعوبيا ، كتب بذلك رسالة مشهورة (ت ٤٣٦ هـ) ، ورسالة مطبوعة في نوادر المخطوطات انظر المجلد الأول من الطبعة الأولى ٢٤٦ - ٢٥٤ .

(٥) المسعودي . واسمه علي بن الحسين من ذرية عبد الله بن مسعود . مؤرخ رحالة بحانة من أهل بغداد وله مروج الذهب (ت بمصر ٣٤٦ هـ) . انظر الفهرست ٢٢٥ ، وفوات الوفيات ٩٤/٢ ، والنجوم ٣١٥/٣ .

ودمنة» في عشرة آلاف بيت (١٣٦/ب) ونظمها أبان اللاحقى^(١) أيضا .
وأخبرني الشيخ الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي^(٢) أن مكى
ابن أبي محمد بن محمد بن أبيه الدمشقي^(٣) عثر بابن الدجاجة ، نظم كتاب
« المذهب » قصيدة على روى الراء سماها « البديعة في أحكام الشريعة » انتهى .
قلت : والمذهب في أربع مجلدات .

وبعض المغاربة امتدح سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قصيدة
عديتها ثمانية عشر ألف بيت . ولابن الهبّارية^(٤) كتاب « الصادح والباغم » في
ألفي بيت ، كل بيت منها قصر مشيد ، ونكتته ما عليها في الحسن مزيد ، يشتمل
على الحكايات والنوادر والأمثال والحكم ، وكلها في غاية الفصاحة والبلاغة ليس
فيها لو ولا ليت .

وأما من نظم الألف وما دونه فكثير جدا لا يبلغهم الحصر ، وأما الشاطبية
وما اشتملت عليه من معرفة القراءات السبع واختلافها ، وتلك الرّموز التي ظاهرها
الغزل وباطنها العلم ، فكتاب اشتهر وظهر ، وخب سحره الألباب وبهر ، حتى
قال القائل فيها :

(١) أبان بن عبد الحميد اللاحقى ، شاعر مكث من أهل البصرة ، اتصل بالبرامكة
ونظم لهم كيلة ودمنة وغيره ، ثم كان من شعراء الرشيد (ت سنة ٢٠٠ هـ) ،
انظر خزانة البغدادي ٤٥٨/٣ ، والنجوم الزاهرة ١٦٧/٢ .

(٢) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي . حافظ اتقن الحديث ورجاله
وعرف تراجم الناس (ت سنة ٧٤٨ هـ) انظر فوات الوفيات ٣٧٠/٢ ، والوافي
١٦٣/٢ ، والدرر الكامنة ٣٣٦/٣ .

(٣) هو محمد بن مكى بن محمد الدمشقي . يقال له ابن الدجاجة . اديب له شعر
(ت سنة ٦٥٧ هـ) ، انظر تراجم القرنين ص ٢٠١ ، وفوات الوفيات ٥٢٦/٢ .

(٤) ابن الهبّارية واسمه محمد بن محمد العباسي ، شاعر هجاء ولد ببغداد وترحل
(ت في كرمان سنة ٥٠٩ هـ) انظر الوافي ١٣٠/١ ، والنجوم الزاهرة ٢١٠/٥ .

جلا الرّشعينيّ علينا ضحى عروسه البكرَ ويّاما جلا
لو رامها مُبتكرٌ غيرُهُ قالتْ قوافيها له الكلّ : لا

وأما أراجيز النّحو والعروض والفقه ، كالذي نظّم الوجيز ومنظومة الحنّفيّة وغير ذلك من الطب وغيره من العلوم ، فكثيرٌ جداً ، إلى الغاية التي لا يحيط بها الوصف .

وما سمعنا بمَن اشتغل من العجم بالعربية إلاّ وفضل اللغة العربية ، برهان هذه الدعوى أنّ أبا علي الفارسي ، وبنّدار^(١) ، وأبا حاتم^(٢) والزّمخشري وغير هؤلاء ، إنّما اشتغلوا بالعربية وذاقوا حلاوتها ، هاموا بها وكلفوا بمحاسنها ، وأفنوا الليالي والأيام في تحصيلها ، وأنفقوا مدّة العمر في تأليفها وتدوينها وتتبّع محاسنها (١٣٧/١) وقواعد أقيستها وغرائب فنونها ، ومن المستحيل أن يكون هؤلاء القوم اجتهدوا هذا الاجتهاد في العربية وأفنوا مدّة العمر وهي مالا يخلف في شيء هو دون غيره . والأولى بهم وبكل عاقل الاشتغال بالأحسن والأفصح والأبلغ والأحكم ، ولو علم هؤلاء القوم أنّ اللغة الأعجميّة لها أفعال التفضيل ، ما عرّجوا على العربية إلاّ ريثما عرفوها ، ثم عاجوا إلى لغتهم .

ومن الكلم النّوابغ للزّمخشري : « فرّق بين الرطب والعجم ، فرق بين العرب والعجم » .

ومنها : « العرب نَبْعٌ صلب المعاجم ، والغرب مثل للأعاجم » .
فانظر إلى الزّمخشري كيف جعل العرب رطباً والعجم عَجْماً . والعجم بتحريك الجيم هو النّوى . وكيف جعل العرب مثل شجر النبع ، وهو صلب تتخذ منه القسيّ ، وجعل العجم مثل شجر الغرّب ، وهو خوّار .

(١) بنّدار بن عبد الحميد الأصهباني ويعرف بابن لرّة . كان متقدماً في علم اللغة والنحو ورواية الشعر ، وكان المتوكل يجمع بينه وبين النحويين ، أنظر بغية الوعاة ٤٧٦/١ .

(٢) أبو حاتم السجستاني واسمه سهل بن محمد . من كبار العلماء باللغة والشعر ، كان المبرد يلازم القراءة عليه ، له شعر (ت ٢٤٨ هـ) ، أنظر الفهرست ٥٨/١ ، وبغية الوعاة ٦٠٦/١ .

قال المتنبي :

فَلَا تَنْتَكُ الْيَلَالِي إِنْ أَيْدِيهَا إِذَا ضَرَبْنَ كَسْرَ النَّبْعِ بِالْغَرْبِ (١)
فإن قلت : ما كان علماء العربية من العجم عالمين باللغة العجمية كما ينبغي ،
قلت : أليس أنهم كانوا يعرفون العجمية ، ثم أنهم تمهّروا في العربية وبالغوا في
إتقانها . ومن وصل في لغة من اللغات إلى ما وصل إليه أبو علي والزمخشري
وغيرهما من معرفة الاشتقاق الأكبر والأصغر والأبنية والتصريف ، في الاسم والفعل
الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل والمفعول وصارت له تلك الملكة ، كان عنده
من الأهلية أن ينظر في كل لغة عرف لسانها ، وأن يستخرج قواعدها ويتبع
أصولها ، فيقع على غرائب حكمها ومحاسن قواعدها ، لا شتباك العلوم بعضها
ببعض ، واجتماع شملها في الغاية التي أوجبت وضعها . ولا يضع اللغة إلا حكيم .

ألا ترى أن بعض النحاة رتب اللغة التركية على القواعد النحوية ، وميّز
الاسم من الفعل ، والماضي من المضارع من الأمر ، وضمير المتكلم من المخاطب
من الغائب ، والجمع من الأفراد ، وعلامة الجمع ، والمضاف من المضاف إليه (١٣٧ / ب)
إلى غير ذلك ، وهذا أمر غير خاف .

وأما قوله : إن كتاب شاهنامه ستون ألف بيت ، كلّها في غاية الحسن من
الفصاحة والبلاغة ، وما فيها ما يُعاب ، فإنّ هذه الدعوى لا تُسمع مجردة عن
البرهان الذي يؤيّدها .

ومن يأتي بستين ألف كلمة ، أو بستة آلاف كلمة تكون في غاية الفصاحة في
الألفاظ ، والبلاغة في المعنى حتى إنها لا تُعاب بوجه !؟ هذا ليس في قوى البشر في
لغة من اللغات .

سلمنا أن ذلك ما يُعاب في تلك اللغة ، فمن أين لك أن جيّد شعر العجم

(١) شرح الديوان البرقوقي ١/ ١٠٩ من قصيدة قالها يرثي أخت سيف الدولة ،
وكتبها إليه من الكوفة سنة ٣٥٢ هـ مطلعها :
يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهمّا عن أشرف النسب

في طبقة جودة شعر العرب • كما تقول : القمر أشدُّ نورا من النجوم ، والشمس أشدُّ نورا من النجوم ، فالشمس والقمر اشتركا في الفضيلة على النجوم ، ولكنهما في نفسيهما لا يستويان مثلاً •

وكلُّ له فضلُه والحجَّو ل يومَ التفاضلِ دونَ الغرَر^(١) .
 فهل جيّد العَجَمِ مثل جيّد العرب • كوصف امرئ القيس في الخيل ،
 والنابعة في الاعتذار ، وزهير^(٢) في الدائح ، والأعشى في الخمر ؟ أو كجيّد جرير
 والفرزدق والأخطل وشار بن برد ومسلم بن الوليد وأبي ثواس ودريك الجن^(٣) .
 والحسين بن الضحّاك^(٤) والمتنبي وأبي تمام والبُحتري وابن الرُّومي وابن المعتز
 وأبي فراس وغيرهم وإلى هذا العصر ، وما بين ذلك من الشعراء الذين تفرق
 قَطرات العَجَمِ في لججهم ، حتى إنه يقول (١٣٨ / أ) : إن ذلك كلّهُ جيد
 لا يُعاب • هل يستويان مثلاً في الجودة من حيث هي :

ألم تر أنّ السيف ينقصُ قيمةً إذا قلتَ إنّ السيفَ أمضى من العصا
 وإنما قلّ الجيّدُ في الشعر ، لأنّ البلغاء وعلماء الأدب انتقوا الجيد العالي الذي
 يكون نهاية في الفصاحة والبلاغة ، وجعلوه أنموذجاً ومثلاً يُحذى ، على ما قرّره
 بقوة فكرهم وصحة انتقادهم • فكان ذلك الجيّدُ في الطبقة العليا • ولاجرّم
 أنّ الساقط من الشعر أكثر من العالي عند أئمة البلاغة ، وإلا فعلى الحقيقة ،

(١) في الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة القسم الأول - المجلد الأول ص ١٣٣ وقد ورد فيه غير منسوب •

(٢) هو زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي ، متعفف ، توفي قبل البعثة انظر الأغاني ٢٨٨/١ •

(٣) دريك الجن ، واسمه عبد السلام بن رغبان الكلبي الحمصي ، من شعراء العصر العباسي ، فيه مجون ، لم ينتجع بشعره (ت بحمص سنة ٢٣٥ هـ) انظر وفيات الأعيان ٢٩٣/١ •

(٤) الحسين بن الضحّاك ، شاعر من ندماء الخلفاء ، ولد ونشأ بالبصرة وتوفي ببغداد سنة ٢٥٠ هـ انظر الأغاني ١٦٥/٦ - ٢٠٥ ، وتاريخ بغداد ٥٤/٨ •

الذي يعدّه أربابُ البلاغة من ساقط الشعر يكون جيداً عند غيرهم غير معيب، إلا ما هو ساقط إلى الغاية . وهذه الشكّة هي العلة في قلّة الجيد من الشعر .

ومن أين في شعر العجم ما في شعر العرب من المجاز والاستعارة والكنية والتشبيه والتورية والاستخدام والجناس ، على اختلاف كل نوع من هذه الأنواع وتشعب أقسامه . إلى غير ذلك من أنواع البديع وهو ما يقارب المائة نوع . هيهات ما بينهما صيغة « أفعل » .

وذكر الحصري^(١) في « زهر الآداب » أن أعرابياً قال لشاعر من أهل النمرس : الشعر للعرب ، وكل من يقول الشعر منكم ، فإنما نزا على أمّه رجل متاً . انتهى^(٢) .

وقد أنصف ابن خلكف في قوله : « وللعرب بيت وديوان ، وللعجم قصر وإيوان » وأما دعواه أن الشاعر لا يحسن في الأكثر ، فاعذر في ذلك ظاهر . لأنّه في ضاقتين شديتين إلى الغاية . وهما : الوزن ، ولزوم الروي الواحد . والناثر غير مضطر إلى شيء منهما ، بل هو مختلئ ونفسه ، إن شاء أتى بسجعتين على حرف واحد ، وإن شاء على أكثر ، وإن شاء أتى بالسجعة على عشرين كلمة ، أو على أقل إلى كلمتين . ولو أتى الكاتب برسالة مطوّلة على حرف واحد في سبعة ، وعدد مخصوص من كلمات السجع ، لكان حاله حال الشاعر ، بل كان كلامه أسعج وأثقل على الأسماع والقلوب ، لأنّ الشعر يروّجه الوزن ، ولا كذلك النثر . فحينئذ لا يصلح هذا أن يكون فضيلة في النثر على النظم .

(١) الحصري هو إبراهيم بن علي الأنصاري أبو إسحق . أديب نقاد من أهل القيروان ، صاحب كتاب « زهر الآداب » وله شعر (ت ٥٣ هـ) أنظر وفيات الأعيان ١٣/١ .

(٢) . . . وزاد عليه جواب الرجل الفارسي : « وكذلك من لا يقول الشعر منكم فانما نزا على أمّه رجل منا ! » أنظر زهر الآداب ٥١/٣ .

وكيف ولم يزل للشعر ماءً يرفء عليه ريحان القلوب^(١)

(١٣٨ / ب)

وليكن هاهنا آخر ما أردته من الكلام على « المثل السائر » وقد سامحته في كثير سقطه فيه ظاهر .

على أنني لا أنكر ما له فيه من الإحسان ، والنشكت التي هي لعين هذا الفن إنسان فإنه لم يأل جهداً في التوقيف الذي وقفه ، ولم يتقصّر في التثقيف الذي ثقفه .

وقد نبّه على محزّات هذا الفن ، وأشار إلى اقتناص ما شرد منه وما عن . وإذا اتفق للكاتب أو الشاعر مراجعة « المثل السائر » و « الفلك الدائر » وهذه الأوراق ، فلا مريّة في أن ذلك يفيد فوائده جمّة ، ويتنبّه لموارد الخطأ فيجتنبها ، ويتيقظ لمواقع الحسّن فينتجعها .

وقد أهديتها لك وهي عندي على الأيام من أزكى الهدايا والله الحمد أولاً وآخراً ، والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيّبين الطاهرين والسلام .

(١) ذكر الجرجاني في الوساطة ٢٠ أن البيت لأبي تمام من قصيدة قالها في يوسف السراج شاعر مصر في وقته . وليس البيت في ديوانه .

« الفهارس »

- الموضوعات *
- الآيات *
- الأحاديث *
- القوافي *
- الأمثال *
- الكتب *
- القبائل *
- البلدان والأمكنة *
- الأعلام *
- المصادر والمراجع *

« فهرس الموضوعات »

الصفحة

الموضوع

٥٣	الابتداء بالحمد
٥٣	عجز الحريري عن إنشاء ما طلب منه في الديوان
٦٣	ثقافة الأديب
٦٦	هل تضر مخالفة النحو في المعنى ؟
٦٨	هل يقدر اللحن في حسن الكلام ؟
٦٩	حول لون البقرة في الآية « صفراء فاقع لونها »
٧٠	التأدب في الحديث عن العظماء
٧١	إنكار التلقب بالناصر على السلطان صلاح الدين
٧٦	رسالة ابن زيادة البغدادي
٧٨	تحديد معنى كل من : البلاغة والفصاحة
٧٨	أقسام علم البيان
٨٢	تعليقات النحاة
٨٨	ما يشترك فيه الكاتب والشاعر
٨٩	كيف يستفيد الكاتب المنشئ من التراث الأدبي
١٠١	الصفدي ينتقد ابن الأثير في بعض إنشائه
١٠٣	مؤاخذات لفظية
١٠٤	ادعاء ابن الأثير الإبداع في رسالة له في ذم الشيب
١٢٣	نماذج من إنشاء ابن الأثير والنقاش حولها
١٣٦	هل سورة النجم مسجوعة على حرف الياء
١٣٧	جمال بعض الألفاظ في مواطن وقبحها في أخرى

- ١٣٧ مناسبة اللفظ للمعنى المراد . نماذج من خطب ابن نباته
- ١٤١ مناقشة حول معنى أخطأ فيه ابن الأثير في إنشائه
- ١٤١ عودة إلى الابتداء بالحمد
- ١٤٢ أقسام التصريح
- ١٤٨ المشبه بالتجنيس وأقسامه
- ١٥١ مناقشة حول معنى أخطأ فيه ابن الأثير في إنشائه
- ١٦١ لفظة « خود » متى تكون حسنة أو قبيحة
- ١٦٢ هل كلمة « الإمة » بالكسر فصيحة
- ١٦٥ حول المعاطلة اللفظية
- ١٦٨ من أنواع المعاطلة
- ١٨٢ حول وصل همزة القطع وقطع همزة الوصل
- ١٨٥ هل صح اطلاع بعض الشعراء والكتاب على حكم اليونان وعلومهم
- ١٨٧ شاهد الحال ودوره في استخراج المعاني
- ١٩٣ فضل المتنبي في لاميته في خيمة سيف الدولة
- ١٩٣ هل أبدع أبو نواس في أبياته « تدار علينا الراح في عسجدية » . .
- ٢٠٧ هل يمكن إبداع معنى من معنى ليس بمبتدع
- ٢١١ مناقشة في نموذج من إنشاء ابن الأثير
- ٢١٤ نماذج من إنشاء ابن الأثير يدعي فيها التقدم
- ٢١٨ الحسن في أبيات ابن بقي « بأبي غزال غازلته مقلتي » . .
- ٢٢٤ أحسن ما قيل في الخمر وكأسها
- ٢٢٦ نماذج من إنشاء ابن الأثير يدعي فيها السمو
- ٢٣٢ نموذج من إنشاء ابن الأثير في ذم الشيب يدعي فيه الإبداع
- ٢٤٠ مناقشة نموذج من إنشاء ابن الأثير

- ٢٤٢ نموذج من إنشاء ابن الأثير يدعي فيه الإبداع
- ٢٤٤ مناقشة رسالة لابن الأثير من عاشق إلى معشوق
- ٢٦٠ مناقشة نموذج من إنشاء ابن الأثير
- ٢٦٢ رسالة لابن الأثير في وصف قسي البندق وحاملها
- ٢٦٦ هل من شرط بلاغة التشبيه أن يشبه الشيء بما هو أكبر منه وأعظم ؟
- ٢٧٠ مناقشة حول التشبيه في أبيات أحد الشعراء
- ٢٧٤ مناقشة نموذج من إنشاء ابن الأثير في التشبيه
- ٢٧٦ براعة التشبيه في بيت للبحثري
- ٢٨٠ مناقشة نموذج من إنشاء ابن الأثير
- ٢٨٠ الالتفات في بعض الآيات
- ٢٨١ إقحام النحو
- ٢٨٤ حول توكيد الضميرين
- ٢٨٦ ابن الأثير يناقش المتنبي في بعض شعره
- ٢٨٩ هل يجب تقديم الأكثر على الأقل في الكتابة
- ٢٩٣ الصفدي يناقش ابن الأثير في التطويل
- ٢٩٦ حول إعجاب ابن الأثير بأبيات أبي نواس السينية . .
- ٢٩٧ الصفدي ينقد رسالة لابن الأثير يدعي فيها الإجادة والإبداع
- ٣٠٣ حول نموذج إنشائي لابن الأثير
- ٣٠٤ حول رسالة لابن الأثير يعارض فيها القاضي الفاضل
- ٣٠٤ حول رسالة لابن الأثير يعارض فيها القاضي الفاضل
- ٣١٣ حول ورود أن بعد لما وأثرها في الدلالة على تراخي الزمن
- ٣١٦ حول الاعتراض
- ٣١٧ حول الكتابة
- ٣٢٠ حول المغالطات المعنوية

٣٣٦	الأحاجي والمغالطات في مقامات الحريري
٣٣٧	أمثلة على الألفاظ الحسان ومناقشة حول ذلك
٣٣٧	الفرق بين الإلفاظ والوصف : أمثلة من وصف السفن
٣٤١	مناقشة الصفدي لابن الأثير في تعليقه على لغز في حمام
٣٤٢	من أقوالهم في الحمام
٣٤٦	أمثلة على الألفاظ الحسان ومناقشة الفرق بين اللغز والتعريض
٣٤٧	الفرق بين اللغز والتعريض
٣٥٠	المبادئ والافتتاحات
٣٥٥	إفتتاحات الكتاب بآية أو حديث أو بيت شعر
٣٥٨	في التخلص والاقتضاب
٣٦٢	التخلص في القرآن الكريم
٣٦٣	نماذج من التخلص في إنشاء ابن الأثير
٣٦٣	التناسب بين المعاني ومناقشة أمثلة من ذلك
٣٦٥	مناقشة ابن الأثير في الاقتصاد والتفريط والإفراط
٣٦٨	المفاضلة بين التسميتين : الإرصاء والتوشيح
٣٧٥	حول السرقات الشعرية
٣٨٠	الاقتصاد في اللفظ
٣٨٤	بين النثر والنظم

« فهرس الآيات »

« أ »

« الصفحة »

- ٦٩ — (إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر)
- ٣٦٥ — (إياك نعبد وإياك نستعين)
- ٣١٧ — (أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه)
- ٢٤٣ — (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون)
- (إن المتقين في جنات ونعيم ، فأكهين بما آتاهم ربهم ، ووقاهم ربهم عذاب الجحيم)
- ١٦٠ — (إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين)
- ٦٩ — (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم)
- ٣٦٤ — (أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفياؤا ظلالة عن اليمين والشمال)

« ب »

- ١٣٦ — (تلك إذن قسمة ضيزى)

« ث »

- ٢٨٠ — (ثم استوى إلى السماء وهي دخان)
- (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات)

« ح »

- ٣٦٤ — (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون)
- (حتى إذا ما جاؤوها ، شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون)

((ذ))

— (اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا) ٣١٤

((ف))

— (فأما الزبد فيذهب جفاء) ١٩٥

— (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ٢٨٥

— (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا) ٢٩٠

— (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) ٢٤٣

— (فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا) ٣١٤

— (فلما ذهبوا به واجتمعوا أن يجعلوه في غيابات الجب) ٣١٤

— (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) ٣٦٦

((اق))

— (قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون) ٣٦٦

— (قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين) ٢٨٥

— (قتل الإنسان ما أكفره ، من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره) ٢٩٠

((ل))

— (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون) ٢٨٨

— (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) ٣٥٣

— (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) ٢٨٨

— (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) ٣٦٧

((م))

— (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل) ١٨٣

— (من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي) ٧٠

- ٢٩٢ - (وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى)
- ٢٨٦ - (وإما أن نكون نحن الملقين)
- ١٤٥ - (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)
- ٢٨٠ - (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا)
- ٢٣٣ - (واشتعل الرأس شيبا)
- ٣٥٣ - (وفي السماء رزقكم وما توعدون)
- ٢٨٥ - (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة)
- ٣٦٦ - (وكفى بنا حاسبين)
- ٨٢ - (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم)
- (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفةعلقة فخلقنا العلقه مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين)
- ٢٩٠ - (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي)
- ٢٩٢ - (وما تؤخره إلا لأجل معدود ، يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ، فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها)
- ٢٨٩ - (وهم ينهون عنه وينأون عنه)
- ١٤٤ -

- ٨٩ - (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ، وأنزلنا إليكم نورا مبينا)
- (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث ، فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة)
- ٢٩١ -

« فهرس الأحاديث »

« الصفحة »

« أ »

- ١٦٨ - « إن أبغضكم إليّ الثرثارون المتفيهقون المتشدقون »
- ٤١ - « إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »
- ٥٤ - « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد »
- ٢١٥ - « إنكم تحشرون على أرض بيضاء كقرص النقي »

« ج »

- ١٤٦ - « جار الدار أحق بدار الجار »

« ح »

- « احذروا ثلاثاً: الحرص فإنه أخرج آدم من الجنة ، والكبر فإنه حطّ -
- ٤٢ إبليس عن مرتبته ، والحسد فإنه دعا ابن آدم إلى قتل أخيه »

« خ »

- ١٤٤ - « الخيل معقود بنواصيها الخير »

« س »

- ٧٤ - « سيولد لك بعدي غلام وقد نحلته اسمي وكنيتي ولا يحل لأحد بعده »

« ك »

- ٤٣ - « الكبرياء ردائي فمن ثأزعني أدخلته النار »
- ٥٣ - « كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم »

« ل »

- ٧٣ - « لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي »
- ١٨٢ - « لو كان الإنسان كالقدح ، لقال الناس : ولولا »

« م »

- ٦٧ - « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »

((فهرس القوافي))

((الهمزة))

((القافية)) ((البحر)) ((العدد)) ((الشعاع)) ((الصفحة))

((ء))

١١٧	ابن الشبل البغدادي	١٠	الخفيف	ضراء	إنما نحن بين
١١٨	المتنبي	٢	الكامل	سوداء	لبس الثلوج
١٥٠	المتنبي	١	الكامل	الأقذاء	ولكل عين قرّة
١٨٤	أبو نواس	٢	البسيط	أشياء	فقل لمن يدعي
٢٢٤	ابن المعتز	١	الوافر	سواء	وزنا الكأس فارغة
٢٤٠	يوسف بن هارون الرمادي	٢	الكامل	سواء	لا الرأء تطمع
٣٢١	جمال الدين ابن مطروح	٢	الكامل	سوداء	انظر تجد وجه
٣٢٨	ابن قزل	٢	مخلع البسيط	الفناء	تري ابن سيناء
٣٢٩	أبو الحسين الجزار	٢	خفيف	الأعضاء	إن فصل الشتاء
٣٢٩	ابن قزل	٢	الكامل	العواء	بدر جعلت القلب
٣٥٤	الحسن بن مطير	١	الكامل	ماء	لو كان من لحج

((ء))

١١١	أبو تمام	١	الكامل	بالأسماء	خرقاء يلعب
٢٣١	ابن حمديس الصقلي	٢	السريع	خضراء	اشرب على بركة
٢٤٠	الأرجاني	٢	الخفيف	الخطباء	هجز الرأء واصل
٢٧١	الوإواء الدمشقي	٢	الكامل	الندماء	وكانها وكان حامل
١٥٥	الصفدي	٢	المجث	عنائي	لما تشاءيت عنكم
٣٥٤	التهامي	١	الكامل	مائه	كالبحر تمطره
٣٧٥	المتنبي	١	الكامل	بفدائه	لو قلت للدنف

((الباء))

((ب))

٤٩ - ٤٨	عز الدين ابن أبي الحديد	١٤	الطويل	مرهوب	الا أن نهج المجد
٩٢	٤	١	الطويل	لعجيب	فان كان من در
١١٤	الصاحب ابن عباد	٢	الطويل	انسب	أشعب لكن بالمعالي
١٤٩	الصفدي	٣	الطويل	واهب	تذكرت عيشا مر
٢٠٢	أبو بكر ابن سعد البطليوسي	١	الطويل	محارب	كان أهازيج
٢٣٠	الخبز أرزي	٢	البيسط	يحتجب	خاف اللال
٢٣٣	الأرجاني	٢	الطويل	عجيب	وقالوا انتبه
٢٣٧	٤	٢	الطويل	ريب	وقالوا شباب المرء
٢٤٩	ابن سناء الملك	٢	الطويل	القرب	وغانية لم تعد كالسهم رامية
٣٨٢	الأرجاني	١	السريع	يحبه	يقربه
٤٥	عز الدين بن أبي الحديد	٦	الطويل	خطبه	وحقك لو ادخلتني
٤٦-٤٥	الصفدي	١١	الطويل	صواب	علمنا بهذا القول
٢٣٤	الشافعي	١	الطويل	غرابها	ايا بومة قد عششت
٢٧٠	كعب الأشقري	٣	الطويل	سحابها	محلقة دون السماء
١٨٧	بشار بن برد	١	الطويل	كواكبها	كان مثار النقع
٣١٧	الفرزدق	١	الطويل	يقاربها	وما مثله من الناس
١٢٨	البحثري	١	المنسرح	نسبه	لست اعتد للفتى
٢٢١	القاضي الفاضل	١	الكامل	تحاسبه	وقد خفقت راياته
٢٤٨	أبو فراس	٢	الطويل	حبيب	اساء فزادته

((ب))

٢٣٥	الفري	١	الوافر	غرابا	قطاة في الهداية
٢٤٢	ابو الحسين الجزار	٢	مجزاء الرمل	الشرابا	قلت لما سكب
٢٦٣	٤	١	الطويل	تنكبا	تنكب رماح الخط
٢٤٦	جرير	١	الوافر	كلابا	ففض الطرف
٣٧٨	العباس بن الاخنف	٢	الكامل	المحبوبا	لم الق ذا شجن
١٠٨	عبدالله ابن عبد الظاهر	٢	السريع	أصحابه	إياكم أن تنكروا
١٠٩	السراج الوراق	٢	مجزاء الكامل	التهابة	وأراد اطفاء السرا
٣٣٣	ابن النقيب	٢	الوافر	أوبه	اقول لنوبة الحمى
٣٧٠	ابن النبيه	١	المحدث	هبه	لبق أقب فيه هيف
					فليس لوصل من
٩١	٤	١	الوافر	فيأبى	يدعي

((ب))

٥٨	ابو تمام	١	الكامل	شباب	وزيدهامر الليالي
١١٥	الشافعي	٢	البسيط	يصب	الأسد لولا فراق
					يمدون من أيـد
١٤٣	أبو تمام	١	الطويل	قواضب	عواص
١٦٩	ابن خلكان	٣	الكامل	كالفيهب	قسما بوجهك
١٧٦	المتنبي	١	الطويل	بضرب	وفي تعب من يحسد
					ساروا ومسك
٢٠١	ابن عبدون	٢	البسيط	تدهيب	الدياجي
					واترجة جاءت
٢٠٩	بيليك القفجاق المعري	٢	الطويل	حبيب	إيسك

«الصفحة»	«البحر» «العدد» «الشاعر»	«القافية»
٢٢٦	أبو الحسن الفكيك ٢ البسيط	بكر خطاب اذا ما الغضب
٢٢٧	ابن لنكك ١ الخفيف	عصرت من دم بالقلوب
٢٢٨	امرؤ القيس ١ الطويل	الم تر اني كلما جئت تطيب
٢٤٤	منصور بن كيفلغ ٢ مخلع البسيط	يسير من كفه مداما الرقيب
٢٥٠	العباس بن الأحنف ٢ الطويل	واحسن أيام الهوى بالعتب
٢٦١	المتنبي ٢ البسيط	فليت طالعة تغب
٢٧١	الخالديان ٥ الطويل	وحلقات قد تاهت الصعب
٣٢٤	ابن النبيه ٢ البسيط	لو لم تكن ابنة لهب
٣٢٤	ابن سناء الملك ١ المحدث	كنت مثل الظبي غب
٣٢٤	الصفدي ٢ الطويل	أتينا عريش الرمل لهب
		أيا عجبا من صابر الضرب
٣٤١	الصفدي ٢ الطويل	وكدرت حمامي
٣٤٥	النصير الحمامي ٢ الطويل	بغيبتك مشرب
٣٨٣	ابن بابك ١ المشرح	أصبحت في صولجانه الضارب
٣٨٨	المتنبي ١ البسيط	فلا تنلك الليالي بالغرب
٢٣٣	أبو تمام ٢ البسيط	رأت تبسمه فاهتاج انسكي
٢٣٥	القاضي الفاضل ٢ البسيط	إليك بعد انقضاء أربي
٢٥٧	ابن رواحة الحموي ٢ مخلع البسيط	إن كان يحلو عذابي
٣٢٩	أبو الحسين الجزار ٢ مجزء الرجز	يا مالكي ماشافعي أدبي
٣٥٠	السراج الوراق ٢ الوافر	بعثت لك الكتاب بالكتاب
٣٧٩	عبد المحسن السوري ٣ الطويل	تعلقته سكران لهيب
		والسمهرية ليس
١١٥	المعري ١ الكامل	يشرف غابه
٢١١	؟ ٣ الطويل	ومتصف بالفتك نابه

« القافية » « البحر » « العدد » « الشعاع » « الصفحة »

٣٧٥	ابن الخياط	١	الطويل	لحيه	اغار إذا آتست
١٦٠	؟	٢	مجزوء الرمل	لمحيه	لو أراد الله خيرا
٢٣٤	الفزي	٢	المنسرح	قضيه	تألق الشيب وزائرة تزور بلا
٣٣٣	اليهدوست الديلمي	٤	الوافر	حبه	رقيب
٢٧٣	العكوك	١	الطويل	كواكب	كان سمو النقع
٢٧٦	البحثري	١	الكامل	بكوكب	وتراه في ظلم الوغى
٣٩١	أبو تمام	١	الوافر	القلوب	وكيف لم يزل

« ب »

١٠٧	؟	٢	السريع	الشنبة	وشادن مبتسم
١٥٣	الصفدي	٢	السريع	القشيب	يا ساحبا ذيل
٢٣٢	؟	٣	السريع	الحبيب	كأن لينوفرها
٣٤٥	النصير الحمامي	٢	مجزوء الرجز	كالسحب	لي منزل معروفة

التناء

« ت »

٣٠٠	؟	٢	السريع	الناعت	ونرجس قابل
-----	---	---	--------	--------	------------

« ت »

١٢٥	كشاجم	٢	منسرح	شبكة	دارت ملاويه فيه
-----	-------	---	-------	------	-----------------

« ت »

٨٠	محمد بن عبدون	٢	الطويل	ثابت	الا في سبيل اللهو
----	---------------	---	--------	------	-------------------

١٤٣	ابن قلاقس الإسكندري	١	الضعف	الباسقات	الحفا من غفوفك
١٥٧	كفر عزة	١	الطوفل	حلت	خلفلى هذا ربع
١٥٨	عمرو بن معد فكب	١	الطوفل	فاسبطرت	ولما رأفت الخفل
١٥٨	أبو تمام	١	الطوفل	أفت	نساءلها فف الموفان
١٥٨	سلمى بن ربففة	١	الكامل	فالحلت	حلت تماضر
١٥٩	سلمفان بن قفه العدوف	١	الطوفل	حلت	مررت على أففاف
١٥٩	(من الحماسة)	١	الطوفل	الدبرات	و حرب فضع القوم
					فا من وفقت على
٢٥٧	محاسن الشوا	٢	البسفف	العنت	فرط
٣١٧	ابن الفارض	١	الطوفل	المثلفت	هفب قبل ففنى
١٦٧	ابن الفارض	٤	الطوفل	كالأرفكة	أفا زافرا حمر
					وعلى أن أفضف
٤٤	؟	١	الكامل	وقتها	صلافف

« ن ° »

١٩٢	الصففف	٣	البسفف	صاحت	أقسمت ماسجفت
٢١٠	الصففف	٢	المقارب	فنف	و حمراء لما ترشفتها
٣٢٨	ابن قزل	٢	السرفع	بالمرسلاف	أقسم من فففنف
١٩٠	ابن الذروف	٢	السرفع	للأساة	سودو و تحمر الظفبف
٢٢٦	أبو العلاء المرفف	٢	مخلع البسفف	عرفته	لم فكن الفن

« الففم »

« ف »

١٢٨	ابن الرومف	١	الطوفل	فخرج	كذاب على فف
					الموفان

«الصفحة»	«الشاعر»	«العدد»	«البحر»	«القافية»	
٩٠	؟	١	الطويل	تهيجُ	يحرك أعطاف
١٩٢	الصفدي	٢	الخفيف	عجاجُ	قد ركبنا على البريد
٢٠٣	الأقيشر	٢	البسيط	غنجُ	وقد تقوم على رأسي
٢٢٣	الصفدي	٢	الكامل	يتموجُ	لما رقدت أتى
٢٧٩	ابن فتحون	٢	الكامل	يتموجُ	والماء فوق صفائه
	ناصر الدين حسن	٣	البسيط	ديباجُ	يا من مقاماته
٣٢٩	ابن النقيب				
٣٨٠	بشار بن برد	٣	البسيط	اللهجُ	من راقب الناس

«ج»

٨٦	؟	١	البسيط	دجا	وما يقوم لاهل
٣٧٨	شهاب الدين ابن الخيمي	٢	المديد	لجاجا	وعذول رابني

«ج»

١٥٠	المتنبي	١	الوافر	الدجاج	فإن تفق الأنام
٢١٨	الصفدي	٢	السريع	النهج	تبا لها من بلدة
٢٦٧	محمد بن هاشم	٢	الكامل	المترجوج	والمشتري وسط

«ج»

٢٥١	عليه بنت المهدي	٢	الرمل	لسمجُ	وضع الحب
-----	-----------------	---	-------	-------	----------

«الحاء»

«ح»

٣٠٨	ابن شرف القيرواني	٣	الوافر	الشحيحُ	وبلقيسية زينت بشعر
-----	-------------------	---	--------	---------	-----------------------

«الصفحة»	«الشاعر»	«العدد»	«البحر»	«القافية»	
٣٣٥	ابن الساعاتي	٢	الطويل	مجاديع	وكائن سقى جيشا

«ح»

١٩٠	المعري	١	الوافر	جريحا	إذا ما احتاج
٣٠٨	ابن رشيق القيرواني	٢	الطويل	الصرحا	يعيبون بلقيسية
٢٠٠	أبو فراس	٢	الكامل	كالاشباح	اغمام ما يدريك
٢٢٤	أبو علي إدريس اليماني	٢	الكامل	الراح	ثقلت زجاجات اتنا
٣٦٢	؟	١	الكامل	المدوح	بيتا ذائب
١٣٥	مجد الدين ابن الظهير	٣	الكامل	بقرحه	قلبي وظرفي

«ح»

١٤٣	ابن الساعاتي	١	مجزاء الكامل	جناح	بالله يارسل الرياح
٢٠٩	أبو نواس	١	مجزاء الرمل	يصيح	بح صوت المال مما
٢١٧	شهاب الدين الشاغوري	٣	البسيط	قدح	قد أحمده الجمر
٢٦٠	برهان ابن الفقيه نصر	٢	المتقارب	راجح	بخدمتكم لم ائل
٢٨٠	القاضي عياض	٢	السريع	الرياح	كأنما الزرع وخاماته
٣٧١	الحريري	١	السريع	السماح	اعدد لحسادك

«الخاء»

«خ»

١٥٥	الصفدي	٢	الوافر	فسخ	له في خده آيات
-----	--------	---	--------	-----	----------------

«خ»

١٨٨	أبو البقاء العكبري	٢	الخفيف	ساخا	وغدير رقت حواشيه
-----	--------------------	---	--------	------	---------------------

« د »

٥١	الفزي	١	الطويل	مولود	وما عقت أم الندى
٥٢	ابن سناء الملك	٢	الخفيف	المولود	شهد الكاملون
١٠٦	ابن صردر	٢	الكامل	الميعاد	لم أبك أن رحل
١١٢	السراج الوراق	٢	الخفيف	يعد	شؤم أم الخبايث
١٢٨	الفزي	١	الطويل	بارد	فلا تبغ برهانا
١٧٣	المتنبي	٢	الطويل	وغد	اذم إلى هذا الزمان
٢١٠	مهيار الديلمي	٢	الطويل	وحيد	هل السابق العجلان
٢٢٥	ابن حمديس	٢	الكامل	تبدد	جام تجمع شربه
٣٤١	؟	٢	مجزء الرجز	يوجد	إلى النساء يلتجى
٣٨٢	الأرجاني	٢	الطويل	تشهد	فلا تنكروا حق
١٤٣	الفزي	١	الكامل	وجده	لولا تذكر ما تقادم
					شمس ضحاها
٥٦	؟	١	المنسرح	زبرجدها	هلال

« د »

١٦١	أبو تمام	١	الكامل	فخودا	والى بني عبد الكريم
١٩٦	الناشيء	٣	الكامل	غيدا	في كأسها صور
٢١١	الصفدي	٢	الخفيف	تهدي	قلب الدن من أحب
٢١٢	أبو العلاء المعري	٢	الوافر	القتادا	ولو أن السحاب
٢١٤	ابن الساعاتي	٢	الكامل	المدى	ومتى يحاول بلدة
٣٦٠	ابن سناء الملك	١	الكامل	الندى	لا يرجع الكلف
٣٨١	ابن الرومي	١	الطويل	أبعدا	كأنني استدني بك
٣٨٢	ابن قسيم الحموي	١	الخفيف	بعدا	فهو كالسهم
١٥٤	الصفدي	٢	السريع	فائدته	قالوا وقد مادت

((د))

٤٦	ركن الدين ابو القاسم محمود بن الحسين عز	٢	مخلع البسيط	بعيد	لقد اتى باردا
٤٧	الدين بن أبي الحديد	٥	السريع	العبد	لولا ثلاث لم اخف
٤٨	طرفة بن العبد	٤	الطويل	عودي	فلولا ثلاث هن
٧١	؟	١	الطويل	غد	بصير بأعقاب
٨٠-٧٩	؟	٤	الوافر	المستجد	اخو لخم أعارك
١٢٤	النافقة الذبياني	٢	الكامل	متعبد	لو أنها عرضت
١٤٣	ابن قلاقس الإسكندري	١	الرجز	للغد	عدد ودع ذكر
١٥٤	الصفدي	٢	الكامل	شارد	انفقت كنز مدائح
١٧٢	المتنبي	٣	الوافر	العباد	نلومك يا علي
					فأصبح يلقاني
١٨٦	أبو تمام	١	الطويل	والد	الزمان
١٨٩	ابن المعتز	١	الكامل	حداد	وأرى الثريا
١٨٩	؟	١	الطويل	سود	كان كؤوس الشرب
	جعفر بن يحيى بن عتال	٣	مخلع البسيط	سهاد	حبك للذبل معنى
٢١٩	الداني				
٢٢٣	ابن قلاقس الإسكندري	١	البسيط	غاد	ونحن في منزل
٢٣٧	مسلم بن الوليد	٢	البسيط	مودود	الشيبة كره وكره
٢٦٨	الغزي	٢	الكامل	الوادي	سد البسيطة نازلا
٣١٥	مروان الأصغر	١	الطويل	البعد	سقى الله نجدا
١٢٤	اليحترى	١	الخفيف	وعقيد	مستميل سمع
٣٢٥	المشد بن قزل	٢	الكامل	العواد	يا أهل ودي دعوة
٣٢٥	ابن سناء الملك	٢	الكامل	كالمتندي	بأبي أنت وأمي
٢٣٠	ابن قزل	٢	مجزء الرمل	تعدي	عدت فيه جاهلي

٣٣٩	ابن قلاقس الإسكندري	٥	البسيط	بأطواد	وقد رأيت به جارية جاءت من
٣٤٧	؟	٤	السريع	القصد	الهند
٣٥٩	أبو تمام	١	البسيط	الجود	أمطلع الشمس تبغي
٢٥٩	علي بن الجهم عبد الحكم بن الخطيب	٢	البسيط	أخدود	وليلة كحلت بالنفس
	العراقي	٢	البسيط	الولد	أخرجت من كبدي
٣٨٣	ابن المغلس	٢	الوافر	كد	أراد دنوها
١٦٩	أبو تمام	٣	المشرح	أجده	تامكه نهده مداخله
٢٣٢	؟	٢	الكامل	قده	وكانه إذ غاب
٢٥٨	؟	٢	السريع	ردّها	الخمير يا إبليس

« د »

١٧٨	ابن هانيء	٤	الرملي	القتاد	أمسحوا عن ناظري
٢٤٨	المتنبى	١	المشرح	حاقد	زيدى أذى مهجتي
٣٧٢	؟	٧	مجزء الرجز	رقد	ها أنذا عاري الجلد

« ر »

« ر »

١٠٩	ابن الساعاتي	٢	البسيط	عمر	ليوسف يوسف
١١٩	أبو تمام	١	الكامل	الأوطار	لا أنت أنت
١٣٩	أبو زبيد الطائي	٣	الطويل	قاهر	عبوس شمس
١٨٣	المتنبى	١	الوافر	الانتظار	يوسطه المفاوز
١٨٥	أبو نواس	٣	الطويل	السكر	أباح العراقي

«الصفحة»	«الشاعر»	«العدد»	«البحر»	«القافية»	
١٩١	الصفدي	٢	الخفيف	ينيرُ	قلت إذ قيل
١٩٢	الحسن النظري	٢	الكامل	يدورُ	ما عامل يحكي
٢٠٥	أبو نواس	٢	المنسرح	السترُ	ظلت حميا الكأس
٢١٤	شهاب الدين محمود	٤	البسيط	المطرُ	وأمرت بها المجانيق
٢٢٨	؟	١	السريع	العنبرُ	وريجها أطيّب
٢٣٦	الفري	٢	الخفيف	النفورُ	كيف لا ينفر الأطباء
٢٤٩	ابن الدؤينة	١	الطويل	الفقيرُ	لئن كان يهدي
٢٥٢	الصفدي	٤	الكامل	السمارُ	وإذا تهتك في الهوى
٢٥٤	؟	٢	الطويل	ناظرُ	إلى الطائر النسر
٢٦٢	الحارثي (الحماسي)	٢	الطويل	تحصرُ	نسلبت عظامي لحها إن الحصون
٢٦٢	ابن قزل	٢	الكامل	الأصوارُ	لكالعيون
٢٧٨	أبو فراس	٢	الكامل	جرارُ	وقفلت عنهم غانما
٣٠٣	أبو قراس	٢	الطويل	صافرُ	وانفذ من ثقل
٣٢٢	مجير الدين ابن تميم	٢	الوافر	الصدورُ	وليلة قرة قدهب
٣٣١	مجاهد الخياط	٤	المجتث	فخرُ	أبا الحسين تأدب
٣٣٨	السراج الوراق	٢	المتقارب	يسيرُ	وما هو شيء علينا
٣٣٩	ابن قلاقس	٢	البسيط	تنحدرُ	تري المواخر تجري
٣٨١	عبيد الله الحماسي	٢	الوافر	الفطورُ	شقت القلب من راقب الناس
٣٨٠	سلم الخاسر	٢	مخلع البسيط	الجسورُ	مات
٢٠١	الصفدي	٢	الطويل	مصورُ	ومشمولة قد هام
٢٢٣	ابن سناء الملك	٢	البسيط	ساحره	من كل محتكم
٢٢٨	كثير عزة	٢	الطويل	عرارها	وما روضة بالحزن

٢٦٧	ابن قزل	٢	الكامل	طاره	فصل كأن البدر فيه
٥٣	خالد بن زهير الهزلي	١	الطويل	يسيرها	فلاتجزعن من سنة

«و»

المثل السائر

٤٤	موفق الدين ابن أبي الحديد	٢	السريع	الدائرا	ياسيدي
٥٢	ابن الساعاتي	٢	الكامل	الذرى	ما من يقيس اليه
١١٤	ابن قلاقس	٣	مجزؤ الكامل	بدرا	سافر إذا حاولت
١٤٩	الصفدي	٣	الوافر	زارا	بنفسي من إذا ذكر
١٨٦	المتنبي	٢	الكامل	الإسكندرا	من مبلغ الأعراب
١٩٧	ابن سناء الملك	٥	مجزؤ الكامل	أورى	ما الدر اذا الحبا
١٩٩	ابن قلاقس	٢	الكامل	يتسعرا	لو لم يصبها الماء
٢٠٠	ابن الذروي	٣	مجزؤ الكامل	قيصرا	ومصور نازعت
					جزيت بحمراء
٢١٠	شهاب الدين التلعفري	١	الطويل	مقرا	الكميت
	إبراهيم بن العباس الصولي	١	الرملي	افتقرا	يعرف الأبعد أن
					أثرى
٢٥٥	السليك بن السلعة	١	الوافر	شنارا	من الخفرات
٢٩٨	ابن عبد الظاهر	٢	الخفيف	الأبصارا	جندا مشمش
٣١٢	جمال الدين بن مطروح	٣	السريع	سائرا	المسجد الأقصى
٣١٣	القاضي الفاضل	١	الطويل	شهرأ	وهذا بديه لا كتجير
٣٢٦	السراج الوراق	٣	الكامل	العرى	رفعوك وانتصبوا

«الصفحة»	«الشاعر»	«العدد»	«البحر»	«القافية»
٣٧٢	المتنبي	١	الكامل	امي ابا الفضل جوهر
١٢٨	الصفدي	٢	البسيط	رايت في طاقة كالبدر النضرة
١٥٥	الصفدي	٢	مجزء الرمل	رثا سار بقلبي سيره
٢٦٠	المشد ابن قزل	٢	الhezج	بدا في الدرع السمره
٣٧٣	؟	٢	مجزء المديد	وفتى من مازن البصره
٣٧٤	البهاء زهير	٢	البسيط	لم يقض زيدكم سحره
٣٤٥	؟	١	الطويل	ولو ان لي في كل مقصرا
١٦٥	؟	١	الرجز	وقبر حرب في مكان قبر
٣٠٢	النصير الحمامي	٣	مجزوء الرجز	ما اسم سما يزهر

« ر »

٥٩	؟	١	الطويل	وسار مسير البحر
١١٠	؟	٢	الكامل	ذكرت حقائدها العصار
١٢٥	؟	٢	الطويل	اذا اخذ القرطاس جوهر
				عتاب بأطراف
١٢٩	البحثري	١	الطويل	القوافي المتكسر
١٤٣	الغزي	١	الكامل	ذهب الصبا فتنبى مسفر
				من كل ساجي
١٤٥	البحثري	١	الكامل	الطرف أحور
١٤٧	ابو الفتح البستي	٣	الوافر	ابا العباس الا عار
				تحسب
١٦٠	؟	١		عز على ليلي بذي الغمير
١٧٨	ابن هانيء	٢	الكامل	وجنيت ثمر الوقائع الأخضر
١٩١	ابن المعتز	١	البسيط	ولاح ضوء هلال الظفر

«الصفحة»	«الشاعر»	«العدد»	«البحر»	«القافية»	
١٩٧	أبو تمام بن رباح	٣	الطويل	الخمير	وكاس بدا كسرى
٢٠٢	الأخطل	١	البسيط	أسوار	فردا يعنيه ذبان
٢٢٣	ابن سناء الملك	١	السريع	طائر	يا طائر الحسن
٢٢٣	ابن سناء الملك	١	الطويل	طائر	وطائر حسن طار
٢٣١	التنوخي	٣	الكامل	يصبر	ألف المياه مشاكللا صدت شرير
٢٣٤	ابن المعتز	٢	الكامل	الفدر	وأزمنت
٢٤٠	أبو الطروق	٢	البسيط	للشعر	ويجعل البرقمحا
٢٧٧	المعتمد بن عباد	٢	المتقارب	بالمفر	ولما اقتحمت الوغى يا مؤثرا قصدي
٣٢٦	مجير الدين محمد بن تميم	٢	الكامل	أمير	حماه
٣٢٦	التلعفري	٢	الكامل	عبر	وإذا الشنية أشرقت وكم ليلة بتها
٣٢٧	أبو الحسين الجزار	٢	الطويل	اليسر	معسرا
٣٢٨	؟	٢	الطويل	الحشر	أناشده الرحمن لا تأمنن فزاريا
٣٤٦	سالم بن داره	١	البسيط	بأسيار	خلوت ونرجس خضل
٣٦٠	أبو عبد الله السنبسي	٢	البسيط	كافور	تحكى
٣٦٠	ابن سناء الملك	١	السريع	للظاهر	فالوجد لي وحدي
٣٦٠	ابن الساعاتي	١	الكامل	أسمر	وجدي وإن كنت
٣٦١	أبو الحسين الجزار	٢	الطويل	سكر	جسرت على لثم أعندك الشمس
٣٧٦	أبو تمام	١	البسيط	بالقمر	تزهى

أرى وصالك لا يصفو	الأثر	البسيط	٢	كشاجم	٣٨٣
----------------------	-------	--------	---	-------	-----

« ز »

قد نفث السحر قلقل ركابك في	الزهر	مجزوء الرجز	٣	أسعد بن مماتي	١٠٩
الفلا	كدر	مجزوء الكامل	٢	ابن صردر	١١٤
فلما استطابوصبه	للقصور	الطويل	١	امرؤ القيس	١٩٦
وإذا سكرت فاني	السدير	مجزوء الكامل	٢	المنخل اليشكري محيي الدين ابن عبد	٢٠٠
على ذم القطيفة	تكرر	الوافر	٣	الظاهر	٢١٧
لا تنكروا خفقان قلب	زائر	مخلع البسيط	٢	البهاء زهير	٢٢٠
رقت شمائل قاتلي وكل له فضله	تقر	مجزوء الكامل	٢	؟ الصفدي	٣٧١
والحجول	الفرز	المتقارب	١	؟	٣٨٩
وزجاجة حياك منها	قصره	الكامل	٢	ابن قلاقس	٢٠٠

« ذ »

كن كيف شئت	عز	مجزوء الكامل	٢	الصفدي	١٥٥
------------	----	--------------	---	--------	-----

« ذ »

علم الأصول بفخر الدين	اعجاز	البسيط	٣	الصفدي	٤٧
ويرى أنه البصير	العكاز	الخفيف	٢	المتنبي	٣٤٢

« س »

« س' »

١٩٨	ابن سناء الملك	٢	الطويل	وسواس	الاين شراب المدام ورمل كأوراك
٢٦٧	ذو الرمة	١	الطويل	الحنادس'	العداري
٢٤٥	أبو حفص الشطرنجي	١	الخفيف	ابليس'	عرض للذي تحب
٣١٥	أبو نواس	١	الطويل	دارس'	ودار ندامى عطلوها
٢٩٦	أبو نواس	١	الطويل	خامس'	أقمنا بها يوما ويوما
١٠٣	ابن الرومي	١	الطويل	يلبس'	رايت خضاب المرء
١٩٧	ابن بطلال البطلوسي	٢	الطويل	فريستها	وغاب من الأكواس

« س' »

٢٧٧	؟	٢	مجزوء الرمل	خمسا	أسقنيها بنت كرم
-----	---	---	-------------	------	-----------------

« س »

٥٧	أوس بن حجر	١	الطويل	بالامس'	وليس يعاب المرء
١٤٩	الصفدي	٢	مخلع البسيط	باس'	إن انت أصبحت
٢١١	الشاب الظريف	١	السريع	قاس'	ساق يريني قلبه
٢٢٧	البحتري	١	الخفيف	نفس'	أفرغت في الزجاج
٢٧٢	ابن الرومي	٢	السريع	خمس'	أبصرته والكأس خدّ متي قلت ان
٢٩٩	؟	١	البسيط	قس'	الورد
٣٤١	الصفدي	٢	السريع	قاس'	ما أصفر دار على أبيض
٣٨١	سلم الخاسر	١	مجزوء الرجز	بالشمس'	أقبلن في راد

« س »

ومال يسيل جنى نعنس المتقارب ٢ ابن خفاجة ٣٠١

« ش »

وفيشة ليست كهذي وطيش الرجز ١ الحماسة ١٩٥

« ص »

لئن خف صدري مقلص الطويل ٢ السراج الوراق ٣٦١

« ص »

ألم تر أن السيف العصا الطويل ١ ؟ ٣٨٩

« ص »

شربنا على هذا وذاك الرخصر الطويل ٣ ابن سناء الملك ١٩٨

لو يقبض الجزار قانصر الكامل ٢ أبو الحسين الجزار ٢٤١

ويوم قريد أنفاسه قرصها السريع ٢ الجلال بن الصفار ٣٢١

« ض »

وضاحية وردت بها أرضا الوافر ٢ أبو طاهر حيدر ١٨٨

بأبى أغيد أذاب الإعراضا الخفيف ٢ الحظيري الوراق ٣٧١

« ض »

دنياك مذ وعدت تنقضي الكامل ٢ مجير الدين محمد بن تميم ٣٢٣

« ط »

كأن الفتى يرقى ينحط الطويل ١ ابن أبي حصينة ١٠٤

« ط »

وعلو السن قد نشاطي مجزوء الرمل ٢ سبط التعاويذي ١٠٥

« ع »

« ع »

قد يدرك المجد

الفتى

٥٠ إبراهيم بن هرمة ١ الكامل مرقوع

وما تناهيت في بشى أدع البسيط ١ ٦٣

٢٠٣ السلامي ٥ الطويل واقع ولابس لون واحد

٢٠٣ مسلم بن الوليد ١ الطويل الجوامع ففطت بأيديها

٢٣٦ أبو تمام ١ الطويل أسفع له منظر في العين

٢٥٠ جميل بثينة ٢ البسيط الطمع لا خير في الحب وقفا

٢٦١ ٢ الوافر استطاع ألم ترني أكابد فيك

٣١٦ أبو تمام ١ الطويل أطوع وإن الفنى لي أن

وجارية حل لي

٣٣٨ الصفدي ٢ المتقارب يمنع وطوها

شواجر أرماع

١٤٥ البحتري ١ الطويل قطوعها تقطع

« ع »

وأزكى نسيم

الروض

٢٠١ ابن الرومي ٣ الطويل فرجعا

« ع »

٨٧ ١ السريع الواسع أوفدع الأشياء

«الصفحة»	«الشاعر»	«العدد»	«البحر»	«القافية»	
					هبطت إليك من المحل
١٢٢	ابن سينا	٢	الكامل	تمنع	جست مثاني
١٢٥	الصفدي	٣	الكامل	المتورع	عودها
					بيني وبينك ما
٢٥٦	ابن زيدون	٤	البسيط	يدع	لو شئت
٢٦١	نصر الله ابن بصاقة	٢	المقارب	مطاع	فأعجلته عن دخول
٣٣٠	؟	٣	مخلع البسيط	امتناع	بت وبدر الدجى
« غ »					
					فعل الأديب اذا
٢٠٤	؟	٢	الكامل	فراغه	خلا
« ف »					
« فـ »					
٢١٧	أبو الفضل الكاتب	٢	الكامل	تكسف	وأطربنا غيم تمازج
« فـ »					
١١٤	محمد سبط التعاويذي	١	البسيط	الصدفا	قالوا انتزع وتغرب
١٧٨	ابن هانيء	١	الطويل	يخفى	كأن سهاها عاشق
١٧٩	ابن هانيء	٣	الكامل	فمفهفا	ولقد هزرت غصونها
٣٨٣	ابن الرومي	٣	الطويل	عطفا	رأيتك بينا أنت جار
« فـ »					
١٩١	؟	١	الوافر	الفلاف	كأن هلاله مرآة قين
١٩٢	؟	١	الطويل	بالوكف	كأن احمرار الورد

١٩٩	ابن قلاقس	٢	الخفيف	اعتراف	أنهكت جسمها السنون
٢٩٩	شمس الدين التلمساني	٢	الطويل	الوصف	تنسم زهر البان

«ق»

٤٢	أبو الوليد ابن الجنان	١	الكامل	الأعناق	ما الجزع أهل
٢٢١	الشاطبي	٢	الكامل	يصفق	وأبيك لم يخفق
٢٥٠	ناصر الدين ابن النقيب سعد الدين محمد ابن	٢	الوافر	حق	لقد وجبت عليك
٣٧٨	عربي	٢	الكامل	المشتاق	يا من أغار عليك
٢٥٥	الحسين ابن سعد الأمدي	٢	الطويل	أطيقه	تجنيت لي ذنبي
٢٧٧	الغزي	٢	الطويل	الحمالق	وكم رعت من ملمومة

«ق»

٢٧٧	الغزي	٢	الطويل	أزرقا	وقد سلب الطعن
٣٦٣	أبو نواس	٢	الوافر	لتبقى	الا يابن الذين فنوا

«ق»

٤٣	أبو تمام	١	الوافر	بالطلاق	مساو لو قسمن هذا كلام عن الأملاك
١٠٠	أبو العلاء المعري	١	البسيط	السوق	وما الناس إلا هالك
١١٦	أبو نواس	٢	الطويل	عريق	فديت حبيباً خرج
١٥٤	الصفدي	٢	الطويل	عقيق	أقول لنفسي حين
١٦١	معتل بن جوشن	١	الطويل	مشفق	أبعين مفتقر إليك
١٨٠	المتنبي	٢	الكامل	حالق	

١٨٦	المتنبي	٢	الخفيف	المذاق	الف هذا الهواء
٢٠٩	ابن مسهر الموصلي	١	البسيط	بالحدق	ونقطته حبا كي
٢١٧	؟	٢	الخفيف	العراق	يا صدور العراق بأبي غزال غازلته
٢١٨	ابن بقي	١	الكامل	بارق	مقلتي
٢١٩	الصفدي	٤	الكامل	بعاشق	أبعدته من بعد
٢٢٢	ابن تولو	٢	الكامل	الطارق	لم انسّه اذ قال
٢٤٣	المتنبي	٢	مجزوء الرجز	يخلق	وكل ما قد خلق الله
٢٥٨	الحريري القاسم بن علي	٢	الرجز	كالمنافق	تبا له من خادع اي شيء تصبوا
٢٥٨	ناصر الدين ابن النقيب	٢	الخفيف	للمعشوق	النفوس
٢٧٨	المتنبي	٢	الطويل	العلائق	تعود أن لا تقضم
٢٧٨	الصفدي	٢	الخفيف	شقيق	وسيوف اذا مضت
٣٠٠	السراج الوراق	٢	المتقارب	المشوق	فبادر الينا فدتك
٣٠٠	؟	٢	المنسرح	العنق	اما ترى التين
٣٤٠	؟	٢	الهجج	معشوق	ومضروب بلا جرم
٣٣٢	الجزار	٢	البسيط	تصديقي	إني لمن معشر سفك
٢٩٩	مجير الدين محمد ابن تميم	٢	الكامل	عشاقه	إني لأشهد للحمى

« ق »

١٥٣	الصفدي	٢	السريع	اختلف	لا ترع للملاق عهدا
٢٥٩	ابن سناء الملك	٢	المنسرح	عائق	راح رسولا وجاعني

« ك »

عز الدين ابن أبي

٥٠-٤٩	الحديد	٦	الكامل	أراك	عن ريقها يتحدث
-------	--------	---	--------	------	----------------

« القافية »	« البحر »	« العدد »	« الشعراء »	« الصفحة »
قد أشعل الشيب ينسبك	البيسيط	٢	الأرجاني	٢٣٣
ما بين منثور أقام يدرك	الكامل « ك »	٢	مجير الدين محمد ابن تميم	٣٠٠
وإذا قيل من تحب ذاك	الخفيف	١	أبو تمام	٢٤٤
مزرفن الصدغ ضحكا	البيسيط	٢	ابن حمديس	٣٧٠
خلص الهوى لك ملكيكا	الكامل	٣	الخبز أرزي	٣٧٩
« ك »				
يظل بمومة ويمسى المسالك	الطويل	١	تأبط شرا	١٣٨
ما كنت بالباكي الفتاك	الكامل	١	ابن الساعاتي	١٤٣
فتكات طرفك أم				
سيوف فيك	الكامل	٤	ابن هانئ	١٧٩
لئن ساءني أن نلتني ببالك	الطويل	١	ابن الدمينه	٢٤٩
عجبت للبحر الحبك	البيسيط	٢	مجير الدين محمد ابن تميم	٣٣٨
أضاع نسكي عذار تركي	مخلع البيسيط	٤	الصفدي	١٤٦
« ق »				
متيم ود في عينيه نبأك	البيسيط	٨	السرقيطي	١٥١
أما والله لولا خوف برهطك	الوافر	٢	ابن سناء الملك	٢٢٠
« ل »				
وقال السهوي				
للشمس حائل	الطويل	١	أبو العلاء المعري	٥١
فاسقنيها يا سواد لخل	الرملي	١	تأبط شرا	٨٠
نشيطة حسن القد مكسال	الطويل	٢	ابن سناء الملك	١٠٨
لولا انقطاع الوحي بديل	الكامل	٢	المعري	١٢٦

ياأبني معاطف وأعين	نابل	الرجز	٢	عفيف الدين التلمساني	١٥٨
لا تطلبن بآلة لك	مفل	الكامل	٢	المعري	١٤٨
وإنما يبلغ الإنسان	شمال	البسيط	٢	المتنبي	١٧٤
أقسم بالله والآية	مسؤول	السريع	٥	السيد الحميري	٢٢٩
ولما رأيت الشيب	واصل	الطويل	١	؟	٢٢٨
أعدلثقة لوأن واصل	واصل	الطويل	١	؟	٢٤٠
ما لنا كلنا جو					
يا رسول	المتبول	الخفيف	٣	المتنبي	٢٥٩
بتنا ونحن على					
الفرات	النيل	الكامل	٢	ابن ماضي مسيلة	٢٧٣
يا بدر يا بحر يا					
غمامة	رجل	المنسرح	١	المتنبي	٢٨٧
وكان ضوء الشمس	خلاخل	الكامل	٢	محيي الدين ابن عبد	
ونخلة قد علت				الظاهر	٢٩٨
سموا	الجبال	مخلع البسيط	٢	الشريف الناسخ	٣٠٢
وصادحة تردولي	تقول	الوافر	٢	مجير الدين محمد ابن تميم	٣٢٩
وما كنت مجنون					
الهوى				شمس الدين محمد ابن	
عاقل		الطويل	٢	التلمساني	٣٣١
بي شغف شب	الوصال	مخلع البسيط	٣	؟	٣٧٢
قل لابن سيدة	خيول	الكامل	٢	ابن عنين	٣٧٤
وإذا الغزالة في	يترحل	الكامل	٢	؟	٣٨١
المساء				جميل بئينه - او لابن	
وإني لراض منك	بلابله	الطويل	٣	الدمنية	٢٥٣
وإني لمعتاد لحمل	حامله	الطويل	٢	أبو الحسين الجزار	٣٢٣

« ل »

				وسريا رأيته وسط قوم
١٠٢	أبو المقدام الخزاعي	٢	الخفيف	زوالا
١٠٤	المتنبي	١	الخفيف	ولى
١٠٦	الأخطل	١	الكامل	خبالا
١١٣	المتنبي	١	الخفيف	أم لا
١٥٠	المتنبي	١	الوافر	يزالا
١٥٧	عروة بن اذينة	١	الكامل	لها
١٦٢	؟	١	الوافر	الرجالا
٢٠١	الصفدي	٢	المقارب	مبطلا
٢٠٥	أبو نواس	٢	المنسرح	اعتدلا
	محيي الدين ابن عبد			
٢١٧	الظاهر	٢	مجزوء الكامل	نقلا
٢٣٠	مجير الدين محمد ابن تميم	٢	الكامل	تطفلا
٢٣٠	المتنبي	١	الكامل	تقبلا
٢٣٨	ابن خلكان	٢	الوافر	سهلا
٢٥٠	كشاجم	٢	الكامل	قللا
٢٥٦	محاسن الشوا	٣	المقارب	الوصالا
٢٥٩	الارجاني	٣	الكامل	رسولا
٣٥٨	المعري	١	الوافر	فالا
٣٥٨	؟	٢	السريع	جلا
١٣٦	ابن ابي هلال القيرواني	٢	الكامل	دليله

«الصفحة»	«الشاعر»	«العدد»	«البحر»	«القافية»	
٣٢٨		٤	الكامل	المسألة	يا سائلي من بعدهم يا حارثا تروى مقامات
٣٣٠	النور الإسعدي	٣	الكامل	مؤوله	
			« ل »		
	ركن الدين أبو القاسم محمود بن الحسين ٤٦	٢	السريع	الجحفل	فانظر اخا العقل وليس يصح في الأنام
١٢٧، ٨٦	المتنبي	١	الوافر	دليل	
١٠٦	الغزي	٢	الخفيف	القدال	اوهنت زهرة الحياة
١١٠	ابن قزل	٢	الخفيف	وقيل	قد ضجرنا من ماء
١١٠	٤	٢	الطويل	التجمل	سأصبر صبر الحر
١١٣-١١٢	أبو تمام	٢	الطويل	الرجل	إذا ليد نالتها
١٢٤	امرؤ القيس	١	الطويل	مجل	إلى مثلها يرنو
١٣٧	الفرزدق	٢	الطويل	تغلي	ولولا حياء زدت
١٤٩	المتنبي	١	الوافر	محال	نظرت إلى الذين
٣٢٤، ١٦٦	ابن سناء الملك	٣	الطويل	الحابل	وصفتك واللاحى
١٧١	المتنبي	٢	المتقارب	جهل	فذي الدار اخدع
١٧١	المتنبي	٤	الوافر	الدلال	أتتهن المصيبة
١٧٢	المتنبي	٤	الطويل	يبلي	بنا منك فوق الرمل
١٧٥	المتنبي	٢	الطويل	السهل	ذريني ائل ملاينال
١٨٢	المتنبي	١	البسيط	بالجعل	بذي الغباوة من
١٨٨	المعري	١	الطويل	هلال	ولاح هلال مثل
١٩١	سعد الدين ابن عربي	٣	الكامل	الأطوال	ابعدت ظفرك

«الصفحة»	«البحر» «العدد» «الشاعر»	«الغافية»
١٩٧	١ ابن المعتز الوافر	الرجال وكأس من زجاج
٢٠٦	١ امرؤ القيس السريع	شغل حلت لي الخمر
٢٠٨	٣ ابن السراج البسيط	المقل تنافس الليل فيه
٢٠٩	٢ الصفدي الطويل	الفلائل أيا حسن اترج
٢٣١	٢ ابن بابك البسيط	الرجل وافي الشتاء فبز
٢٣٨	٢ خالد الكاتب الكامل	متجمل لما رات شيبا لم
		لغيري زكاة من
٢٤٩	١ المعري - أبو العلاء الطويل	سبيل جمال
٢٥١	٢ العباس بن الأحنف الطويل	حبلي كان لم يكن بيني
٢٥٤	٢ أبو العلاء المعري الكامل	القابل لا قالك في العام
٢٧٢	١ ؟ الوافر	الهلال وساق كالهلال
٢٧٧	٢ ابن الزقاق الكامل	المسيل لو كنت شاهده
٣١٩	١ المتنبي الوافر	كمال رواق العز فوقك
٣١٩	٢ كشاجم الطويل	سجل فأقسم لو أبصرتني
		إني على ما كان
٣٣٠	٢ ابن سناء الملك الكامل	تبطل شغلي
٢٤٩	٢ ؟ الخفيف	كحالي اسقني خمرة كركة
٣٥٩	٢ الفزري الوافر	الكلال تقول إذا حشناها
٣٧٨	٢ الصفدي الطويل	مثلي تدهى عذولي
٣٧٩	٢ أبو تمام مجزوء الوافر	ألمي أغار عليك من قبلي
٣٨١	١ ؟ الطويل	مفصل سقتني بعينيها
١٥٤	٢ الصفدي الكامل	تحصيله وقف القضيب لقده

« ل »

١٥٣ وجدت في عشرة زال السريع الصفدي

٢٢٨	بشار بن برد	١	الرمل	البصل	واذا أدنيت منها بصلا
			« م »		
٧١	٤	٢	الكامل	مخصوص	حججي عليك إذا
٧٦	عمرو بن مسعدة	٣	مجزوء الرمل	إمام	يا إماما لا يدانيه تحلى بأسماء
١٠٧	الفري	١	الطويل	المحرم	الشهور
١٢٠	المتنبي	١	الوافر	الهام	قبيل أنت أنت وأنت كل السيوف إذا
١٢٦	المتنبي	١	البسيط	السام	طال
١٧٠	المتنبي	١	الطويل	يبرم	فلا يبرم الأمر الذي
١٧٣	المتنبي	٢	الوافر	الطغام	وشبه الشيء منجذب
١٧٤	المتنبي	٣	البسيط	فهم	نتاج رأيك في وقت
١٧٧	المتنبي	١	البسيط	صمم	أنا الذي نظر
٢٠٣	ذو الرمة	١	البسيط	ترنيم	كأن رجليه رجلا
٢٣٤	ابن المعتز	٢	الكامل	الآثام	أنا إن نزعنا عن
٢٥١	ابن الدمينه	٢	الكامل	قديم	ولقد أردت الصبر
٢٧٦	ابن الرومي	١	الكامل	أليم	ويلاه إن نظرت
٣٠٥	أشجع السلمي	٢	الكامل	الاطلام	وعلى عدوك يا بن عم
٣٣٩	مجير الدين محمد ابن تميم	٢	الطويل	المتلاطم	ولما ركبنا الفلك
٣٣٩	أبو الحسين الجزار	٦	الخفيف	تحوم	كنت في كلة تطير
٣٥٥	المتنبي	١	الطويل	الصوارم	ومن طلب الفتح
٣٥٨	أبو تمام	١	الكامل	كريم	لا والذي هو عالم

فتوسطا عرض					
السرى	قلامها	الكامل	١	ليد	١٠٢
« م »					
واسكرنا بياننا دام	المداما	الوافر	٣	ابن قلاقس	٥٢
وصف المدامة	الهما	الكامل	٢	؟	١١١
تظلم المال والاعداء	ظلاما	البسيط	١	مسلم بن الوليد محمد بن العباس	٢٠٩
رايتك أن أيسرت	لماما	الطويل	٢	الخوارزمي	٢٢٥
ورب شخصين قط	فهما	المنسرح	٢	السراج الوراق	٣١٨
كم وقفنا فيها مع	غماما	الخفيف	٣	ابن الساعاتي	٣٦١
« م »					
أبعد بعدت بياضا	الظلم	البسيط	١	المتنبي	٢٣٦ ، ١٠٦
يداك يد ربيع	الحرام	الوافر	١	الفرزدق	١٠٧
بدا فدعا الفراش	ظلام	الوافر	١	المعري	١٤٠
قد فاق غصن النقا	التمام	مخلع البسيط	٢	الصفدي	١٤٧
شبكي شجوها					
فرسي	الجسوم	الوافر	٢	المتنبي	١٧٣
عجبت لمن له قد	الكهام	الوافر	٢	المتنبي	١٧٥
وخلا الذباب بها	المتروم	الكامل	٢	عنتره	١٩٥
بنينا على كسرى					
سماء	بنجوم	الطويل	٢	أبو نواس	١٩٦
يا شقيق النفس	أنم		٢	أبو نواس	٢٠٤
لينوفر أبدي لنا	عندم	الطويل	٢	الوجيه ابن الذروي	٢٣٢

«الصفحة»	«الشاعر»	«العدد»	«البحر»	«القافية»	
٢٥٧	الوزير أبو شجاع فاتك	٤	البسيط	وضم	يا ممرضا بتجنيه
٢٦٩	ابن خفاجة	١	الكامل	معجم	في خصر غور ومنظر أرقني
٢٧٩	أبو المظرف المخزومي	٤	السريع	كالأرقم	حسنه
٣٠٣	؟	٢	البسيط	قدم	وعاد لكنه رأس
٣٣٢	المتنبي	٥	الوافر	المنام	وزائرتي كأن بها
٣٣٣	السراج الوراق	٨	الوافر	المنام	وزائرتي وليس بها
٣٣٤	مجير الدين محمد بن تميم	٢	الكامل	كليم	أخفوا شماتهم
٣٣٤	المتنبي	١	الوافر	حرام	إذا ما فارقتني
٣٥٠	الصفدي	٢	الكامل	الققمم	إن كان ذلك قال
٣٥٢	ابن زيدون	١	الخفيف	للفيوم	للسفيح الغناء
٣٥٩	مسلم بن الوليد	٢	البسيط	اللجم	يقول صحبي وقد
٣٦٨	البيحري	٢	الطويل	كلامي	أحلت دمي يوم
٣٧٥	عماره	١	البسيط	حرم	وهل درى البيت
٣٧٥	أبو تمام	١	البسيط	ملتزم	يا من رأى حرما
٢٢٥	ابن حمديس	٢	البسيط	فمه	وكأس نشوان فيها

« م »

٢٤٩	؟	١	مجزوء الكامل	ببالكم	ويدل هجركم على بي قمر جدر لما
٢٧٣	ابن السراج	٢	السريع	هموم	اكتسى

« ن »

٢٤١	أبو الحسين الجزار	٢	الطويل	الأمين	نصحتك فاسمع من
١١٥	ابن الساعاتي	٢	الطويل	عين	وكن غانيا عن كل

«الصفحة»	«الشاعر»	«العدد»	«البحر»	«القافية»
٣٢٥	ابن سناء الملك	٢	الخفيف	بايعته يد السعادة اليمين
٣٤٠	ابن الساعاتي	٢	الطويل	ولما توسطنا مدى جدلان
٣٧٧	ابن قلاقس	٣	مخالع البسيط	وابلائي من مخدره جدران

« ن »

١٥٠	المتنبي	١	الكامل	وانه المشيد عليك الزنا
١٧٤	المتنبي	٢	الخفيف	صحب الناس قبلنا عنانا
٢٠٦	؟	١	البسيط	بيض مفارقنا تغلى أيدينا
٢٢٧	ابن زيدون	١	البسيط	ربيب ملك كأن الله طينا
٢٥٥	؟	٢	مجزوء الرمل	قم بناتفديك روحي يقينا
				فبت وباتت الى
٢٦١	محمد سبط التعاويذي	٢	المقارب	جانبي كلانا
٣٠٦	ابن سناء الملك	١	الكامل	اني رأيت البدر الأحسنا
١٦٦	الحريري (المقامات)	١	السريع	وأزور من كان له عرفاته

« ن »

				وتوهموا اللعب الوغى
٢٧٩	المتنبي	١	الكامل	الميدان
٩١	؟	١	الكامل	والخد بهجته بخال الخيلان
١٠٥	المتنبي	١	الوافر	وكان ابنا عدو أنيسيان
١٠٥	ابن قلاقس	٢	الرجز	في أمر توقيعي الألسن
١١٥	الصفدي	٢	الكامل	ساخر تنل عزا الغزلان
١١٦	الصفدي	٢	الكامل	سافر تنل عزا التيجان
١٢٨	المتنبي	١	البسيط	أفعاله نسب لو لم بالفن
١٣٤	المتنبي	١	الوافر	لها ثمر يشير أوان

« القافية »	« البحر »	« العدد »	« الشاعر »	« الصفحة »
من شروط الصبوح	المكان	الخفيف	١ ابن حجاج البغدادي	١٤٢
قسما بناضر قدك	الريان	الكامل	٣ الصفدي	١٦٩
ليلتي هذه عروس	جمان	الخفيف	٣ أبو العلاء المعري	١٨٨
وكان كل شقيقة	قان	الكامل	٢ الأرجاني	١٩٠
الناس كالأرض				
ومنهام	لين	السريع	٢ الحصري	١٩٠
مولى تفرع من كرام	والمجتنى	الكامل	٢ الصفدي	١٩٠
وتستمع الذباب	الفصون	الوافر	١ المثقب العبدى	٢٠٢
قال وقد ابصر دمعى	بالبين	السريع	٢ الصفدي	٢٠٧
ملك القرط والفؤاد	الخافقين	الخفيف	٢ ؟	٢٢١
وأحوى فاتر				
الأجفان	البنان	الوافر	٢ يوسف بن لؤلؤ الذهبى	٢٢١
أوسعت فيك الدهر	البهتان	الكامل	٢ ابن سناء الملك	٢٢١
يا ساكنا قلبي				
ذكرتك	بالساكن	الكامل	٢ السراج الوراق	٢٢٢
يا ساكنا قلبي			شمس الدين محمد بن	
المعنى	تان	مخلع البسيط	٢ التلمساني	٢٢٢
حسبي الذي ألقاه	كفاني	الكامل	٢ الصفدي	٢٢٤
أليس الله يجمع	تدان	الوافر	٢ جحدر	٢٥٣
عجبا من القوس	الأغصان	الكامل	٢ ابن وضاح المرسى	٢٦٤
وجرى على الورق	الأغصان	الكامل	٥ المتنبي	٢٧٨
نصب العداوة				
حاسدوك	الشان	الكامل	٢ السراج الوراق	٣٢٦
غير خاف عنك	السلطان	الخفيف	٣ جمال الدين ابن رمضان	٣٢٧

«الصفحة»	«الشاعر»	«العدد»	«البحر»	«القافية»	
٣٣٧	المتنبى	٣	الكامل	الأبدان	وحشاه عادية
٣٤٥	النصير الحمامي	٣	الطويل	عيون	من الراي عندي
٣٤٩	النجاشي	١	الطويل	دوان	ونجى ابن حرب
٣٥٧	ابن النقيب الفقيسي	٢	الكامل	مكان	يا يوم دنقلة وقتل
٣٧٧	حفصة المغربية	٢	الوافر	الزمان	أغار عليك من غيري
١٩٩	ابن قلاقس	٢	الكامل	أيوانه	بزجاجة دارت

« ن »

١٤٦	الأرجاني	٢	مخلع البسيط	عنه	شبت أنا والتحي
٢٢٢	القيسراني	١	مجزوء الكامل	ساكن	وسكنت قلبا خافقا

« هـ »

٣٨٢	الأرجاني	٣	السريع	خداه	والإلف قدعائقني
-----	----------	---	--------	------	-----------------

« هـ »

١٥٤	الصفدي	٢	الخفيف	ينهى	ان عيني مذ غاب
٣١٦، ١٧٥	المتنبى	٢	المنسرح	شهنشاهها	أا شجاع بفارس
					أضحى نسيم
٢١٠	الصفدي	٢	الكامل	حماها	دمشق
٢٣١	مجير الدين محمد بن تميم	٢	الوافر	شبيها	غدا اللينوفر المصفر
٢٧٠	الخالديان	٦	البسيط	أعالها	وقلعة عائق العيوق

« هـ »

ويدعى الشرف في

٨١	؟	١	البسيط	تكفيه	كأس
----	---	---	--------	-------	-----

«الصفحة»	«البحر» «العدد» «الشاعر»	«الغافية»
١٥٤	الصفدي ٢	اتاني وقد أودى فيه
٢٢٠	الحظري ٣	يقول لي حين وافى ترتجيه إنني لأعجب في
٣٣٥	مجير الدين محمد بن تميم	الوغى كنهه
« هـ »		
٢٦٠	المشر ابن قزل ٣	الا يا وادي الشقرا نزهه
« و »		
٥٥	٤	شيء به فتن الورى ما هو
١٢٠	الحظري الوراق محيي الدين ابن عبد	تركتك فامض الى الجوى من
٢٩٨	الظاهر ٢	إن لوزي حلق القوي مجزوء الخفيف
« و »		
١٥٥	الصفدي ٢	يا عجباً من معشر المحور السريع
« ي »		
١٢٢	٤	أصبحت رمة تزايل العرضي الخفيف
« ي »		
١٢١	عبد الله بن معاوية ١	وعين عن كل المساويا الطويل
١٥٣	الصفدي ٢	ان اللطافة لم تزل فاشيه مجزوء الكامل
٢٦٠	المشد ابن قزل ٢	ضل فؤادي الأهويه السريع عابه الحاسد الذي
٢٧٤	أبو يزيد العاص ٢	لام جذريا الخفيف

«الصفحة»	«الشاعر»	«العدد»	«البحر»	«القافية»	
					وجفن نصال قد رزئت
٣٢٠	الفرزدق	١	الطويل	البواكيا	
			« ي »		
٨٥	ابن فارس	٢	السريع	لتركي	مرت بنا هيفاء
			« ي ° »		
٩٠	؟	١	الكامل	طريقي	عاجو إلى تلفي
١٠٤	التهامي	١	الكامل	أوطاري	وطري من الدنيا
١٠٤	المتنبي	١	الوافر	ازديادي	متى لحظت بياض عروسكم يا أيها الشرب
١١١	ابن سناء الملك	٢	الطويل	مجتلي	وموسدين على الأكف
١١٢	ابن زهر الإشبيلي	٣	الكامل	غالني	تمسي الأماني
١٣٥	المتنبي	١	البسيط	لي	صرعى ازورهم وسواد الليل
١٣٥	المتنبي	١	البسيط	بي	ومدحت أهل البيت
١٣٥	القاضي الفاضل	١	الكامل	لي	أدعوك يا موجد
١٥٣	الصفدي	٢	البسيط	الأرضي	ما حبيب إلا أديب
١٧٦	المعري	٢	الخفيف	المتنبي	مينني حبنا فلما
٢٠٦	أبو الحسن الطوسي	٢	مجزوءالرجز	التمني	قدك اثبأريت
٢٠٦	أبو تمام	١	الكامل	سجرائي	ذهب العصفر مني
٢٣٥	السراج الوراق	٢	مجزوءالرملة	شيبني	

«الصفحة»	«الشاعر»	«العدد»	«البحر»	«القافية»	
٢٣٦	المتنبي	١	البسيط	بدلي	وقد أراني الشباب
٢٣٧	ابن المعتز	٢	الطويل	توبي	أيا نفس قد أثقلتني
٢٤١	السراج الوراق	٢	المجتث	بيني	حالت حوادث بيني وأحلى الهوى
٢٥٠	المتنبي	١	الطويل	يتقي	ما شك
٢٥٢	؟	٢	الطويل	عني	يقولون زرنا واقض هيهات لا جذب
٢٥٦	؟	٢	الكامل	بسلوتي	السلو
٢٥٦	محاسن الشوا	٢	الطويل	يجدي	أدين فما يدني أفيء حييت يا دار الهوى
٢٦٤	محمد سبط التعاويذي	١	الرجز	السواري	كأن عائبكم يبدي
٢٦٩	؟	١	البسيط	يفريني	كأن قلوب الطيور
٢٧٣	امرؤ القيس	١	الطويل	البالي	فلو سألت سرات
٣١٦	المضرب السعدي	٢	الوافر	زمانني	أقوال الشاد تغني
٣٢٣	الصفدي	٢	المتقارب	عينني	وقد يجتدي فضل
٣٢٣	أبو العلاء المعري	١	الطويل	يجتدي	ربما سرتني صدودك
٣٧٧	علي بن عبد الله الجعفري	٢	الخفيف	مني	فلو أمسى على تلفي وإني لمعدور على
٣٧٨	جمال الدين ابن مطروح	٢	الوافر	زدني	فرط
٣٨٠	أبو العتاهية	١	الطويل	عذري	له وجه إذا ابصر
٣٨١	أبو تمام	١	الهمز	عذري	قد قوس القد
٣٨٢	الأرجاني	١	البسيط	ادناني	ما ضمنني يوم الرحيل
٣٨٢	الأرجاني	١	السريع	ليبعدني	وقد أهديتها لك
٣٩٠	؟	١	الوافر	الهدايا	

« فهرس الامثال »

« الصفحة »

« المثل »

« أ »

- ٨٦ — « إنما تضرب في حديد بارد »
- ١١٦ — « إن كل ما ينفع الكبد مضرّ بالطحال »
- ١٠٠ — « إياك أعني واسمعي يا جاره »
- ١٨١ — « أجور من قاضي سدوم »
- ٣٢٤ — « أتى بالظم والرم »

« ب »

- ٢٠٤ ، ١٩٤ — « بدون هذا يباع الحمار »

« ج »

- ٤٤ — « حاطب ليل »

« ش »

- ٢٠٤ — « شاكه أبا يسار »

« ض »

- ٨٦ — « ضيعت نفخك في الرماد »

« ف »

- ٣٥٥ — « فتى ولا كمالك »

« م »

- ٣٥٥ — « مرعى ولا كالسعدان »
- ٥٩ — « مواعيد عرقوب »
- ٦١ — « ما كل سوداء تمره »

« فهرس الكتب »

«الصفحة»

« الكتاب »

« أ »

١٨١	ابكار الأفكار
٨٤	إحياء علوم الدين
١٨٠	أدب الخواص
٤٤	الأربعين
٨٣	أسرار العربية
٣٤١	الإعجاز في الأحاجي والألغاز
٢٩٤ ، ٦٢	الأغاني
٦٢	أمالى القالى

« ب »

٦٣	ديوان البحري
٢٩٦	البدائع في الصنائع
٣٨٦	البدیعة في احكام الشريعة
١٩٥ ، ٦٢	البيان والتبيين

« ت »

٣٨٥	تاريخ المسعودي
٢١٨	تحفة القادم
٦٢	تذكرة ابن حمدون

«الصفحة»

٧٧
٣٦٢ ، ٢٨٢
٦٣

« الكتاب »

— التذكرة للصفدي
— تفسير الرازي
— ديوان أبي تمام

« ج »

١٤٥ — جنان الجناس

« ح »

٨٣ — الحجة
٣٨١ ، ١٩٩ ، ١٦١ ، ١٥٩ ، ١٥٨ ، ٩١ ، ٦٢ — الحماسة

« خ »

١١٨ ، ٦٢ — الخطب النباتية
٨٣ — الخصائص

« ذ »

١٩٦ ، ١٩٤ ، ١٢٣ ، ٦٢ — الذخيرة
١٧٧ — ذكرى حبيب

« ر »

٩٠ — الرسالة الجديدة
١٨١ — الرسالة السعيدية في المأخذ الكندية
٣٨٥ — رسالة ابن غرسية
٩٠ — الرسالة الهزلية
١٩٤ — الروضة

« ز »

٣٩٠ ، ١٩٤ ، ٦٢ — زهر الآداب

٨٣	سر الصناعة	—
(«الصفحة»)	(« الكتاب »)	
	(« س »)	
٦٣	سقط الزند	—
	(« ش »)	
٣٨٦	الشاطبية	—
٣٨٨ ، ٣٨٤	شاهنامه	—
٣٤٩	شرح أدب الكاتب	—
٨٤	شرح الكافية	—
٨٦	الشكوك	—
٦١	الشهاب	—
	(« ص »)	
٣٨٦	الصادح والباغم	—
	(« ط »)	
١٨٠ ، ١٧٧	ديوان أبي الطيب	—
	(« ع »)	
١٧٧	عبث الوليد	—
٦٢	العقد الفريد	—
	(« ف »)	
٣٣٧	فتاوى اللغة	—
١٦٢ ، ٤٤	فصيح ثعلب	—
٣٣١	فض الختام عن التورية والاستخدام	—
٣٩١ ، ١٨٧ ، ٨٢ ، ٥٢ ، ٤٦ ، ٤٤	الفلك الدائر	—
	(« ك »)	
٦٢	الكامل	—

«الصفحة»

٢٨٢

٢٨٥ ، ٥٧

« الكتاب »

— الكشف

— كليله ودمنة

« ل »

١٧٦

٢٢٦ ، ١٥١

١٦٤

— اللامع العزيزي

— اللزوميات

— ليس

« م »

٥٥

٨٥

٨٣

٤٧ ، ٤٤

٤٤

١٨٩

٥٥

٧٩

٥٢

٥٩ ، ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٦ ، ٥٤

٣٥٢ ، ٩١

١٨١

١٨١

٣٨٦

المثل السائر

المجمل

المحتسب

المحصل

المحصول

المحكم

المعاني

المفتاح

المفصل

المقامات

المنثور البهائي

المنصف

الموازنة

المهذب

« ن »

٤٥ ، ٤٤

٤٦

نهج البلاغة

نشر المثل السائر وطى الفلك الدائر

« و »

١٨٠

٥٥

١٨١

— الوافي بالوفيات

— الوشي المرقوم

— الوساطة بين المتنبي وخصومه

« فهرس القبائل »

« الاسم »

« الصفحة »

« س »

— سدوس

٢٣٩

« ع »

— بني عذرة

٤١

— بني عقیل

٢٣٩

« فهرس البلدان والأمكنة »

« ب »

— البصرة

٣٧٣ ، ٢٩٢

— بعريين

٥٢١ ، ٩٦ ، ٩٥

— بعلبك

٢٩٦

— بغداد

٢٩٢ ، ٢١٧ ، ٤٧

٣٢٠

— بلاد الروم

« ج »

— جامع الرصافة

٢٥٢

— الجزيرة العمرية

٢٩٤ ، ٢٩٣

« ح »

— حمام الصوفة

٣٤٤

— حمّاه

٣٦١ ، ٢١٦ ، ٩٧

((الاسم))

- حمص

- حلب

((الصفحة))

٢١٦

٣٠٣ ، ٩٧

((د))

- دمشق

- دنقلة

- الديار المصرية

٤٦

٣٥٧

٢٠٦ ، ٨٧

((س))

- سيس

٣٥٦

((ش))

- الشام

٣٨١ ، ٣٧٦ ، ١٥٥

((ص))

- الصخرة

- صفد

- الصعيد

٣٠٩ ، ٣٠٧

٣٦٦ ، ٢٠١

٣٥٦

((ط))

- طبرية

٢٧٥ ، ١٠٠

((ع))

- العريش

- عكا

٣٢٤

٢٧٥

((ق))

- قاسيون

٤٦

«الصفحة»

«الاسم»

٤٧	القاهرة	—
٣٦٦	قبرص	—
٣١٣ ، ٣١٢ ، ٣٠٧ ، ٣٠٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٣	القدس	—
٢١٧	القطيفة	—
١٥٦	قلعة الجبل	—

« ك »

٣٥٦	كنيسة سوس	—
-----	-----------	---

« م »

١٣١	ماء الطف	—
٤٧	المدائن	—
٨٨	المدرسة القايمازية	—
٢١٣	المرقب	—
٣٧٦ ، ٣٢٤ ، ٣١٤ ، ٢٦٦	مصر	—
٣٥٤ ، ٢٠٨	الموصل	—
٣٠٧	موضع القدم	—

« ن »

٢١٦	النبيك	—
٩٧	النيل	—

« هـ »

٣٤٧	الهند	—
-----	-------	---

« ي »

٩٦	يبرين	—
----	-------	---

« فهرس الاعلام »

((الاسم))

((الصفحة))

« الهمة »

- ٣٨٦ أبان بن عبد الحميد اللاحقي
ابن الأبار = محمد بن عبد الله
٨٦ ، ٨٥ إبراهيم بن سيار (أبو إسحاق النظام)
٢٢٥ إبراهيم بن العباس الصولي
٢٧٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٤ ، ١٤٣ ، ١٢٨ ، ١٠٦ إبراهيم بن عثمان (أبو إسحاق الغزي)
٣٩٠ ، ١٩٤ إبراهيم بن علي (الحصري)
٢٨٩ ، ٨٩ إبراهيم بن لقمان (فخر الدين)
١٨٣ ، ٥٧ إبراهيم بن هلال (أبو إسحاق الصابي)
ابن الأثير = نصر الله بن أبي الكرم ضياء الدين
٣٤٣ أحمد بن جعفر (جحظة)
١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٨ ، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ٦٨ ، ٦٥ أحمد بن الحسين (أبو الطيب المتنبى)
١٧١ ، ١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٣٤ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٦
١٩٠ ، ١٨٦ ، ١٩٥ ، ١٨٣ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٧ ، ١٧٦
٢٧٧ ، ٢٦١ ، ٢٥٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٠ ، ٢٤٣ ، ٢٣٦ ، ١٩٣
٣٣٢ ، ٣١٩ ، ٣١٥ ، ٣٠٢ ، ٢٨٨ ، ٢٨٧ ، ٢٧٩ ، ٢٧٨
٣٨٩ ، ٣٨٨ ، ٣٧٨ ، ٣٧٦ ، ٣٧٥ ، ٣٦٣ ، ٣٣٨ ، ٣٣٧
٢٢٩ أحمد بن الحسين أبو مجالد
١٦٩ أحمد بن خلكان

- ٦٠ أحمد بن عبد الله (أبو المطرف ابن عميرة)
- ٧١ أحمد بن عبد الله بن الحطيئة (أبو العباس)
- ٣٥٣ ، ٢٥٦ ، ٩٠ أحمد بن عبد الله (ابن زيدون الشاعر)
- ٢٩٦ أحمد بن علي (البتي)
- ٨٥ أحمد بن فارس (أبو الحسين الرازي)
- ٢٨٣ أحمد بن محمد بن حنبل
- ٢٦٣ أحمد بن محمد (القاضي ناصر الدين)
- ٣٧٦ ، ٣٧٥ أحمد بن محمد (ابن الخياط)
- ٣٨٣ ، ٣٨٢ ، ٢٥٩ ، ٢٤٠ ، ٢٣٣ ، ١٩٠ ، ١٤٦ أحمد بن محمد (الأرجاني)
- ١٠٦ أحمد بن محمد (ابن عبد ربه)
- ٦٣ أحمد بن معد التجيبي (أبو العباس الأقليشي)
- ٣٤٧ ، ١٦٣ ، ١٦٢ أحمد بن يحيى (ثعلب)
- ٨٤ أحمد بن يوسف (أبو العباس الكواشي)
- الأخطل = غياث بن غوث
- ٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٤ إدريس اليماني (أبو علي)
- ١٧٧ أرسطو
- ١٠٩ أسعد بن مذهب (ابن مماتي)
- ٧٢ أسماء بنت أبي بكر (ذات النطاقين)
- ١٨٧ ، ١٨١ ، ١٤ إسماعيل بن عباد (الصاحب ابن عباد)
- ٣٨٠ ، ١١٧ إسماعيل بن القاسم (أبو العتاهية)
- ٦٤ إسماعيل بن القاسم (أبو علي القالي)
- ٢٢٩ إسماعيل بن محمد (السيد الحميري)
- أبو الأسود الدؤلي = ظالم بن عمرو

- ٣٠٥ أشجع بن عمرو (السلمي)
الأعشى = ميمون بن قيس
١٧٧ أفلاطون
الأقيشر = المغيرة بن عبد الله الاسدي
٣٨٩ ، ٢٧٣ ، ٢٢٨ ، ٢٠٦ ، ١٩٦ ، ١٤٢ ، ٤٠ .
٣٣٣ امرؤ القيس بن حجر
امهدوست بن محمد الديلمي
الأمين = محمد بن هارون الرشيد
الأوزاعي = عبد الرحمن بن عمرو

((الباء))

- ٩٨ ابن بابك = عبد الصمد بن منصور
باقل الإيادي
البتي = أحمد بن علي
البحثري = الوليد بن عبيد الطائي
١٨٤ بختيشوع بن جبرائيل
بدر الدين = محمد بن مالك
البدر = يوسف بن لولو الذهبي
٢٥٨ البديع الهمداني
أبو البركات ابن الأنباري = عبد الرحمن بن محمد
٨٩ برهان الدين السنجاري
برهان الدين بن الفقيه نصر = عبد الواحد بن إبراهيم
ابن بسام = علي بن بسام
٣٨٩ ، ٣٨٠ ، ٣٧٣ ، ٢٣٩ ، ٢٢٨ ، ٨٠ .
بشار بن برد

- ابن بطلال البطلئوسى = سليمان بن محمد
أبو البقاء العكبرى = عبد الله بن الحسين
ابن بقاء = يحيى بن عبد الرحمن
٢٠٢ أبو بكر ابن سعد البطلئوسى
أبو بكر الصديق = عبد الله بن أبي قحافة
بندار بن عبد الحميد الأصبهاني
البهاء زهير = زهير بن محمد
ابن البواب = علي بن هلال
بيبرس المظفر ركن الدين = محمد بن بركة
٢٠٩ بيليك القبقاقي المعري

((التاء))

أبو تمام = حبيب بن أوس

((التاء))

- ١٣٧ ثابت بن جابر (تأبط شرا)
ثعلب = أحمد بن يحيى
الثوري = سفيان بن سعيد

((الجيم))

- ٢٥٣ الجاحظ = عمرو بن بحر
جحدر بن ضبيعة
جحلة = أحمد بن جعفر
الجرجاني = علي بن عبد العزيز
٣٨٩ ، ٣٤٩ ، ٢٩٥ جرير بن عطية الخطفي

الجزار = يحيى بن عبد العظيم

٤١

جعفر بن محمد الباقر

٢١٩

جعفر بن يحيى بن عتال

الجلال بن الصفار = علي بن يوسف المارديني

٢٢٧

جمال الدين ابن الحاجب = عثمان بن عمرو

جمال الدين ابن رمضان

جمال الدين ابن مالك = محمد بن عبد الله

جمال الدين ابن مطروح = يحيى بن عيسى

جمال الدين موسى بن يغمور

٢٥٣ ، ٢٥٠ ، ٢٤٨

جميل بن معمر العذري

ابن جني = عثمان بن جني

ابو جهل = عمرو بن هشام

٩٠

جهور بن محمد بن جهور أبو الحزم

((الحاء))

٩٧

حاتم بن عبد الله الطائي

أبو حاتم = سهل بن محمد السجستاني

الحاتمي = محمد بن الحسن أبو علي

٢٤٨

الحارث بن خالد

٣٨٩ ، ٣٠٣ ، ٢٧٨

الحارث بن سعيد أبو فراس

١٤٤ ، ١٣١ ، ١٢٩ ، ١١٩ ، ١١٢ ، ١١١ ، ٦٨ ، ٦٥

حبيب بن أوس أبو تمام

١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٦١ ، ١٥٨

٢٣٣ ، ٢٣١ ، ٢١٤ ، ٢١٠ ، ٢٠٧ ، ١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٨٥

٣٦٦ ، ٣٦٣ ، ٣٥٨ ، ٣٥٧ ، ٣١٧ ، ٣١٦ ، ٢٤٤ ، ٢٣٦

٣٨٩ ، ٣٨٠ ، ٣٧٩ ، ٣٧٦ ، ٣٧٥

- ابن أبي الحديد = عبد الحميد بن هبة الله
 حرملة بن المنذر (أبو زبيد الطائي)
 ١٣٩ ، ٤٠
- الحريري = القاسم بن علي بن محمد
 ١٩٢
- الحسن بن إبراهيم النظري
 ٣٨٨ ، ٣٨٧ ، ٢٨١ ، ٨٣
- الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (أبو علي الفارسي)
 ١٩٥
- الحسن البصري
 ٣٠٨
- الحسن بن رشيق
 ٩٢
- الحسن بن عبد الصمد (ابن أبي الشخباء)
 ٨٣
- الحسن بن عبد الله (أبو سعيد السيرافي)
 ١٠٤
- الحسن بن عبد الله (أبو الفتح ابن أبي حصينة)
 ٣٦٨
- الحسن بن عبد الله (أبو هلال العسكري)
 ٣٢٢
- الحسن بن علي بن أبي طالب
 ١٨١
- الحسن بن علي الضبي (ابن وكيع)
 ٣٥٧ ، ٣٣٣ ، ٣٢٩ ، ٢٥٨ ، ٢٥٠
- حسن بن النقيب (ناصر الدين)
 ١٩٣ ، ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٨٣ ، ١١٧ ، ١١٦ ، ٦٨
- الحسن بن هاني (أبو نواس)
 ٣٨٩ ، ٣١٤ ، ٢٩٦ ، ٢٤٨ ، ٢٠٩ ، ٢٠٤ ، ١٩٨ ، ١٩٦
- الحسن بن يوسف (المستضيء بالله ، الخليفة)
 ٧٥
- الحسين بن أحمد (ابن خالويه)
 ١٦٥ ، ١٦٤
- الحسين بن الحسن (أبو علي الحلبي)
 ٢٨٨
- الحسين بن الضحاك
 ٣٨٩
- الحسين بن عبد الله (ابن سينا)
 ١٢٢
- الحسين بن عبد الله (ابن رواحة الحموي)
 ٣٨١ ، ٢٥٧
- الحسين بن علي بن أبي طالب
 ١٣١
- الحسين بن علي (الوزير المغربي)
 ١٨٠

	أبو الحسين الجزار = يحيى بن عبد العظيم
٢٢٦	أبو الحسين الفكيك
١٤٢	الحسين بن محمد (ابن الحجاج البغدادي)
٣٥٤	الحسين بن مطير
	أبو الحسين النحوي = محمد بن الحسين
	الحصري = علي بن عبد الفني
	الحصري = إبراهيم بن علي
٣٧١ ، ٢٢٠	الحظيري الوراق
	أبو حفص = عمر بن الخطاب
٣٧٧	حفصة المقريية
	ابن حمديس = عبد الجبار بن أبي بكر
	أبو حنيفة = النعمان بن ثابت
١٨٤	حنين بن إسحاق
٢٢٩	أبو حية النميري

((الخاء))

٢٣٨	خالد الكاتب
٩٢	خالد بن محمد (موفق الدين القيسراني)
	الخبز أرزي = نصر بن أحمد البصري
٣٠١	ابن خفاجة الأندلسي
٨١	خفاف بن نفيلة
٣٥٢	ابن خلف
١٨٦	ابن خلكان

٩١ ، ٦٧	الخليل بن أحمد
٨٨	خليل بن قلاوون (الملك الأشرف)
	الخوارزمي = محمد بن العباس
٢٤٧	خويلد بن خالد أبو ذؤيب
	ابن الخياط = أحمد بن محمد

((العال))

٢٨٣	داود بن علي أبو داود الظاهري
٢٥٢	دلف بن جحدر الشبلي
	ابن الدهان = سعيد بن المبارك
	ديك الجن = عبد السلام بن رغبان

((الذال))

	ذات النطاقين = أسماء بنت أبي بكر
	أبو ذؤيب = خويلد بن خالد
	ابن الذروي = علي بن يحيى
	ذو الرمة = غيلان بن عقبة
	ذو النورين = عثمان بن عفان

((الراء))

	ابن رباح = نصيب بن رباح
٣٠٥	ربيع بن ربيعة (سطيح)
٧١ ، ٧٠ ، ٦٩	الربيع بن زياد الحارثي
٧٥ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٤١ ، ٤٠	رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٨٦ ، ٣٦٦ ، ٣٦١ ، ٣٠٥ ، ١٩٥ ، ١٨٢ ، ١٦٨ ، ١٤٤	

الرشيد = هارون الرشيد (الخليفة)

ابن رشيق = الحسن بن رشيق

الرماني = علي بن عيسى أبو الحسن

الرمادي = يوسف بن هارون

ابن رواحة الحموي = الحسين بن عبد الله

ابن الرومي = علي بن العباس

((الزاء))

٨٣

زبان بن العلاء بن عمار (أبو عمرو)

ابن الزقاق = علي بن عطية

الزمخشري = محمود بن عمر (جار الله أبو القاسم)

٣٨٩

زهير بن أبي مسلمي

٣٧٤

زهير بن محمد (البهاء زهير)

٧٧ ، ٧٦ ، ٧١

ابن زيادة البغدادي

ابن الزيات = محمد بن عبد الملك

٣٨٩

زياد بن معاوية (النابغة الذبياني)

١٢١

زيد بن الحسن (تاج الدين الكندي)

ابن زيدون = أحمد بن عبد الله

((السين))

ابن الساعاتي = علي بن محمد بن رستم

سحبان بن زفر الوائلي

السراج الوراق = عمر بن محمد

سطيح = ربيع بن ربيعة

١٢٠

سعد بن علي (الحظيري الوراق)

- ١٢٦ سعد بن محمد (الوحيد البغدادي)
- سعد الدين ابن عربي = محمد بن محمد
- ٢٨٣ سعيد بن المبارك (ابن الدهان)
- ٢٨٣ سعيد بن المسيب
- السكاكي = يوسف بن أبي بكر
- الستامي = محمد بن عبد الله أبو الحسن
- سلم الخاسر
- ٣٨٠ سلمى بن ربيعة
- ١٥٨ سليمان أبو الربيع (أمير المؤمنين)
- ٨٩ سليمان بن عبد الملك (الخليفة)
- ١١٢ سليمان بن علي (عفيف الدين التلمساني)
- ١٤٦ سليمان بن قتة
- ١٥٨ سليمان بن محمد (ابن بطل البطلوسي)
- ١٩٧ سليمان بن وهب
- ٢٣٧ ابن سناء الملك = هبة الله بن جعفر
- ٣٧٨ سهل بن محمد السجستاني
- ٣٨٥ ، ٥٤ سهل بن هارون
- ٣١٦ سوار بن المضرب (المضرب السعدي)
- السيد الحميري = إسماعيل بن محمد
- ابن سيده = علي بن إسماعيل
- سيف الدولة = علي بن عبد الله
- سيف الدين = علي بن قليج
- ٣٢٨ ، ٣٢٥ ، ٢٦٠ سيف الدين المشد ابن قزل

((الشين))

الشاطبي = القاسم بن فيره

الشافعي = عبد الله بن إدريس

الشبلي = دلف بن جحدر

أبو شجاع فاتك = ابن عبد الله الرومي

٣٦١

شرف الدين عبد العزيز

شرف الدين ابن الفارض = عمر بن علي

شرف الدين المقدسي = محمد بن موسى

ابن شرف القيرواني = محمد بن سعيد

الشريف الرضي = محمد بن الحسين

الشريف الناسخ = محمد بن رضوان

٣٤٩ ، ٣٤٨ ، ٣٤٦

شريك النميري

٣٥٥

شمس الدين آقسنقر

شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد الذهبي

شمس الدين محمد بن التلمساني

٢٩٦

أبو شعيبه القلال

٣٢٦ ، ٢٠٩

شهاب الدين التلعفري

شهاب الدين ابن الخيمي = محمد بن عبد المنعم

شهاب الدين الشاغوري = فتیان بن علي

شهاب الدين محمود القاضي أبو الثناء = محمود بن سليمان

((الصاد))

الصابي = إبراهيم بن هلال

الصاحب بن عباد = إسماعيل بن عباد

١١٧ ، ٨٦ ، ٨٥

صالح بن عبد القدوس

٣٦

صدقة بن منصور (سيف الدولة)

ابن صردر = علي بن الحسن

صلاح الدين = يوسف بن أيوب الملك الناصر

((الضاد))

ضياء الدين ابن الأثير = نصر الله بن أبي الكرم

((الطاء))

أبو طاهر = محمد بن حيدر

٩٢

طراد بن علي بن عبد العزيز (البديع)

أبو الطيب المتنبى = أحمد بن الحسين

٤٦

طرفة بن العبد

((الظاء))

٢٣٧ ، ٦٧

ظالم بن عمرو (أبو الأسود الدؤلي)

((العين))

٢٠٢

عائذ بن محصن (المثقب العبدى)

٧٥

العاضد (الخليفة الفاطمي)

٩٠

أبو عامر ابن عبدوس

٣٧٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٠ ، ٢٤٨

العباس بن الأحنف

٣٧٠ ، ٣٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥

عبد الجبار بن أبي بكر (ابن حمديس)

٣٧٦

عبد الحكم بن الخطيب = إبراهيم بن منصور

عبد الحميد بن هبة الله (ابن أبي الحديد عز الدين) ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٤ ، ٥٥
٨٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٨٧ ، ٢٦٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩
٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

عبد الحميد بن يحيى (الكاتب) ١٨٣
عبد الرحمن بن الحكم ٣٤٨
عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ٢٨٣
عبد الرحمن بن محمد (أبو البركات الأنباري) ٥٩
عبد الرحيم بن علي اللخمي (القاضي الفاضل) ٦١ ، ٦٠ ، ٥٧ ، ٥٣ ، ٥١ ، ٣٨
٧٦ ، ٧٧ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١٢٩ ، ١٣٢
١٣٣ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٩٤ ، ١٩٥
٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢٣٥ ، ٢٤٢ ، ٢٦٠ ، ٢٧٥ ، ٣٠٣
٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٣ ، ٣٢١ ، ٣٢٤ ، ٣٤٠
٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٧٠ ، ٣٧١

عبد الرحيم بن محمد (ابن نباتة) ٦٥
عبد الرزاق بن عبد الله (أبو الحسن الطوسي) ٢٠٦
عبد السلام بن رغبان (ديك الجن) ٣٨٩
عبد الصمد بن منصور (ابن بابك) ٢٣١ ، ٣٨٣
عبد العزى بن عبد المطلب (أبو لهب) ٣٢٣
عبد العزيز بن أحمد (ابن المغلس) ٣٨٣
عبد القاهر الجرجاني ٢٨٢
عبد الكريم بن محمد الرافعي ٧٣
عبد الله بن أحمد (ابن الخشاب) ٥٨
عبد الله بن إدريس (الشافعي) ٧٣ ، ١٨٤ ، ٢٣٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤
٨ ، ٥٩ ، ٥٨
عبد الله بن بري

- عبد الله بن الحسين (العكبري أبو البقاء) ١٨٨ ، ٥٩
 أبو عبد الله الحلبي = الحسين بن الحسن
 عبد الله بن سليمان (أبو العلاء المعري) ١١٥ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٧٧
 ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٦
 ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٨
 أبو عبد الله السبئسي = محمد بن خليفة
 عبد الله بن سيف الدولة ١٧٢
 عبد الله بن عامر أبو عمران ٨٣ ، ٨٤
 عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان (القاضي محيي الدين) ٧٦ ، ١٠٨ ، ٢١٦ ، ٢٩٨
 ٣٤٢ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٨٣
 عبد الله بن العجلان النهدي ٢٤٧
 عبد الله بن عمر (ابن الخطاب) ٦٦
 عبد الله بن أبي قحافة (أبو بكر الصديق) ٧٢
 عبد الله بن قيس (أبو موسى الأشعري) ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٠
 عبد الله بن محمد (ابن المعتز) ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٢٨٩ ، ٢٣٧
 عبد الله بن هارون الرشيد (المأمون) ٧٣ ، ٧٦ ، ١١٧ ، ١٨٤ ، ٣٠٢ ، ٣٢٥
 عبد المؤمن بن خلف (شرف الدين) ٤٥
 عبد المجيد بن عبد الله (ابن عبدون) ٢٠١ ، ٢٠٢
 عبد المحسن بن محمد الصوري ٣٧٩
 عبد الملك بن مروان (الخليفة) ٦٧
 عبد الواحد بن إبراهيم (برهان الدين الفقيه) ٢٦٠
 ابن عبدون = عبد المجيد بن عبد الله
 عبيد بن الأبرص ٨٠
 أبو العتاهية = إسماعيل بن القاسم

٢٨٢ ، ٨٣	عثمان بن جني (أبو الفتح)
٢٢٣ ، ٢٢٢	عثمان بن سعيد (معين بن تولوا)
٦٧	عثمان بن عبد الرحمن (تقي الدين ابن الصلاح)
١٣٩ ، ٩٦ ، ٧٢	عثمان بن عفان (ذو النورين)
٢٨٥	عثمان بن عمرو
٢٤٧	عروة بن حزام
٢٧٣	العكوك = علي بن جبلة
	أبو العلاء = عبد الله بن سليمان
٨٩	علاء الدين علي (الملك الصالح)
١٦٨	أبو علقمة النحوي
١٨٠	علي بن أحمد الواحدي
	أبو علي = إدريس اليماني
٣٧٤ ، ١٨٩	علي بن إسماعيل (ابن سيده)
١٩٧ ، ١٩٦ ، ١٩٤ ، ١٢٢ ، ١٢١	علي بن بسام (ابن بسام)
٢٩٥ ، ٢٧٣	علي بن جبلة
٣٥٩	علي بن الجهم
١١٤ ، ١٠٥	علي بن الحسن (ابن صردر)
٣٨٥	علي بن الحسين المسعودي
١١٦ ، ٧٤ ، ٦٤ ، ٤٩ ، ٤٦	علي بن أبي طالب
٣٨٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨١ ، ٢٦٣ ، ٢٠١ ، ١٢٨ ، ١٠٣	علي بن العباس (ابن الرومي)
١٨١	علي بن عبد العزيز الجرجاني
١٩٠	علي بن عبد الغني الحصري
٣١٩ ، ٣٠٣ ، ١٧٢ ، ١٧١ ، ١٥٠	علي بن عبد الله (سيف الدولة)
٣٧٧	علي بن عبد الله الجعفري

٢٧٧	علي بن عطية
٣٣٠ ، ٣٢٩ ، ٢٩٧ ، ١٠٨	علي بن عمر (ابن قزل)
٢٨١ ، ٨٣	علي بن عيسى (أبو الحسن الرماني)
	أبو علي الفارسي = الحسن بن أحمد
٣٢٣	علي بن قليج سيف الدين
٩١	علي بن محمد بن خلف
١٠٤	علي بن محمد (التهامي)
٣٦٠ ، ٣٤٠ ، ٣٣٥ ، ٢١٤ ، ١٤٣ ، ١١٥ ، ١٠٩ ، ٥٢	علي بن محمد بن رستم (ابن الساعاتي)
١٤٨ ، ١٤٧	علي بن محمد (أبو الفتح البستي)
٨٩	علي بن محمد عبد الظاهر (القاضي محيي الدين)
٣٢٤	علي بن محمد (كمال الدين ابن النبيه)
٢٠٨	علي بن مسهر أبو الحسن
٢٩٦ ، ٩٣	علي بن هلال أبو الحسن ابن البواب
٢٣٢ ، ٢٠٠ ، ١٨٩	علي بن يحيى (ابن الدرثوي)
٣٢١	علي بن يوسف المارديني (الجلال الصفار)
٢٥١	عليه بنت المهدي (العباسية)
	العماد الكاتب = محمد بن محمد
٨٨	عماد الدين علي قاضي القضاة
٣٣٦	عمار بن ياسر
٣٧٥	عمارة بن علي
٦٨	أبو عمر الجرمي
١٩٥ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٦	عمر بن الخطاب
٢٤٨	عمر بن أبي ربيعة

أبو عمر الزاهد = محمد بن عبد الواحد

٣١٧ ، ١٦٧ ، ١٥٨

عمر بن علي (شرف الدين ابن الفارض)

عمر بن محمد (السراج الوراق) ١٠٩ ، ٢٠٧ ، ٢٢٢ ، ٢٣٥ ، ٢٤١ ، ٢٧٣ ، ٣٠٠ ، ٣٢٦

٣٦١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٨ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠

٣٤٩ ، ٣٤٨ ، ٣٤٦

عمر بن هبيرة

٨٠

عمرو بن مالك (الشنفرى)

٢٩٦ ، ١٩٥ ، ١٩٤

عمرو بن محبوب (الجاحظ)

٧٦

عمرو بن مسعدة بن سعد

١٥٧

عمرو بن معد يكرب

٣٢٤

عمرو بن هشام (أبو جهل)

ابن العميد = محمد بن الحسين

٢٠٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ١٩٥

عنتر بن شداد

ابن عنين = محمد بن نصر

٢٧٩

عياض بن موسى (القاضي عياض)

١٦٨

عيسى بن عمر الثقفي

٣٠٢

عيسى بن ما هان

أبو العيناء = محمد بن القاسم

((الغين))

٣٨٥

ابن غرسية أبو عامر

٣٨٩ ، ٢٠٢

غياث بن غوث (الأخطل)

٢٦٦ ، ٢٠٢

غيلان بن عقبة

((الفاء))

- ٢٥٧ فاتك بن عبد الله الرومي (أبو شجاع)
 ٣٢٢ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 فتح الدين ابن سيد الناس = محمد بن محمد
 ابن فتحون = محمد بن خلف
 ٢١٧ فتيان بن علي (شهاب الدين الشاغوري)
 فخر الدين = إبراهيم بن لقمان
 أبو فراس = الحارث بن سعيد
 الفردوسي
 ٣٨٥ ، ٣٨٤ الفرزدق = همام بن غالب
 ٢١٧ أبو الفضل الكاتب

((القاف))

- ١٦٦ ، ١٦٥ ، ٦٠ ، ٥٧ ، ٥٦ ، ٥٤ القاسم بن علي بن محمد (الحريري)
 ٣٧١ ، ٣٦٩ ، ٣٣٧ ، ٢٧٥ ، ٢٥٨
 ١٨٩ القاسم بن فيره الشاطبي
 ٨٨ قايماز بن عبد الله الزيني
 القاضي أبو بكر الباقلاني = محمد بن الطيب
 ٢١٦ القاضي تاج الدين ابن الاثير
 القاضي شهاب الدين = محمود بن سليمان أبو الشناء
 القاضي الفاضل = عبد الرحيم بن علي
 القاضي عياض = عياض بن موسى
 القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر = عبد الله بن عبد الظاهر

٢١٦	القاضي محيي الدين ابن قرناص
	القاضي ناصر الدين ابن المنير = أحمد بن محمد
٢٧٣	ابن قاضي ميله
	ابن قزل = علي بن عمر
٣٨١	ابن قسيم الحموي
	ابن قلاقس = نصر الله بن عبد الله اللخمي
٢٤٧	قيس بن ذريح
٣٤٩	قيس بن عمر النجاشي
٢٥٣ ، ٢٤٨	قيس المجنون

((الكاف))

٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٢٨ ، ١٥٧	كثير بن عبد الرحمن (كثير عزة)
	كشاجم = محمود بن الحسين
٧٢	أم كلثوم

((اللام))

١٠١	لبيد بن ربيعة
	أبو لهب = عبد العزى بن عبد المطلب

((الميم))

	المأمون = عبد الله بن هارون
٧٣	مالك بن أنس
	المبرد = محمد بن يزيد الشمالي
	المثقب العبدي = عائذ بن محسن
	أبو مجالد = أحمد بن الحسين البغدادي
٣٣١	مجاهد بن سليمان (الخياط)

المجنون = قيس المجنون

مجير الدين محمد بن تميم

محاسن الشوا = يوسف بن إسماعيل

٣٨٦ محمد بن أحمد الذهبي شمس الدين

١٣٥ محمد بن أحمد (ابن الظهير الإربلي)

٧٥ محمد بن الأشعث بن قيس

٢٥١ محمد بن بشير الخارجي

٧٤ محمد بن أبي بكر الصديق

٣٣١ ، ٢٢٩ ، ٢٢٢ محمد بن التلمساني شمس الدين

٣٣٨ ، ٣٣٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٢ ، ٣٠٠ ، ٢٩٩ ، ٢٣١ محمد بن تميم مجير الدين

٧١ محمد بن جعفر السامرائي (أبو بكر الخرائطي)

٧٤ محمد بن جعفر بن أبي طالب

٧٥ محمد بن حاطب بن أبي بلتعة

١٨١ محمد بن الحسن الحاتمي

٦٤ محمد بن الحسن (بهاء الدين ابن حمدون)

١٨٦ ، ١٨٣ محمد بن الحسين (ابن العميد)

٣٢٠ ، ٣١٩ محمد بن الحسين (الشريف الرضي)

٣٥٠ محمد بن الحسين (أبو الحسين النحوي)

١١٧ محمد بن الحسين (ابن الشبل البغدادي)

محمد ابن الحنفية = محمد بن علي بن أبي طالب

١٨٨ محمد بن حيدر أبو طاهر

٢٧٩ محمد بن خلف (ابن فتحون)

٣٦٠ محمد بن خليفة (أبو عبد الله السنبسي)

٣٠٢	محمد بن رضوان (الشريف الناسخ)
٨٣	محمد بن السري (أبو بكر ابن السراج)
٣٠٨ ، ١٨١	محمد بن سعيد (ابن شرف القيرواني)
٧٤	محمد بن سعد بن أبي وقاص
٢٢٠	محمد بن سعيد (أبو الوليد ابن الجنان)
٣٤٩	محمد بن السيد البطليوسي
٧٤	محمد بن طلحة بن عبيد الله
٢٨٨	محمد بن الطيب أبو بكر الباقلائي
٢٢٤	محمد بن العباس الخوارزمي
٥٩ ، ٥٨	محمد بن عبد الرحمن الخراساني المسعودي
٧٤	محمد بن عبد الرحمن بن عوف
٢٩٥ ، ٧٢	محمد بن عبد الله (المهدي)
١٢٣ ، ٨٤	محمد بن عبد الله (جمال الدين ابن مالك)
٢٠٣	محمد بن عبد الله السلامي
٢١٩ ، ٢١٨ ، ١٢٧	محمد بن عبد الله (ابن الأبار)
٢٠٦	محمد بن عبد الله الخطيب
١١٢	محمد بن عبد الملك (ابن زهر الإشبيلي)
٢٢٥	محمد بن عبد الملك (ابن الزيات)
٣٧٨	محمد بن عبد المنعم (شهاب الدين ابن الخيمي)
٢٢٩	محمد بن عبد الواحد (أبو عمر الزاهد)
٨٠	محمد بن عبدون
٢٦٣ ، ٢٦١ ، ١١٤ ، ١٠٥	محمد بن عبيد الله (سبط التعاويذي)
٧٤	محمد بن علي بن أبي طالب (ابن الحنفية)

٣٠٦	محمد بن علي (محيي الدين ابن الزكي)
٥٧	محمد بن علي (أبو بكر ابن عربي)
٨٦	محمد بن علي بن وهب (تقي الدين ابن دقيق العيد)
٤٥ ، ٤٣ ، ٤٢	محمد بن عمر (فخر الدين الرازي)
٣٦٢	محمد بن غانم (أبو العلاء الفانمي)
١٨٩	محمد بن القاسم (أبو العيناء)
٢٨٦	محمد بن مالك (بدر الدين)
٨٤	محمد بن محمد (أبو حامد الفزالي)
١٣٢ ، ٨٧ ، ٦٠	محمد بن محمد (ابن سيد الناس)
٣٠٦	محمد بن محمد (العماد الكاتب)
٣٣٤	محمد بن محمد (النور الأسعودي)
٣٧٨ ، ١٩١	محمد بن محمد (سعد الدين ابن عربي)
٣٨٦	محمد بن محمد (ابن الهبارية)
٩٢	محمد بن مسعود (ابن أبي الخصال)
٣٢٩	محمد بن موسى (شرف الدين المقدسي)
٣٧٤	محمد بن نصر (ابن عنين)
٢٦٧	محمد بن هاشم (أبو بكر الخالدي)
١٧٨ ، ١٧٧	محمد بن هاني (المغربي)
٨٥	محمد بن الهذيل (أبو الهذيل العلاف)
١٩٤ ، ٦٤	محمد بن يزيد (المبرد)
٤٥	محمد بن يوسف (أثير الدين أبو حيان)
١٥١	محمد بن يوسف (السرقسطي)
١١٧	محمود بن الحسن الوراق

٤٤	محمود بن الحسين (ركن الدين أبو القاسم)
٣٨٣ ، ٣١٩ ، ٢٥٠ ، ١٢٥	محمود بن الحسين (كشاجم)
٢٨٢	محمود الخوارزمي
٣٠١ ، ٢٦٣ ، ٢١٣ ، ٦٠	محمود بن سليمان (شهاب الدين أبو الثناء)
٣٨٨ ، ٣٨٧ ، ٢٨٢ ، ١١٧ ، ٥٣	محمود بن عمر جار الله الزمخشري
	محيي الدين ابن الزكي = محمد بن علي
	محيي الدين ابن عبد الظاهر = عبد الله بن عبد الظاهر
٣١٥	مروان بن أبي حفصة الأصغر
٣٤٨	مسعر بن كدام
	المسعودي = علي بن الحسين
٣٨٩	مسلم بن الوليد
	ابن مسهر = علي بن مسهر أبو الحسن
	المضرب السعدي = سوار بن المضرب
٢٧٩	أبو المطرف ابن أبي بكر المخزومي
٢٥٩	مطيع بن إياس
٣٤٩ ، ٣٤٨ ، ٦٤	معاوية بن أبي سفيان
١٢٤	معبد بن وهب
	ابن المعتز = عبد الله بن محمد
٢٧٧	المعتمد بن عباد = محمد أبو القاسم
٣٠٨	المعز بن باديس
٣٨٥	معمر بن المثنى
	معين الدين بن تولوا = عثمان بن سعيد
	ابن المغلس = عبد العزيز بن أحمد
٧٠	المغيرة بن شعبة

٢٠٢	المغيرة بن عبد الله الأسدي
١٠٢	أبو المقدام الخزاعي
٣٨٦	مكي بن أبي محمد الدمشقي (ابن الدجاجية) الملك الناصر ((يوسف بن أيوب)
١٩٩	المنخل بن مسعود الشكري
٢٣٧	المنذر بن أبي سبرة المهدي (محمد بن عبد الله)
٢١٠	مهيار بن مروزيه الديلمي أبو موسى الأشعري = عبد الله بن قيس
٧٢	موسى بن محمد (الهادي)
٣٦١	موسى بن يغمور (جمال الدين)
٢٩٦	ابن مولا هم المصري
٦٤	ابن ميمون
٢٩٥	ميمون بن قيس الأعشى

((النون))

٢٠٠	النايفة = زياد بن معاوية الناشيء ابن النقيب = حسن بن النقيب ابن النبيه = علي بن محمد النجاشي = قيس بن عمر نصر بن أحمد البصري (الخبز أرزي) نصر بن بصاقة
٣٧٩ ، ٢٣٠	
٣٦١	

نصر الله بن عبد الله اللخمي (ابن قلاقس الإسكندري) ١٤٣ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ١٠٥ ، ٥٢ ، ١٩٩ ، ٢٢٣ ، ٣٧٧
 نصر الله بن أبي الكرم (ضياء الدين ابن الأثير) ٥٤ ، ٥٣ ، ٥١ ، ٤٨ ، ٤٤ ، ٣٩ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١١٠ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٧٠ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣١٣ ، ٣٣٤ ، ٣٤١ ، ٣٤٨ ، ٣٥٢ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٧٤ ، ٣٧١ ، ٣٨٤

نصيب بن رباح (الشاعر) ١٩٨ ، ١٩٧ ، ١١٢
 النصير الحمامي ٣٠٢
 النعمان بن ثابت (أبو حنيفة) ٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨٢
 النور الإسعري = محمد بن محمد
 أبو نواس = الحسن بن هانيء

« الهاء »

الهادي = موسى بن محمد (الخليفة) ١٨٤ ، ١١٧ ، ٧٢
 هارون الرشيد (الخليفة)
 ابن هاني المغربي = محمد بن هاني
 ابن الهبارية = محمد بن محمد
 هبة الله بن جعفر (ابن سناء الملك) ٢٢٠ ، ١٩٩ ، ١٩٧ ، ١٦٦ ، ١١١ ، ١٠٨ ، ٥٢ ، ٢٢١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٩ ، ٣٠٦ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٣٠ ، ٣٦٠

١٣٦

ابن أبي هلال القيرواني

أبو هلال العسكري = الحسن بن عبد الله
همام بن غالب (الفرزدق) ١٠٧ ، ١٣٧ ، ٢٩٥ ، ٣٢٠ ، ٣١٧ ، ٣٠٢ ، ٣٨٩

((الواو))

الواحدى = علي بن أحمد أبو الحسن
الوراق الحظيري = الحظيري
الوزير المغربي = الحسين بن علي أبو القاسم
ابن وضاح المرسي ٢٦٤
ابن وكيع = الحسن بن علي الضبي ١٨١
ولادة بنت المستكفي ٩٠
أبو الوليد ابن الجنان الشاطبي = محمد بن سعيد
أبو الوليد ابن زيدون = أحمد بن عبد الله
الوليد بن عبيد البحتري ٦٥ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٤٤ ، ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٨٥
٢٢٧ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٣٦٣ ، ٣٦٨ ، ٣٨٩

((الياء))

يحيى بن شرف (محيي الدين النووي) ٧٣
يحيى بن عبد الرحمن (ابن بقي) ٢١٨ ، ٢١٩
يحيى بن عبد العظيم (أبو الحسين الجزار) ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨
٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٩
يحيى بن عيسى (ابن مطروح) ٣١٢ ، ٣٢٧ ، ٣٧٨
أبو يزيد العاص ٢٧٤
يوسف بن إسماعيل (محاسن الشوا) ٢٥٦
يوسف بن أيوب (صلاح الدين الأيوبي) ٧١ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ١٨٩ ، ٣٠٣
يوسف بن أبي بكر السكاكي ٧٩ ، ٢٨٢
يوسف بن لولو الذهبي البدر ٢٢١
يوسف بن هارون ٢٤٠

« فهرس المراجع ومصادره »

- الإحاطة في أخبار غرناطة - لسان الدين
ابن الخطيب
أخبار أبي تمام للصولي
- تحقيق محمد عبد الله عنان - دار المعارف
بمصر ١٣٧٥ - ١٩٥٥
- تحقيق خليل محمود عساكر ، ومحمد عبده
عزام ، ونظير الإسلام الهندي . مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧ -
١٩٣٧
- أخبار السيد الحميري - للمرزباني
أخبار النحويين البصريين للسيرافي
إرشاد الأريب لياقوت الحموي
- تحقيق محمد هادي الأميني . النجف ١٩٦٥
تحقيق فريتس كرنكو بيروت ١٩٣٦
تحقيق مرجليوت
الطبعة الأولى . مطبعة هندية بالموسكي
مصر سنة ١٩٢٥
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير
أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم للصولي
- بغاية مصطفى وهبي
المطبعة الوهية سنة ١٢٨٠ هـ
- نشره ج . هيورث الطبعة الأولى - مطبعة
الصاوي بالقاهرة سنة ١٣٥٥ - ١٩٢٦
- تحقيق د. السيد محمد يوسف . مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٨
- الأشباه والنظائر للخالدين
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر
المسقلاني
- الأصمعيات
- تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام
هارون دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية
١٩٦٤

الأعلام للنزركلي

الطبعة الثانية

الأغاني

نسخة مصورة عن مطبوعة دار الكتب
المصرية

الإقناع للصاحب بن عباد

تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين
ببغداد سنة ١٩٦٠

أُمالي ابن الشجري

حيدر آباد سنة ١٣٤٩

أُمالي الزجاجي

تحقيق عبد السلام هارون القاهرة سنة
١٣٨٢ هـ

كتاب الأمثال

لزيد بن رفاعه الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ

انباء الرواة على انباء النحاة للقفطي

تحقيق ابو الفضل ابراهيم

مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٤ - ١٩٥٥

البابليات لمحمد علي اليعقوبي

مطبعة الزهراء في النجف ١٣٧٠ - ١٩٥١

البداية والنهاية لابن كثير

مطبعة السعادة بمصر

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع مطبعة السعادة - الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ
للشوكاني

البدیع لابن المعتز

تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي - مطبعة
البابي الحلبي ١٣٦٤ - ١٤٩٥

بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس

لابن عميرة الضبي

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - البابي
الحلبي

بغية الوعاة للسيوطي

البلاغة للمبرد

تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، فصله
من حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس
المجلد التاسع ١٩٦٤

- البيان والتبيين للجاحظ
تحقيق عبد السلام هارون . مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي
بناية محمد سعيد العرفي . مطبعة السعادة
بمصر الطبعة الأولى ١٣٤٩ - ١٩٣١
- تاريخ أبي الفداء . الطبعة الأولى
الحسينية سنة ١٣٢٥
- تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان
مراجعة الدكتور حسين مؤنس . دارالهلal
ليبسك ١٣٢٠
- تاريخ الحكماء للقفطي
تاريخ الطبري
- تاريخ العرب مطول - لفيليب حتى ورفاقه
دار الكشف للنشر والطباعة والتوزيع
الطبعة الثانية ١٩٥٣
- تذكرة الحفاظ للذهبي
مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد
الهند - الطبعة الثالثة ١٩٥٦ .
- تراجم رجال القرنين السادس والسابع
الأبي شامة
- تعريف القدماء بأبي العلاء
تحقيق محمد زاهد الكوثري وعزت العطار
الحسيني - الطبعة الأولى ١٩٤٧
- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني
بإشراف د. طه حسين مطبعة دار الكتب
القاهرة ١٣٦٣ - ١٩٤٤
- التمثيل والمحاضرة للثعالبي
مطبعة مجلس دائرة المعارف - حيدر آباد
بالهند - الطبعة الأولى ١٣٢٦ هـ
- جامع الاصول من أحاديث الرسول (ص)
لابن الأثير
- تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو . مطبعة
البابي الحلبي - دار إحياء الكتب
العربية بالقاهرة ٣١٨١ - ١٩٦١
- تصحيح محمد حامد الفقي . إشراف
الشيخ عبد المجيد سليم مطبعة السنة
المحمدية . الطبعة الأولى ١٣٦٨ - ١٩٤٩

الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره
لمحمد سليم الجندي وعبد الهادي
هاشم

الجامع الصغير للسيوطي

جمهرة العسكري - محمد ابو الفضل
إبراهيم وعبد المجيد قطامش ١٩٦٤

جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير
الطبري) الباب الحلي

جامع كرامات الأولياء للنبهاني
جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس
للحميري

مطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر
تحقيق محمد بن تاويت الطنجي . مكتب
نشر الثقافة الإسلامية عزت العطار الحسيني
مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٢ هـ

حماسة ابن الشجري
حماسة أبي تمام

المطبعة العثمانية - حيدر آباد ١٣٤٥ هـ
محمد عبد المنعم خفاجي . مطبعة محمد
علي صبيح وأولاده ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥

الحماسة البصرية - لصدر الدين البصري
تحقيق د. مختار الدين احمد - مطبعة
مجلس المعارف العثمانية بحيدر آباد .
الطبعة الأولى ١٣٨٣ - ١٩٦٤

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ
الاصبهاني

خريدة القصر وجريدة العصر للعماد
الكاتب

قسم شعراء مصر . أحمد أمين . د. شوقي
ضيف د. إحسان عباس مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر ١ - ١٩٥١
ج ٢ - ١٩٥٢

خريدة القصر للعماد - قسم شعراء الشام د. شكري فيصل - المطبعة الهاشمية
بدمشق ج ١ ١٣٧٥ - ١٩٥٥ ج ٢ ١٣٧٨ -
١٩٥٩

خزانة الأدب للبغدادي المطبعة الأميرية ببولاق - الطبعة الأولى
الخصائص لابن جني تحقيق محمد علي النجار - مطبعة دار
الكتب بالقاهرة ١٣٧٤ - ١٩٥٥

خطط المقرئزي (المواعظ والاعتبار) مطبعة النيل بمصر ١٣٢٦ هـ
الدارس في تاريخ المدارس للنعمي تحقيق جعفر الحسيني . مطبعة الترقى
الدمشقي بدمشق ١٩٥١

الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن المطبعة العثمانية حيدر آباد
حجر العسقلاني الطبعة الأولى ١٣٤٩ هـ

دمية القصر للباخرزي تحقيق محمد راغب الطباخ . المطبعة
العامية بحلب الطبعة الأولى ١٣٤٨ - ١٩٣٠

الديارات للشابشتي تحقيق كوركيس عواد . مطبعة المعارف
ببغداد ١٩٥١

ديوان الأرجاني بإشراف أحمد الأزهرى - مطبعة جريدة
بيروت ١٣٠٧ هـ

ديوان امرىء القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار
المعارف بمصر ١٣٧٧ - ١٩٥٨

ديوان أوس بن حجر صنعة حسن السندوبي . المطبعة الرحمانية
بمصر ١٣٤٩ - ١٩٣٠

ديوان البحترى كرم البستاني - دار صادر بيروت ١٣٨١ -
١٩٦٢

ديوان البحتري

تحقيق حسن كامل الصيرفي - دار المعارف
سنة ١٩٦٣

ديوان بشار بن برد

محمد الظاهر عاشور - محمد رفعت فتح
الله - محمد شوقي أمين - مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٩ - ١٩٥٠
المطبعة الازهرية المصرية بإدارة محمد
رمضان . الطبعة الأولى ١٣١١ هـ

ديوان البهاء زهير

ديوان أبي تمام بشرح التبريزي

تحقيق محمد عبده عزام - دار المعارف بمصر
تقديم د. عبد الحميد يونس وعبد الفتاح
مصطفى مكتبة صبيح وأولاده بمصر ١٣٦١
- ١٩٤٢

ديوان أبي تمام

ديوان التلعفري - المطبعة الأدبية بيروت
١٣١٠ هـ بمعرفة محمد سليم الأنسي

مطبعة الجوائب بالقسطنطينية الطبعة الأولى
١٢٩٨ هـ

ديوان جمال الدين ابن مطروح

تحقيق د. حسين نصار - دار مصر للطباعة
مطبعة الأهرام بالإسكندرية - إدارة الأهرام
١٨٩٣ م

ديوان جميل بثينة

ديوان أبي الحسن التهامي

بتحقيق محمد أسعد طلس - جزءان

ديوان ابن أبي حصينة

صححه وقدم له د. إحسان عباس - دار
صادر بيروت سنة ١٣٧٩ هـ ١٩٦٠ م
كرم البستاني . دار صادر بيروت ١٣٨١
- ١٩٦١

ديوان ابن حمديس

ديوان ابن خفاجة

- ديوان ابن الدمينه تحقيق احمد راتب النفاح - مطبعة المدني
١٣٧٨ - ١٩٥٩ م
- ديوان ذي الرمة تحقيق كارليل هنري هين مكارتنى - مطبعة
كلية كمبردج ١٣٣٧ - ١٩١٩
- ديوان ابن رشيق القيرواني تحقيق د. عبد الرحمن ياغي - دار الثقافة
بيروت
- ديوان ابن الرومي كامل كيلاني - تقديم عباس العقاد - مطبعة
التوفيق الأدبية في (٣) أجزاء
- ديوان ابن زيدون شرح وتحقيق محمد سيد كيلاني - مطبعة
البابي الحلبي - الطبعة الثانية ١٩٥٦ م
- ديوان ابن زيدون ورسائله تحقيق على عبد العظيم - مطبعة نهضة
مصر بالجالة سنة ١٩٥٧ م
- ديوان ابن الساعاتي تحقيق أنيس المقدسي - المطبعة الأميركية
بيروت ١٩٣٩ - جزءان
- ديوان ابن سناء الملك تحقيق د. محمد عبد الحق - مطبعة مجلس
دائرة المعارف - حيدر آباد بالهند - الطبعة
الأولى ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م
- ديوان الشاب الظريف المطبعة الأهلية ببيروت سنة ١٣٢٤ هـ
برخصة مجلس معارف ولاية بيروت
- ديوان الشافعي تحقيق زهدي يكن - دار الثقافة بيروت
سنة ١٩٦١ م
- ديوان الشافعي تحقيق وجمع عبد العزيز سيد الأهل -
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٨٦ -
١٩٦٦ م
- ديوان الصاحب بن عباد تحقيق محمد حسن آل ياسين - مطبعة
المعارف ببغداد - الطبعة الأولى ١٩٦٥ م

- ديوان صردر
مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة - الطبعة الأولى ١٣٥٣ - ١٩٣٤ م
- ديوان طرفة بن العبد
تحقيق كرم البستاني - مكتبة صادر بيروت
مطبعة الجوائب بالقسطنطينية - الطبعة الأولى ١٢٩٨ هـ
- ديوان أبي العتاهية
تحقيق د. شكري فيصل - مطبعة جامعة دمشق ١٣٨٤ - ١٩٦٥ م
- ديوان علي بن الجهم
تحقيق خليل مردم بك - المطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م
- ديوان ابن عنين
تحقيق خليل مردم بك مطبعة دمشق ١٩٦٥ - ١٩٤٦ م
- ديوان الغزي
الكتب الظاهرية بدمشق - مصورة عن نسخة عمر بن محمد شبل العلوي - دار مخطوطة دار الكتب المصرية (١٠٩٩)
- ديوان ابن الفارض
دار صادر بيروت ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م
- ديوان أبي الفتح البستي
مطبعة جمعية الفنون - بيروت ١٢٩٤ هـ
- ديوان أبي فراس
رواية ابن خالويه - دار صادر للطباعة والنشر بيروت ١٩٥٩ م
- ديوان القاضي الفاضل
دار صادر بيروت ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م جزءان
- تحقيق د. أحمد أحمد بدوي - مراجعة إبراهيم الأبياري - مطابع دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى ١٩٦١ م
- ديوان ابن قلاقس
مطبعة الجوائب بإشراف خليل مطران سنة ١٩٠٥ م
- ديوان كشاجم
المطبعة الأنسية - بيروت سنة ١٣١٣ هـ

ديوان محمد سبط بن التعاويذي

ديوان المعتمد بن عباد

ديوان ابن المعتز

ديوان مهيار الديلمي

ديوان النابغة الذبياني

ديوان أبي نواس

ديوان ابن هانئ

الذخيرة لابن بسام

ذيل مرآة الزمان لليوتيني - حيدر آباد

الرسالة المستطرفة لابن جعفر الكتابي

ابن رشيق لعبد العزيز الميمني الراجكوتي

رغبة الآمل من كتاب الكامل لسيد علي

المرصفي

الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة

ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا لشهاب

الدين الخفاجي

زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم

تحقيق مرجليوث - مطبعة المقتطف ١٩٠٣ م

تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد
بإشراف د. طه حسين . المطبعة الأميرية
بالقاهرة ١٣٧٠ - ١٩٥١ م

كرم البستاني - دار صادر بيروت ١٣٨١
- ١٩٦١ م

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٤ هـ
١٩٢٥ م

تحقيق كرم البستاني - دار صادر بيروت
١٩٥٣ م

دار صادر بيروت ١٣٨١ - ١٩٦٢ م

تحقيق وشرح كرم البستاني - دار صادر
بيروت سنة ١٩٥٢ م

الطبعة الأولى ١٣٧٤ - ١٩٥٤ م

الطبعة الأولى بيروت سنة ١٣٣٢ هـ

المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ

مطبعة النهضة بمصر - الطبعة الأولى
١٣٤٨ - ١٩٣٠

مطبعة وادي النيل ١٢٨٧ هـ

تحقيق عبد الفتاح الحلو - البابي الحلبي
١٣٨٦ - ١٩٦٧ م

تحقيق د. سامي الدهان . دمشق ١٣٧٠
- ١٩٥١ م

- زهر الآداب وثمر الألباب للحصري
القيرواني
- السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي
- تحقيق د. زكي مبارك - المطبعة الرحمانية
- تحقيق محمد مصطفى زيادة - مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة
الطبعة الثانية ١٩٥٦ م
- سمط اللآلي للأويني
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب
لابن العماد الحنبلي
- تحقيق عبد العزيز الميمني . مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤ - ١٩٣٦ م
- عنت بنشره مكتبة القدسي سنة ١٣٥١ هـ
- شرح ادب الكاتب للجواليقي بالقاهرة
سنة ١٣٥٠
- نشر مكتبة القدس بتقديم الرافعي
- تحقيق عبد الستار فراج
مطبعة دار العروبة بالقاهرة ١٩٦٥ م
- شرح اشعار الهذليين صنعة أبي سعيد
السكري
- تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
الطبعة الأولى ١٣٧١ - ١٩٥١ م
- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي
- تحقيق . سامي الدهان - طبع دارالمعارف
بمصر
- شرح ديوان صريع الفواني
- صنعة الشيخ هنري بيرس . مطبعة جول
كربونل بالجزائر سنة ١٩٣٠ م جزءان
- شرح ديوان كثير عزة
- المطبعة التجارية الكبرى - الطبعة الثانية
١٩٣٨ م في أربعة أجزاء
- شرح ديوان المتنبي للبرقوقي
- مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٥٧ - ١٩٣٨
- شرح ديوان المتنبي للبرقوقي
- طبع في القاهرة ١٣٢٢ هـ
- شرح ديوانه المغني للسيوطي
- المطبعة التجارية الكبرى بمصر ١٣٨٠ -
- ١٣٨٠ - ١٩٦١ م
- شرح المعلقات السبع للزوزني

شرح مقامات الحريري للشريشي

بإشراف محمد عبد المنعم خفاجي - الطبعة
الأولى ١٢٧٢ - ١٩٥٢ م

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

دار إحياء الكتب العربية . عيسى الببائي
الحلبي وشركاه . تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم الطبعة الأولى ١٣٧٩ - ١٩٥٩ م

شعراء الحلة المخاقيني

المطبعة الحيدرية في النجف ١٣٧٢-١٩٥٢
منشورات دار البيان

شعراء النصرانية بعد الإسلام

لويس شيخو اليسوعي

الشعر والشعراء لابن قتيبة

تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر - دار
المعارف بمصر سنة ١٩٦٦ م

صبح الأعشى للقلقشندي

المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٣٣ - ١٩١٥ م

صفة جزيرة الأندلس للحميري

تحقيق بروفنسال . مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر سنة ١٩٣٧ م

صفة الصفوة لابن الجوزي

دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد بالهند
الطبعة الأولى سنة ١٣٥٥ هـ

الصلة لابن بشكوال

طبع بعناية عزت العطار الحسيني ١٣٧٤ -
١٩٥٥ في جزأين

كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري

تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو
الفضل إبراهيم - الطبعة الأولى ١٣٧١ -
١٩٥٢ م

الطالع السعيد للأذفوي

المطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٣٢-١٩١٣ م

طبقات الشافعية الكبرى للسبكي

المطبعة الحسينية المصرية

طبقات الشعراء لابن المعتز

تحقيق عبد الستار أحمد فراج - دار
المعارف بمصر

طبقات فحول الشعراء لابن سلام

تحقيق وشرح محمود محمد شاكر - دار
المعارف للطباعة والنشر ١٩٥٢ م

- الطبقات الكبرى لابن سعد
طبقات المعتزلة لابن المرتضى
طبقات النحويين واللغويين للزبيدي
ظهر الإسلام لأحمد أمين
عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح
لتقي الدين السبكي
عصر الانحدار لمحمد أسعد طلس
العقد الفريد لابن عبد ربه
عيون الأخبار لابن قتيبة
عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي
صبيحة
الفاخر
فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي
عبيد البكري الأونبي
فصيح ثعلب والشروح التي عليه
دار صادر بيروت ١٣٧٧ - ١٩٥٨ م
تحقيق سونسة ديفلد وفلزر . بيروت
١٣٨٠ - ١٩٦١
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . الطبعة
الأولى ١٣٧٣ - ١٩٥٤ م
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٦١ م
المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق - الطبعة
الأولى ١٣١٧ هـ
دار الأندلس بيروت
تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم
الأيباري . مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر
نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب . وزارة
الثقافة المؤسسة المصرية العامة للتأليف
والترجمة والنشر
تحقيق د. نزار رضا . دار مكتبة الحياة
بيروت ١٩٦٥ م
الطبعة الأولى بالمطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٥
والطبعة الثانية بالمطبعة الوطنية بالإسكندرية
سنة ١٢٩٠ هـ
تحقيق عبد العليم الطحاوي - ١٩٦٠
تحقيق د. عبد المجيد عابدين ود. إحسان
عباس . الطبعة الأولى سنة ١٩٥٨
تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي - الطبعة
الأولى ١٣٦٨ - ١٩٤٩ م

المكتبة التجارية الكبرى - مطبعة الاستقامة
بالقاهرة

الفهرست تاريخ الخلفاء للسيوطي
فوات الوفيات لابن شاكر الكتيبي

تحقيق إدارة المطبعة المنيرية سنة ١٣٥١ هـ
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
مطبعة السعادة بمصر

القصائد السبع العلويات لابن أبي الحديد
قلائد العقيان لابن خاقان

مطبعة العرفان - صيدا سنة ١٣٤٠ هـ
بإشراف محمد صالح الحنفي تصحيح
وتنقيح محمد الصباغ ١٢٨٣ هـ

الكامل في التاريخ لابن الأثير
الكامل للمبرد

مطبعة الاستقامة بالقاهرة
تحقيق أبي الفضل إبراهيم والسيد شحاته
مطبعة نهضة مصر

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون
للا كاتب جلبي

الطبعة الأولى سنة ١٣١٠ هـ

المطبعة البهية سنة ١٣٠٢ هـ

الكشكول للعاملي

طبع سنة ١٣٥٧ هـ

اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير

الطبعة الأولى سنة ١٣١٠ هـ

لزوم مالا يلزم

طبعة بولاق سنة ١٣٠٠ هـ

لسان العرب

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت
١٩٦١ م

مجمع الأمثال للميداني

تحقيق . د. أحمد الحوفي . و . د. بدوي
طباعة ١٩٥٩

المثل السائر لابن الأثير

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت
١٣٨٠ - ١٩٦١ م

مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي
الطبرسي

مكتبة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٢ هـ

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي

مكتبة الخانجي بمصر سنة ١٣٢٤ هـ

المحاسن والأضداد للجاحظ

محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة
العباسية - للخضري

مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لابن الجوزي

مروج الذهب للمسعودي

المزهر للسيوطي

مصارع العشاق لابن الحسين السراج

مطعم الأنفس لابن خاقان

معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي

معجم الأدباء لياقوت الحموي

معجم البلدان لياقوت

المعلقات العشر وأخبار شعرائها للشنقيطي

معجم الشعراء للمزرباني

معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة

المعيار للشنتريني

المغرب في حلى المغرب

الطبعة التاسعة ١٩٥٩ م

القسم الأول من الجزء الثامن . مطبعة
مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد
بالبند الطبعة الأولى ١٣٧٠ - ١٩٥١ م

طبع بعناية محمد الصباغ سنة ١٢٨٣ هـ

تحقيق محمد احمد جاد الله - محمد أبو
الفضل إبراهيم - علي محمد البجاوي -
دار احياء الكتب العربية - البابي الحلبي
١٣٧٨ - ١٩٥٨

مطبعة الجوائب بالقسطنطينية - الطبعة
الأولى سنة ١٣٠١ هـ

مطبعة السعادة سنة ١٣٢٥ هـ

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٧ - ١٩٤٧ م

مطبوعات دار المأمون - البابي الحلبي
وشركاه - الطبعة الأخيرة في ٢٠ جزءا

دار صادر بيروت ١٣٧٤ - ١٩٥٥

المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٨٠ -
١٩٦١ م

تحقيق عبد الستار فراج - دار احياء
الكتب العربية - البابي الحلبي وشركاه
١٣٧٩ - ١٩٦٠ م

مطبعة الترقى بدمشق ١٣٨٠ - ١٩٦٠ م

تحقيق د. محمد رضوان الدايدة دمشق
١٩٦٨

تحقيق د. شوقي ضيف . دار المعارف
بمصر ١٩٥٣ م

- مفاتيح الغيب (تفسير الرازي) المشتهر
بالتفسير الكبير
- مفتاح السعادة . لطاش كبري زاده
- مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي
- مفرج الكروب في اخبار بني أيوب لابن
وصل
- مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصبهاني
- مقامات الحريري
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي
- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي
- نفع الطيب للمقري
- نكت الهميان للصفدي
- نهاية الأدب في فنون الأدب للنويري
- نوادير المخطوطات - المجموعة الثالثة
- نور القيس المختصر من المقتبس في اخبار
النحاة والأدباء والشعراء والعلماء
للحافظ اليعموري
- هبة الأيام للبديعي
- الطبعة الأولى بمصر ١٣٠٨ هـ
- مطبعة دار المعارف النظامية - حيدر آباد
بالهند - الطبعة الأولى
- المطبعة الميمنية الباني الحلبي بمصر سنة
١٣١٨
- تحقيق د. جمال الدين الشيال . مطبعة
جامعة فؤاد الأول ١٩٥٣ م
- المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف ١٣٥٣ هـ
- المطبعة الحسينية المصرية ١٣٤٣ هـ -
١٩٢٥ م
- مطبعة السعادة بمصر - الطبعة الأولى
١٣٢٥ هـ
- مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٩ - ١٩٥٠ م
- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
مطبعة السعادة - الطبعة الأولى ١٣٦٧ -
١٩٤٩ م .
- طبعة ١٩١١
- مطبعة دار الكتب بالقاهرة ١٣٤٢ - ١٩٢٣ م
- تحقيق عبد السلام هارون . مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر . الطبعة الاولى
١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م
- تحقيق رودلف زلهائم دار النشر
- شرح وتعليق محمود مصطفى

- هدية العارفين . أسماء المؤلفين وآثار
المصنفين للبغدادي
- الوحشيات لأبي تمام
- الورقة لابن الجراح
- الوزراء والكتاب للجهشياري
- الوساطة للجرجاني
- وفيات الأعيان لابن خلكان
- يتيمة الدهر للثعالبي
- استانبول ١٩٥١ - ١٩٥٥ م
- تحقيق عبد العزيز الميمني وزاد في حواشيه
محمود محمد شاكر . دار المعارف ١٩٦٣ م
- تحقيق د. عبد الوهاب عزام وعبد الستار
فراج دار المعارف بمصر ١٩٥٣ م
- تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري
وعبد الحفيظ شلبي . مطبعة البابي الحلبي
- الطبعة الأولى ١٣٥٧ - ١٩٣٨ م
- تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم -
علي محمد البجاوي - دار إحياء الكتب
العربية البابي الحلبي وشركاه - الطبعة
الثالثة
- مطبوعات دارالمأمون - البلي الحلبي وشركاه
الطبعة الأخيرة
- مطبعة الصاوي - الطبعة الأولى ١٣٥٢ -
١٩٣٤ م .



التصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
						في المقدمة	
١٤		الأخير	انظر [سقط] GAL II 33	٢٣٩	١٣	الاعتزاز	الاعتزاء
١٥	١٨	في كتابه	[سقط] GAL II 33	٢٥٠	١٩	وما بي	وما بقي
		في الكتاب		٢٦٢	٥	رسالة لابن الأثير	
						رسالة لبعض كتاب العجم	
				٢٧٣	١	أدلة	أداة
٧٩	١٨	الكتابة	الكناية	٢٧٢		آخر الصفحة	سقط (١)
٨٧	١٧	تاريخ الخلفاء	[ص ٣	٢٨٩	٧	اصطفينا	اصطفينا
١٠٥	٣	عوا	علواً	٣١١	٩	الصفح	الصور
١٠٧	٦	تصرف	تصرف تصرف	٣١٤	١٥	سقط (٢)	
١٣٣	١٢	واويت اقبا	وداويت القلب	٣١٧	١٦	العباس	العباسي
١٦٠	١١	وججم	وججم	٢٣٢	٢	ماترونه	ماترومه
١٦٢	١٣	التعديلات	التعليقات	٣٣٢		الحاشية (٣)	سقط (٣)
١٧١	٢١	وخلدع	وأخدع	٣٣٩	١٥	كلكة	كلّة
١٨٠	٧	المتنبى	المتنبى	٣٤٥	١	فباءت	فباتت
١٨٣	٨	لا الإنتظار	لا الانتظار	٣٦٤	١٤	سقط (٤)	
١٨٤	٤	عملت	علمت	٣٨٥	٩	ص ١١٦	ص ١٨٧
١٨٥	١٠	تلك	في تلك			في الفهارس	
١٩٤	٢٢	ولأعلم ..	(السطور كله) مكرر	٤٠٣	١١	القرب	صواب
٢٣٤	٣	وضعت	وضعت	٤٠٣	١٢	(سقط)	القرب
٢٣٤	٧	وقلت نور بدا على قضبه		٤١٧	٥	كدر	للقصور
		وقفت على رأسي به لأيام		٤١٧	٦	للقصور	كدر
٢٣٤	١٧	وصفت	وصفت	٤٣٦	٢١	مينني حينا	مينني حيناً
٢٣٦	٥	ابعدت	إبَعَدَ بَعِدَتْ				

سقط (١) ما أعجب شأن هذا الشاعر ، ترك ما التزم به وتبرع بما لم يلزمه فانه صدر التشبيه بقوله : وكأنها وكان حامل كأسها .

ويلزمه تشبيه الحمرة والساقى فشبه (٨٨ / آ) الحمرة وأهمل الساقى وتبرع بتشبيه الجباب ، وما هو إلا كمن فاتته صلاة الصبح فتركها وصلى الضحى ، أو أهمل صيام رمضان وصام الأيام البيض .

وشيخنا أثير الدين أبو حيان خالف الناس في قول بشار بن برد :

كان مشار النقع فوق رؤوسنا وأسيفنا ليل تهاوى كواكبه^(١)

وقال : ليس هذا من تشبيه اثنين باثنين .

سقط (٢) « . . لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون ، قالوا تالله إنك لفي ضلالك .. » .

سقط (٣) (٣) المثلث التأثر ٨٢/٣ « . وأصبحت أيام نحرها في الناس غير مبتدأة .. » .

سقط (٤) أما افراد اليمين وجمع الشماثل فلأن الظل يبدو عن اليمين من الشمس .

(١) ديوان بشار بن برد ٣١٨/١ والبيت من قصيدة قالها يمدح مروان بن محمد بن مروان ويسدح قيس عيلان مطلعها :

جفا وده فازور أو مل صاحبه وأزرى به أن لايزال يعاتبه

وفيه : « فوق رؤوسهم » . وفي الوساطة ص ٣١٣ ورد كما هو عند الصفدي . وفي طبقات ابن المعتز ص ٢٦ - ٢٨ جاء في عجز البيت : « ليل تهاوت كواكبه » .

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com